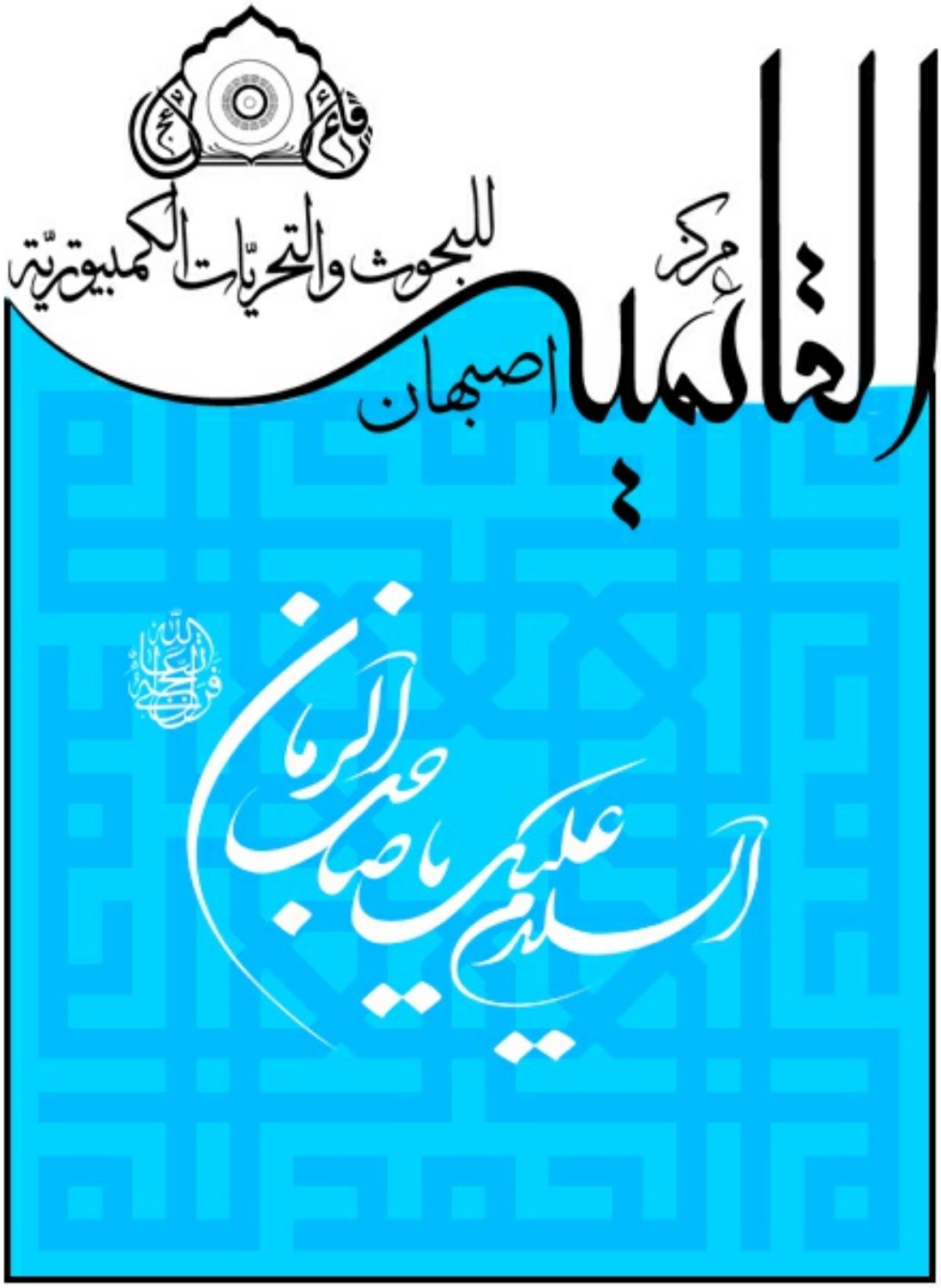

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

المحقق آية الله الشيخ محمد السند

الموسوعة التفسيرية ٩

تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم

الشيخ محمد الحسون

بسم الله الرحمن الرحیم

تفسير امومه الولايه و المحكمات للقرآن الكريم ، الولايه قطب القرآن عليها تستدير محكماته

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

موسسه الامام الصادق (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
تفسیر امومه الولایه و المحکمات للقرآن الکریم ، الولایه قطب القرآن علیها تستدیر محکماته المجلد ۱ ----- ۱۷
اشاره ----- ۱۷
اشاره ----- ۱۷
تقدیم ----- ۲۱
اشاره ----- ۲۱
التعریف بمنهجنا التفسیری: ----- ۲۱
الفصل الأول: منهجنا فی التفسیر ----- ۳۳
اشاره ----- ۳۳
منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات فی القرآن فضلاً عن المتشابهات ----- ۳۵
اشاره ----- ۳۵
۱- المقدمه: ----- ۳۵
اشاره ----- ۳۵
خطه البحث ----- ۳۹
تفسیر أمومه ولایه أئمه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی الکتاب الکریم ----- ۴۳
۲ - توطئه عن تاریخ کل علم ----- ۴۵
ما الفائده فی الخوض فی تاریخ کل علم؟ ----- ۴۵
الخلاصه: ----- ۴۶
۳ - صعوبه علم التفسیر ----- ۴۷
اشاره ----- ۴۷
معنی القرآن فی الأوصیاء: ----- ۴۹
۴ - منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی القرآن ----- ۵۱
اشاره ----- ۵۱
الأمر الثانی: دور القرآن الکریم فی حفظ اللغه العربیه ----- ۵۷

۵ - تعریف بمنهج أمومه ولایه أهل البیت علیهم السلام فی تفسیر محکمات القرآن ---- ۵۹
مقدمه: ---- ۵۹
امتیاز وحده القواعد: ---- ۶۲
الرسم الهندسی الریاضی لمنهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی حدیث الثقلین: ---- ۶۹
وجه اختلاف منهج أمومه المحکمات الولایه عن منهج السید العلامه محمد حسین الطباطبائی (قدس سرّه) وغیره الذی هو تفسیر القرآن بالقرآن: ---- ۷۰
الفصل الثانی: قیمومه أهل البیت (علیهم السلام) فی تعلیم القرآن - أدله وبراهین - ---- ۷۵
اشاره ---- ۷۵
المبحث الأول: باب الاجتهاد مفتوح علی مصراعیه عند الشیعه الإمامیه ---- ۷۷
المبحث الثانی: لماذا المذاهب الإسلامیّه تُخَطِّر من فتح باب الاجتهاد؟ ---- ۸۱
المبحث الثالث: مقارنه بین فقه الإمام جعفر بن محمد الصادق (علیه السلام) وبین فقه المذاهب الأربعه فی فقه الفروع وغیره ---- ۸۹
المبحث الرابع: الأدله والبراهین علی قیمومه أهل البیت (علیهم السلام) فی تعلیم القرآن ---- ۹۱
اشاره ---- ۹۱
الدلیل الأوّل: البرهان التأریخی الحضاری العلمی: ---- ۹۱
اشاره ---- ۹۱
إلفات نظر: ---- ۹۳
الدلیل الثانی: القرآن کتاب غیبی سماوی: ---- ۹۶
اشاره ---- ۹۶
۱ - هل المعتبر فی حجیّه الروایه سَندُها أم برهانیّه المضمون: ---- ۹۸
۲ - الروایات الداله علی احتیاج القرآن إلی معلم إلهی: ---- ۱۰۱
۳ - ما هو السرُّ فی عدم اند ثار اللغه العربیه: ---- ۱۰۷
۴ - اللغه العربیه هی أتقن لغه علمیه فی العالم: ---- ۱۰۹
الدلیل الثالث: مقامات ومنازل القرآن الکریم: ---- ۱۱۰
اشاره ---- ۱۱۰
المقام الأوّل: أم الکتاب: ---- ۱۱۲
المقام الثانی: الکتاب المبین: ---- ۱۱۴
المقام الثالث: الکتاب المکنون: ---- ۱۱۷

المقام الرابع: تنزیل الکتاب: ---- ۱۱۹
المقام الخامس: لوحٌ محفوظ: ---- ۱۲۱
المقام السادس: لا یمسه إلا المطهرون ---- ۱۲۲
المقام السابع: قرآن کریمٌ: ---- ۱۲۵
اشاره ---- ۱۲۵
تساؤلات فی استخلا ص نتیجه البحث: ---- ۱۲۷
الدلیل الرابع: (المعلم الرابع) حجیه الظاهر حجیه معیّه بین الکتاب والسنه: ---- ۱۲۷
أولاً: المقدمه وبیان مضمون الدلیل الرابع: ---- ۱۲۷
ثانیاً: البیان البرهانی للمعلم الرابع: ---- ۱۲۸
ثالثاً: بعض المؤاخذات التی تسجل علی أصحاب منهج تفسیر القرآن بالقرآن: ---- ۱۳۱
اشاره ---- ۱۳۱
ثمره المعلم الرابع: ---- ۱۳۶
الفصل الثالث: المنهجیه والمناهج فی التفسیر ---- ۱۳۹
اشاره ---- ۱۳۹
المقام الأول: المنهجیه فی التفسیر ---- ۱۴۱
اشاره ---- ۱۴۱
أهمیه وضع المنهجه: ---- ۱۴۱
ثلاثه عوامل أساسیه فی بحوث علم التفسیر ---- ۱۴۲
اشاره ---- ۱۴۲
العامل الأوّل: البحوث الأصولیه: ---- ۱۴۲
العامل الثانی: وفره إطلاع المُفسّر علی مواد التفسیر: ---- ۱۴۶
العامل الثالث: القرآن ذ و منازل: ---- ۱۴۷
بدایه علم التفسیر ---- ۱۴۷
بدایه البحث التفسیری ---- ۱۴۸
توضیح للأمومه ---- ۱۵۰
الصله بین فقه الفروع وبین العقائد: ---- ۱۵۰

ما هو نوع الصله بين فقه الفروع والعقائد ---- ۱۵۱
فی مبحث الولایه ---- ۱۵۱
هیمنه العقائد علی فقه الفروع ---- ۱۵۴
تطبیق منهج الأمومه والهیمنه وطبقاتها ---- ۱۵۹
علی مثل بحث الولایه ---- ۱۵۹
المقام الثانی: وحده معیه الثقلین ---- ۱۶۱
اشاره ---- ۱۶۱
وحده معیه الثقلین ---- ۱۶۱
اشاره ---- ۱۶۱
حدیث الثقلین کلام الله فی القرآن: ---- ۱۶۳
الهیمنه والفوقیه ---- ۱۶۷
من الذی جمع القرآن کما أُنزل ؟ ---- ۱۷۳
اشاره ---- ۱۷۳
إلفات نظر: ---- ۱۷۳
النتائج السلبیه المترتبه علی عدم التمسُّک بالقرآن ---- ۱۷۵
العلاقه بین ولایه الله تعالی وولایه الرسول (صلی الله علیه و آله) والأئمه ---- ۱۷۷
وبین منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات من القرآن ---- ۱۷۷
المقام الثالث: بحث مقارن بین منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات فی القرآن فضلا عن المتشابهات والمناهج الأخری ---- ۱۸۳
اشاره ---- ۱۸۳
۱ - بحث امتیاز منهج أمومه ولایه أئمه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات فی القرآن فضلاً عن المتشابهات، عن غیره: ---- ۱۸۳
أم الکتاب ---- ۱۸۳
العلاقه بین الظاهر والباطن ---- ۱۸۷
المعلم الثانی: لمنهج تفسیر أمومه المحکمات: ---- ۱۸۷
مییزات المنهج الثانی - العلاقه بین الظاهر والباطن: ---- ۱۸۷
العلاقه بین الفتق والرتق ---- ۱۹۱
أهمیه البحث المقارن ---- ۱۹۷

اشاره ----- ۱۹۷
ما المراد بالبحث المقارن؟ ----- ۱۹۷
الفوارق بين منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) ----- ۱۹۹
على المحكمات فى القرآن فضلاً عن المتشابهات ----- ۱۹۹
وبين التفاسير الأُخرى - بحث مقارن ----- ۱۹۹
اشاره ----- ۱۹۹
أهم مميزات منهج تفسير أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فى القرآن الكريم فضلاً عن المتشابهات: ----- ۲۰۰
القيمومه فى التعليم والتبيان ----- ۲۲۵
حجيه آيات وسور القرآن حجيه معيه لا حجيه مستقله ----- ۲۳۱
اشاره ----- ۲۳۱
فكره منهج تفسير القرآن بالقرآن: - ----- ۲۳۱
المؤاخذات على المناهج الأُخرى ----- ۲۳۵
مؤاخذات على منهج تفسير القرآن بالقرآن: ----- ۲۳۵
العلاقه بين الظهور والتأويل (قاعده التعريض) وبين منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) ----- ۲۴۰
الفصل الرابع: نظم وقواعد التفسير ومميزات وخصائص منهج أمومه ولايه أهل البيت عليهم السلام على المحكمات فضلاً عن المتشابهات ----- ۲۴۱
اشاره ----- ۲۴۱
المقام الأول ----- ۲۴۵
المقدمه: ----- ۲۴۵
اشاره ----- ۲۴۵
ألفات نظر: ----- ۲۴۶
أصول وقواعد تفسير منهج أمومه ولايه أهل البيت على المحكمات ----- ۲۵۱
مميزات وخصائص منهج أمومه الولايه على المحكمات ----- ۲۵۵
الفرق بين الأنظمه الثلاثه ----- ۲۵۹
الأفعال - الصفات - الأسماء ----- ۲۵۹
اشاره ----- ۲۵۹
إلفات نظر: ----- ۲۶۱

العلاقه بين الأنظمه الثلاثه: الأفعال - الصفات - الأسماء ---- ۲۶۳
نظريه تجسم الأعمال ---- ۲۶۷
اشاره ---- ۲۶۷
أولاً: مضمون النظريه: ---- ۲۶۷
ثانياً: مدرک النظريه: ---- ۲۷۰
أفعال الإنسان اختياريه أو لا؟ ---- ۲۷۳
النظام اللفظی فی القرآن الكريم ---- ۲۷۷
المقام الثانی: النظام الاستعمالی اللفظی فی القرآن الكريم ---- ۲۷۹
اشاره ---- ۲۷۹
القاعده الأُولی: التعريض ---- ۲۸۱
المقدمه: ---- ۲۸۱
اشاره ---- ۲۸۱
التعريض: ---- ۲۸۴
ما معنی التعريض؟ ---- ۲۹۰
تنبيه ---- ۲۹۵
اشاره ---- ۲۹۵
ما هی الصله بين الصبر والتعريض: ---- ۲۹۸
أهميه دلاله التعريض وفائدتها ---- ۳۰۳
اشاره ---- ۳۰۳
التعريض ليسَ مختصا بعلم تفسير القرآن: ---- ۳۰۹
بيان إعجاز القرآن الكريم هو أحد أدلّه إمامه أهل البيت (عليهم السلام) ---- ۳۱۳
برهان علمی حديث علی إعجاز القرآن الكريم وحقانيته وعلی إمامه أهل البيت (عليهم السلام) ---- ۳۱۵
المقام الثالث ---- ۳۱۷
اشاره ---- ۳۱۷
الظهور والتأويل ---- ۳۲۰
البداهه والنظر أمران إطلاقيان أم نسبيان ؟ ---- ۳۲۲

الحشویه وخفاء القرآن ----- ۳۲۶
اشاره ----- ۳۲۶
الحقیقه لا تُحْجم: ----- ۳۲۹
إشکالات علی مبحث التعریض ----- ۳۳۲
اشاره ----- ۳۳۲
کیف یفرق الباطن بالظاهر: ----- ۳۵۴
هل الولوج فی باب التأویل حکراً علی فئه من الناس ----- ۳۵۸
اشاره ----- ۳۵۸
إثاره: التأویل لا یمکن ضبطه بقواعد اللغه العربیه: ----- ۳۶۰
بیان مشرب فکری آخر ----- ۳۶۲
التأویل یندرج تحت الظهور بلْ جزء منه ----- ۳۶۶
روایات تأویلیه تعبدیه ----- ۳۷۰
نظریه أُخری فی معنی دلاله الظهور ----- ۳۷۲
ارتباط نظام التأویل والدلاله الخفیه بنظام عالم الظهور ----- ۳۷۶
علم اللغه فی الأداء اللغوی للقرآن ----- ۳۸۰
علم اللغه فی الأداء والإعجاز اللغوی القرآنی ----- ۳۸۲
التبیان الروائی فی التفسیر المأثور ----- ۳۸۶
المقارنه فی التأویل بین مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) ----- ۳۹۴
وبین مدرسه فلسفه الألسنیات ----- ۳۹۴
مقدمه: ----- ۳۹۴
اشاره ----- ۳۹۴
نقاط الافتراق: ----- ۳۹۵
نظریه السید المرتضی (رحمه الله) ----- ۴۰۰
هل الظهور صفه ثابته للألفاظ ----- ۴۰۴
أو صفه لإدراک الإنسان ؟ ----- ۴۰۴
حجیه الدلاله فی اللغه العربیه ----- ۴۱۲

اشاره ----- ۴۱۲
الوضوح والخفاء أمران نسبیان: ----- ۴۱۲
التوریه ----- ۴۱۴
البیان تعلیم إلهی فطری للبشر ----- ۴۱۶
تلخیص لنتائج القاعده الأُولی ----- ۴۱۸
من قواعد نظام الاستعمال اللفظی ----- ۴۱۸
الفصل الخامس: القاعده الثانیه - قاعده الالتفات ----- ۴۲۲
اشاره ----- ۴۲۲
قاعده الالتفات ----- ۴۲۶
مقدمه: ----- ۴۲۶
سبب عدم ترکیز أغلب المفسرین علی قاعده الالتفات ----- ۴۳۸
الضوابط التطبیقیه لقاعده الالتفات ----- ۴۴۲
الهجره والنصره فی مدرسه أهل البیت علیهم السلام ----- ۴۶۰
السرد القصصی القرآنی ----- ۴۶۸
الجری والتطبیق ----- ۴۷۲
اشاره ----- ۴۷۲
ضابط الجری والتطبیق: ----- ۴۷۲
الآیات والروایات لا یقتصر فیها علی الجانب التطبیقی فقط ----- ۴۷۴
اشاره ----- ۴۷۴
مدرک مورد الجری - والتطبیق: ----- ۴۷۶
وحده السیاق وما یترتب علیها من آثار سلبیه ----- ۴۷۸
النسبیه فی القرآن وعند الحداثویین ----- ۴۸۴
الإعجاز البلاغی فی القرآن الکریم ----- ۴۹۰
روایه عن الإمام الباقر علیه السلام ----- ۴۹۴
قاعده الالتفات ومعرفه تکثر بطون القرآن وظهوره ----- ۴۹۸
المعالجات البیانیه فی روایات أهل البیت علیهم السلام ----- ۵۰۴

لسطح ظاهر ألفاظ القرآن الكريم ---- ۵۰۴
الفرق بين مقام المعلم الإلهى ومقام الآمريه والأولويه ---- ۵۰۶
الفصل السادس: القاعده الثالثه: إياک أعنى وأسمعى يا جاره ---- ۵۱۰
اشاره ---- ۵۱۰
القاعده الثالثه: إياک أعنى واسمعى يا جاره ---- ۵۱۲
اشاره ---- ۵۱۲
مضمون القاعده ---- ۵۱۴
اشاره ---- ۵۱۴
تنبيه: ---- ۵۱۵
المقارنه بين قاعده الالتفات وقاعده إيّاک أعنى واسمعى يا جاره ---- ۵۱۶
الفوائد المترتبه على قاعده إياک أعنى واسمعى يا جاره ---- ۵۱۸
أهميه علوم اللغه والبلاغه والنحو فى قراءه النص الوحيانى ---- ۵۲۲
تنبيه: ---- ۵۲۲
الضوابط والنماذج التطبيقيه لقاعده: إياک أعنى واسمعى يا جاره ---- ۵۲۶
محكمات القرآن تفسر متشابهات السنه ---- ۵۳۴
تأكيد القرآن الكريم على عاقبه الأمور ---- ۵۴۸
الفصل السابع: القاعده الرابعه: استعمال اللفظ فى أكثر من معنى ---- ۵۵۶
اشاره ---- ۵۵۶
قاعده استعمال اللفظ فى أكثرمن معنى ---- ۵۵۸
استعمال اللفظ فى أكثر من معنى ---- ۵۶۱
مقدمه: ---- ۵۶۱
القسم الأوّل: استعمال اللفظ فى معنى واحد: ---- ۵۶۲
اشاره ---- ۵۶۲
أصل بحث قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى فى علم الأصول ---- ۵۶۹
أهميه علم الأصول: ---- ۵۶۹
أقوال ومبانى علماء الأصول فى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى ---- ۵۷۳

اللفظ بحسب الوضع اللغوی یمکن أنْ یکون لفظاً واحداً یرتبط بعدّه معانی أو لا؟ ----- ۵۷۷
اشاره ----- ۵۷۷
موقف الباحثین من المشترک اللفظی: ----- ۵۷۸
المشترک المعنوی: ----- ۵۷۹
إلفات نظر: ----- ۵۸۴
أقسام الدلاله ----- ۵۸۷
بحث حول القرائن ----- ۵۹۳
اشاره ----- ۵۹۳
تنبیه: ----- ۵۹۳
الأدله علی إثبات قاعده ----- ۶۰۱
استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ----- ۶۰۱
الشرائط المعتبره فی قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ----- ۶۰۷
اشاره ----- ۶۰۷
نتائج القاعده علی ضوء الشرط الأوّل: ----- ۶۰۹
النتیجه الأولی: تنبیه هام ----- ۶۰۹
النتیجه الثانیه: ----- ۶۱۰
شرائط حجیه التفرعات والنتائج ----- ۶۱۳
المترتبه علی قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ----- ۶۱۳
العلاقه بین منهج أمومه المحکمات وولایه أهل البیت علیهم السلام وبین التوحید ----- ۶۲۳
ادّعاء المنهج السلفی اتّباعه الروایات الصحیحه ----- ۶۲۹
اشاره ----- ۶۲۹
رأی الشیخ الکبیر جعفر کاشف الغطاء (قدس سرّه): ----- ۶۲۹
اشاره ----- ۶۲۹
تنبیه: ----- ۶۳۳
الثمره المترتبه علی استعمال الوحده بمعنی وحده النظام والمنظومه ----- ۶۳۵
طرزٌ آخر من الاستدلال علی قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی: ----- ۶۳۹

علم النقد الأدبی من أهم علوم اللغه ---- ۶۴۳
ولایه أهل البیت (علیهم السلام) هی مدار القرآن وباقی الکتب السماویه ---- ۶۴۷
الشرط الثانی: ---- ۶۴۷
ما هو الأثر المترتب علی تمامیه الشرط الثالث: ---- ۶۵۰
الضوابط التطبیقیه لقاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ---- ۶۵۱
بحث آخر حول القرآن ---- ۶۵۴
القسم الثانی: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ---- ۶۵۹
اشاره ---- ۶۵۹
المواد التطبیقیه لقاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ---- ۶۶۳
اشاره ---- ۶۶۳
أهمیه القاعده: ---- ۶۷۶
علاقه القاعده: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی بالأسماء الإلهیه اللفظیه ---- ۶۷۸
الطعون الموجهه إلی قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ---- ۶۸۲
المراتب المعلومه والبحث العلمی ---- ۶۸۴
اشاره ---- ۶۸۴
الفرضیه العلمیه (التخیل العلمی): - ---- ۶۸۴
النتیجه النهائیه: ---- ۶۹۲
الفصل الثامن ---- ۶۹۴
اشاره ---- ۶۹۴
الأمر الأول: ارتباط القواعد المبحوثه فی الأنظمه الثلاثه بمنهج أمومه ولایه أهل البیت علیهم السلام علی المحکمات ---- ۶۹۶
الأمر الثانی: امتیاز وحده النظام فی منهج أمومه الولایه علی المحکمات ---- ۷۰۰
الأمر الثالث: الدلیل علی إمکان تکرار استعمال القاعده الواحده فی الانظمه الثلاثه ---- ۷۰۶
الأمر الرابع: الدلیل علی العموم ---- ۷۰۶
الأمر الخامس: التسلسل الهرمی لقواعد الأنظمه الثلاث - والحاکم هو النظام الثالث - نظام الحقائق ---- ۷۱۰
الأمر السادس: علم النبره الصوتی «النظام الصوتی الإعجازی فی الکلام» ---- ۷۱۸
الأمر السابع: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا یَنبَغِی لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِکرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِین ---- ۷۲۰

الأمر الثامن: خروج الوزن الصوتى للقرآن عن أوزان الشعر ---------- ٧٢٢

الأمر التاسع: خطاب القرآن عامٌّ ---------- ٧٢٦

تعريف مركز ---------- ٧٢٨

تفسیر امومه الولایه و المحکمات للقرآن الکریم ، الولایه قطب القرآن علیها تستدیر محکماته المجلد ۱

اشاره

سرشناسه:جصانی، محسن

عنوان و نام پدیدآور:تفسیر امومه الولایه والمحکمات للقرآن الکریم [کتاب] : الولایه قطب القرآن علیها تستدیر محکماته/ تالیف محسن الجصانی؛ [محقق و مقدمه نویس] بحوث سماحه محمد السند.

مشخصات نشر:تهران: موسسه الصادق الطباعه والنشر، ۱۳۹۲.

فروست:الموسوعه التفسیریه؛ ۱

شابک:۹۷۸-۹۶۴-۵۶۰۴-۹۷-۲

یادداشت:عربی.

موضوع:تفسیر -- فن

موضوع:قرآن -- علوم قرآنی

شناسه افزوده:عابدینی، حسین، ۱۳۴۹ - ، مقدمه نویس

رده بندی کنگره:BP۹۱/۵/ج۶ت۷ ۱۳۹۲

رده بندی دیویی:۲۹۷/۱۵۱

شماره کتابشناسی ملی:۳۳۵۷۱۲۷

ص :۱

اشاره

تفسير امومه الولايه والمحكمات للقرآن الكريم ، الولايه قطب القرآن عليها تستدير محكماته

تاليف محسن الجصانى

محقق و مقدمه نويس بحوث سماحه محمد السند

ص :۳

تقدیم

اشاره

باسمه تعالی

لا شکَّ ولا ریب أنَّ القرآن الکریم فیه علوم تواکب مع ما یحصل من تطوّرات فی مختلف العلوم وعلی کافه الأصعده من حین إنزاله إلی یوم الدین، إلّا أنَّ ذلک موقوف علی الاستظهار الصحیح وفق القواعد والموازین العلمیّه والتأمل وبذل المزید من الجهد لاستخراج ما قدْ خفی علی مِن قبلنا بما یوفق الله تعالی له، ولا یکون هذا بمقدور البشر لوحده وبمعزل عن أهل القرآن الناطق الذین أذهب الله عنهم الرجز وطهرهم تطهیراً؛ هم الرسول وآله الطاهرین، وکل مَن زاغ أو مال من الأولین والمعاصرین عن مدرسه الوحی مدرسه أئمه أهل البیت (علیهم السلام) کما هو واضح لمن تتبع التأریخ وجدناه قدْ ضَلَّ ودخل صحراء التیه، ولم یزدد إلّا بُعْداً عن جاده الحق، وهَلَک وأهلک.

ومن الواضح أنَّ الصفه العلمیه السلبیه فی أی علم من العلوم وخاصه فی فقه الفروع والعقائد والتفسیر... الخ هی أخطر من الصفات العملیه السلبیّه.

التعریف بمنهجنا التفسیری:

ویقع فی أمور عِدَّه: -

الأمر الأوَّل: إنَّ منهجنا التفسیری أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات فضلاً عن المتشابهات فی القرآن لا یبحث مطلق الموضوعات

التی بحثها القرآن الکریم، وإنَّما یبحث ویتتبع ویقف علی محکمات القرآن لأنَّ المحکمات هی العمود الفقری والهیکل الأساسی الذی تبتنی علیه خارطه القرآن الکریم.

الأمر الثانی: أکَّد وحَثَّ القرآن الکریم والنبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) وأئمه أهل البیت (علیهم السلام) علی إتقان المحکمات، فإنَّ المتقن لا یحصل لدیه إتقان بکل تفاصیل القرآن تلقیائیاً.

أمَّا القرآن الکریم فأکَّد علی ذلک بقوله تعالی: هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ... ۱ کِتابٌ أُحْکِمَتْ آیاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ۲.

ولا یفهم: من هذا الکلام أنَّ الآیات المتشابهه لا یُعْمل بها ویُعْرَض عنها، کلا، وإنَّما العمل بالمتشابهه جائز وحُجّه ویرتب علیه الأثر کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا۳ ولکن بشرط إرجاع المتشابه إلی المحکم ورفع تشابهه بذلک، والروایات نهت عن العمل بالمتشابه بمعزل عن المحکم ومستقلاً عنه، بخلاف ما إذا أرجع العمل به إلی المحکم فإنَّه آنذاک المتشابه - حجه فهناک آیات کثیره من قسم المتشابه منها: - قوله تعالی وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ ناضِرَهٌ۴ و إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصادِ ۵ وَ جاءَ رَبُّکَ۶ و أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ

أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَ مِمّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِی النّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَ الْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ...۱ و يَدُ اللّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ۲ و وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلی۳.

وغير ذلك من الآيات القرآنيه المتشابهه بلْ سيأتی أنَّ المتشابه ليست ضابطته إثباتيه فقط وهی إجمال الدلاله، بلْ العمده هو كون مضمون الآيه مسأله تفصيليه تفريعيه ومن الرتب الدانيه فی منظومه ونظام قواعد الدين والشريعه، إذنْ المتشابه بالأصل بحث ثبوتی فی نظام ومنظومه الدين، ولا يصح العمل به إلّا بالإرجاع إلی المحكمات القرآنيه كقوله تعالی: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَیْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ۴ و إِنَّ اللّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّهٍ۵ و إِنَّ السّاعَهَ لَآتِيَهٌ لا رَيْبَ فِيها۶ ، وغيرها.

وذلك لأنَّ المحكم كما هو واضح لا يحتاج إلی تفسير ويَدُلّ علی المعنی المقصود منه دلاله واضحه قطعيه لا تحتمل تأويلاً ولا تخصيصاً ولا نسخاً، بلْ المحكم ليسَت ضابطته - كما سيأتی إنْ شاء الله خلال البحث - دلاليه وإثباتيه فقط، بلْ العمده فی دلالته هی ثبوتيه بلحاظ رتبه المضمون فی منظومه قواعد الدين والشريعه، فالمحكم ضابطته ثبوتيه فی نظام ومنظومه قواعد الدين، ولا نترك مجالاً للذين فی قلوبهم مَرَضٌ أنْ يُضلِلوا

ویُفتنوا بالتأویل والتحریف.

وعلیه فهذهِ حقیقه المنهج التفسیری المسمی بأمومه ولایه أئمه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات الذی دلَّت علیه روایات أهل البیت (علیهم السلام).

أولاً: ما رواه العیاشی فی تفسیره.. عن مسعده بن صَدَقه، قال:

قال أبو عبدالله (علیه السلام): - إنَّ الله جعل ولایتنا أهل البیت قطب القرآن، وقطب جمیع الکتب، علیها یستدیرُ محکم القرآن وبها نوّهت الکتب ویستبین الأیمان(۱).

ثانیاً: مُحمَّد بن یعقوب عن علی بن إبراهیم عن أبیه، عن ابن سنان، أو عن غیره عمن ذکره، قال: -

سألتُ أبا عبدالله (علیه السلام) عن القرآن والفرقان أهما شیئان أو شیء واحد؟ فقال (علیه السلام): القرآن جمله الکتاب والفرقان المحکم الواجب العمل به(۲).

ثالثاً: مُحمَّد بن یعقوب عن علی بن مُحمَّد عن بعض أصحابه، عن آدم بن إسحاق عن عبدالرزاق بن مهران، عن الحسین ابن میمون، عن مُحمَّد بن سالم عن أبی جعفر (علیه السلام)، قال: -

إنَّ أُناساً تکلموا فی القرآن العظیم بغیر عِلم وذلک أنَّ الله تبارک وتعالی یقول : هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ...

الآیه، فالمنسوخات من المتشابهات، والمحکمات من الناسخات(۳).

رابعاً:... علی بن إبراهیم قال: -

حدثنا مُحمَّد بن أحمد بن ثابت، قال:

۱- (۱) تفسیر العیاشی، ج ۱، ص ۷۸، ح ۸ باب فضل القرآن.

۲- (۲) البرهان فی تفسیر القرآن، ج ۲، ص ۶، ح ۳؛ الکافی، ج ۲، ص ۴۶۱ ح ۱۱.

۳- (۳) البرهان فی تفسیر القرآن، ج ۲، ص ۷.

حدثنا الحسن بن مُحمَّد بن سماعه عند وهيب بن حفص عن أبی بصیر عن أبی عبدالله (علیه السلام)، قال: - سمعته یقول: إنَّ القرآن زاجر وآخر یأمر بالجنه ویزجر عن النار، وفیه محکم ومتشابه، فأمّا المحکم فیؤمن به ویُعْمل به ویُعتبر به، وأمّا المتشابه فیُؤمن به ولا یُعمل به وهو قوله: فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ یَقُولُونَ آمَنّا بِهِ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا ، قال: آل مُحمَّد الراسخون فی العلم(۱).

خامساً: عن أبی مُحمَّد الهمدانی عن رجل عن أبی عبدالله (علیه السلام)، قال:

سألتُه عن الناسخ والمنسوخ والمحکم والمتشابه، قال: الناسخ: الثابت، والمنسوخ ما مضی، والمحکم: ما یُعْمَلُ به والمشابه الذی یشبه بعضه بعضاً(۲).

سادساً: عن أبی بصیر، قال: سمعتُ أبا عبدالله (علیه السلام)، یقول:

إنَّ القرآن فیه محکم ومتشابه، فأمّا المحکم فنؤمن به ونعمل به، وندین به، وأمّا المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به(۳).

سابعاً: عن مسعده بن صَدَقه، قال:

سألتُ أبا عبدالله (علیه السلام) عن الناسخ والمنسوخ والمحکم والمتشابه؟ قال: الناسخ: الثابت المعمول به، والمنسوخ ما قدْ کان یُعْمل به ثُمَّ جاء ما نسخه، والمتشابه ما اشتبه علی جاهله(۴).

ثامناً: فی احتجاج النبی (صلی الله علیه و آله) یوم الغدیر وأنَّ علیاً هو کتاب الله والداعی إلیه:.. معاشر الناس تدبروا القرآن وافهموا آیاته.. وانظروا محکماته وإلی

۱- (۱) تفسیر البرهان، ج ۲، ص ۹، ح ۷؛ تفسیر القمی، ج ۲، ص ۴۵۵.

۲- (۲) تفسیر العیاشی، ج ۱، ص ۸۵، ح ۱؛ بحار الأنوار، ج ۹۲، ص ۳۸۲ ح ۱۹.

۳- (۳) تفسیر العیاشی، ج ۱، ص ۸۷، ح ۶؛ بحار الأنوار، ج ۹۲، ص ۳۸۲، ح ۲۱.

۴- (۴) تفسیر العیاشی، ج ۱، ص ۸۷، ح ۷؛ بحار الأنوار، ج ۹۲، ص ۳۸۲، ح ۲۲

متشابهه، فوالله لن يُبين لكم زواجره، ولا يوضح لكم عن تفسيره، إلّا الذى أنا آخِذٌ بيده(۱).

الأمر الثالث: هناك أمرٌ هامّ ينبغى الالتفات إليه والتنبيه عليه من قِبَل أهلِ كل اختصاص وفى كل العلوم وبالأخص علوم فقه الفروع والأصول والتفسير والعقائد و... الخ وحاصله: -

إنَّ الخوض فى التفاصيل بعيداً وعميقاً بنحو مترامى الأطراف يعتبره القرآن الكريم زيغٌ، ما لم يُتمسك بالعمود الفقرى للقرآن وهو أمومه ولايه الأئمه (عليهم السلام) على المحكمات فضلاً عن المتشابهات، وهذا هو التعمُّق المذموم فى الروايات، مع أنَّ التعمق تحقيق فى بادى النظره الأولى كما يُفهم من الروايات إلّا أنَّ هناك روايات ذامَّه للتعمق والغورر فى التفاصيل منها: -

أولاً: ما رواه الشيخ الكلينى مُحمَّد بن يعقوب عن على بن إبراهيم عن أبيه عن حمّاد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليمانى عن عُمرَ بن أذينه، عن أبان بن أبى عيّاش عن سليم بن قيس الهلالى عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: بُنى الكفر على أربع دعائم: الفسق والغلو والشك والشبهه.. والغلو على أربع شُعَب: على التعمق بالرأى، والتنازع فيه، والزيغ والشقاق فمن تَعَمَّق لم يَنُب إلى الحق ولم يزدد إلّا غرقاً فى الغَمَرات، ولم تنحسر عنه فتنهٌ إلّا غشيته أُخرى وانخرق دينه فهو يهوى فى أمر مريج(۲).

ثانياً: ما رواه الشيخ الصدوق فى الخصال بإسناده عن الأصبغ بن

۱- (۱) الاحتجاج للطبرسى، ص ۶۰، الوسائل ج ۲۷، ب ۱۳، ص ۱۹۳، ح ۴۳.

۲- (۲) أصول الكافى للكلينى، ج ۲، ص ۳۷۳-۳۷۴ باب ۱۹۷؛ دعائم الكفر وشعبه، تحف العقول، ص ۱۶۶؛ روضه الواعظين لابن فتّال ص ۴۳.

نباته عن أمير المؤمنين (عليه السلام): والعتو على أربعه شعب... الخ(۱).

ثالثاً: من كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) القصار...

مَن تَعَمَّق بالباطل لم يُنَب(۲).

ومن مجموع هذهِ الروايات وغيرها يتبيَّن: أنَّ المحكم هو المحور العمود والحق، وأمَّا المتشابه الذى هو التفاصيل وتفاصيلها هى غَمَرات وفتنه ومريج إذا عكف عليها - التفاصيل - وسَبَّبَ الانشغال بها متاركه المحكمات المحوريه.

إنْ قلت: إنَّ الآيات القرآنيه وكذا الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليه السلام) تأمر بالتدبر والتأمُّل، كقوله تعالى: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها۳ و أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً۴.

قلتُ: صحيح إنَّ الآيه المباركه فى مقام بيان التحضيض فى صوره الاستفهام، والتدبر بعد التدبر، والتأمُّل بعد التأمُّل بالآيه عقيب الآيه، ولكن السبب فى ذم التعمق هو لأنَّ الاشتغال والانشداد إلى التفاصيل والخوض بها وفى تفاصيل التفاصيل وجزئيات الجزئيات وهلم جرا، فإنَّ مثل هذا فممّا لا ريب فيه ينتهى إلى الزيغ، وهذا معناه الخوض فى المتاهات ولا تنتظم لديك الحقائق بالتفاصيل إلّا بالرجوع إلى الآيات المحكمه وهى

۱- (۱) الخصال للصدوق، ص ۲۳۳.

۲- (۲) عيون الحكم والمواعظ لليثى الواسطى، ص ۴۵۷.

المحور والأم.

ومن الواضح أنَّ الزيغ مقابل الإِحكام ليسَ مختصاً بآيات القرآن أو الروايات أو علم معين أو... الخ، وإنَّما هو منهج فكرى عظيم فى أى علم من العلوم ولا يمكن لأى باحث أنْ ينجو منه - الزيغ - إلّا بالحذر والتوقى من الانشغال بالتفاصيل وتفاصيلها عن المحاور الأصليّه التى هى أهم فى بنيان العلم والركن الشديد الذى هو التمسُّك بآيات الأحكام والأمومه وهى العمده، ولذا عَبَّرَ القرآن الكريم عن الدخول فى التفاصيل وتفاصيلها هو اتّباع للمتشابه وللزيغ.

والخلاصه: إنَّ أحد أهم أسباب النهى عن الدخول بالتفاصيل هو لأنَّ كثره الاشتغال بالتفاصيل وتفاصيل التفاصيل انغماراً يغفلك عن المحاور التى هى الأم والأعمده البنيويّه سواء كان العمود البنيوى خيراً أو شرّاً، وعليه فإذا كان العمود البنيوى هو أساس النظام والمنظومه وعُمْدَه الحق والخير وأنت تركتها فإنَّك إذنْ دخلت فى تفاصيل مترامیه مما يوجب الشبه والاشتباهات فى المسارات وسلوك مسير الباطل والشر - والعياذ بالله - وتوظيف تفاصيل المحاور للباطل من حيث لا يشعر، أو بالعكس لعله يكون العمود البنيوى عظامهُ نخره ولكن الدخول فى الجزئيات والتفاصيل وإنْ كان فيها إيجابيات إلّا أنَّه أين هذهِ التفاصيل والجزئيات الإيجابيه إذا وُظِّفَت لتبيان الشرّ مما لو وُظِّفت لتبيان الخير، وبينهما بونٌ واسع وهنا سوف تضيع الموازنه عند الباحث الكريم.

ولأجل هذا لو رجعنا إلى القرآن الكريم فإنَّه لم يحمد الجزئيات سواء كانت خيراً أم شرّاً وإنَّما القرآن الكريم يريد منك أنْ تكون ذا قوه فكريه

متميزه وتملك نظام فكرى خاص ومن أهل البصائر، فإنَّ طلب مطلق العلم أمرٌ غير ممدوح فى الكتاب والسنه وإنَّما المهم هو العلم ومعرفه الأمومه والأهم فالأهم وليسَ هذا خاصاً بعلم الفروع أو الأصول أو التفسير أو الكلام أو... الخ وإنَّما هو مطلوب فى كل العلوم.

ولذا وَرَدَ عن الإمام الصادق (عليه السلام)

..إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يُحب معالى الأمور ويكره سفاسفها(۱) ويروى (يبغض).

وإنْ كانت سفاسف الأمور حقائق إلّا أنها أين من أعالى الأمور.

وليست هذهِ دعوى لعدم الأكتراث بالجزئيات بحيث يلزم التفريط والتهاون بها ليسَ الأمر كذلك فلا يشتبه الأمر عليك؛ إذْ لا يتهاون بشىء فى الدين كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا۲.

إلّا أنَّه ينبغى التنبيه والالتفات إلى أنَّ مقدار الأهميّه التى توليها للشىء العظيم ليسَ بنفس درجه الأهميه للشىء الوضيع والأقل؛ لأنَّه إذا ساويت بينهما صار الأمر فيه خبط وخَلْط.

ولذا فى ديننا الإسلامى الحنيف أنَّ التعظيم لله تعالى بدرجه والتعظيم للنبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) بدرجه أُخرى، وبثالثه لتعظيم سيد الأوصياء أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) وهكذا بدرجات متفاوته لباقى ذوات المعصومين الطاهره (عليهم السلام).

۱- (۱) الوسائل، ج ۱۷، ص ۷۳، ب ۲۵ من أبواب مقدمات التجاره ح ۳، ثم ذكر صاحب الوسائل: قال صاحب الصحاح: - السفساف: - الردىء من كل شىء والأمر الحقير.

وعليه فلابـدَّ من الالتفات والتمييز بين أصل الاكتراث وبين تساوى الاكتراث والموازنه بينها؛ ولـذا مَن عَرَّف العدلَ بالمساواه فإنَّه ليسَ تعريفـاً دقيقاً، وإنَّما التعريف الصحيح للعـدل: - إعطاء كل ذى حق حقه. إذنْ الموازنه ضـروريه ومهمه جـداً لـدى الباحث الكريم.

ولذا وَرَدَ فى بعض قصار كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام)

«كل علمٍ لا يؤيده عقل مضله»(۱).

وقول الشاعر: ولا خير فى علمٍ يكون بلا عقلٍ.

فـإنَّ العلم بلا عقل يشـكل خطراً على نتائـج البحث العلمى فقـد تخرج النتائـج سـلبيةً وغير منضـبطه بقواعـد وموازين العقل، فإنَّ العقـل بلاـ علم أهونُ شـراً وأقـل خطراً من علم بلاـ عقـل لأـنَّ العقـل يوازن بين الأمور المهمه وبين ما هو أهم كالأمومه ومعالى الأمور.

فليس المهم مطلق العلم وإنَّما المهم نوع خاص من العلم، وهكذا ليسَ كل بصـيره مهمه وإنَّما المهم الأهم نافذ البصـيره، وهكذا عندما يؤكِّد القرآن على التمسُّك بالعروه الوثقى فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقى۲ فإنَّ هناك عُرَى كثيره منها وثيقه وأُخرى وثقى أى الأـوثق والمهم منهـا هو الوثقى فـإنَّ كـل نبى من أنبيـاء الله تعالى وكل مُرسل هو عروه ولكن هناك عروه وثقى أكَّد القرآن الكريم على التمسُّك بهـا وهو الخاتم مُحمَّد رسول الله (صـلى الله عليه و آله) فيجعل أمومه رسول الله (صـلى الله عليه و آله) هى المهيمنه وباقى أنبياء الله تعالى ورسله تحت ظله.

۱- (۱) غرر الحكم للأمدى/ ۶۴۳۱.

إذنْ القرآن الكريم والروايات تؤكّد على ضروره الإبصار بالدرجات والتمسك بالمحكمات لأنَّ الدخول فى التفاصيل وتفاصيلها سوف لا يهتدى ولا يُبْصِر صاحبُها إلى إحكام القرآن وهدايته البالغه ولعلَّ بعض مَن يدخل فى التفاصيل يشتبه عليه الحال ويجعل الفرع أصلاً، والأصل فرعاً، وهذا إنْ صَحَّ التعبير ظُلْمٌ للعلم والمعرفه وكارثه معرفيه، والصحيح هو جعل الأصل أصلاً والفرع فرعاً فإذا أراد الباحث أنْ يُقوِّض كيان الأصل رعايةً للفرع فهذهِ موازنه مقلوبه.

و لا يفهم ممّا تقدَّم أنَّ الفرع والجزئيات لا يكترث بها، بلْ على العكس يُهتم بها إلّا أنَّه لا إلى درجه الاكتراث والرعايه لفرع بمستوى الأصل وإلّا لما جُعِل الأصل أصلاً والفرع فرعاً.

وفى الختام وبكمله أخيره أقول: إنَّ منهج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات هو البصيره التى ما فتئنا أنْ نستلهمها من أهل البيت (عليهم السلام) وأنَّ المُفَسِّر لا يصير ذا بصيره إلّا إذا اكتشف المحكمات فى القرآن؛ لأنَّ ليسَ من العزيز أنْ تصبح مُفَسِّراً وإنَّما العزيز والمهم أنْ تُبْصر وتفهم محكمات الآيات، كما وَرَدَ

«اللَّهُمَّ إنّى أسألك بمعاقد العزّ من عرشك ومنتهى الرحمه من كتابك» ولم يقل اللَّهُمَّ إنّى أسألك العز من عرشك وإنَّما قال: - اللَّهُمَّ إنّى أسألك بمعاقد العز وليسَ أسألك مطلق العزّ وإنَّما أسألك بمعاقد العز من عرشك وليسَ أسألك الرحمه من كتابك بلْ أسألك منتهى الرحمه أى العلو، وهكذا

«اللَّهُمَّ إنى أسألك باسمك العظيم الأعظم» وليسَ فقط أسألك باسمك العظيم وإنَّما أسألك باسمك الأعظم الأعظم الأعظم - الأعلى - وعليه فالمحكمات وامومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) هى

نُظْم الدين ولا تستتم معرفه نظم الدين إلّا بمعرفه الأمومه والمحكمات لا بمجرد معرفه جرد مجموعى متراكم للدين والقرآن فإنَّه لا يكفى فى الوصول إلى الهدايه المطلوبه فى الدين، وهذا يكشف لنا أنَّه ليسَ المهم فى القرآن وجود الدليل وإنَّما المهم نوعيّه وأهميّه وأقوائيه الدليل وطبقته ودرجته فى ضمن الطبقات فى نظر القرآن فإنَّها أهم من أصل وجود الدليل، فالبصير مَن يستطع أنْ يَحْصى المحكمات فى القرآن وطبقاتها لا مجرد معرفه إجماليه للمحكمات، فهذهِ مهمه صعبه جداً، ومن الله نستمد العون والتسديد.

من جوار مولانا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام

النجف الأشرف

مُحمَّد السند

١٥ / ربيع ١٤٣٤/١ ه -

٢٠١٣/١/٢٧ م

ص:١٦

الفصل الأول: منهجنا فی التفسیر

اشاره

منهج أمومه وولایه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی القرآن

۱ - تقدیم بقلم سماحه الشیخ الأستاذ مُحمَّد سند حفظه الله.

۲ - مقدمه.

۳ - توطئه عن تاریخ کل علم.

۴ - علم التفسیر وصعوبته.

۵ - منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی القرآن الکریم.

۶ - التعریف بمنهج أمومه وولایه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی تفسیر محکمات القرآن.

منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فى القرآن فضلاً عن المتشابهات

اشاره

١ - مقدمه.

٢ - توطئه عن تاريخ كل علم.

٣ - علم التفسير وصعوبته.

۴ - منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فى القرآن فضلاً عن الممتشابهات.

۵ - التعريف بمنهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فى القرآن الكريم فضلاً عن المتشابهات.

وفيه:

١- المقدمه:

اشاره

لا يخفى على ذى البصيره والتضلع فى المعارف الحقّه ما للقرآن من أهميه عُظمى فى تنظيم حياه البشر وغيره بما فيهم المسلم وغيره باعتباره دستور منظم لأمورهم المعيشيه كامله؛ ولذا يتكفل القرآن الكريم - إنْ اتبع البشر قانونه - الحياه الآمنه الخاليه من الظلم والاضطهاد والعيش برغد وسلامه الدارين.

ولذا انبرى العلماء والباحثون والمختصون فى كل مزق وطائفه من طوائف المسلمين البحث والتدقيق فى كشف وإزاله الغموض عن كلمات القرآن وتيسرها واستخراج ما تتضمنه من معانى كثيره، وكان من بين علماء ومفسرى المسلمين، علماء ومفسرو الشيعه الإماميه لهم قصب السبق فى فن

التفسير ودورهم المتميز منذ زمن متقدم أيام الأئمه المعصومين (عليهم السلام) فى القرن الثانى والثالث والرابع والخامس... الخ فى تفسير القرآن والغوص فى بحار مفاهيمه ومعانيه واستجلاء معانى النص القرآنى بالسؤال من الإمام المعصوم (عليه السلام) ونتيجه هذا الاهتمام بتفسير القرآن والكشف عن غوامضه وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمه بزغت أسماء عالم التفسير، تفاسير كثيره منها تفسير: -

١ - تفسير جابر بن يزيد الجعفى.

٢ - تفسير فرات الكوفى.

٣ - تفسير أبى الجارود.

۴ - تفسير على بن إبراهيم المعروف بتفسير القمى.

۵ - تفسير الشريف المرتضى المعروف بنفائس التأويل.

۶ - التبيان للشيخ الطوسى.

٧ - مجمع البيان للشيخ الطبرسى.

٨ - جوامع الجامع للشيخ الطبرسى أيضاً.

٩ - آلاء الرحمن للشيخ محمد جواد البلاغى.

١٠ - الميزان فى تفسير القرآن للسيد العلامه محمد حسين الطباطبائى، وكذا له البيان فى تفسير القرآن، تفسير روائى.

١١ - مواهب الرحمن للسيد عبدالأعلى السبزوارى.

١٢ - الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازى.

إلى عشرات التفاسير القيمه لمفسرى الشيعه الإماميه فضلاً عن باقى تفاسير علماء ومفسرى المسلمين بل وغير المسلمين.

والغرض الأساسى من اختيار منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) وأمومه المحكمات فى القرآن الكريم من بين المناهج التفسيريه الأُخرى المستفاد من آيات القرآن الكريم وأحاديث السُّنه الشريفه والروايات الوارده عن أئمه الهدى أئمه أهل البيت (عليهم السلام) هو لأجل التحقيق والكشف عن المعانى الحقيقه للكلمات، قال تعالى: وَ لا يَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلاّ جِئْناکَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً١. أى بياناً وتفصيلاً.

وبذلنا غايه وسعنا وجهدنا واجتهادنا فى بيان أكبر عدد ممكن استخدامه فى التفسير من القواعد البلاغيه والنحويه واللغويه والصرفيه والحديثيه والتفسيريه و... الخ؛ لأنَّ من الواضح أنَّ التفسير وزنه [التفعيل] نظراً للمبالغه فى محاوله استنباط المعنى كما فى خرج واستخرج وكشف واكتشف، أمَّا فى الثانى إفاده زياده المحاوله فى الاستخراج والكشف؛ ولذا كان الفعل المزيد أخصّ من الفعل المجرد انطلاقاً من زياده المبانى تدلُّ على زياده المعانى.

وبعد بيان ما هو الحق فى تلك الآيه المباركه والكلمه من خلال استعمال القواعد والموازين الصحيحه المتبعه فى ذلك الفن طبقناها على موارد استعمال تلك الكلمه فى الآيات الكريمه ليظهر الحق ويزيل الباطل.

ولا يخفى على ذوى الحجى أهميه القواعد التفسيريه ومنصتها الخطيره فى تفسير القرآن الكريم وهى قواعد ممهده لتحصيل الحجه على

استکشاف مراد الوحی من آیاته النازله لهدایه البشر وکقانون إنْ طبقه البشر یُسلک بهم طریق الرشاد والکمال وبه یرتسم صراطه المستقیم، کما قال تعالی: وَ أَنَّ هذا صِراطِی مُسْتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ[1] مضافاً لما سنُبَیِّنه فی محله إنْ شاء الله تعالی من الفرق بین القواعد التفسیریه وبین علم التفسیر، وکذلک سنتعرض بحوله وقوته إلی ذکر قواعد ومسائل مرتبطه بعلم التفسیر ودخیله فیه بصوره کُبریات وقواعد عامه.

وفی إثر هذهِ الدقه فی التحقیق التی تمیَّز بها سماحه شیخنا الأُستاذ آیه الله محمد سند البحرانی دامت فیوضاته، ببرکه مجاوره سید الأوصیاء أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب (علیه السلام) اتضحت حقائق لامعه ومعارف حقّه ونکات ولطائف شریفه ونفیسه قدْ خفیت علی أکثر المفسرین واشتبهت علیهم.

ولا یفهم من هذا أنَّ المراد تهمیش باقی المناهج التفسیریه الأُخری باختیارنا لمنهج أمومه الولایه والمحکمات، وإنَّما هم مشکورون ما توصلوا إلیه وشکر الله مساعیهم إلّا أنَّ الذی نودُّ التنبیه علیه إلی أنَّ باقی المناهج التفسیریه لا تلبی أکبر قدر ممکن من حاجه الباحث والمطالع الکریم بخلاف المنهج المختار؛ منهج أمومه المحکمات إذا تدبرته بإمعان تجد صدق ما أقول لمَّا یتمتع به من مطالب علمیه بحثیه دقیقه.

خطه البحث

باسمه تعالى

لا يخفى على الباحث الكريم أنَّ هذا الكتاب هو مجموع البحوث التى ألقاها سماحه الأستاذ البارع والمحقق آيه الله محمد السند – دام ظله العالى – على جمع من طلبه العلوم الدينيه فى النجف الأشرف عند تشرفه مجاوره أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) فى النجف الأشرف وتشرفنا بحضور درسه المبارك، درس التفسير طيله أيام التحصيل من السبت إلى الأربعاء فضلاً عن الجلسات الخاصه التى تفضل بها سماحته وأعطانا من وقته الثمين بقراءه التقرير والإضافه والتعديل، وقد تسلَّط الأضواء فى هذهِ البحوث المعمَّقه وقبل الدخول فى خضم بحر تفسير الآيات المباركه للقرآن الكريم وسوره على القواعد التى لا غنى عنها للباحث والمفسِّر الكريم الناجح ذو النَفَس التحقيقى والعلمى بإعمال القواعد التفسيريه المهمه والبلاغيه واللغويه والنحويه و... وبيان ما انطوت عليها من نكات خفيّه قد خفيت على الكثير فنشكره تعالى التنبيه عليها والالتفات لمثلها والتى تعتبر بمثابه اللبنه الأساسيه لمنهجنا المختار أمومه الولايه والمحكمات وغيره من المناهج التفسيريه الأُخرى.

ومن منن الله تعالى علىَّ أنْ وُفِقْتُ لتقرير هذهِ الأبحاث القيِّمه والمعمَّقه، وجاءت مرتبه على مقدمه وفصول ثمانيه.

وكان الفصل الأوَّل قد بُيِّنَ فيه توطئه عن تاريخ كل علم مع بيان صعوبه علم التفسير ودور القرآن الكريم فى حفظ اللغه العربيه، و... الخ.

والفصل الثانی: قیمومه أهل البیت (علیهم السلام) فی تعلیم القرآن، أدله وبراهین.

والفصل الثالث: المنهجیه والمناهج فی التفسیر: - فقد ترکَّز فیه البحث بیان أهمیه وضع المنهجیه مع بیان العوامل الأساسیه فی بحوث علم التفسیر وعدم استغناء المفسر عنها، مع بیان وحده المعیه بین الکتاب والعتره، وبیان العلاقه بین ولایه الله وولایه الرسول (صلی الله علیه و آله) والأئمه (علیهم السلام) وبین منهج أمومه الولایه والمحکمات، مع بیان امتیاز منهج أمومه الولایه عن باقی المناهج التفسیریه الأُخری، مع الوقوف علی بیان أهمیه البحث المقارن، وذکر المؤاخذات علی المناهج التفسیریه الأُخری، و... الخ.

الفصل الرابع: نظم قواعد التفسیر - بحث نظری إجمالی - وتعرضنا فیه إلی بیان مقدمه ثم بیان إجمالی للأنظمه الثلاثه: - النظام اللفظی الاستعمالی، ونظام المعانی ونظام الحقائق مع بیان القواعد المرتبطه بکل نظام علی حِده.

الفصل الخامس: القاعده الثانیه، قاعده الالتفات.

الفصل السادس: القاعده الثالثه، قاعده: إیاکِ أعنی واسمعی یا جاره.

الفصل السابع: القاعده الرابعه: - استعمال اللفظ فی أکثر من معنی.

الفصل الثامن: ویشتمل علی بیان ضوابط منهجیه فی أمور تسعه.

وفی هذا الکتاب تعرضنا إلی ذکر ضابط النظام الأوَّل اللفظی الاستعمالی مع أربعه قواعد مهمه. التعریض والالتفات وإیاک أعنی واسمعی یا جاره واستعمال اللفظ فی أکثر من معنی.

وفی الختام أُقدِّم خالص شکری واحترامی لمقام شیخنا الأُستاذ محمد

سنـد البحرانى حفظه الله لمَّا أولاه من عنايه خاصه وبذله لوقته الثمين على مراجعه ومتابعه ما أقدمه له من فصول هذا الكتاب ولله دَرّه.

كما وأشكر كل مَنْ ساعدنى ويسر لى إخراج هذا السِّفر المبارك.

نسأله تبارك وتعالى أنْ يتقبل هذا خالصاً لوجهه الكريم وأنْ ينفع به إخواننا طلبه العلوم الدينيه آملين أنْ يتحفونا بنقودهم البنّاءه وأنْ يسامحونا فيما شطّ به القلم، وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين.

محسن الجصانى

١٩ /ج ١٤٣٣/١ ه -

٢٠١٢/٤/١١

النجف الأشرف

ص:٢٥

تفسیر أمومه ولایه أئمه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی الکتاب الکریم

تفسیر أمومه ولایه أئمه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی الکتاب الکریم(۱)

قواعد التفسیر: القاعده جمعها قواعِد، وهی لغه الأساس(۲).

القاعده اصطلاحاً: هو الضابطه أی الأمر الکلی المنطبق علی جمیع الجزئیات(۳).

التفسیر لغهً: الکشف عن معنی اللفظ وإظهاره، والفَسَر: البیان(۴).

واصطلاحاً: ذکرت عدَّه تعریفات للتفسیر: -

أولاً: ما ذکره الشیخ الطبرسی: کشف المراد من اللفظ المشکل.

ثانیاً: علمٌ یُعْرَف به فهم کتاب الله المنزل علی نبیه محمد (صلی الله علیه و آله) وبیان معانیه واستخراج أحکامه وحِکَمِه(۵).

ثالثاً: هو إزاحه الإبهام عن اللفظ المشکل فی إفاده المعنی المقصود.

رابعاً: علم یبحث فیه عن کلام الله تعالی المنزل للإعجاز من حیث الدلاله علی مراده تعالی(۶).

وهناک تعاریف أُخری وردت فی کلمات المفسرین والمحققین نتعرض لبعضها عند المقارنه بین علم التفسیر وعلم التأویل فی مبحث الدلالات الخفیه وعدم الاقتصار علی منصَّه سطح الظاهر فی محله إنْ شاء الله تعالی.

۱- (۱) هذا العنوان مقتبس من بیانات القرآن الکریم کقوله تعالی: هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ [آل عمران: ۷].

۲- (۲) معجم مقاییس اللغه لابن فارس.

۳- (۳) کما یقال: کل إنسان حیوان ناطق إنسان، مجمع البحرین، ماده قعد.

۴- (۴) المصدر السابق، ماده (فَسَرَ).

۵- (۵) تفسیر البرهان فی علوم القرآن ج ۱ ص ۱۳.

۶- (۶) مجمع البحرین.

۲ – توطئه عن تاریخ کل علم

ما الفائده فی الخوض فی تاریخ کل علم؟

الخوض فیه لیس بحثاً مُؤَرَّخاً محضاً، بل یعطی طابعاً صناعیاً وفائده علمیه فی کیفیه بناءً معادلات وقواعد ومسائل ذلک العلم، ویعطی بصیره لدی الباحث عن کیفیه تطوّر العلم من مرحله إلی أُخری، وما هی الحالات والظواهر التی قادت العلم إلی ذلک المسیر.

فمثلاً لو طالعنا دیباجه التبیان بدقه وتأمل لاستطعنا معرفه المنهج التفسیری للشیخ الطوسی، وتتشکل لدینا صوره واضحه عن الجوّ العلمی الذی کان یعیشه الشیخ (رضی الله) والانطلاقات التی ینطلق منها، وکان منهج الشیخ الطوسی فی التفسیر: بأنَّ ذکر مقومات تمهیدیه نافعه فی معرفه أسالیب القرآن ومناهج بیانه وسائر شؤونه مما یرتبط بالتفسیر والتأویل، والمحکم، والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، ومعرفه وجوه إعجاز القرآن وأحکام تلاوته... الخ.

کذلک مما امتاز به هذا التفسیر هو التعرُض لمسائل علم الکلام بصیغه أدبیّه رفیعه ولا یترک موضِعاً من الآیات الکریمه التی جاءت فیها الإشاره إلی جانب من مسائل العقیده، إلّا وتعرَّض لها بتفصیل وبسط کلام.

وبعد الاطلاع یستطیع المُتَخصص أنَّ یُقیّم هذا الجهد الکبیر للشیخ الطوسی (رضی الله) ومَدَی الإنجازات التی توصَّل إلیها، وبیان الخطَّه التی وضعها الشیخ (رضی الله) فی منهجه هذا وکم أنجز منها وما هو الباقی منها.

ص:۲۹

وهكذا لو قرءنا واطلعنا على المنهج التفسيرى الذى اعتمد عليه الشيخ الطبرسى صاحب مجمع البيان(۱) وما هى انطلاقاته وما هى الفوارق فى الرُّأى التى كانت عند الشيخ الطوسى والطبرسى (رضى الله) فى كتابيهما وما يتميز به كتابيهما من جوانب القوه فى المطالب العلميّه.

والكتابان هما الآن مصدران مهمان كبيران لعلوم اللغه العربيه فضلاً عن التفسير عند المذاهب الإسلاميّه كافّه، ومُقّرران فى المناهج الأكاديميه العصريه والحوزويه فى جامعاتهم المختلفه العربيه وغيرها، الإسلاميه وغيرها.

والسِرُّ فى ذلك هو أنَّ الشيخ الطوسى (رضى الله) حَفِظ على كل أهل السُّنه مصادر هى ليست بأيديهم الآن ولا طريق لهم إليها إلّا عن طريق كتابى التفسير المذكورين آنفاً.

ولو قارنا بين التفسيرين ومعرفه المنهجه التى اتبعها كل من الشيخ الطوسى فى تبيانه، والشيخ الطبرسى فى بيانه لصار لدينا بحثاً مقارناً بينهما.

الخلاصه:

إنَّ تاريخ كل عِلم يُعطى الإنسان نوع من البصيره عن كيفيه اختلاف المسارات فى ذلك العلم، والالتفات إلى اختلاف المسارات، وأخيراً يحصل للإنسان البلوغ والنضوج الفكرى، ونوع من البصيره، كل ذلك يتحصل من خلال المقارَنه والالتفات إلى امتيازاته.

۱- (۱) الطبرسى: أبو على الفضل بن الحسن، توفى سنه ۵۴۸ ه - له تفسير مجمع البيان وهو تفسير حاشد بالأدب واللغه والقراءات أو حججها، ويختصّ بالإحاطه بآراء المفسرين السَلَف، وكان الشيخ الطبرسى قدْ جعل تفسير التبيان للشيخ الطوسى أسوه له فى هذا المجال فجعله أصلاه بنى عليه زيادات المبانى والفروع.

۳ – صعوبه علم التفسیر

اشاره

جاء فی الروایات الوارده عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) الداله علی صعوبه علم التفسیر ما رواه النعمانی(۱) بإسناده عن إسماعیل بن جابر الجعفی.. قال (علیه السلام)

«إنَّ الله بَعَثَ محمداً (صلی الله علیه و آله) فختم به الأنبیاء فلا نبی بعده وأنزل علیه الکتاب فختم به الکتب فلا کتاب بعده».

یمکن أنْ یُقال أنَّ هذهِ الروایه الشریفه أشارت إلی مطلبین أساسیین:

المطلب الأوَّل: أنَّه من الأوصاف الفریده من نوعها والظریفه التی بینها أئمه الهُدی أئمه أهل البیت (علیهم السلام) هی أنَّ النبی محمداً (صلی الله علیه و آله) خاتمُ الأنبیاء والمرسلین فلا نبی بعده، وهذا ظاهره واضح وبیِّن إلّا أنَّ الأئمه (علیهم السلام) یرمون إلی معنی أوسع من هذا الظاهر، وهو أنَّ هذا وصفٌ أساسی بنیوی رکنی فی بناءِ جانب الاعتقاد بنبوه الخاتم (صلی الله علیه و آله).

المطلب الثانی: القرآن خاتم الکتب فلا کتاب بعده، أیضاً هو الآخر فی کونه وصفاً أساسیاً رکنیاً فی معرفه أصول وقواعد علم التفسیر للقرآن الکریم.

وهذا توصیف علمی عمیق جداً للکتاب الکریم یحمل فی طیاته بُنی

۱- (۱) قال النجاشی فی ترجمه النعمانی ص ۳۸۳ حدیث ۱۰۴۳، ما نصَّه «أبو عبدالله الکاتب النعمانی المعروف بابن زینب شیخ من أصحابنا عظیم القدر شریف المنزله صحیح العقیده، کثیر الحدیث قدم بغداد وخرج من الشام ومات فیها» وهو من أجله تلامذه الشیخ الکلینی ت سنه ۳۳۳ ه – وإنْ کان البعض ذکر أنَّه المعروف بابن أبی زینب خلاف ماذکره النجاشی من ابن زینب.

كبيره جداً وهذا شبيه ما وَرَدَ فی حق أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنَّه القرآن الناطق، لمَّا أشارت له بعض النصوص مِنْ أنَّ هناك قرآن ناطق وقرآن صامت وعليه فما المراد بالنطق والصمت للقرآن؟

ما وَرَدَ عنهم (عليهم السلام) فی بيان ذلك من أنَّ المراد من نفس الصمت فی القرآن أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) دائماً يُبينون بُنی خطيره جدّاً بعجز الآخرون عن الالتفات إليها، وهذا يدلُّ على أنَّ علمَهم لَدُنی وحيانی وليس بشری.

وهكذا ما وَرَدَ عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام):

«لا جبر ولا تفويض بل أمرٌ بين أمرين»(۱) فهو شاهدٌ آخر على أنَّ الله تعالى أنزل كتاباً على النبی (صلى الله عليه و آله) فجعله النبی (صلى الله عليه و آله) بأمر الوحی علماً باقياً فی القرآن فی أوصيائه (عليهم السلام) العتره الطاهره.

ولذا ما وَرَدَ عنه (صلى الله عليه و آله):

«القرآن مع علی، وعلی مع القرآن»(۲) وأهل بيته، فإنَّ القرآن فی الأوصياء له معنی آخر فما هو ذلك المعنی؟

إشاره إلى المقامات العُليا من القرآن الكريم التی هی أُسُّ عظمه القرآن وأساسه، وتلك الطبقات التی توجب الإحاطه بكل تفاصيل الطبقات النازله هی مختصَّه بهم (عليهم السلام) كما فی الآيه المباركه من سوره الواقعه (لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) وهو المكنون من كتابه، وإشاره الآيه المباركه (آياتٍ بَيِّناتٍ) لا إلى مطلق البشر وإنَّما إلى خصوص صدور اَلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ * وَ ما

۱- (۱) الكافی ج ۱ ص ۱۶۰ ح ۱۳.

۲- (۲) رواه الطبرانی فی الصغير والأوسط - مجمع الزوائد والمستدرك للحاكم ج ۳، ص ۱۲۴ وابن حجر الهيثمی فی الصواعق المحرقه فی الرد على أهل البيت (عليهم السلام) والزندقه ص ۱۹۱ وغيرها.

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ فتلك الطبقات لا تنطق إلّا بهم ولا يُفْصَح عنها إلّا بهم.

معنى القرآن فى الأوصياء:

وليس هذا - كما يدعيه البعض - أنَّه يوجب التعطيل، كما لا يوجب التطويل وبالتالى لا تعطيل مطلق ولا تطويل مطلق، وإنَّما أمرهُ بين أمرين، وسوف نستقرى معالم هذهِ المدرسه العظيمه حتَّى نسميه مسلك: لا تعطيل ولا تطويل بل أمرٌ بين أمرين. حسب قراءتنا المحدوده.

وعليه كان لزاماً علينا التحرى عن أصول وقواعد التفسير فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) الذى يُعْتبر من أهم المواد الأساسيّه الركنيه عند المُفَسِّر؛ لأنَّهم (عليهم السلام) يُبينون ما يَعْجز الآخرون عن بيانه؛ ولذا يجد المتتبع المُنصِف أنَّ هناك بوناً واسعاً بين أصول وقواعد التفسير عند أهل البيت (عليهم السلام) وبين الطرف الآخر.

إلّا أنَّه وللأسف الشديد إلى الآن لم تُبيَّن تلك القواعد والأصول التى بينوها (عليهم السلام) من خلال ما وَرَدَ عنهم (عليهم السلام) فى علم التفسير من قبل علماء الإماميّه أَنفُسِهم، وإنْ كان لا يُنكَر ما قدَّمه الماضون (رحمهم الله تعالى) من إنجازات علميّه وجهود مضنيّه فى هذا المجال شكر الله مساعيهم، وبُذلت محاولات منهم لاقتناص منهج أهل البيت (عليهم السلام) وتعاليمهم وتوصياتهم فى استكشاف أصول التفسير التى يُرشِدون ويُوصون الأئمه (عليهم السلام) بها ومع ذلك الأمر لم يُنجز إنجازاً حافلاً، بل ولعلَّ بعض مفسرى الإماميّه بَنى الأمر على الخلط بين أصول التفسير لدى مدرسه الإماميّه وبين الطرف الآخر.

وبالتـالى هـذا ما يُثقِل المسؤوليّه علينا أكثر فأكثر، ويحتاج الأمر إلى جهـد وجـدٍّ واجتهاد، لعلَّ الله يعيننا على إنجاز خطوه تُضاف إلى خطى ما تَوصَّل إليه الماضون رحمهم الله من مُفَسِرى الإماميّه، والأمرُ ليس بالسهل ومن الله نطلب العون والتسديد.

ص:٣٤

۴ – منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) والمحكمات فى القرآن

اشاره

بيَّن القرآن الكريم أمومتين من خلال ما جاء فى الآيه السابعه من سوره آل عمران هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ

وكذا فى سوره هود/ ۱... كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ

والأمومتان هما:

۱ – أمومه المحكمات – أى أمومه الله تعالى.

۲ – أمومه الراسخون فى العلم.

وما ذكره العياشى فى تفسيره عن مَسعَده بن صدقه، قال: – قال أبو عبدالله (عليه السلام)

«إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكتب عليها يستدير محكم القرآن وبها نَوَّهت (يوهب) الكُتُب ويستبين الأيمان»(۱).

وهكذا ما جاء فى كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) فى نهج البلاغه كفايه: – إذْ قال (عليه السلام)

«أين الذين زعموا أنَّهم الراسخون فى العلم دوننا، كَذِباً وبغياً، علينا أمَّا رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يُستعطى الهدى، ويُستجلى العمى إنَّ الأئمه من

۱– (۱) تفسير العياشى ج ۱، ص ۷۸ ح ۸.

قریش غرسوا فی هذا البطن من هاشم لا تصلح سواهم، ولا تصلح الولاه من غیرهم»(۱).

وعلیه فالحاکم والفیصل بین المحکمات والمتشابهات هو الله تعالی ثم الراسخون فی العلم.

هناک أمومتان: - أمومه لله، وأمومه الراسخون فی العلم الذین هم النبی (صلی الله علیه و آله) والعتره الطاهره (علیهم السلام) وَبَیَّن القرآن الکریم أنَّ قطب القرآن والمحور المرکزی الذی یستدیر علیها محکم الکتاب هی ولایه وأمومه أهل البیت (علیهم السلام).

وعلیه فإنَّ تسمیّه منهجنا التفسیری بهذا الاسم مستفاده ومقتبسه من مجموع الآیات والروایات الوارده فی المقام فی ترسیم نظام القرآن، ولیس هذا الاقتباس مجرد عنوان إعلامی ومجاملی کلا ثم کلا، وإنَّما هو ضروره منهجیه علمیه وصناعیه سنبینها فی أبحاث هذا الکتاب إنْ شاء الله تعالی.

وهذا المنهج یبحث فیه أمران:

الأمر الأوَّل: تأکید القرآن علی أهمیه رجوع المتشابه إلی المحکم:

سنتعرض إنْ شاء الله فی القاعده الرابعه من قواعد استعمال النظام اللفظی فی القرآن وهی: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی إنْ شاء الله تعالی إلّا أنَّه أحد شرائط هذهِ القاعده هو مما یرتبط بمنهج الأمومه المرکزیه ومحوریه المحکمات للآیات والسور، القرآنیه المتشابهه وولایه أهل البیت علی المحکمات، وأنَّ منهج أمومه المحکمات عباره عن منهج منظومی

۱- (۱) نهج البلاغه، خطبه/ ۱۴۴.

موحَّد وله محاور مركزيه فى دوائر تكبر وتتمركز شيئاً فشيئاً وبالتالى فهذا المنهج التفسير لأمومه المحكمات سوف يُضفى بظلاله على كـل قاعـده قاعـده فى التفسـير وعلى كل أصل أصل فى أى نظام من الأنظمه لثلاثه الآتيه: سواء نظام الاسـتعمال اللفظى فى القرآن وما فيه من قواعد كما سيأتى تفصيله من قاعده التعريف أو الالتفات أو إياك أعنى واسـمعى يا جاره أو اسـتعمال اللفظ فى أكثر من معنى أو.....؟ أو فى نظام المعانى فى القرآن أو فى نظام الحقائق فلو قارنا بين أى قاعـده عن قواعـد علم التفسـير فى كتـب علـوم القرآن على المنهـج التفسـير الموضـوعى أو التفسـير التجزيئى أو أسـباب النزول أو تفسـير القرآن بـالقرآن وكيف صياغتهـا وسـبكها مع القواعـد وصـياغتها وسـبكها فى منهـج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السـلام) لوجـدنا طبيعه وهندسه تلك القواعد تختلف اختلافاً بنيوياً كبيراً.

فقاعده اسـتعمال اللفظ فى أكثر من معنى وإنْ كان الباب مفتوح على مصـراعيه فى منهج أمومه المحكمات إلّا أنَّه مشروط ولسنا كبقيه التفاسـير اللغويه والأـدبيه والنحويه للقرآن الكريم بأنْ يأخـذ المفسـر فى تفسـير آيه البعـد الأدبى أو بُعْـد أحادى ويَنقُل فيه الآراء بلا أى قيـد وضابطه إلّا ضوابط قواعـد اللغه والأدب ويغفل عن ملاحظه قواعد العلوم الأُخرى ودخالتها فى تفسـير الآيه وما هو مقدار التدخل - فالقرآن يؤكِّد على منهج المحكمات دائماً هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ١.

إذنْ القرآن أكَّد على اتباع المحكمات ونهى عن اتباع المتشابهات فَيَتَّبِعُونَ

ما تَشابَهَ ۱.

أی ما تشتت وسَبَّبَ شتات، بخلاف الرجوع إلی المحکمات فإنَّه وقوف علی الروابط الموصله إلی بیان ارتباط الآیات فیما بینها والسور ومعانیها والدلاله الخفیه... الخ ولعله یتبادر إلی ذهن الباحث والمطالع الکریم سؤالٌ:

هل أنَّ الأمومه فی الکتاب الکریم علی الآیات المتشابهات هی فقط للآیات المحکمات أم یوجد معها غیرها؟

الجواب: تجیب الآیه المبارکه عن ذلک وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ ۲.

ومعنی العلم بتأویله هو الذی یربط المتشابه بالمحکم، وهذا لیس بید المحکم بمفرده، وإنَّما یوجد حاکم علی المحکمات وولایهٌ علیها وهی ولایه الراسخون فی العلم فالله تعالی یَرسِلُ علمه عبر القرآن والقرآن فیه آیاتٌ محکمات وأُخری متشابهات، ولأجل أنْ یرفع الله تعالی إجمال وإبهام المشتبه جعل آیاتٌ محکمات، إلّا أنَّ المحکمات لیس لوحدها وبمفردها ترفع الاشتباه والمتشابه، بل بتعلیم من الله وهذا التعلیم الإلهی أوصله تعالی البشر عبر الراسخون فی العلم یعنی عبر الثقلین وهم النبی (صلی الله علیه و آله) وقرباه وعلیه فالمحوریه هی علم الله ثم علم الراسخون فی العلم وهم الطریق المنتدب الذی یصل إلینا.

كذلك التفسير الأدبى فى القواعد الأدبيه فى استعمال اللفظ فى أكثر من معنى فما دام على القواعد والموازين العلميه الصحيحه فحينئذٍ بالإمكان أنْ تُنْشأ عِدَّه صياغات للظهور فى البُعد الصرفى والبُعد النحوى والبلاغى والاشتقاقى و... الخ.

وهذا يمكن اعتباره كشرط أوَّل.

والشرط الثانى: لابدَّ من ملاحظه نسق الآيه مع الآيات، بأنْ لا يُفيد هذا الاحتمال الذى نحتمله فى الآيه المباركه دالٌّ لفظى آخر؛ لأنَّ تعدد الاحتمال وإنْ كان على الموازين إلّا أنَّه يقطع الطريق ولا ينسجم مع مجموعه الدوال فى الجمله الواحده أو الآيه الواحده وعليه إذا حصل هكذا تهافت فحينئذٍ نرفع اليد عن هكذا احتمال مع بقاء الهيمنه والحاكميه لمحكمات القرآن وأنَّ المحكمات لها طبقات، كما سيتضح ذلك فى محله.

والقرآن الكريم يحذر من اتباع الآيات المتشابهات وإنْ كانت من القرآن الكريم فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ١. أى يزيغون وينحرفون إذا اتبعوا المتشابهات، وكأنَّما القرآن الكريم يُنادى: - أيها المتَّبع للمتشابه لا تُدَلِّس ولا تكذب على الآخرين.

وإذا قال المستمسك بالآيه المتشابهه لوحدها أنى أتبع هذه الآيه المتشابهه وأنها من القرآن الكريم.

قلنا له: التمسُّك بهذه الآيه لوحدها وبمفردها يُسبب شتات للفكر وعدم التمسك بكل آيات الذكر الحكيم: أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ

وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ١. فأما الإيمان ببعض الكتاب دون بعض هذا ضلال وعمايه؛ ولذا لابد من إيمان مجموعى منظومى.

ولـذا نلاحظ أصـحاب المـذاهب الاعتقاديه المنحرفه التى نشأت فى فرق المسـلمين وكذا أصـحاب التفاسـير الخاطئه سـببها عدم مراعـاه منهـج امومه ولايه أهل البيت (عليهم السـلام) والمحكمات وإلا لما وقع هـذا التشابه والاشـتباه وتعـدد الفِرَق، ويعتبر هـذا شرط أساسى فى استعمال اللفظ فى أكثر من معنى ولكن بشرط أنء لا يتصادم مع احتمالات أخرى فى آيات وسور أخرى.

ص:۴۰

الأمر الثانى: دور القرآن الكريم فى حفظ اللغه العربيه

من الواضح فى علوم الأدب العربى أن الذى حافَظَ على اللغه العربيه من بين لغات البشر الأخرى وقوتها وجزالتها وعظمتها هو نفس القرآن الكريم، وهو ليس بالأمر السهل.

بعد مرور أكثر من أربعه عشر قرناً نجد هذا الكتاب الكريم مُوَّحَدٌ فى الإفهام والتفهيم بين أبناء لغه معينه سواء كان هذا الكلام علمياً أو لغوياً فى العلوم، بخلاف ما لو قرأنا كتاباً ما فى أنواع اللغه الأُخرى غير العربيه قبل أربعه عشر قرناً، وبين أنْ نقرأه الآن بنفس اللغه نجد من الصعوبه بمكان أنْ تحافظ تلك اللغه على معانيها وقوتها وجزالتها... بين تلك الفتره السابقه والمعاصره، ولو كان أصحاب هذه اللغه أكبر قوه فى العالم، بل حتى لو كانت الفتره ليست كالقرن والقرنين، بل وحتى مثل الخمسين سنه فنجد أن اللغه تفقد الكثير من خصائصها ومميزاتها ومعانيها عدا العكس ما هو عليه فى دور القرآن الكريم فى حفظ اللغه العربيه وديمومتها واستمرارها فى الحفاظ على حيويتها الى يومنا الحاضر.

علماً أن علوم الأدب مستقاه من القرآن الكريم والقرآن أرضاً خِصبه للاستفاده منه فى النظم والقواعد، ولا زالت علوم اللغه فى توسع أمثال: فقه اللغه ونحت اللغه... الخ.

بالأخير القرآن له شأن ودور عظيم ترعرت وبُنيت عليه اللغه العربيه وعلوم اللغه والأدب، وليس العكس لأنَّه - القرآن - بُنيان وحيانى إلهى... الخ.

ص:۴۱

۵ – تعریف بمنهج أمومه ولایه أهل البیت علیهم السلام فی تفسیر محکمات القرآن

مقدمه:

من الضروری جداً التعریف بهویه المنهج المختار من بین المناهج التفسیریه المتعدده ألا وهو منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) فی تفسیر محکمات القرآن، ودور المحکمات فی تفسیر سائر آیات القرآن الکریم.

ونودُّ بیان فوائد هامّه اعتمدناها فی خطه التفسیر لعلَّها تلبی بعض الحاجه فی الرد علی بعض الأسئله التی قد تُثار أو الإشکالات التی تُناقش، وهی: –

الفائده الأولی: سنتعرض إنْ شاء الله تعالی إلی قواعد مختلفه کل بحسب بابه ونظامه المناسب لتلک القاعده، وقبل ذکر الضوابط التطبیقیه للقاعده نعطی تعریفاً لها، وما هی الشروط التی اخترناها؟ والمناسبه؟ ولیس بالضروری موافقه لمَّا هو مشهور البلاغیین مثلاً أو النحویین أو اللغویین فی تلک القاعده.

وقواعد علوم التفسیر بمثابه مبانی تؤثر تلقائیاً علی مسیره ومنهج المُفسر فی یومیات التفسیر؛ لأنَّها قواعد ترتبط بمناهج التفسیر للآیات والسور.

الفائده الثانیه: لعلَّ أهم ما یمیز المنهج التفسیری لأمومه الولایه والمحکمات هو أنَّ طبیعه هذا المنهج هی طبیعه قواعدیه أکثر مما هو تفسیر

موضوعی أکثر مما هو تفسیر تفصیلی أو تجزیئی أو تفسیر القرآن بالقرآن الذی هو تتبع القرائن القرآنیه فقط.

وعلیه المفسِّر الذی یختار منهج تفسیر أمومه المحکمات والولایه کان علیه لزاماً مراعاه مجموعه قواعد منظومیه کنظام واحد.

الفائـده الثالثه: لعلک بعـد الاطلاع علی منهـج أمومه المحکمات والولایه یتبادر إلی ذهنک - بعد ما عرفت أنَّه منهج قواعدی - هل توجد نهایه فی المکث فی بحث القواعد التفسیریه أو لا؟.

الجواب: إنَّ البحث فی القواعد التفسیریه هی روح منهجنا التفسیری وأنها مسـتمره معه إلی آخر عمر التفسیر وما یوفق الله تعالی الباحثین من التفاتات صناعیه وعلمیه وفنیه تتلاءم وطبیعه المنهج التفسیری لأمومه المحکمات.

وفی منهـج أمومه المحکمـات والولایـه فی کـل آیه آیه لا تتم المعالجه بالتفسـیر فحسب کباقی المناهـج التفسـیریه الأُخری کل حسب منهجته، بل فی هذا المنهج المختار تطعیم التفسیر بالقواعد التفسیریه کما مَرَّ.

ولا یفهم من هذا أنَّ فی المناهج التفسـیریه الأُخری تُلغی وتُشـطَّب ویُقلل من أهمیتها کلا وإنَّما هم مشـکورون علی ما بذلوه من جهد لما توصـلوا إلیه إلّا أنَّه لابدَّ وأنْ یؤخذ بنظر الاعتبار أنَّ تلک المناهج التفسیریه لیست هی نهایه المطاف وإنَّما هی بدایه أو وسط المسـیر، وإنْ کان حتَّی منهج أمومه المحکمات لیسَ هو الخاتم کلا، وإنَّما یتمیز هذا المنهج المختار عن غیره من المناهج بمقدار سعه البشر والاستفاده من کلام المعصوم (علیه السلام) ویُترک الباقی للأجیال اللاحقه بعدنا وربما یکتشف ما هو الاعظم محل کل ذلک من بیانات الوحی.

فمثلاً ـ من جمله الأمور والمطالب التی استطعنا أنْ نستخلصها ونستفیدها من بیانات الوحی هو منهج أمومه المحکمات وأمومه الولایه للمحکمات وأنَّ المحکمات موصوفه بأنها أم الکتاب، وأنَّ أم الأم هی الولایه، وان هذا المنهج یُراعی فیه قواعد ومبانی ترتبط بعضها مع البعض الآخر کمنظومه نظام واحد، وعلیه فلیس بوسع المفسر لمنهج أمومه المحکمات التخلی عن مجموع هذهِ المبانی والقواعد فی تفسیر آیات أو آیه، وهذا معناه أنَّ تفسیر القرآن لأمومه محکمات الکتاب والولایه قائم علی ملفات وأعمده لا علی أساس الوجوه الموضوعیه کما فی التفسیر الموضوعی فإنَّه قائم علی الوحده الموضوعیه وهذا بُعدٌ آخر.

الذی نرید أنْ نثبته فی هذهِ الفائده المهمه هو أنَّ منهج تفسیر أمومه المحکمات والولایه هو منهج وحیانی ولا ندعی أنَّه هو آخر وخاتمه منهاج أهل البیت (علیهم السلام) وإنَّما نقول هذا ما وصلت إلیه مسیره علماء التفسیر عند الإمامیه، وما استطعنا أنْ نلتفت إلیه بتوفیق الله وعنایته، ولیست هذهِ هی النهایه بل هی البدایه إلی مسافات لاشک أنَّها أبعد وأعمق، إلّا أنَّ هذهِ الدرجه من المسیره فی علم التفسیر لا تعتمد علی الوحده الموضوعیه وإنَّما تعتمد علی وحده المنظومه أی وحده تأثیر أمور بعضها علی البعض وترابط قواعد وبُنی ورکائز بعضها مع البعض الآخر.

ولذا یأتی الإمام (علیه السلام) بآیات من سور عدیده ولا یوجد لها وحده موضوعیّه، إنَّما وحده أعظم من الوحده الموضوعیّه والتی هی وحده القواعد أو وحده النظام فإنَّ لها أبعاد عدیده.

امتياز وحده القواعد:

تتميز وحده القواعد بأمور:

أولاً: تاره تكون القواعد فى عرض واحد فتؤثر بعضها على الآخر، وإنْ لم يكن لها وحده موضوعيه عنوانيه.

ثانياً: تكون القواعد بعضها فى طول الآخر وتأثيرها تأثير طولى طبقاتى، كما سيتضح كل ذلك من خلال التطبيق لعملى للقواعد إنْ شاء الله تعالى.

القواعد المتبعه فى تفسير منهج أمومه الولايه والمحكمات هذا هو نمطها وفى هذا العرض يكون جواباً للسائل عندما يسأل ويقول أنَّه كيف الإمام (عليه السلام) فى روايه واحده يجمع آيات عديده من سور مختلفه، وإنْ كانت بالنظره الأولى ليست لها وحده موضوعيه ولكن الإمام (عليه السلام) يكشف لدى السامع أو القارئ عن ماهيه إذْ لعلَّ الآيه الواحده لا يوجد فيها ترادف موضوعى رغم العناوين المختلفه قام الإمام (عليه السلام) بجمعها فى ضمن مجموعه واحده، كما لا يلاحظ الإمام (عليه السلام) مورد النزول ولا وحده السياق ولا وحده السوره، بلْ ولا وحده الآيه ولا وحده الترادف اللفظى ولا وحده على صعيد التشاهد فى الظهور اللفظى، بلا ولا وحده التحليل العقلى وهو الترادف العقلى ولا غير ذلك من الوحدات التى تقوم عليها مناهج التفسير المختلفه كالتفسير الموضوعى ومنهج أسباب النزول والتفسير الإشارى الفعلى وغير ذلك من مناهج التفسير، قد يأتى (عليه السلام) من آيات مختلفه، وحده النظام الوحدوى، وهذا ليس باليسير فإنَّه صعب ويحتاج إلى مؤونه وجهد كبير؛ لأنَّ هذا يحتاج إلى أنْ تطوى المناهج التفسيريه الأُخرى فى الآيه الواحده وتراعيها لأنَّه كما ذكرنا سابقاً ليس منهج أمومه المحكمات

والولایه یُشَطِب ویهمل المناهج التفسیریه الأخری ولا یلغیها.

إذنْ صعوبه منهج أمومه المحکمات والولایه تکمن فی تجمیع المفسِّر للمناهج التفسیریه الأُخری ویُضیفها إلی هذا المنهج المختار، وهذا یتحتم علی مفسِّر منهج أمومه المحکمات وولایه أهل البیت (علیهم السلام) إلّا أنَّه تبقی العنایه الإلهیه وتوفیقه لکل مفسر بحسبه ونمو وتطور کل مفسر بحسبه.

ثالثاً: إنَّ منهج أمومه المحکمات وولایه أهل البیت (علیهم السلام) الذی یتمیز بوحده القواعد یعطی أفقاً واسعاً للمفسر وبحسب قدرته وهیمنته علی المطالب ومن الطبیعی هذا یختلف من شخص إلی آخر.

سؤال: العنوان هو تفسیر القرآن علی منهج أمومه المحکمات وولایه أهل البیت (علیهم السلام)؟ إلّا أنَّ الولوج فی خضم وقلب تفسیر الآیات لم یأتِ، فلماذا هذا البحث المعمق فی القواعد فی الأنظمه الثلاثه الآتیه - النظام اللفظی الاستعمالی، ونظام المعانی ونظام الحقائق -؟

الجواب: إنْ أحطت أیُّها الباحث أو المطالع الکریم بالقواعد التی لها دخاله فی الغور فی فهم المعنی، وعدم الاقتصار والحبس علی ظواهر قوالب الألفاظ آنذاک صار عندک علم تفصیلی بموضوعات التفسیر؛ لأنَّ التفاصیل مرتبطه بالأعمده، فإنَّ القرآن الکریم له أرکان، وأعمده والمهم فی تفسیر القرآن الکریم اکتشاف تلک الأعمده والقواعد فی التفسیر واکتشاف معاقد العِز من الکتاب ومحکمات المحکمات؛ لأنَّ هذهِ القواعد عباره عن خارطه مهیمنه تمسح خارطه القرآن الکریم، ولقد أولی أهل البیت (علیهم السلام) عنایه خاصه وفائقه فی اکتشاف تلک الأعمده والقواعد، ولولاهم (علیهم السلام) لتاه بنا الدرب وهذا بالتالی یکلفنا مسیر طویل، والمهم هو

السيطره على بدايه التفسير ونهايته والالتفات إلى المحاور والمفاصل، فإذا انتهيت ودخلت بالتفاصيل من دون أنْ تستعين بروايات الأئمه المعصومين (عليهم السلام) فى هذا المجال ضلَّ وتاه بك الطريق لا محاله فإنَّ أحد معانى الغور فى الأعماق والتفاصيل من دون قواعد وضوابط وموازين صحيحه فإنَّه يُعرِّض المفسر والباحث الكريم للوقوع فى التيه والضلال؛ لأنَّه وَرَدَ هكذا [من تَعمَّق ضلَّ] بعكس المفهوم الشائع أنَّ المفسر والباحث الذى يتعمق يصبح محققاً ويركز على التفاصيل وتفاصيل التفاصيل دون التركيز على الأعمده والمحاور والإحاطه بهم مجموعاً منظومياً يكون هو المحقق، إلّا أنَّ الأمر ليس كما يُتوهم فإنَّه لا محاله يُبتلى بالتيه.

نعم إذا كان يولى التفاصيل أهميه تحت ظل المفاصل فإنَّه تستقر به تماميه الصغرى أى صغرى الحقيقه وحينئذٍ لا مانع من الغوص فى تفاصيل التفاصيل إلّا ان عدسه التركيز الباصره لديه حدِّقت وحَلِّقت نحو التفاصيل فحينئذٍ المفاصل والأعمده تلقائياً يَخفُت عنها التركيز وحينئذٍ يُخاف عليه من الوقوع فى صحراء التيه.

الفائده الرابعه: لا يُتوهم أنَّ دورَ القواعد التى سنتعرض لبحثها على ضوء منهج تفسير القرآن لأمومه المُحكمات وأمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات - دورُ مقدمه بيان أصول التفسير، وإذا عُبِّرَ عنها المقدمه فهو مسامحه؛ لأنَّ هذهِ القواعد التفسيريه هى عباره عن أعمده داخليه وأسس، وأحد عظائم القرآن الكريم هو التركيز على القواعد والأعمده الأساسيه والرئيسيه لا بيان الفوائد التفصيليه المتناثره الجزئيه فأحد وأهم أدوار مسؤوليات المفسر فى تفسير القرآن هو اكتشاف الأعمده وأكبر تأثير هدايه

لتفسير القرآن هو أنْ تكتشف قوائم وأعمده القرآن وأسسه.

نعم على غير منهج أمومه المحكمات والولايه - أى بحسب باقى المناهج التفسيريه، لا مانع ولا بأس من أنْ توصف هذهِ القواعد بالمقدمه الخارجيه أو بالمقدمه الإعداديه.

القرآن الكريم يُركِّز على ذكر القواعد والأعمده الأساسيه، فمثلاً الأسلوب القصصى فى القرآن، فإنَّ القرآن لم يتعرض إلى كل كبيره وصغيره فى حياه الأمم والأنبياء و... الخ فمثلاً ركَّز القرآن على جانب من بعض القصص التى حدثت لبعض الأنبياء كما فى قصه يوسف فإنَّه لم يتعرض إليها تفصيلاً فالأمور الهامشيه يُسْقِط ذكرها القرآن لأنَّها ليست لها التأثير البالغ فى بيان تلك القصه وإنَّما يكون التركيز على المفاصل والأعمده الأساسيه والقوائم فيها، والحال لا يختص بسوره دون أُخرى وإنَّما يشمل مجموع القرآن.

ولذا دائماً أئمه أهل البيت (عليهم السلام) يؤكدون على ضروره أنَّ المفسِّر لابدَّ له من الالتفات إلى الأعمده والمفاصل الرئيسيه والمحوريه دون التشاغل بالتفاصيل؛ لأنَّها الأكثر هدايه وتأثير فى حياه البشر من التفاصيل، وهذا لا يتنافى مع أنَّ القرآن هو تبيان لكل شىء إذا التفت وانتبه وركَّز على الأعمده والمفاصل الأساسيه فى الهدايه، وحتى فى هذهِ الأسس فإنَّه فوق كل ذى أساس أساسٌ.

ويؤيد هذا ما ذكره الإمام الصادق فى تنبيهه (عليه السلام) على أنَّ المحكمات التى وصفها القرآن بأنَّها أم الكتاب ومع ذلك يؤكِّد الإمام العسكرى على عدم التسرع والمطلوب هو التمهل رويداً رويداً ولا نقول بأنَّ هذهِ الآيه

محكمه وانتهى الأمر، وإنَّما (عليه السلام) أراد التأكيد على أنَّ لهذهِ المحكمات أمٌ أيضاً

«إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطع جميع الكتب عليها يستدير محكمات القرآن وبها نوهت الكتب ويستبين الإيمان»(۱) فالروايات الوارده عنهم بيَّنت العلاقه والارتباط بين القرآن وباقى الكتب السماويه الأُخرى من التوراه والإنجيل والزبور و.... الخ.

ولكن نتساءل هل خاض مُفسرٌ من المفسرين فى بيان وجه العلاقه والارتباط بين القرآن والتوراه أو الإنجيل أو الزبور أو... الخ، نعم يذكره المفسرون إلّا أنَّه كارتباط وبيان نوع العلاقه وتحليلها لم يتعرض لها المفسرون ولم يبحثوها، وإنْ كان أهل البيت (عليهم السلام) بَيَّنوا تلك العلاقه والارتباط، إلّا أنَّه لم نَخُض فى مثل هكذا مبحث إلى حد الآن.

الإمام الصادق (عليه السلام) استعمل فى تعبيره القطب والمحوريه والاستداره وربط هذهِ الأمور مع بعضها الآخر تحتاج إلى دقّه هندسيه عاليه لربط هذا المنهج؛ ولذا المُفسِّر الذى يستطيع أنْ يصل إلى أعماق سابحه عميقه فى القرآن فبها ونِعْمَتْ وإلّا نلاحظ أنَّ ما فسرته المناهج التفسيريه الأُخرى لا يلبى الغرض المطلوب فمثلاً: - التفسير الموضوعى تقدم أنَّه لا يُفسِّر إلّا موضوعات مبعثره ومشتته، وهو وإنْ كان جيد إلّا أنَّه مرحله ابتدائيه أو متوسطه وبالتالى لا يعطيك صوره مجسَّمه واضحه المعالم وإنَّما يعطيك كل عمود على حِده.

وهذا بخلاف منهج أمومه المحكمات الذى أشار إليه الإمام الصادق (عليه السلام) بتعبير «قطب القرآن» وهو أفضل المناهج التفسيريه واستعمال كلمه قطب

۱- (۱) تفسير العياشى، ج ۱ / ح ۸.

معناه هناك وجود مُجسم ومهيكل.

وهكذا تفسير القرآن بالقرآن يعتمد كذلك على بيان تفسير الحقائق ومع ذلك لا يُبينها بشكل مرتبط ونظامى، بينما نفس آيات وسور القرآن هى عباره عن منظومه ونظام.

وهكذا الحال فى باقى المناهج التفسيريه سواء التفسير التجزيئى أو أسباب النزول أو التفسير اللغوى الذى هو تفسير قشر ولباس القرآن، فإنَّها تعالج زاويه ووجهه وطبقه معينه فى القرآن.

إلّا أنَّ المنهج الذى لم يكتشفه البشر وإنَّما اكتشفه أهل البيت (عليهم السلام) ولم يلتفت إليه حتَّى مفسرى الخاصه فضلاً عن العامه إلّا بعض مفسرى الصوفيه نتيجه بيانات الفرق الباطنيه الشيعيه المستمده من بيانات أهل البيت (عليهم السلام) ألا وهو منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام).

وذكرنا سابقاً أنَّه باستطاعه المفسر على باقى المناهج الأُخرى يستطيع المفسر أنْ يوجد ربط وترابط عَرْضى حَلَقى دائرى بين سور القرآن وآياته، إلّا أنَّ هذا ليس هو القرآن، وإنَّما المنهج التفسيرى الصحيح مَن يستطيع أنْ يوجِد تفسير نظامى متكامل بين الآيات وبين السور وإنْ كان فيه نوع من التبعثر إلّا أنَّه يمكن التوصل إليه شيئاً فشيئاً وخطوه فخطوه إلى الأمام.

وعليه فالإمام الصادق (عليه السلام) أراد أنْ يبين فى كلامه أنَّه حتَّى التوراه والإنجيل والزبور و... الخ إذا أُريد لها تفسير عميق لا يستطيع أحدٌ أنْ يفسرها بعمق إلّا ولايه أهل البيت (عليهم السلام)، فإنَّ أهل البيت (عليهم السلام) أعلم بالتوراه من نبى الله موسى (عليه السلام) وأنَّ أهل البيت (عليهم السلام) أعلم بالإنجيل من عيسى (عليه السلام)، وأعلم بالزبور من نبى الله داود (عليه السلام)، وهكذا أعلم بصحف إبراهيم (عليه السلام)

من نفس إبراهيم.

إذنْ أهل البيت (عليهم السلام) أعلم من الأنبياء الذين أوحى إليهم وتلقوا الكتب، وهذا بحسب مقتضى بيانات أُخرى فى القرآن الكريم يصف القرآن بأنه مهيمنٌ على الكتب الأُخرى.

ولاـيه أهـل البيت (عليهم السـلام) فى تفسـير القرآن لاسـيما الآيـات المحكمـات منه نقطه مركزيه التى أشار إليها الإمام الصادق (عليه السلام)

«عليهـا يسـتدير محكمـات القرآن» أى على ولاـيه أئمه أهـل البيت (عليهم السـلام) وعليه فمحكمـات القرآن تـدور حول محور وقطبيه أُخرى أعظم منهـا ألاـ وهى ولايه أهل البيت (عليهم السـلام) فالمحكمات التى وصـفها القرآن بأنها أم الكتاب وأنَّ لهـذهِ المحكمات أم فرع أم أصلٌ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ... وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ١ فتدلُّ على أنَّ الراسـخين فى العلم بعد الله تعالى لهم مرجعيهٌ، فلو كانت مرجعيه المحكمات كافيه ويسـتقل بها البشـر لمَّا احتيـج إلى الآيه المباركه وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ وهذه الآيه المباركه تدلُّ على أنَّ المحكمـات لاـ تسـتطيع البشـر أنْ يسـتثمرها إلّا بتعليـم الراسـخون، وهـذه تـدلُّ على أمـومه الراسـخون فى العلـم بعـد الله تعـالى والمحكمات الكتاب، علماً أنَّ القرآن الكريم، قال هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ والمراد من الأم أى الأصل والمدار.

أمومه ولاـيه أهـل البيت (عليهم السـلام) لمحكمـات القرآن أمر ضـرورى لاـ يمكن الاسـتغناء عنه بحـال من الأحوال ولا يمكن استثمار المحكمات بلا ولايه لأهل البيت (عليهم السلام)؛ لأنَّها القطب والمحور. هذا بالنسبه لمرجعيه الولايه وأنها

أم وأصل للمحكمات.

وأمَّا بالنسبه للمتشابهات فكذلك لا يمكن للبشر الاستقلال بنفسه ولوحده أنَّ يزيل المتشابه إلّا بالرجوع إلى أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) والتمسك بالمحكمات لرفع وحلَّ وإزاله المتشابهات.

إذنْ هذهِ الآيه المباركه من سوره البقره هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ.... کما فی تعبیر أئمه أهل البیت (علیهم السلام) أنَّها هی حدیث الثقلین القرآنی، وفیها معادلات کثیره وتدل علی أعظمیه العتره الطاهره.

الفائده الخامسه: حدیث الثقلین عن النبی (صلی الله علیه و آله) فی بیان أحقیه أهل بیته العتره الطاهره وبیان عظمه منزلتهم وأنَّهم حَبْلُ الله الممدود، وهذا التعبیر کنایه عن بیان أنَّ طریق النجاه والفوز فی الدارین منحصر بالتمسک بهذا الحبل الذی بَیَّنَه رسول الله (صلی الله علیه و آله)، وعبَّر (صلی الله علیه و آله) بالحبل لا بحبلین یرید أنْ یبین (صلی الله علیه و آله) أنَّ الثقلین - کتاب الله وعترتی أهل بیتی - عندما یتصاعدان منهما یتصاعدان حقیقه واحده، وهذا أشبه ما یکون بقاعده الشکل المخروطی أو الهرمی عندما یبدأ من أسفل القاعده عریضاً ثم یتضیق بالصعود شیئاً فشیئاً إلی أنْ یصل إلی قمه الهرم وهو شیء واحد.

إذنْ النبی (صلی الله علیه و آله) أراد أنْ یرسم لنا رسماً هندسیاً ریاضیاً من خلال حدیث الثقلین لمنهج أمومه المحکمات.

الرسم الهندسی الریاضی لمنهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) والمحکمات فی حدیث الثقلین:

النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) رسم لنا منهجاً من خلال حدیث الثقلین لأمومه المحکمات والولایه فإنَّ هذا الحدیث النبوی فیه زوایا فنیه وریاضیه وهندسیه،

وهـذا الرسم الرياضـى الهندسـى لهذا المنهج ليس أفقى أو عمودى مبعثر، وما نذكره فى هذا المنهج ليس من باب التمثيل فقط، أو خيـال شـعرى؛ لأـنَّ التمثيـل: - معناه أنَّ المعانى لها نظام محاذى رياضـى هندسـى فى نفس عالَم المعانى، فإنَّ المعانى يمكن ضبطها فى نظام رياضى هندسى.

ويتميز حـديث الثقليـن أنَّه يمكـن أنَّ يُسْـتَخْرَج منه كـل علـوم القرآن، ولم تمر قاعـده من قواعـد الأـنظمه الثلاـثه الآـتيه - نظـام الاسـتعمال اللفظى أو المعنوى أو الحقائقى - إلّا وفيها ترسـيخ لهذا الحديث النبوى الشـريف - إنِّى تارك فيكم الثقلين - والنبى (صـلى الله عليه و آله) تميز عن سـائر الأنبيـاء فضـلاً عن البشـر بـأنه [أعطى جوامع الكلم] فبإمكـانه (صـلى الله عليه و آله) بكلمه واحده قصيره وبليغه أنْ يلخص ما بين الأرض إلى آخر عالم الخلقه برسم هندسى رياضى دقيق.

وجه اختلاف منهج أمومه المحكمات الولايه عن منهج السيد العلامه محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه) وغيره الذى هو تفسير القرآن بالقرآن:

ذكرنا سابقاً أنَّ المنهـج الـذى لم يكتشـفه البشـر وإنَّما بَيَّنه أهل البيت (عليهم السـلام) هو منهج أمومه المحكمات والولايه، وأنه المنهج الذى لم يلتفت إليه مفسرى الخاصه والعامه، إلّا من بعض مفسرى الخاصه، من بيانات أهل البيت (عليهم السلام).

وأيضاً تقدم أنَّ منهج أمومه أهل البيت لا يُشَطِّبُ ولا يُهَمِّشُ المناهج التفسيريه الأُخرى، نعم لم يجعلها هى الخاتمه والنهايه، كما لم يجعل نفسه هو الخاتمه.

إلّا أنَّ منهج الأمومه يُناقش باقى المناهج التفسيريه الأُخرى، فمثلاً

منهجیه السید العلامه الطباطبائی فی تفسیره المیزان وغیره کان العلامه السید الطباطبائی قدْ سلک فیها مسلکاً وهو «أنَّ ولایه أهل البیت (علیهم السلام) مصداق تطبیقی للقرآن الکریم».

جوابه: ما اعتمده العلامه الطباطبائی (قدس سرّه) بعیدٌ عن حقیقه واقعیه القرآن؛ لأنَّ العلامه الطباطبائی (قدس سرّه) جعل تفسیره خارجاً عن المعنی الاستعمالی للقرآن، والحال أنَّ المعنی الاستعمالی للقرآن لیس تنظیراً کلیاً وإنَّما أحد أهم مصادیق القرآن هم أهل البیت (علیهم السلام) أی أهل البیت (علیهم السلام) یأتون فی الدرجه البَعْدیه بَعْد ولایه الله وولایه الرسول الأکرم (صلی الله علیه و آله).

وفی العلوم العقلیه یریدون من المعنی هو ظل الحقیقه، فکیف یصبح المعنی هو کلی وهو الأصل والحقیقه هی تطبیق.

والعجیب من العلامه الطباطبائی (قدس سرّه) رغم خوضه وممارسته وخبرته العالیه فی المباحث العقلیه کیف جعل الحقیقه تطبیق للمعنی، والواقع عکسه - والعصمه لأهلها - ولعلَّ السید العلامه الطباطبائی (قدس سرّه) یستدرک بشیء آخر والله العالم.

إذنْ ولایه الله وولایه الرسول (صلی الله علیه و آله) وأهل البیت (علیهم السلام) بهذا التسلسل الطولی لیست هی مصدقا وهامش، وإنَّما ولایه أهل البیت هی أصل وحقیقه القرآن وأصل المعنی، نعم فی غیر أمومه ولایه الله والرسول (صلی الله علیه و آله) والأئمه تستعمل ظلاً للحقیقه.

وعلیه ما ذهب إلیه السید الطباطبائی (قدس سرّه) فی میزانه، والسید الخوئی فی البیان، والسید عبدالأعلی السبزواری فی مواهبه، والمیرزا علی القاضی، ومحمد حسین الأصفهانی الکمبانی فی نهایه الدرایه وغیرهم، جعلوا ما هو

عمودٌ هامشياً، وما هو هامش عموداً، وعليه فلا يستقيم لك المعنى فى كل نسيج مَعْرفى، ولم ينتظم لك أبداً، وعليه فيكون المعنى الكلى هو المعنى الظلى المنعكس والمحقق للقرآن.

معنى الأمومه والولايه - بحسب منهج تفسير أمومه المحكمات والولايه - هى المعنى الأصلى ومعنى الكليه هى ظلٌ وفئٌ، وظل الظل أو انعكاس الانعكاس ما شئت فعبر وعليه فإنَّ السيد العلامه الطباطبائى وغيرها مرّ ذكرهم - يفسرون قوله تعالى: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ١ بأنَّ أهل البيت (عليهم السلام) هم المصداق الأكمل والأهم والأول للآيه المباركه، وليس هذا المراد - والله العالم - وإنَّما بحسب تفسير منهج أمومه المحكمات والولايه فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ فإنَّ المعنى الأصلى لها هو النبى وأهل بيته لأنَّهم المصداق - فإنَّ النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته [ذِكْراً رَسُولاً]٢ أى النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل الذكر أى أهل الرسول (صلى الله عليه و آله) وتلك المعانى البَعْديه معانى مخففه.

وعليه فإنَّ الروايات الوارده فى ذيل الآيات القرآنيه - كما يُنبه عليه أهل البيت - أنَّه يُستطاع استخراجها من سطح ظاهر القرآن، وهذا العمل الكبير يحتاج إلى جهود ضخمه ومسؤوليه أجيال - وإنْ كنّا لم نجزم بأنَّ علمائنا الكبار لم يعملوا على طول القرون السابقه إلّا بقله استخراج بيانات أهل البيت (عليهم السلام) من متن وسطح ظاهر القرآن ولو بترامى المعادلات اللغويه بأنَّ تترامى بشكل منتظم ودقيق وسديد فإنَّها توصلنا إلى لب

اللبـاب من المعـانى وليس تأويلاً ـ لأصـله له بالظـاهر، وهـذا ما يُلقى على عاتق الجبل الجديـد بتحمل مسؤوليته وكيفيه اسـتخراج بيانات أهل البيت (عليهم السلام) من متن وسطح ظاهر القرآن ولو بترامى المعادلات اللغويه بشكل منتظم كما ذكرنا قبل قليل.

ص:٥٧

الفصل الثانی: قیمومه أهل البیت (علیهم السلام) فی تعلیم القرآن – أدله وبراهین –

اشاره

المبحث الأوَّل: باب الاجتهاد مفتوح علی مصراعیه عند الشیعه الإمامیه.

المبحث الثانی: لماذا المذاهب الإسلامیه تخطر من فتح باب الاجتهاد.

المبحث الثالث: مقارنه بین فقه الإمام جعفر بن محمد الصادق علیه السلام وبین فقه المذاهب الأربعه فی فقه الفروع وغیره.

المبحث الرابع: البرهان التأریخی الحضاری العلمی.

الدلیل الأوَّل: البرهان التأریخی الحضاری العلمی.

الدلیل الثانی: القرآن کتاب غیبی سماوی.

الدلیل الثالث: مقامات ومنازل القرآن الکریم.

الدلیل الرابع: حجیه الظاهر حجیه معیّه بین الکتاب والسنه.

المبحث الأول: باب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه عند الشيعه الإماميه

إنَّ باب الاجتهاد فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) وباب التحقيق فى فقه الفروع وفقه المعارف مفتوح على مصراعيه وعلى حاله على مَدَى أربعه عشر قَرْناً مضت، ولم يحصل التشرذم والانقسام وهو ليس بالأمر السهل والصدفوى أبداً، وإنَّما وليدُ وجودُ سرٍّ فى البين، وهذا السِرُّ هو:

إنَّ الأصول العلميه التى بناها وجذّرها أئمه أهل البيت (عليهم السلام) هى أصول عاصمه واقيه عن المروق عن الدين، ولم تأتِ هذهِ الأصول من صدفه فإنَّ الظواهر التكوينيه ليست كالاعتباريه، فإنَّ الاعتباريه أمرها راجع إلى المعتبر بخلاف التكوينيه فإنَّها ناشئه من علاقه السبب والمسبب وعليه فلا يمكن لأى فقيه أم مُفسِّر أو باحث فى العلوم الدينيه أنَّ يتخطى هذهِ الأصول ويتجاوزها، فإنَّ مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) رسمت ووضعت المنهاج الصحيح والقواعد الترسانيه الجحفليه بحيث ما استطاع بنو أميّه ولا بنو مروان ولا بنو العبّاس ولا من قبلهم ولا من بعدهم من دول شرقيه أو غربيه ولا نظام اشتراكى ولا رأسمالى ولا... الخ. إلى اليوم أنْ يتخطوا هذهِ المعادله سواء فقهيةً أو عقائديةً أو تفسيريه أو... الخ فإنَّها رسمت للإنسان نوع العلاقه مع ربه ابتداءاً من كتاب التوحيد إذْ وضعوا فيه قاعدةً وهى: -

[أنَّ توحيده تعالى تمييز صفهٍ لا تمييز عُتْمهٍ]

هذهِ الضابطه لا يمكن للباحث أنْ يتخطاها ووقفت لها القمم العلميّه الشامخه من كلا الطرفين بإكبار واحترام.

ص:٦١

وقاعده أَخرى فى التوحيد من صفاته تعالى:

[داخِلٌ فى الأسماء لا بممازجه خارج عنها لا بالمزايده قريبٌ فى بُعْده بعيدٌ فى قربه](۱).

وهكذا رسمت لنا مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) منهاجاً ووضعت القاعده فى كتاب الحُجه والنبوّه والإمامه فى الأصول انتهاءاً بفقه الفروع من الصلاه والصوم والزكاه والحج... الخ والمعارف والعقائد والتفسير.

وهكذا بيّنت لنا مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) ميزانيّه العبد فى الأفعال وقالت:

[لا جبر ولا تفويض أمرٌ بين أمرين](۲).

فلا أحد يستطيع أنْ يتعدى هذهِ المعادله ويوفق فى عمله ومنهاجه أبداً ما لم يرجع إليها.

وكذا بيَّنت معنى: - مَنْ أحبَّ عَمَل قوم حُشِرَ معهم(۳).

وما يتداعن على هذا القول.

وكذلك أوضحت ما يتعلق بأصول التشريع فى فقه الفروع من معنى الآيه: - أَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا۴. وأنَّها حَرَّمت الربا وما يترتب عليه من مضار ومفاسد وبيَّنت حرمه الحيل التمويهيه وما يترتب عليها من مفاسد وحرمه الخمر والفواحش والمجون و... الخ وما يترتب عليه نَحْرٍ فى جسد الأمَّه والمجتمع، والتى أقَرَّ بها النظام الغربى مؤخراً فى خضم الأزمه الاقتصاديه.

۱- (۱) التوحيد للصدوق/ ص ۳۱۹، الأمالى للصدوق، ص ۴۰۵.

۲- (۲) الكافى ج ۱ / ص ۱۶۰ والتوحيد/ ۳۶۲.

۳- (۳) الغدير ج ۲ ص ۲۹۲ (يبدل المصور بمصور أقوم).

كُلَّ هذا وغيره بينته الشريعه المقدَّسه من خلال مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) التى وضعت الأعمده والضوابط والثوابت التى لا يمكن لأى نظام من صنع البشر فى الكون كله أنْ يتخطاها، ومَن تخطاها بحاله سلبيه وعدم اعتراف كُتِبَ عليه الفشل فى كل مشاريعه الاقتصاديه والعمرانيه والفكريه والعلميّه... الخ بل من جميع العلوم سواء الفقهيه منها أو العقائديه أو التفسيريه أو المَعْرفيه أو... الخ.

إذنْ هذهِ القواعد والأُسس التى جذّرتها مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) وفتحوا أبوابها وأسرارها هى حصون منيعه لا تستطيع البشريه أنْ تتسلق وتقفز عليها من دون تطبيق ومُجازات لهذهِ الأصول العلميه والمعادلات، وهذا هو السِرُّ فى بقاءها وديمومتها بعد مضى أكثر من أربعه عشر قَرْناً على تأسيسها.

وهذا نظير ما يقوله علماء الرياضيات مِن أنَّ الرياضيات كلها من علم الهندسه وعلم المثلثات والجبر والميكانيكا والقوى والهندسه الفضائيه والفلكيه و... الخ.

تتشعب من معادلات تِسْع هى عمليه الجمع والطرح والضرب والقسمه والجبر والهندسه والمثلثات و... الخ.

وعليه فأىِّ عمليه حسابيَّه فى إنشاء مفاعل نووى، أو أسلحه ذريه كيميائيه وأى تطور بيولوجى لا يمكن أنْ تتجاوز المعادلات التسع.

ص:٦٣

المبحث الثانى: لماذا المذاهب الإسلاميّه تُخَطِّر من فتح باب الاجتهاد؟

المذاهب الإسلاميَّه كافه عدا مذهب الشيعه الإماميَّه أتباع مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) أغلقت باب الاجتهاد فى فقه الفروع فضلاً عن باب المعارف وأصول العقائد لاسيّما علم التفسير وغيره؛ لأنَّهم استشعروا خطوره مُدَّمِرَه من فتح باب الاجتهاد فى القرن الثالث والرابع والخامس... الخ ورأوا فى ذلك - أى فى سد باب الاجتهاد - ضروره ملحه والى يومنا هذا ونحن فى القرن الخامس عشر الهجرى لا زالت الجوامع الدينيه عند أهل السُّنه تشعر بكل ثقه واطمئنان أن فتح باب الاجتهاد فى فقه الفروع فضلاً عن غيره سوف يشرذم المسلمين من أهل السُّنه الى فرق متعدده وتصدع المذهب الواحد الى مذاهب متعدده، وبالتالى لم تبق لهم باقيه.

وهذا المنع من فتح باب الاجتهاد مستمر على قدم وساق الى يومنا هذا وسبب ذلك كله هو: -

أنَّهم لم يكتشفوا الوحده المُنسِقه الناظمه بين المعارف الدينيه من فقه وعقائد وتفسير وحديث وتاريخ... الخ.

واكتشاف الوحده الناظمه المنُسِقه يحتاج إلى علم لَدُنى، كما وَرَد ذلك فى خطبه الزهراء (عليها السلام)

«وطاعتنا نظاماً للمله، وإمامتنا أماناً للفُرْقه و... الخ».(١).

١- (١) خطبه الزهراء (عليها السلام) فى روايه عبدالله بن الحسن بإسناده عن آبائه (عليهم السلام).

وأرادت الزهراء (عليها السلام) بذلك - أنَّ الإمامه هى العنصر الموحِّد والمُنسِّق بين شتات الدين إذْ ليس بوسع البشر من المسلمين والفقهاء والمجتهدين لوحدهم أن يكتشفوا تلك العناصر المُنسِقه والموحِّده فى علم الفقه فضلاً عن العقائد والأخلاق والآداب والتفسير والسياسه والاقتصاد والتأريخ... الخ.

وأمثله ذلك كثيره فى مختلف مجالات الحياه، فما نلاحظه اليوم من التضخم الانتاجى عند البشر فى جانب صناعى أو تكنولوجى أو ذرى أو... الخ.

فإن يستلزم تصحر الأرض الخضراء عند البشر، وعليه فلا يُعقل عدم وجود وحده منسقه بينهما.

وهكذا التنسيق والتنظيم بين الزراعه والاقتصاد، بين علم البيئه وعلم الاقتصاد وكذلك الإفراط فى الاستهلاك بكل ما فى السوق من البضائع سَبَّبَ لهم اختراق طبقه الأوزون.

وهكذا وحده نظام فى التشريع والتقنين فى فقه الفروع فى القانون المدنى، فإن الموزانه ووحده النظام بين فقه التشريع - السلطه التشريعيه - وبين السلطه التنفيذيه - النظام السياسى، وبين النظام التشريعى مطلوبه، وهكذا فى كل القوانين والمعادلات الكونيه، إذا لم تُرْعَ فيها الكتاب والسنه - أى الثقلين - فإنه يقع فيها التصادم والتنافر بعضها مع البعض الآخر.

الزهراء البتول (عليها السلام) بنت النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) عَبَّرَت فى كلمتها

«إمامتنا نظاماً للمله» إشاره الى أنَّ هذه المله هى: - فطره الله التى فطر الناس عليها جميعاً، وهذه الفطره هى الوحده المُنسِّقه بين أنظمه البشر الاجتماعيه

والاقتصاديه والسياسيه والتأريخيه والجيولوجيه والبيئيه... الخ والمُنَظِم والمُنسَق لهم هو صاحب العلم اللدُنى الذى لولاه لساخت الأرض بأهلها - أى تبعثرت وتشتت وتزلزت -

ولذا كانت تصرفات بعض البشر وإنْ كان عالِماً وعنده معادلات وقواعد رياضيه وفيزيائيه وكيميائيه و... دقيقه وعلميه، إلَّا أنَّه من دون أنْ يرجع إلى المُنظم والمُنسِّق لهذهِ العلوم وهو الإمام القائم المنتظر الحجه بن الحسن (عج) حتّى يَعْرِف إلى ماذا تنتهى وما تكون النتائج، وإلّا - أى من دون الرجوع إلى الإمام (عج) - يحصل ما يحصل من الفشل والتراجع فى كل شىء كما يعيشه الآن الغرب وغيره فى أنظمتهم الاقتصاديه والسياسيه والتربويه الاجتماعيه والتكنولوجيه والبيئيه و... الخ وسبب فشلهم أنَّهم اعتمدوا على قدراتهم الشخصيه والذاتيه من دون الرجوع إلى المنظم والمُنسِق والمُنقِذ للبشريه من مستنقع الرذيله والهاويه وهو إمامتنا نظاماً للمله؛ ولذا وقعوا فى الهاويه أثبتت التجارب الكيميائيه والفيزيائيه أنَّه كلما اكتُشِفت معادلات وحدويه فى العلم كانت هى الأقرب إلى الحقيقه والواقع، وكلما جهلنا المعادلات الوحدويه بأن كانت هناك تَكَثُّر وتبعثر كانت نتائج العلم عقيمه.

وعلى هذا قِس جميع العلوم والفنون على اختلاف معادلاتها وقوانينها من علم نفس فردى أو تعدد النفس البشريه ازدواجيه - أى انفصام فى الشخصيه - وارتباط الروح بموجودات أثيريه.... الخ.

وفشل وتراجع كل تلك القوانين والأنظمه الوضعيه بسبب ابتعادها عن ما شرعه الله تعالى ورسم للبشر نظاماً ومنهاجاً يسير عليه حتى يضمن

سلامه ونجاح الدارين.

لـذا شـرَّع الله الأحكام الشـرعيه ورسم لنا منهاجاً نسـير عليه منذ أنْ كنا فى بطون أمهاتنا إلى يوم الدين، جعل لنا الدين بما له من معنى واسع ينفتـح ويتلاـئم مع كل ملفات الحياه بما للانفتاح من معنى واسع أيضاً، وهو ليس مختصاً بالبشـر فحسب، بل كما عَبَّرَ القرآن الكريم وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ١.

فالدين هو برنامج رسـمه الله لكل المخلوقات كُلٌّ بحسب تكليفه وما يُناسبه، وهذا الدين عباره عن آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم درجات، وليس مختصاً بالنبى (صلى الله عليه و آله) فحسب وإنَّما هو كذلك بالنسبه إلى أوصياء النبى (صلى الله عليه و آله) لأنَّ القرآن ذكر وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ٢ و لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ٣.

ومن خلال هذا كُلَّه يُعْلم ضروره وجود المُعِّلِم الإلهى المتمثل – كما مَرَّ – بالنبى (صلى الله عليه و آله) وأوصياؤه (عليهم السلام) – فى مـدرسه الأـئمه الأـثنى عشـر (عليهم السـلام) وأتباعهم، ولم يمرُّوا – وما مرّوا – بتشـرذم وبقيت الفرقه الحقَّه الإماميّه الأثنى عشريه هى الرائِده بين المذاهب الأخرى التى انحرفت عن خط مدرسه أهل البيت (عليهم السلام).

وسبب تشرذم هذهِ الفرق الإسلاميّه – غير الفرقه الإماميه الاثنى عشريه – من خوارج ومُجَبِّره ومجسمه ومرجئه وقدريه و... الخ بل وحتَّى

الفرق التى انشقَّت عن مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) هو أنَّهم نظروا إلى جانِب فى الدين وجهلوا وغفلوا جوانب، بينما الدين فى الواقع وحده واحِدَه لا تتبعَّض، وهذا ما يؤكِّد عليه القرآن الكريم من أنَّ القرآن والدين وحده نظام واحِدَه مَن لم يحافظ عليها سوف يؤول أمره إلى التبعثر والتشتت فى أمر هذا الدين.

وحَذَّر القرآن من خطوره هذا التفكيك والتبعض فى الدين اَلَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ١.

ولربما تسأل وتقول: مَن الذى يستطيع أنْ يُتَسِقَ ويجعل القرآن والدين نظاماً واحداً؟

الجواب: هم أهل البيت (عليهم السلام) ويؤيده ما رواه العياشى فى تفسيره عن مسعده بن صدقه، قال: - قال أبو عبدالله (عليه السلام)

«إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكتب، عليها يستدير محكم القرآن وبها نَوَّهتُ الكتب ويستبين الإيمان»(١).

والمراد بقطب القرآن يعنى المحور المركزى إذْ لولا ولايه الأئمه (عليهم السلام) لساخت الأرض بأهلها لأنَّ غير أئمه أهل البيت (عليهم السلام) لا يمتلك القدره على اكتشاف وحده النظم والتنسيق لذا يكون عنده القرآن يضرب بعضه بعضاً؛ لذا تكثَّرت الفرق منها: - الجبريه والقدريه والمرجئه و... الخ.

بعد وضوح أنَّ القرآن الكريم من أهم الكتب السماويه وخاتمها وقطبه المركزى هم النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام)، بل حتَّى وحده النظام فى باقى الكتب

١- (٢) تفسير العياشى ج ١، ص ٧٨.

السماویه الأخری کالتوراه یکتشفها النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) لا النبی موسی (علیه السلام).

المعلم الأجدر للتوراه وباقی الکتب السماویه هو النبی (صلی الله علیه و آله) وأوصیاؤه.

ویؤکِّد هذا المعنی ما قاله أمیر المؤمنین (ع

)«أمَّا والله لو ثنیت لی الوساده لعلمت وحکمت بین أهل التوراه بالتوراه و... الخ»(۱). وهکذا الإنجیل وباقی الکتب السماویه الأُخری.

والخلاصه: أنَّ النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) وأهلَ بیته (علیهم السلام) هم أحفظ لکتب الله تعالی من غیرهم من أنبیاء الله الذین بعثوا بتلک الکتب؛ لأنَّ القرآن مهیمن علی تلک الکتب، ومن الطبیعی الذی یعلم بالمهیمن بعلم أکثر من صاحب المهیمَن علیه.

وهناک ثمره تترتب علی هذا: - وهی أنَّ التأکید علی أنَّ ولایتنا أهل البیت قطب القرآن، إشاره إلی أمومه ولایه أهل البیت وأمومه المحکمات علی غیرها من الآیات، هو أنَّ مَنْ لم یلتفت إلی ما عند أهل البیت من علوم وقواعد لا یستطیع أنْ یؤلِّف القرآن وحده نظامیَّه واحده، فلا محاله یقع فی ورطه جعل القرآن عضین، کما وقع فی ذلک الیهود أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْکِتابِ وَ تَکْفُرُونَ بِبَعْضٍ۲.

مضافاً إلی ما ذکرته الزهراء (علیها السلام) فی ذیل خطبتها

«إمامتنا نظاماً للمله علیها یستدیر محکم القرآن» الذی أشار له القرآن الکریم فی سوره آل عمران هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ وَ ما یَعْلَمُ

۱- (۱) بحار الأنوار ج ۴۰ ص ۱۳۵.

تَأْوِيلِهِ١.

وهنا القرآن الكريم أسس قاعده هامّه وهى «إنَّ أصل قطب المتشابه يرجع إلى المحكمات».

والذى يَعْلَمُ تأويله هو الله والراسخون فى العلم، ويذكر المفسرون بعد الرجوع إلى أحاديث النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته أنَّ الراسخون فى العلم بعد الله عَزَّ وَجَلَّ هى ولايه وإمامه أهل البيت (عليهم السلام) التى يستدير عليها محكم القرآن.

ومن كل هذا يُعْلَم: - أنَّ محكم القرآن له أمومه ومرجعيه للمتشابهات.

ص:٧١

المبحث الثالث: مقارنه بين فقه الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وبين فقه المذاهب الأربعه فى فقه الفروع وغيره

لو قارنا بين ما أسسه ومنهجه الإمام الصادق (عليه السلام) وآبائه وأبنائه - عليهم أفضل الصلاه والسلام - فى فقه الفروع مثلاً وبين ما أسَّسته المذاهب الإسلاميه الأربعه لتراءا لنا بالنظره السطحيه أنَّ هناك فى معظم المواضيع، ولعلَّ المتتبع فى هذا المجال يعطى نسبه الوفاق بينهما بحدود ٨٠٪ كنسبه تقريبيه واختلاف بنسبه ٢٠٪ فى تفاصيل فرعيه فى أصول القواعد وهذه مُبتنيه على أسس غيبيّه وأُسس الكلام ليسَ فى العدد الكمى وإنَّما أُسس مكاشفيه؛ لذا لا تستلزم وجود أعداد ضخمه من الفوارق، والكلام فى الأسس ليسَ من جهه العدد بقدر ما هو فارق كيفى عميق فإنَّ ٢٠٪ من الاختلاف، وإنْ كان من حيث العدد ٢٠٪ إلّا أنَّ هذهِ الكميّه حيث كانت فى الأسس لا فى مجرد التفاصيل، كان الاختلاف كبيراً جداً، إذْ الاختلاف فى التفاصيل البعيده هيِّن بالقياس إلى الاختلاف كبيرٌ كيفاً، بلْ وكثير كمّاً أيضاً بلحاظ ما يرتتب عليه من فروع كثيره متخالفه.

إذنْ المدار ليسَ على عدد الاختلاف من جهه الكم بلْ المدار على النوعيه الكيفيه فى ما هو أساس الموجب للاختلاف فى المسار من البدايات. ليس فى العدد الكمى وإنَّما أسس مكاشفيه لذا لا تستلزم وجود أعداد ضخمه جداً من الفوارق.

فمثلاً هناك فرق شاسع وعميق بين ما تقوله المذاهب الإسلاميّه عن

أنس بن مالك عن رسول الله (صلى الله عليه و آله)، قال:

«إذا مَرَرْتَ ببلدٍ ليسَ فيها سلطان فلا تدخلها إنَّما السلطان ظل الله فى الأرض»(۱).

وبين ما تقوله الإماميّه

«كلمه حق عند سلطان جائر»(۲).

فالفرق بين المسيرين المسير السلطوى البلاطى وبين مسير معارضٍ مصحح للخطأ واضحٌ عميق بينهما.

فإنَّ مدرسه أهل البيت ونظامها الجعفرى - نسبه إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) - لا يمكن لأى نظام فى الكون أنْ يخترقها لأنَّ إعجازها إعجاز وحيانى إلهى يعجز الآخرون عن الإتيان بمثله فى مختلف علوم المنظومه المعرفيه من فقه وعقائد وتفسير وحديث و... الخ، فإذا استطعنا أنْ نشخِّصها عند أهل البيت نكون فى وقايه وحمايه.

وهذا ما يُميِّز ولايه وأمومه المحكمات من غيرها.

۱- (۱) السنن الكبرى للبيهقى ۱۶/۸؛ أمالى الطوسى.

۲- (۲) سنن الترمذى ج ۸ ص ۳۴۵.

المبحث الرابع: الأدله والبراهين على قيمومه أهل البيت (عليهم السلام) فى تعليم القرآن

اشاره

وفيه:

تنبيه: الأدله التى سنذكرها ليست فقط أدله على ضروره أخذ أصول التفسير ومنهاجه من أهل البيت (عليهم السلام)، بل هى بنفسها قواعد ومناهج التفسير عند أهل البيت (عليهم السلام)، كما وأنَّ هذهِ الأدله مرتبطه بنظام الحجج وأنَّ القرآن حجةٌ من الله عَزَّ وَجَلَّ وأنَّ الرسول (صلى الله عليه و آله) وعترته الطاهره هم حجج من الله على البرايا، وأيضاً الحجه هو العقل البشرى، ومقصودنا من نظام الحجج هو التنسيق ووحده التأليف بين هذهِ الأمور المتكثره والمتشتته.

الدليل الأوَّل: البرهان التأريخى الحضارى العلمى:

اشاره

لا يخفى على الأخوه الباحثين فى العلوم والمعارف الدينيه بل وغيرها من الفنون الأُخرى ذات الصِلَه أهميه علم التفسير ومتابعه نتائج المفسرين عند القدماء وعند متأخرى المفسرين، بل والمعاصرين - رحم الله الماضين وحفظ الباقين - والأهم فى الوقوف عليه والالتفات إلى ما أشار إليه أئمه أهل البيت (عليهم السلام) ونبَّهوا عليه فى أصول وقواعد التفسير وغيره من العلوم الأُخرى، بسبب أنَّهم معصومون وأرادوا تأسيس قواعد فسوف تكون تلك القواعد وحيانيه لا يرد عليها الإشكال بخلاف ما لو كان المؤسس للقاعده الفقهاء والمجتهدين وبالتالى يكون إنتاج بشرى يأتى عليه ما يأتى.

وربما يخوض الكثير من مفسرى العامه والخاصه فى قواعد علم التفسير ومنهاجه، ولكن وللأسف القليل منهم بل هذا من مفسرى الخاصه مَنْ يغور عُمْقاً وبحثاً عن الأصول والقواعد التى يشير إليها أئمه أهل البيت (عليهم السلام) بنحو خاص وبطريقه معينه تختلف عن القواعد الثابته والسائده لدى عموم المفسرين كما سيتضح من خلال البحوث الآتيه، مِن أنَّ الذى يُنبه عليه أهل البيت (عليهم السلام) له أدلته ومبرراته الكثيره جداً.

وإذا غُرْنا فى هذا البحث أكثر نجد عندما نقرأ سيره الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) إنَّ الفتره التى عاشها (عليه السلام) فترةً علميه وليست سطحيةً وتأريخيه.

فقد نقل الطبرى(١) وكذا الكشى فى رجاله(٢) عن أحد المخبرين السريين للخليفه هارون الرشيد الذى نقل له تقريراً معيناً عن وضع الشيعه آنذاك وأنَّ اتباع الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) هم ثمانٍ فرِق منها: -

١ - الزراريه: أتباع زراره بن أعين(٣).

٢ - وعماريّه: إتباع عمار الساباطى(٤).

٣ - بصيريه: أتباع أبو بصير(٥).

١- (١) تاريخ الطبرى، تاريخ هارون الرشيد.

٢- (٢) رجال الكشى.

٣- (٣) وهو أحد أبرز فقهاء الإماميه فى زمان الإمام الصادق (عليه السلام) وله مناظرات ومواقف علميه مُثبَّته اعترف بها العامه ويذكرونه، وجابر بن يزيد الجعفى وغيرهما من أتباع أهل البيت (عليهم السلام) شموخ واحترام ووقار بغض النظر عما يوجه إليهما من الانتقادات من ناحيه الانتماء العقيدى.

٤- (٤) عمار الساباطى: من أصحاب الصادق (عليه السلام) والكاظم (عليه السلام) وهو ثقه.

٥- (٥) يحيى بن القاسم أبو بصير الأسدى وهو من الثقاه، روى عن الباقر والصادق.

۴ – وهشاميه: أتباع هشام بن الحكم(۱).

على عـدد بيوت المرجعيه والفقـاهه والعلم، فكـل واحـد من هؤلاء كان مرجعاً فى علم من العلوم، فهشام كان مرجعاً فى العقيـده والكلام، وزراره مرجعاً فى الفقه وكذا محمد بن مسلم... الخ.

وعليه إذا لاحظنا هـذا الازدهار والنجوميه لفقهاء ورواه ومتكلمى ومفكرى ومفسـرى الشـيعه فى سـماء العلم، وهذا التعدد لهؤلاء العلمـاء والمرجعيـات التى خرّجها الإمام الصادق (عليه السـلام) فى جميع المجالات أتباع الإمام جعفر الصادق (عليه السـلام) فى جميع العلوم واختلاـف المجالات ومع ذلك لم يحـدث أى تشـتت وتشـرذم لمـذهب أهل البيت (عليهم السـلام)، ولم تَضَع ولم تندرس معالم وهويه المذهب والطائفه الحقه.

إلفات نظر:

حتَّى أنَّ كثير من علماء مفسـرى وفقها ومتكلمى العامه بمختلف مذاهبهم يسـتنجدون علمياً بعلماء وشخصيات علميه شيعيه، فهذا ابن أبى ليلى تلميذ أبى حنيفه كان يستنجد علمياً بمحمد بن مسلم وهذا مُوثَّقٌ.

وهكذا الحكم بن عتبه الذى كان أُسـتاذ زراره بن أعين قبل اسـتبصاره – زراره – وبعد اسـتبصار زراره وأصـبح من أتباع مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) أُجريت مناظرات مسجله بين زراره وأُستاذه الحكم بن عتبه.

۱– (۱) هشـام بن الحكم من أصـحاب الإمـام الصادق (عليه السـلام) وهـذا صـدر الإمام الكاظم (عليه السـلام) ثقه وله مناظرات كثيره مع المخالفين وكان من فتق الكلام فى الإماميه.

وكانت علماء العامه تجلّ زراره كثيراً وتوقّره لوطئته العلميه، رغم انتقادهم له بالانتماء العقيدى المخالف لهم، ومصادرهم زاخره بذلك.

بينما إذا لاحظنا الطرف الآخر - المذاهب الأربعه - وقارناها بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) فنجد أنَّ لكل من الأُستاذ والتلميذ مذهباً، كما فى مالك وأبى حنيفه، وكذا ابن حنبل والشافعى أيضاً بينهما تمذهب، وإنَّ مالك وابن حنبل تتلمذا على يد الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، فضلاً عن التمذهب بين الأقران، لاحظ - النخعى الثورى له مذهب فقهى وسفيان بن عيينه له مذهب آخر، وسفيان الثورى له ثالث، والحكم بن عتبه رابع وهكذا.

لذا يذكر لنا التأريخ الموثوق به أنَّ مذاهب الفقه والفروع عند أهل السُّنه فى القرن الثانى والثالث بلغت العشرات، وليس مذهباً واحداً حصر المذاهب الأربعه.

وهنا تأتى حاجه المذاهب الأُخرى لسد باب الاجتهاد لتنقذهم من التشرذم والتشتت المذهبى فى فقه الفروع والعقائد والتفسير... الخ.

علماً أنَّ هذا التشرذم والتمذهب حصل بين بعضهم البعض فى زمن مُؤسسى هذهِ المذاهب وهم لا زالوا على قيد الحياه ولم تتمادَ بهم القرون.

سؤال علمى صناعىٌّ: لماذا فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) مهما تفرعت وتكثرت قممه العلميه فى مختلف العلوم ومع ذلك باب الاجتهاد مفتوح ولا تجد تَمُرّداً ولا تشرذماً، وإنَّما تجد وحده متماسكه؟

الجواب: إنَّ الأصول التى ثبتها أئمه أهل البيت (عليهم السلام) هى أصول لها

منظومه خاصه أصولٌ وحدويه بينها إلفه ووحده، وهذه الوحده ليست نفسيه فقط، بل وحده فكريه وعلميه ومنهجيه، إذا سار عليها الإنسان الناشد للوحده تخلص من التمزق والتبعثر والتشتت.

ومن الشواهد على ذلك: -

ما قالته الزهراء (عليها السلام):

«... وجعل إمامتنا نظاماً للمله» والمراد من النظام هو الوحده والتطابق.

ولذا نجد بعض الفرق المرتبطه بالشيعه كالزيديه والإسماعيليه والفطحيه... الخ لمّا انقطعت سلسله الأئمه (عليهم السلام) عندهم وقَدَّموا مَن ليس بإمام وليس بمعصوم ولم يسيروا على الأصول الحقّه التى أسسها وجذرها أهل البيت (عليهم السلام) نجد أنَّهم تشرذموا وضاعت هويتهم واختلفت وتغيّرت عقيدتهم ومذهبهم؛ ولذا أصبح بعضهم على المذهب الحنفى والآخر المالكى وثالث الشافعى ورابع الحنبلى... الخ.

ومن الواضح لا يوجد توافق بين المذهب الحنفى ومدرسه أهل البيت (عليهم السلام).

فمثلاً: الزيديه أحد الفرق المرتبطه بالشيعه والذين يقرون بإمامه أربعه من الأئمه (عليهم السلام) ١ - أمير المؤمنين (عليه السلام). ٢ - الحسن بن على (عليه السلام). ٣ - الحسين بن على (عليه السلام). ۴ - على بن الحسين (عليه السلام). ثم ينعطفون إلى القول بإمامه زيد بن على، ويحيى بن زيد... الخ تجد فقههم الآن فقه حنفى، ومن المعلوم أنَّ الفقه الحنفى لا يتوافق مع الفقه الإمامى، وإنْ كان هناك تشابه بنسبه عاليه واختلاف بنسبه قليله، إلّا أنَّ هذهِ النسبه القليله المختلف فيها

هی من الأـصول، أی اختلاف فی أصول الفروع، وعلیه لا یتلاءم ولا یتفق الفقه الحنفی مع ما عنـد الشـیعه الإمام الأثنی عشـر من نهج البلاغه والصحیفه السجادیه... الخ.

لـذا نجد هؤلاء - الزیدیه - أیضاً تشـرذموا کالمذاهب الأربعه؛ لأنَّهم لم یسـیروا علی المنهج الذی جَذّره أئمه أهل البیت (علیهم السلام).

بخلاف الذی سار علی نهجهم (علیهم السـلام) واتّبعهم فنجد کُلَّ إمام یزیدک ارتباطاً بالإمام السابق علیه واللاحق له، وهذا إنَّما یَدُلُّ علی برهان علمی علی إمامه وعِصْمه الأئمه (علیهم السلام) الذین نعتقد بإمامتهم علیهم أفضل الصلاه والسلام.

ونفس هذا المعنی فی وَحْده المنظومه یأتی عند الکلام عن الأنبیاء والمرسلین، فأنَّهم وَحْدَهٌ واحِده یُصَدِّقُ بعضُهم بعضاً وَ إِذْ قالَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ یا بَنِی إِسْرائِیلَ إِنِّی رَسُولُ اللّهِ إِلَیْکُمْ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْراهِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اسْمُهُ أَحْمَدُ۱.

ویَقِرُّ بمن قبله؛ لأنَّ المنبع واحِدٌ والأساس الموحِی لهم واحد:

لا نُفَرِّقُ بَیْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ۲.

الدلیل الثانی: القرآن کتاب غیبی سماوی:

اشاره

بعـدما تقدم فی الدلیل الأوَّل علی قیمومه أهل البیت فی بناءً ورسم أصول التفسـیر عبر التأریخ الحضاری والعلمی الذی أثبت أنَّ الأصول المعرفیه - لا سـیما التفسـیریه - وضـعت بیـد أهل البیت (علیهم السـلام) ولولا وضـعهم لها بیـدهم لاسـتلزم ذلک تمزق ونشوء فرق کما حدث فی فقه الفروع وکذا فی

فقه العقائد والتفسير... الخ.

وسدُّ باب الاجتهاد عند المذاهب الإسلاميّه غير مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) والسبب فى ذلك واضحٌ.

هو أنَّ الأئمه (عليهم السلام) أسسوا لتلك العلوم جوامع وأسس تُدار عليها وحده النظام.

ونذكر فى هذا الدليل: أنَّ القرآن كتاب إلهى فيحتاج إلى مُعلِّم إلهى أيضاً.

وقدْ أشار أهل البيت (عليهم السلام) فى الروايات الوارده عنهم بطريق معتبر أنَّه من الخطأ الذى وقع فيه المفسرون من الفقهاء والمجتهدين أنَّهم نظروا إلى كلام الله نظره تشبيه ومماثله إلى كلام البشر، علماً أنَّ أصول التفسير لكلام الله تعالى تختلف عن أصول استظهار كلام البشر، فإنَّ فعل الله وكلام الله لا يُقاس بفعل وكلام البشر ولا تشابه بينهما.

إنْ قلت: بناءاً على هذا - أى عدم مقايسه ومشابهه كلام الله بكلام البشر - يلزم أنْ تكون هناك قطيعه مطلقه بين كلام الله وكلام البشر، فكيف يفهم البشر كلام الله والحال أنَّه فى جمله من الآيات القرآنيه وصفت كلام الله بأنه بلسان عربى مبين وبيان للناس وعليه يلزم تعميه وإجمال وتلغيز القرآن الكريم، وهذا لا يتلاءم مع مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) أمر بين أمرين لا تعطيل للقرآن ولا تفويض.

قلتُ: صحيح الروايات ذكرتْ وركَّزتْ على هذا الاستدلال والبرهان - من أنَّ أصول تفسير كلام الله يختلف عن أصول تفسير كلام

البشر، إلّا أنَّه لا يلزم هذا المحذور - أى تعطيل القرآن وتجميده وحجبه عن العقول وإفاده واستفاده البشر - وإنَّما القرآن مُفعَل وحجه فعليّه فى هذا الزمان وكل الأزمان على البشر، إلّا أنَّ هذهِ الحجه المفعله ليست مفوضٌ سكان إدارتها إلى البشر بنحو مطلق.

الخلاصه من هذا: إنَّ البشر ليسوا محرومين من الاستفاده من هذهِ الحجه القاهره وهو القرآن الكريم، وليسوا هم بمنأى عنه ولا توجد فجوه بينهما، ولكن فى نفس الوقت قياده هذا النظام وهذه الظاهره الإلهيّه ليست بيد البشر تماماً، بل الأمر هو بين أمرين.

ونتعرض إلى ذكر أمور:

١ - هل المعتبر فى حجيّه الروايه سَندُها أم برهانيّه المضمون:

رُبَّ قائل يقول: إنَّ الروايات الوارده عن أهل البيت (عليهم السلام) فى المعارف والتفسير و... الخ ليست صحيحةً سنداً ولا موثقه، رُبَّما تكون ضعيفه أو مرسله، وبالتالى لا يمكن الركون إليها فماذا نصنع؟

الجواب: هناك نقطه أساسيّه نعتمدها فى المقام هى: برهانيه المضمون سواء صحَّ السند أو لا؛ لأنَّ التغذيه التعليميه من أهل البيت (عليهم السلام) أرفع من التغذى بمعنى المتابعه - أى متابعه الطاعه - وإنْ كان هذا إتباع لهم شريفٌ ومقدس، خاصه إذا كان إتباعهم عن بصيره وعلم فهذا مستوى أرفع فى الإتباع.

وهذا ما يصطلح عليه بالحجيه البيانيّه، وحجيه العلم هى أرفع من الحجيّه التعبديه.

وعليه لأجل التعرف على منهج أهل البيت (عليهم السلام) فى التفسير عن طريق الروايات الوارده عنهم:

أولاً: يجب أنْ لا يكون أسارى الحجيه التعبديه بحيث يكون ضعف السند عائقاً أمامنا فى التدبر فى كلمات أهل البيت (عليهم السلام) فيما يتعلق بتفسير القرآن الكريم وتبيان آياته، فإنَّه مَرَّ أنَّ مضامين القرآن تختلف عن مضامين كلام البشر وتبيانها.

ثانياً: ينبغى أنْ يختلف فى مسالك حجيته من حيث الأخذ به وعدمه عن مسالك التعامل البشرى أو العقلائى فيما بينهم، فإنَّ حجيه القرآن ذاتيه، وهذا معناه إنَّه لم يكن خاضعاً لضعف السند وعدمه فى لزوم التصديق به، وإنَّما كانت نفس مضامينه بما انطوت عليه من قدرات بيانيّه وعلوم عاليه هى المُسوِّغ فى الأخذ به والاعتقاد بصدقه وإعجازه.

ثالثاً: ينبغى أنْ يكون الحال فى الأخذ بكلام أئمه أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم عِدْل القرآن، والالتفات إلى مضامين كلامهم (عليهم السلام) فى هذا الجانب وما تنطوى عليه قدراتهم البيانيه، وعلومهم التفسيريه العاليه تكشف عن الإحاطه التامَّه بعلوم القرآن الكريم.

ومن خلال هذا كله يتضح أنَّه نأخذ بكلامهم (عليهم السلام) بغض النظر عن كون السند صحيحاً معتبراً أو كان ضعيفاً، وهذا ما يمكن أنْ نصطلح عليه: - بالحجيه البيانيه، التى هى أرفع من الحجيه التعبديه فإنَّ مناط الأخذ بالقرآن الكريم والإذعان بإعجازه كان مُستنِداً إلى الحجيه المذكوره دون الحجيه التعبديه، كما لا يخفى.

وهـذا بالتالى تكون له ثمره مهمه جـداً لنا فى البحث التفسيرى بل والبحث المعرفى العقائدى، ألا وهى النظره إلى التراث النقلى للآيات والروايات نظره استنطاق بيانى علمى.

إنْ قلت: بنـاءاً على أنَّ القرآن كتـاب سـماوى ويحتـاج إلى معلم إلهى أيضاً يـدعى البعض من المـدارس الإسـلاميه بل حتَّى من بعض المناهج المنتسـبه لأهل البيت (عليهم السلام) بأنْ تكون النتيجه المتوخاه هى تعطيل القرآن وحجم العقول عنه عندما يُقال: - أهل البيت هم القيّمون على تعليم القرآن وبيانه.

قلت: كلا لا يلزم المحـذور، فإنَّ الإيمان بالقرآن وحجيته ليس بمعطل بل مُفعَل وحجه فى هذا الزمان وكل زمان على البشـر، إلّا أنَّ هذهِ الحجه ليست مفوضه إدارتها إلى البشر بنحو مطلق، ولا يعنى هذا أنَّ البشر محرومون من تلك الإداره بالمرَّه، ولا مفوض إليهم إدارتها بيدهم تماماً، بل الأمر بين أمرين.

وسـيأتى فى محله - إنْ شـاء الله تعـالى - بيان المعيه والعلاقه بين الثقلين كتاب الله والسُّنه الشـريفه، أى سـنه المعصومين المتمثله بالنبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته.

وعليه لاـ يفهم من القول: كتـاب الله يختلف عن كتـاب البشـر - القطيعه بين البشـر وبين كتـاب الله، وهـذا كما مَرَّ تعطيل للكتاب وعدم استفاده البشر منه.

مضافـاً إلى أنَّ القرآن ليس كتابـاً يسـتطيع فقيه أو مُفسِّر ينفرد ببيـانه عن الرسول (صـلى الله عليه و آله) والعتره الطاهره أهل بيته، وهذه المعيه - كما سيأتى - هى أحد الخرائط التى ترسم لنا العلاقه بين الثقلين، ولا يمكن الاكتفاء والاستغناء

بأحدهما دون الآخر، لا حسبنا كتاب الله فقط، ولا حسبنا السنه الشريفه، بل لابدَّ منهما معاً.

إذنْ القرآن كتاب الله يتناوله ويتعاطاه البشر ولكن بشرط أنْ يكون له معلم خاص مُعَلِم إلهى.

٢ – الروايات الداله على احتياج القرآن إلى معلم إلهى:

هناك روايات دلَّت على المعلم الخاص فى وصف الكتاب الكريم والمتواتر بين الفريقين كثيره منها: –

أولاً: قوله (صلى الله عليه و آله):

«إنِّى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى لن يفترق حتَّى يردا علىَّ الحوض...»(١).

ثانياً:

«كتاب الله حَبْلٌ ممدود من السماء إلى الأرض طرفٌ منه عند الناس فى الأرض وطرف عند الله»(٢).

ثالثاً: قوله (عليه السلام):

«إياك أنْ تُفسِّر القرآن برأيك حتَّى تفقهه عن العلماء»(٣). يعنى بالعلم اللدنى أى الربانيين.

رابعاً: قوله (صلى الله عليه و آله):

«على مع القرآن والقرآن مع على، لن يفترقنا حتّى يردا علىَّ الحوض» أو القرآن مع أهل البيت(٤).

١– (١) الطبرى فى ذخائر العقبى ص ١٦ / والدارمى فى سننه ج ٢ ص ٤٣٢ والنسائى فى خصائصه ص ٣٠.

٢– (٢) مسند أحمد ج ٢٢ ص ٣٢٤.

٣– (٣) غرر الحكم.

٤– (٤) الحاكم فى المستدرك ج ١٢٤/٣، والحموينى فى فرائد السمطين ج ١٧٧/١ مع تفاوت يسير؛ والخوارزمى فى المناقب، ص ١١٠، ط الحيدريه؛ والكنجى الشافعى فى كفايه الطالب، ص ٢٥٣ ط الغربى؛ وابن حجر فى الصواعق، ص ٧٤؛ والذهبى فى تلخيص المستدرك ح ١٢٤/٣، بهامش المستدرك؛ والمتقى الهندى فى منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد، ج ٣١/٥.

خامساً: أم سلمه قالت، قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى مرضه الذى قُبض فيه وقد امتلأت الحجره من أصحابه:

«أيُّها الناس يوشك أنْ أقبض قبضاً سريعاً فيُنطلق بى، وقد قَدَّمتُ إليكم القول معذرهً إليكم، ألا إنى مخلفٌ فيكم كتاب ربى عَزَّ وَجَلَّ وعترتى أهل بيتى، ثم أخذ بيد على فرفعها، فقال: هذا على مع القرآن، والقرآن مع على، لا يفترقان حتّى يردا علىَّ الحوض، فأسلدهما ما خلّفتُ فيهماأيُّها»(۱).

وعليه فالطرف الذى عند الله عَزَّ وَجَلَّ ليس عند الناس، ولهذا فلابدَّ أنْ يكون هناك مُعلِّمٌ إلهى يستطيع أنْ يَصْرف ما عند الله حتَّى يوصله إلينا؛ لأنَّ الحبل له طرفان وليس له طرف وحد، إذْ لو كان طرفاً واحداً لكان هذا الجعل مقطوعٌ عن الطرف الآخر، أى لو كان عند الناس وهو أحادى الطرف لكان مقطوع الصله بالله، وإذا كان عند الله فقط ولم يُنصِب تعالى عليه مُعلِماً يوصله ويبينه إلينا فإنَّه لا فائده فيه والله تعالى مُنزه عن اللغويه والعبثيه(۲).

والمعلم الذى نصبهُ الله تعالى من خلال ما وَرَدَ فى الروايات المعارف:

۱- (۱) الصواعق المحرقه، ص ۷۵، الميمنيه الرودانى فى جمع الفوائد، ح ۳۳۲/۲.

۲- (۲) هناك حديث عن الإمام الرضا (عليه السلام) ينبه المأمون أو الهارون العباسى ما مضمونه: «ما الدليل على أنَّ السماء لا زالت مرتبطه بالأرض بعد رسول الله... الخ»، وهكذا الروايات الداله على أنَّ المؤمن ينظر بنور الله، فإذا ازداد المؤمن إيماناً يزداد نوراً وفهمه النور.

العقائد والتفسير و... الخ هو النبى (صلى الله عليه و آله) وأهلُ بيته (عليهم السلام).

فإذا كنّا نستقى ونأخذ أصول التفسير من المعلم الأوَّل وهو النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام). فلم يُؤاخذ علينا وعلى هذا المعتقد الحق من تعطيل للكتاب، بل هو تفعيلٌ للكتاب بكل درجاته لطرفى الحبل الذى عند الله وعند الناس.

ومن هذا كله: يتضح أنَّ المعلم الثانى يعنى الإحاطه بمعادلات الظاهر لذلك تكرر هذا المعنى كثيراً فى بيانات أهل البيت (عليهم السلام) من أنَّهم (عليهم السلام) عندهم علم خصوص وعموم القرآن، وتنزيل القرآن وأين نزل فى ليل أم نهار، وفى أى واقعه وأى مشهد، وهم (عليهم السلام) الوحيدون الذين جمعوا تنزيل القرآن ولا يستطيع مُدَّع أنْ يدعى بأنه يحيط بتنزيل الكتاب كأهل البيت (عليهم السلام) على كافه الأصعده والعلوم سواءاً النحويه أو البلاغيه أو الصرفيه أو اللغويه أو... الخ.

إذْ لا يستطيع عالمٌ من علماء هذهِ الفنون والعلوم وغيرها بأنَّ يدعى أنَّه وقف واستقصى كل المعادلات اللفظيه التى تتصل بمسأله أو قاعده نحويه أو صرفيه أو بلاغيه أو لغويه أو... الخ.

والشاهد على ذلك ما نراه من نقض بعض العلماء على البعض الآخر من هذهِ العلوم وغيرها والسجال مفتوح بالنقض بآيات الكتاب الأُخرى التى غفل عنها الآخر، وهذا معناه: أنَّ النظام القرآنى يُشكّل مجموعه أنظمه من علوم شتى لها ارتباط وثيق فيما بينها كالنحو والصرف والبلاغه واللغه والتفسير... الخ ولم تكتشف جميع قواعد كل فنٍ فن فى القرآن وإنَّما لا زال

علماء النحو يوماً بعد يوم يكتشفون القاعده تلو القاعده والتركيبه تلو التركيبه وهكذا التراكيب البلاغيه والقواعد الصرفيه والتفسيريه... الخ. لعدم التفاتهم إلى ما موجود من نكات فى الآيات.

والشاهد على ذلك: - مثلاً الذكر الوارده فى قوله تعالى: وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِى لَهُ إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ١.

فما المراد من كلمه الذكر؟

الذكر له تفعيله معينه فى الصرف وله رسم مُعيَّن، إلّا أنَّه ليس بخطاب ولا شعر ولا مغالطه ولا برهان ولا بلغو؛ لأنَّ الحق يقول: وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ٢. ولا لهو؛ لأنَّ الحق يقول: مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ٣.

ما المراد من الذكر؟

الجواب: إلى يومنا هذا لم تكتشف البشريه وبعد مرور أكثر من أربعه شعر قرناً - عرباً أو غيرهم - وبالأخص المتخصصين منهم بقواعد اللغه العربيه المعنى المراد من كلمه الذكر فى الآيه المباركه، وكذا لم يكتشِف المتخصصون أنَّ نظام الذكر لحد الآن وأنَّه مندرج تحت أى نظام والذى أشار له القرآن الكريم وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ٤. ولم يكتشفوا كُلَّ مدارجُ وزوايا القرآن الظاهره، بل عجز البشر عن الهيمنه والإحاطه

بـالقرآن، بعـدما عكفت المؤسـسات والـدوائر التخصصـيه والكوادر العلميه من أقصـى الشـرق إلى أقصـى الغرب فى كـل أرجاء المعموره وبجهود مُضنيه إلى أنْ يتوصلوا إلى معرفه كل ظاهره لم يتمكنوا من ذلك.

نعم اكتشفوا الكثير من المناهج العلميه فى القرآن مثلاً:

١ - أسلوب القرآن النفس.

٢ - أسلوب القرآن الأمنى.

٣ - أسلوب القرآن الاقتصادى.

٤ - أسلوب القرآن السياسى.

٥ - أسلوب القرآن الاجتماعى.

٦ - أسلوب القرآن الأسرى.

٧ - أسلوب القرآن التكنولوجى.

٨ - أسلوب القرآن التنموى... الخ.

وإنْ لم يكن هؤلاء مصدقين ومعتقدين بالقرآن، إلّا أنَّهم ينظرون إلى القرآن كأنَّه بحرٌ يجنون ويسـتخرجون منه اللئالئ، ومع كل ذلك لم يستطيعوا الوصول إلى إدراك كل أبعاد القرآن.

وهذا الذى نريد أنْ نتوصل إليه من خلال كل ما تقدم: أنَّ القرآن كتابٌ إلهى يعجز البشر عن إدراك كل حقائقه.

ولـذا مهما حاول الغربيون وغيرهم ممن لم يعتقد بالقرآن، رغم أنَّهم يعترفون بأنَّ القرآن فيه مناهج علميه غير متناهيه وعلى كافه الأصعده، نشر طبعات مُحَرَّفه تُباع فى المكتبات سواء فى أفريقيا أو

أوروبا أو... الخ.

كى يتلاعبوا بألفاظ القرآن بإضافه أو حذف بعض الكلمات، إلّا أنَّه لم يتمكنوا من ذلك؛ لأنَّه تعالى قال:

«إنَّا أنزلنا الذكر ونحن له حافظون» أى حافظون له من كل ما يحاول إليه البعض من أصحاب النفوس المريضه والأقلام المأجوره من التلاعب والتحريف، علماً أنَّهم قاموا بطبع كميات كبيره من نسخ القرآن المحرَّف والمتلاعب بآياته وطرحها فى الأسواق وبأسعار زهيده.

هذا أيضا من إعجازات القرآن الكريم لكى يتوافد عليه الناس ويطلعوا على ما فيه من حقائق أبديه خالده.

هذا مضافاً إلى أنَّه مهما تطوَّرت البحوث الكمبيوتريه والانترنت تعتمد على نظام مُعيَّن يرسمه البشر فهى عاجزه عن إدراك سِرِّ النظام الرياضى الذى اعتمده القرآن الكريم فى المعادلات العدديه لسور القرآن وآياته.

ولماذا هذا الترتيب فى النزول؟ ولماذا كل سوره لها عدد مُعيَّن من الأرقام؟ وأنَّ هذا العدد يرمز إلى أى نحو من التأثير، وأنَّ هناك تأثيرات عجيبه وغريبه فى ذلك فإنَّها تؤثر حتَّى على الظواهر الفيزيائيه والكيمائيه الكونيه والأحياء فضلاً عن علوم جمه لم تكتشف إلى حد الآن.

ولذا وَرَدَ فى روايه عن الإمام الباقر (عليه السلام): أنَّه (عليه السلام) سألوه عن الصمد، فقال تفسيره فيه الصمد خمسه أحرف... ثم قال (عليه السلام) لو وجدت لعلمى الذى آتانى الله عَزَّ وَجَلَّ حكمةً لنشرتُ التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد، وكيف لى بذلك ولم يجد جدى أمير المؤمنين (عليه السلام) حملةً لعلمه حتّى كان يتنفس الصُعَداء، ويقول على المِنْبَر:

«سلونی قبل أنْ تفقدونی فإنَّ بین الجوانح منِّی علماً جمَاً..»(۱) إنَّ من هذهِ اللفظه الواحده یستطیع المعصوم (علیه السلام) أنَّ یستخرج قواعد الدین کُلِّه... الخ.

۳ – ما هو السرُّ فی عدم اند ثار اللغه العربیه:

السرُّ فی بقاء ودیمومه اللغه العربیه وحفاظها علی مفرداتها وثراءها العلمی دون باقی اللغات هو القرآن الکریم فهو الحافظ والمبقی لحیویتها دون العکس – أی لیست اللغه العربیه هی الحافظه للقرآن –

ومن أجل هذا الفرق أنَّه إذا کانت هناک أسرار عجیبه وقواعد متینه فی اللغه العربیه ولا زال العلماء سواء النحو أو الصرف أو البلاغه أو اللغه أو... الخ یکتشفون قواعد جدیده وأسالیب وتراکیب متینه فضلاً عن عدم اکتشاف جمله من القواعد للبرهان وللمغالطه وللخطابه ذلک راجع إلی الاستمداد من النظام الأدبی فی القرآن وإلی یومنا هذا.

إنْ قلت: إنَّ القرآن الکریم نزل بالأمثال والحکم والجدل... الخ، وعلیه فالقرآن مستوعِبٌ لأغلب قواعد اللغه والبلاغه والصرف والشعر والقصه... الخ إذنْ أین القواعد التی لم یُشِر إلیها القرآن ولو ضمناً؟ وإنَّما أشار إلی ذلک کلّه.

قلتُ: صحیح ما ذکرتموه، وأنَّ القرآن نزل بأبواب ثمانیه – سلمنا بذلک – ولکن کلها تندرج تحت عنوان الذکر، مضافاً إلی أنَّ علماء اللغه والبلاغه – کما مَرَّ – یکتشفون فی القرآن الکریم یوماً بعد یوم قاعده نحویه أو بلاغیه أو صرفیه إذْ لو کان قد اکتُشِف ذلک کُلَّهُ من أوَّل یوم. لمَّا دام

۱- (۱) التوحید للصدوق/ باب تفسیر قل هو الله أحد إلی آخرها، ص ۸۵-۹۰ ح ۶.

واستمرَّ هذا السِّرُّ العجيب الإعجازى إلى يومنا هذا، ولصار القرآن كأى كتاب آخر ليس فيه سرٌّ للخلود والبقاء إلى نهايه الدنيا، والى اليوم لم يكتشف كبار النحويين والبلاغيين واللغويين و... الخ أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدى أو الكسائى أو سيبويه أو الغرّاء أو ابن جنّى. قواعد الذكر فى القرآن بحيث يضعون أيديهم ويقولون هذا الموضع فيه قاعده للذكر ويُصرحون بذلك.

ومن أمثله ذلك: - ما جاء فى سوره الشعراء فى القرآن الكريم وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ * أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ * وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ١.

بيَّنت الآيه القرآنيه أنَّ القرآن ليس شعراً؛ لأنَّه يوجد فارق جوهرى بين الشعر من حيث الصوت والتفعيله، بل وحتَّى فى النبره الموسيقيه.

ومن هذا يتضح أنَّه توجد عِدَّه تساؤلات تحتاج إلى أجوبه شافيه كافيه: -

١ - ما هو الفرق بين الشعر والذكر؟

٢ - ما هو الفرق بين القصه والذكر؟

٣ - ما هو الفرق بين الخطابه والذكر؟

۴ - ما هو الفرق بين البرهان والحكمه والذكر؟

وإلى يومنا هذا هناك بحوث قدْ حارت فيها عقول النوابغ من البشر ولم يكتشفوا أسرار تأثير النبره الموسيقيه الصوتيه للقرآن، فعند سماع القرآن

تنبعث الطمأنينه فى القلب، والهدوء وسكينه للروح ويحدث توازن فى قوى الإنسان حتَّى لو لم يفهم معناه، فإنَّ علم الطب الروحى والطب الفسلجى يؤكِّد أنَّ النبره الصوتيه الموسيقيه المعينه لها تأثير فى شفاء الإنسان وتخلصه من بعض الأمراض البدنيه والفسيولوجيه والروحيه.

إذنْ إلى يومنا الحاضر لم يكتشف علماء اللغه والأصوات تأثير نظام الصوت فى القرآن، وعليه فكيف يقول قائلهم: -

حسبّنا كتاب الله، وهو إلى الآن وبعد مرور أكثر من أربعه عشر قرناً على نزول القرآن لم تكتشف الكثير من أسراره، ومنها مسأله تأثير النظام الصوتى فى القرآن على النفس والروح وتسبيب الهدوء والاطمئنان لهما.

۴ – اللغه العربيه هى أتقن لغه علميه فى العالم:

أثبتت جُلّ نتائج الدراسات والبحوث الغربيه إنَّ أضبط لغه علميه لضبط العلوم التجريبيه كالفيزياء والكيمياء والتكنولوجيا والفلك والهندسه الفضائيه... الخ هى اللغه العربيه، وإنَّ أفشل لغه فى هذا المجال هى اللغه الانكليزيه.

والغرض من بيان هذا المطلب، هو أنَّ هناك قواعد مشتركه بين اللغات حتَّى طغت تلك القواعد فى بعض اللغات غير العربيه وكأنها هى الأصل ومن مختصات تلك اللغه وليس الواقع كذلك.

فمثلاً: - انظر اللغه الفارسيه فإنَّ علوم البلاغه واللغه و... فيها مقتبسه بتمامها من علوم اللغه العربيه، وكذا الحال فى باقى اللغات الأُخرى كالهنديه والأوروبيه و.... الخ.

والسبب فی ذلک بحسب ما أثبتته تجاربهم علی مختلف الأصعده لاسیما العلمیه، من أنَّ أجدر لغه هی اللغه العربیه التی هی لغه معاجز القرآن الکریم، ولیس معاجز العرب.

وعلیه فاللغه العربیه هی أثری لغه وأم اللغات بحسب ما أثبتته نتائج دراساتهم وبحوثهم فی مختلف مجالات العلوم العربیه.

لم یکتشف فی علم البلاغه معنی الذکر لأنَّ قواعد اللغه العربیه والبلاغه وغیرها قواعد عامه تعم العربیه وغیرها، فمثلاً علم البلاغه فی کل اللغات غیر العربیه مسروق من اللغه العربیه؛ ولذا کثیر من علوم اللغه وإنْ أقیمت وشیدت وبنی صرحها الکبیر.

الدلیل الثالث: مقامات ومنازل القرآن الکریم:

اشاره

من الأدله المهمه علی لزوم استکشاف منهج وقواعد أصول التفسیر للقرآن الکریم عن طریق النبی (صلی الله علیه و آله) وعترته أهل بیته (علیهم السلام) الذین لم یقف غیرهم علی تلک البواطن وأم الکتاب، فتحمل النبی (صلی الله علیه و آله) سنخ ونمط تبلیغ الکتاب المجید، وتحمّل أهل بیته (علیهم السلام) عنه وتبلیغهم لیس سنخ نمط تحمل وتبلیغ الرواه للأخبار الحسیّه المسموعه لفظاً التی تحملوها لیؤدوها إلی غیرهم، کی یکون الحال فی هذا التبلیغ «رُبَّ حامل فقه إلی من هو أفقه منه» کلا وإنَّما ما تحمله النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) عن الله تعالی وتحمله أهل بیته (علیهم السلام) عنه (صلی الله علیه و آله) هو تحمل للحقائق المهیمنه والمحیطه بالمعانی(۱).

وهناک حقیقه ثانیه مُسلمه بین ذوی البصیره من المسلمین، وهی

۱- (۱) الإمامه الإلهیه ج ۳ للشیخ محمد سند تقریر الشیخ صادق ممحمد رضا الساعدی.

حقیقه قرآنیه من أنَّ القرآن ذو منازل ومقامات متعدده غائره وغیبیه خفیت علی الکثیر من علماء المسلمین بسبب ابتعادهم عن التعلم من مذهب أهل البیت (علیهم السلام) والنمیر من عطائه، وهذا صادق حتَّی علی جمله من العلماء والمنتسبین لمدرسه أهل البیت (علیهم السلام)؛ لأنَّهم بشر والبشر محدود القابلیه فی الاغتراف والأخذ من منهل علوم أهل البیت (علیهم السلام) رغم أنَّ علماء الإمامیه معتنقون لإمامه أئمه أهل البیت (علیهم السلام) وإتباعهم لهم (علیهم السلام)، إلّا أنَّه - کما مَرَّ - جهودهم محدوده القابلیه، وهکذا الجیل الذی یأتی بعدهم من المتعلمین فإنَّه ینهل من مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) أکثر فأکثر... الخ.

وإجمالاً نذکر بعض مقامات ومنازل القرآن الکریم لا علی سبیل الحصر والاستقراء التام، وإنَّما بما وفق الله تعالی الالتفات إلیها وإنْ کان بعضها ذکره المفسرون فی تفاسیرهم، ومن تلک المقامات والحقائق أنَّ القرآن المنزَّل ذو تأویل کما قال تعالی: وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ[1].

وأنَّ للقرآن بطون لا- تنفذ من بحور حقائق القرآن ترقی وتتصل بأصل حقیقه القرآن الغیبیه التی یُطلق علیها الکتاب المکنون، والکتاب المبین، أو اللوح المحفوظ أو أم الکتاب أو تنزیل الکتاب أو لا یمسه إلّا المطهرون، أو قرآن کریم أو... الخ.

وعلیه فمنازل ومقامات القرآن کثیره، وبعضها کالحروف المقطعه لها تشفیرات ورموز ومعانی مغلقه وتحتاج إلی جهد حثیث فی تعلمها من البیانات العلمیه لأهل البیت (علیهم السلام)، ثم أنَّه قبل استعراض تلک المقامات للقرآن الکریم لعلَّه یتبادر إلی ذهن البعض أنَّه ما الفائده والثمره من

ذكر هذهِ المقامات للقرآن، وأنَّها هل أوحيت إلى النبى (صلى الله عليه و آله) أم لا؟

قطعاً أوحيت إليه (صلى الله عليه و آله) فتنزلت فى ذهنه الشريف ثم أنَّ النبى (صلى الله عليه و آله) هل أعطاها لأحد من بعدها أم جَمَّدَها؟

قطعاً أنَّه ورَّثها لعترته الذين ورثوه بوراثه الاصطفاء، وتكون الثمره هى بيان أنَّ هذهِ المقامات متصله بأصل حقيقه القرآن الغيبيه التى يطلق عليها: - أم الكتاب، واللوح المحفوظ وتنزيل الكتاب و... الخ.

ومن خلال هذا كله يُعْلم ما لدى النبى (صلى الله عليه و آله) من حقيقه الذات وحقيقه الروح المحيطه والمهيمنه على أم الكتاب وغيرها المدركه لها.

وتلك المقامات هى:

المقام الأوَّل: أم الكتاب:

إنَّ هذهِ المقامات والمنازل بل وحتى الأدله السابقه والآتيه نذكرها لا من باب الحصر فى حين كونها أدله هى فى نفس الوقت وفى الحقيقه أيضاً هى بنفسها قواعد وأصول للمنهج التفسيرى.

وهذا المقام العظيم للقرآن الكريم كما وَرَدَ فى القرآن يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ١ ومن الواضح أنَّ لوح المحو والإثبات وما فوقه من أم الكتاب ليس فى المصحف الورقى بل هو فى نشأه الغيب(١) فقد ذكر الطبرى وكذا الآلوسى و... وهم من كبار أعلام مفسرى إخواننا السنه(٢) بأنَّ [أم الكتاب] أى أم البيان ولها مقام

١- (٢) الإمامه الإلهيه للشيخ محمد السند ج ٣ ص ٣٦٧.

٢- (٣) تفسير الطبرى، روح المعانى للآلوسى ج ٢١٤/١٣.

غیبی هو الأصل الذی انحدر منه القرآن الکریم وینحدر منه لوح القضاء والقدر ولها الهیمنه علیه.

وأنَّ المراد ب - (أم الکتاب) هو العلم؛ لأنَّ جمیع ما فی صحف الملائکه وغیرها لا یقع حیثما یقع إلّا موافقاً لمَّا ثبت فیه فهو أمٌّ لذلک أی أصلٌ، وإنْ کان المشهور الذی ادّعاه الآلوسی هو أنَّ المراد من (أم الکتاب) أنَّها اللوح المحفوظ قالوا: - أصل الکتب إذْ ما من شیء من الذاهب والثابت إلّا وهو مکتوب فیه کما هو(۱).

وکذلک ما ذکره الشیخ الطوسی فی تفسیره التبیان فی تفسیر الآیه أنَّ المراد من [أم الکتاب] أی أصل الکتاب، لأنَّه یُکْتَب أولاً سیکون کذا وکذا، لکل ما یکون، فإذا وقع کتب أنَّه قدْ کان ما قیل أنَّه سیکون.

وقیل: - أصل الکتاب لأنَّ الکتب التی أنزلت علی الأنبیاء منه نُسِخَتْ، وهناک معانٍ أُخری ل - [أم الکتاب] منها الذکر المذکور فی قوله تعالی وَ لَقَدْ کَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّکْرِ۲,۳.

وکذا ما ذکره السید العلامه الطباطبائی (قدس سرّه) فی تفسیره المیزان: - من أنَّ [أم الکتاب] أی أصله فإنَّ الأم هو الأصل الذی ینشأ منه الشیء ویرجع إلیه(۲).

وأودُّ التنبیه علی أنَّ معنی [أم الکتاب] لیس نفس الحقیقه التکوینیه لأم الکتاب التی تحیط بلوح القضاء والقدر لکل عالم الخلقه لأم الکتاب.

۱- (۱) المصدر السابق.

۲- (۴) المیزان فی تفسیر القرآن ج ۱۳ ص ۳۷۸.

المقام الثانی: الکتاب المبین:

أحد النعوت المهوله والعظیمه التی وصف الله تعالی بها کتابه الکریم أنَّه ذو مقام: - الکتاب المبین وأنَّه فیه تباین لکل شیء، وهناک عِدّه آیات دلَّت علی ذلک هی: -

۱ - قوله تعالی: وَ ما مِنْ غائِبَةٍ فِی السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ۱.

۲ - قوله تعالی: عالِمِ الْغَیْبِ لا یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِی السَّماواتِ وَ لا فِی الْأَرْضِ وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْبَرُ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ۲.

۳ - قوله تعالی: وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ إِلاّ أُمَمٌ أَمْثالُکُمْ ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ۳.

۴ - قوله تعالی: کَفی بِاللّهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتابِ۴.

وهذه الآیات المبارکه وغیرها دالّهٌ علی استطار کل شیء فی الخلقه فی الکتاب فکل غائبه وکل رطب وکل یابس لم یُفرط فی تدوینه الکتاب، وکل ما یمحی ویثبت فی عالم الخلقه فی الکتاب.

وقدْ ذکر الشیخ الطوسی (قدس سرّه) فی تفسیر التبیان أنَّ المراد من الکتاب، فیه قولان: -

أحدهما: أنَّه أراد الکتاب المحفوظ عنده من آجال الحیوان

وأرزاقه وآثاره ليعلم ابن آدم أنَّ عمله أولى بالإحصاء والاستقصاء.

والآخر: أنَّه القرآن وقدْ بُيِّنَ فيه كل ما يحتاج إليه فى أمور الدين والدنيا إمَّا مجملاً أو مُفصلاً، فما هو صريح يُفيد لفظاً، وما هو مجملٌ بيَّنه على لسان نبيه وأمر بإتباعه فى قوله وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا١ ودلَّ بالقرآن على صدق نبوته ووجوب إتباعه، فإذاً لا يبقى أمرٌ من أمور الدين والدنيا إلّا وهو فى القرآن(١).

وذكر العلامه السيد محمد حسين الطباطبائى فى تفسيره للآيه المباركه(٢).

والمراد بالكتاب إنْ كان هو اللوح المحفوظ الذى يسميه الله سبحانه فى موارد كلامه كتاباً مكتوباً فيه كل شىء مما كان وما يكون وما هو كائن، كان المعنى أنَّ هذهِ النظامات الأمميّه المماثله لنظام الإنسانيه كان من الواجب فى عنايه الله سبحانه أنْ يبنى عليها خلقه الأنواع الحيوانيه فلا يعود خلقها عبثاً ولا يذهب وجودُها سُدَىً، ولا تكون هذهِ الأنواع بمقدار ما لها من لياقه القبول ممنوعه من موهبه الكمال.

وإنْ كان هو القرآن الكريم وقدْ سماه الله كتاباً فى مواضع من كلامه، كان المعنى أنَّ القرآن المجيد لمَّا كان كتاب هدايه يهدى إلى صراط مستقيم على أساس بيان حقائق المعارف التى لا غنى عن بيانها فى الإرشاد إلى صريح الحق ومحض الحقيقه لم يُفرّط فيه بيان كل ما يتوقف على معرفته

١- (٢) تفسير التبيان للشيخ الطوسى ج ۴ ص ١٢٨ و ١٢٩.

٢- (٣) الميزان فى تفسير القرآن ج ٧ ص ٨٢ و ٨٣.

سعاده الناس فی دنیاهم وآخرتهم کما قال تعالی: وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکَلِّ شَیْءٍ۱.

إذنْ إذا کان المراد من الکتاب: اللوح المحفوظ فإنَّه مشتمل علی ما یجری فی العالم من جلیل ودقیق لم یُهمل فیه أمر حیوان ولا جماد.

وقدْ ذکر أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی نهج البلاغه فی ذم اختلاف العلماء فی الفُتیا: - «أمْ أنزل الله - سبحانه - دیناً ناقصاً فاستعان بهم علی إتمامه، أم کانوا شرکاء له فلهم أنَّ یقولوا وعلیه أنْ یرضی، أم أنزل - الله سبحانه - دیناً تاماً فقَصَّرَ الرسول عن تبلیغه وأداءه، والله یقول: ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ وفیه تبیانٌ لکل شیء»(۱).

وفی حدیث وصف الإمامه عن الرضا (علیه السلام): - فی العیون(۲) وغیره: -

«جَهِل القوم وخُدعوا عن أدیانهم إنَّ الله یم یُقبض نبیه (صلی الله علیه و آله) حتَّی أکمل له الدین وأنزل علیه القرآن فیه تفصیل کل شیء، بَیَّن فیه الحلال والحرام والحدود والأحکام وجمیع ما یحتاج إلیه کملاً، فقال عَزَّ وَجَلَّ ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ».

واشتمال القرآن الکریم علی الکلمات الوجودیه - والمراد بالکلمه: هی الشیء الدال بذاته تکویناً علی أمر آخر ومِن ثَمَّ یُطلق علی وجودات الأشیاء المخلوقه لاسیما الشریفه أنَّها کلمات الله؛ لدلالتها علی صفات الباری تعالی کما أشارت عِدَّه آیات إلی ذلک منها قوله تعالی قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی

۱- (۲) نهج البلاغه / ۶۱ خطبه / ۱۸.

۲- (۳) العیون/ ۲۱۶ / ح ۱، الکافی ۱۹۹/۱.

لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً۱.

وکذا قوله تعالی: وَ لَوْ أَنَّ ما فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ کَلِماتُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ۲. وغیرها من الآیات الداله علی ذلک، وعلیه فالکتاب المبین متکون من وجود جملی لکافه الکلمات الوجودیه بالوجود الملکوتی ومن ثم نُعتَ الکتاب المبین بأنه مفاتیح الغیب للآیه وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَیْبِ۳.

المقام الثالث: الکتاب المکنون:

أی مصون وهو اللوح.

ذُکِرَ هذا المقام فی سوره الواقعه فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ * وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِیمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ * فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ * لا یَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ *۴.

الباری جلَّ اسمه مَهَّد عِدَّه أمور لبیان أهمیه المقسم علیه وهو القرآن الکریم وهی: -

۱ - لا تدعونی أُقْسِم.

۲ - أنَّه لقسم لو تعلمون عظیم.

۳ - هل القسم بنجوم السماء أی الکواکب أم نجوم من شیء آخر من

عالم الخِلْقه؟

نعم القسم بهـذهِ الأجرام السـماويه باعتبار أنَّها آيات الله لا بأس به، ولكن المهم وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَـدُونَ أى الاهتداء بأصـحابى من أهل بيتى الأوصياء كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم من أهل بيتى يعنى من بنى هاشم.

۴ - المُقسَم عليه هو قرآن كريم فى كتاب مكنون: - والكن يعنى الحفظ بمنأى عن البشر، والحفظ من أنَّ يصل إليه عادى البشر هو من أشـد الكرامـات التكوينيه للقرآن هـذا فى دار الـدنيا، وأمَّا فى الآـخره فله - للقرآن - منزل غيبى لـذلك ينعته القرآن فى سوره الواقعه: - لاـ يَمَسُّهُ إِلاَّـ الْمُطَهَّرُونَ أى لا يصل إليه أحـدٌ من البشـر إلّا ثله خاصه، وهكـذا قوله تعالى أَ فَبِهـذَا الْحَـدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ١ قال ابن عباس معنى مدهنون أى مكذبون(١) فالله تعالى يعبر عن كل القرآن بالحديث والمراد منه حديث الله مع البشر أى القرآن، ثم يستفهم الحق تعجباً من هؤلاء الذين يرتابون فى آيات الله والقرآن.

إذنْ المكنون هو المصون وجاء فى الآيه المباركه وصـفاً ثانٍ للقرآن بعد وصفه تعالى بالآيه السابقه إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ والكريم فى صفـات الله من الصـفات النفسـيه التى يجوز فيهـا لم يزل كريماً لأنَّ حقيقته تقتضـى ذلك من جهه أنَّ الكريم الـذى من شأنه أنْ يعطى الخير الكثير، ثم جاءت

۱- (۲) تفسير البيان للشيخ الطوسى ج ۹ ص ۵۱۱ والمُدْهَن الذى يجرى فى الباطل على خلاف الظاهر كالدُهن فى سهوله ذلك عليه والإسراع فيه، وكل مُدهن بصواب الحديث مذموم.

الآیه التالیه کِتابٍ مَکْنُونٍ قیل: - هو اللوح المحفوظ أثبت الله تعالی فیه القرآن والمکنون المصون(۱).

والکلام علی أی حال: مسوق لتعظیم أمر القرآن وتجلیله فمسّه هو العلم به وهو فی الکتاب المکنون(۲).

المقام الرابع: تنزیل الکتاب:

هذا المقام یختلف عن المقامات السابقه، فإنَّها تتصف بصفه العلو والإعلاء والتصعید، أمَّا هذا المقام فیتصف بصفه مضاده لتلک وهی صفه الإنزال والتنزیل، مضافاً إلی أنَّ المقامات السابقه فیها حفظ وإقصاء لبعض مقامات القرآن عن أعین البشر. وهذا نظیر الحدیث الشریف:

«إنِّی تراک فیکم الثقلین کتاب الله وعترتی أهل بیتی ما أنْ تمسکتم بهما لن تضلوا بعدی» فإنَّ الترک والتخلیف کذلک فیه أطراف

«أهل بیتی حبل ممدود طرف منه عند الناس وطرف عند الله»(۳).

فطرف عند الناس وهو الطرف الهابط والنازل، وطرفٌ مُغَیَّب عن الناس وهو عند الله لا یعلمه إلّا الله والراسخون فی العلم، وهم النبی وعترته أهل بیته (علیهم السلام) ولو أمعنا النظر فی هذا الحدیث لو جدنا أنَّه أقرب معنی ومقتبس من قوله تعالی: - أَ فَبِهذَا الْحَدِیثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ۴ قال ابن

۱- (۱) المصدر السابق، ص ۵۱۰.

۲- (۲) المیزان فی تفسیر القرآن: ج ۱۹ ص ۱۴۲.

۳- (۳) صحیح مسلم، فضائل الصحابه الحدیث ۵، ۴۴، ورواه الصدوق فی إکمال الدین وتمام النعمه، ج ۱، ص ۲۴۱ ح ۶۲؛ والبحار ج ۱۳۶/۲۳ /ح ۷۷.

عباس معنی مدهنون مکذبون، أی ترتابون بأنَّ للقرآن منزل غیبی بمنأی عن البشر.

مقام - تنزیل الکتاب - أی تنزیل الکتاب من رب العالمین فإنَّه أنزله الله الذی خلق الخلائق ودبرهم علی ما أراد(۱).

ومقام تنزیل الکتاب - وصف آخر للقرآن، والمصدر - تنزیل - بمعنی اسم المفعول أی مُنْزَل من عند الله إلیکم تفهمونه وتعقلونه بعدما کان فی کتاب مکنون لا یمسه إلّا المطهرون، والمراد من المسّ هو العلم والإطلاع علی تقدیر کونها صفه للقرآن کما یصح علی تقدیر کونها صفه لکتاب مکنون(۲).

وتفسیر العلامه الطباطبائی فی المیزان للآیه المبارکه یتلاءم مع ما ذکرناه قبل قلیل من أنَّ هذا المقام - تنزیل الکتاب - إلیکم أیُّها البشر لأجل أنْ تفهمونه وتعقلونه وهو ظاهر ونازل وفی متناول أیدیهم وهو الطرف النازل کما فی الحدیث السابق، بعدما کان الطرف الآخر منه مستتر ومخفی عن عقولکم ومتناولکم أیُّها البشر.

تنبیه: من خلال هذا کُلِّه یُعْلَم أنَّ الله تعالی لا یُطالب البشر بالاعتقاد فقط بالمصحف الشریف، فإنَّ الاعتقاد بهذهِ الوحده یدلُّ علی عدم تمام الاعتقاد وأنَّ العقیده ناقصه، وإنَّما لابدَّ أنْ تؤمن أیُّها البشر أیُّها المسلم بمرتبه ومقام آخر للقرآن غیر مقام التنزیل وهی مرتبه ومقام الاعتقاد بأنه من عند الله وهو غیبی وبمنأی عن البشر.

۱- (۱) تفسیر التباین للشیخ الطوسی ج ۹ ص ۵۱۰.

۲- (۲) المیزان فی تفسیر القرآن ج ۱۹ ص ۱۴۳.

المقام الخامس: لوحٌ محفوظ:

وهذا المقام صرحت به الآيه المباركه من سوره البروج بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ١ ذكر الشيخ الطوسى (قدس سرّه) فى تفسير الآيه [لوح محفوظٌ] عن التغيير والتبديل والنقصان والزياده، قال مجاهد: المحفوظ أم الكتاب، وقيل أنَّه اللوح المحفوظ الذى كتب الله جميع ما كان وما يكن فيه - ذكره أنس بن مالك - أى كأنه بما ضمن الله من حفظه فى لوحٍ محفوظٍ ومَن رفعَ (محفوظ) جعله صفه القرآن، ومَن قرأه بالخفض جعله صفه للوح(١).

وذكر الآلوسى فى روح المعانى: - فى تفسير الآيه [لوح محفوظ] فى لوح: - أى كائن فى لوحٍ (محفوظٌ) أى ذلك اللوح من وصول الشياطين إليه(٢).

وذكر العلامه الطباطبائى فى ميزانه صفه هذا اللوح وأنَّ اللوح المحفوظ له طرفان طرف على يمين العرش على جبين إسرافيل فإذا تكلم الرب جلَّ ذكره بالوحى ضرب اللوح جبين إسرافيل فنظر فى اللوح فيوحى بما فى اللوح إلى جبرائيل(٣).

من خلال المقامات المتقدمه وغيرها يعلم أنَّ مقام [لوح محفوظ هو نفس معنى مكنون ومجيدٌ وكريم و... الخ ومنازل ومقامات القرآن كُلُّها مجيده ولكن أمجدها وأعلاها هو أنْ يُحْفظ عن أيدى البشر وعقولهم

١- (٢) تفسير التبيان للشيخ الطوسى ج ١٠ ص ٣٢٢.

٢- (٣) روح المعانى للآلوسى ج ٣٠ ص ٤٢٥.

٣- (٤) الميزان فى تفسير القرآن ج ٣٠ ص ٢٨٧.

وأرواحهم وأفكارهم و... الخ.

وعن جابر قال: - سألتُ أبا جعفر (عليه السلام) عن شيء فی تفسير القرآن فأجابنی ثم سألتُه ثانيةً فأجابنی بجواب آخر، فقلت جعلتُ فداك، كنتَ أجبتَ فی هذهِ المسأله بجواب آخر غير هذا قبل اليوم؟

فقال (عليه السلام) لی: يا جابر إنَّ للقرآن بطناً، وللبطن بطن وظهر، وللظهر ظهرٌ، يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إنَّ الآيه ليكون أوّلها فی شيء وآخرها فی شيء، وهو كلامٌ متصلٌ يتصرف على وجوه(۱).

وعليه لو كانت عقول وأوهام وأيدی البشر تدرك القرآن لمَّا كان مكنوناً ومحفوظاً ولما وصفه الحق تعالى بذلك.

ولعلَّ سائل يسأل لماذا هذا الاهتمام بمقامات القرآن ومنازله هل هناك سِرٌّ وراء ذلك؟ قطعاً هناك سرٌّ وحكمه بالغه من وراء ذلك الوصف المهاب العظيم كوصف القرآن بالمجيد وفی لوح محفوظ وتنزيل الكتاب وأم الكتاب و... الخ إلّا أنَّه لا تدرك عقولنا ذلك السر إلّا الله والراسخون فی العلم.

المقام السادس: لا يمسه إلا المطهرون

عبَّرت الآيه المباركه بلفظ المطهرون ولم تعبر بلفظ المتطهرون.

- الطهر - والطهور لغةً هو البليغ فی الطهاره، والطهور هو صفه

۱- (۱) تفسر العياشی ج ۱ ص ۸۷ من أبواب مقدمه التفسير من باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه ح ۸.

زائده على الطهاره بمعنى الطاهر المطهَّر، والطهاره: - شرعاً حقيقه فى رافع الحدث، والثناء والمحبه، ولها معانٍ أخرى منها: - الطهاره من الذنوب(۱).

والمتطهرون: - هو ما يشمل عموم الأمَّه إذا تطهروا وتابوا بشتى أنواع التوبه من الكف عن الأذى، والاستغفار، والإنابه أو الغُسْل أو الغَسْل أو... الخ وسواء طهاره ماديه أو معنويه أو... الخ.

المطهرون: - هو وصفٌ لأشخاص مخصوصين مُصْطَفَين نَوَّه القرآن عن أسماءهم وبيِّن أوصافهم وأنَّهم من قُرْبى النبى (صلى الله عليه و آله) ودلَّت الآيه المباركه... إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً۲

وأنهم مطهَّرون بإراده إلهيه وأنَّ القرآن لا يصل إليه إلّا مَن طهّرَه الله من الذنوب كما فى قول ابن عباس ومجاهد والضحّاك: - لا يمس الكتاب الذى فى السماء إلّا المطهرون من الذنوب(۲) والمراد بالمس هو العلم والإطلاع على تقدير كونها صفه للقرآن كما يصح على تقدير كونها صفه لكتاب مكنون.

والمراد بالطاهره: - أى الطهاره من الحدث والخبث جميعاً وقُرئ: - المطَّهِّرون بتشديد الطاء والهاء وكسر الهاء أى المتطهرون(۳) وإنَّ مطهّرون أصلها متطهرون فأدغمت التاء بالطاء فصارت مطّهِّرون - أى يَحْرُم مس كتابه القرآن على غير طهاره.

۱- (۱) مجمع البحرين، ماده طَهُر.

۲- (۳) التبيان للشيخ الطوسى ج ۹ ص ۵۱۰.

۳- (۴) الميزان فى تفسير القرآن ج ۱۹ ص ۱۴۷.

وقدْ فسّرها البعض بان [لا يمسه المطهرون] إشاره إلى الحقائق والمفاهيم العاليه فى القرآن الكريم لا يَدْركها إلّا المطهّرون، كما فى قوله تعالى ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ١ فإنَّ طهاره الروح فى طلب الحقيقه تمثل حدّاً أدنى من مستلزمات إدراك الإنسان لحقائق القرآن، وكلما كانت الطهاره والقداسه أكثر كان الإدراك لمفاهيم القرآن محتوياته بصوره أفضل.

وقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله):

«لا يَمُسُّ القرآن إلّا الطاهر»(١).

وهو اللمس المعنونى نُقل عن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنَّه قال:

«إنَّه لقرآن كريم فى كتاب مكنون، قال عند الله فى صحف مطهّره - لا يسمه إلّا المطهرون - قال المقربون»(٢).

وبعض فسَّر المطهرون إشاره إلى الملائكه المطهرين الذين لهم علم بالقرآن ونزلت بالوحى على قلب الرسول (صلى الله عليه و آله) فى مقابل قول المشركين الذين كانوا يقولون: إنَّ هذهِ الكلمات قدْ نزلت بها الشياطين على محمد (صلى الله عليه و آله)(٣).

والقرآن الكريم قدْ أفصح وبيَّن العِدْل الثانى للقرآن وهم النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) ولا تُعقل أنْ تكون الوسيله بين البشر وبين هذهِ المنازل والمقامات مُعَطَّله؛ لأنَّها لو كان مُعَطَّله فهى خلاف الحكمه الإلهيه؛ لأنَّ الحكمه والغرض من تلك المقامات هى انتفاع البشر منها، وبما أنَّ هذهِ

١- (٢) الدر المنثور ج ٩ ص ١٦٢؛ عن عبدالله بن عمر ومعاذ بن جبل، وابن حزم الانصارى عن رسول الله.

٢- (٣) المصدر السابق، ج ٦ ص ١٦٢.

٣- (٤) الأمثل فى تفسير كلام الله المنزل/الشيخ ناصر مكارم الشيرازى، دام ظله - ج ١٧-٣٢١.

المقامات غيبيه وبمنأى عن البشر فصارت الحاجه إلى الواسطه قطعيه وواجبه، وتلك الواسطه هى فقط النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيت النبى (صلى الله عليه و آله) من أصحاب الكساء والذريه التسعه الأئمه المعصومين (عليهم السلام) من ذريه الحسين - عليهم أفضل الصلاه والسلام.

الخلاصه: إنَّه من الواضح عدم إراده القرآن فى وجوده فى رسم المصحف الشريف، بل المراد من الوجود وجوداً أسمى مكنوناً، محفوظاً فى لوح غيبى لا يناله ولا يصل إليه إلّا مَن كان على ارتباط بذلك الغيب واطّلاع بالمغيبات، وهذا الوجود للقرآن ليس فيه متشابه؛ لأنَّ المتشابه وصف للقرين المنزل أى فى وجوده النازل على صوره آيات وسور ومنه محكم، وإلّا فهو فى وجوده الغيبى كتابٌ علم مُبَيَّن وهذا سبب كون القرآن بتمامه آياتٌ بينات فى صدور الذين أوتوا العلم حيث أنَّهم مطهرون يطلعون على الوجود الأرفع للقرآن أى الغيبى وهو معنى مَسَّهم للكتاب المكنون(۱).

المقام السابع: قرآن كريمٌ:

اشاره

وهذا المقام امتداد للمقامات السابقه للقرآن الكريم، وهذا المقام يُعْطى للمصحف مَنْزِل ومقام متميز، من أنَّ كل الذى تلوناه عليكم فى جميع سوره القرآن الكريم (۱۱۴) مئه وأربعه عشر سوره وما يَقرب من (۶۵۰۰) سته آلاف آيه وخمسمائه، من أنَّه قرآنٌ تفرقون به بين الحق والباطل و (كريم) فالكريم هو الذى من شأنه أنَّ يُعطى الخير الكثير بالأدله التى تؤدى إلى الحق فى الدين كان كريماً على حقيقه معنى الكريم، لا

۱- (۱) الإمامه الإلهيه ج ۲ ص ۹۱.

على التشبيه بطريق المجاز، والكريم فى صفات الله من الصفات النفسيه التى يجوز فيها لم يزل كريماً؛ لأنَّ حقيقته تقتضى ذلك من جهه أنَّ الكريم الذى من شأنه أنْ يُعطى الخير الكثير، فلما كان القادر على التكرم هو الذى لا يمنعه مانع من شأنه أنَّ يُعطى الخير الكثير صح أنْ يُقال: - أنَّه لم يزل كريماً(١).

وذكر الآلوسى فى تفسيره أنَّ معنى كون القرآن كريماً: - أنَّه حسنٌ مَرْضىٌ فى جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع وكيف لا وقدْ اشتمل على أصول العلوم المهمه فى إصلاح المعاش والمعاد(٢).

ووصف القرآن ب - (الكريم) إشاره للجمال الظاهرى للقرآن من حيث الفصاحه وبلاغه الألفاظ والجمل، وكذلك فإنَّها إشاره لمحتواه الرائع؛ لأنَّه نزل من قبل مبدأ ومنشأ كُلَّه كمال وجمال ولطف.

نعم، إنَّ القرآن كريم وقائله كريم ومَن جاء به كذلك، وأهدافه كريمه أيضاً(٣) وهذا المقام للقرآن مقامٌ متميز ويريد أنْ يكرمه بكرامه أعظم من المصحف الشريف وإنْ كان المصحف الشريف كريم وعظيم، إلّا أنَّ هناك الأعظم درجه وكرامه.

وهناك مقامات أُخرى كثيره ستأتى إنْ شاء الله تعالى.

والمستفاد من ذكر هذهِ المقامات هو أنَّ القرآن أراد أنْ يُركِّز على قضيه

١- (١) التبيان فى تفسير القرآن ج ٩ ص ٥٠٩ و ٥١٠.

٢- (٢) روح المعانى ج ٢٧ ص ٢١٧.

٣- (٣) تفسير الأمثل ج ١٧ ص ٣٢٠.

مهمه جداً وهی أنکم أیُّها البشر لا تتوهمون بأنه برحله النبی (صلی الله علیه و آله) قدْ انقطعتم عن الغیب والسماء وأنَّ الحبل قدْ انقطع بین البشر وبین تلک المقامات الغیبیه، کلا ثم کلا، وحَذّر القرآن من ذلک أشد تحذیر.

وإنَّ الاتصال مع الغیب موجود بواسطه أناس (قدرهم وأمکنهم الله علی مَسِّ القرآن بقوله تعالی: وهم النبی (صلی الله علیه و آله) والعتره المعصومین (علیهم السلام).

تساؤلات فی استخلا ص نتیجه البحث:

بعد استعراض بعض منازل ومقامات القرآن یوجد تساؤل وهو أنَّ القرآن إذا کان ذو منازل ومقامات مختلفه فکیف تکون حجیتها متساویه وکلها حجه، فمثلاً کیف تکون حجیه المصحف النازل وهو تنزیل الکتاب بنفس نمط حجیه الکتاب المکنون واللوح المحفوظ والکتاب المبین وأم الکتاب و... الخ من منازل ومقامات للقرآن؟

وسیتضح الجواب من خلال عرض بعض الأدله والمطالب التالیه إنْ شاء الله تعالی.

الدلیل الرابع: (المعلم الرابع) حجیه الظاهر حجیه معیّه بین الکتاب والسنه:

أولاً: المقدمه وبیان مضمون الدلیل الرابع:

الإحاطه بظاهر القرآن لیس من نصیب البشر - کما مَرَّ - إلّا بإعانه مَن نَصَّبَهم الله تعالی وهم معلمون للبشر: النبی (صلی الله علیه و آله) وأهل بیته (علیهم السلام) ولیس المراد

هنا أنْ ننفى مطلق درجات القدره للإحاطه بالظاهر وإنَّما نريد أنْ ننفى القدره المطلقه التى باستطاعه النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) المنصبون من قبل الله تعالى الهدايه وتعليم البشر، ذلك المنهاج الذى يرسمه نفس القرآن الكريم وأنَّه لم طرفان: -

طرفٌ نازلٌ عند الناس، وطرف عند الله، ولا يمكن للبشر الوصول إلى الطرف الذى عند الله إلّا بوساطه مُعَلِّم إلهى؛ لأنَّه من الواضح اختلاف الطرفين فإنَّ الطرف الذى عند الله تعالى طرفٌ غيبى ملكوتى، وهذا ليس عند عامّه الناس وإنَّما عند الراسخون فى العلم، ولا يعنى هذا تعطيل الطرف الذى عند الناس، وإنَّما الطرف الذى عند الناس حجيته قائمه عند الناس وليس هذا معناه تعطيل الكتاب.

إذنْ حجيه الظاهر بل حتَّى حجيه القرآن لابدَّ أنْ تكون حجيه معيّه مع ثقل العتره، وهذا هو المبنى الذى التزم به متكلمو الإماميه وعلماء أصول الفقه الإمامى من أنَّ القرآن حجه، كما أنَّ السُّنه المطهره للمعصومين حجه أيضاً.

وهذا معناه أنَّه لا يصح أنْ نحتج بالكتاب وحده، بل لابدَّ من عدم افتراقه فى الاستنباط والاستظهار عن حجيّه السُّنه.

إذنْ ذهبت الإماميه إلى أنَّ حجيه الظاهر حجيّه معيّه بين الكتاب والسنه وليست حجيه مستقله كلٌّ عن الآخر.

ثانياً: البيان البرهانى للمعلم الرابع:

(الإحاطه بظاهر سور وآيات القرآن ليس بمقدور البشر)

الذى التزم به هؤلاء الأعلام أنَّ الظاهر بنفسه ليس من قُدْره البشر

الإحاطه والاستحواذ عليه برمته، تَقدَّم أنَّه ليس بمقدور البشر أنْ يحيط بسور الظاهر - إنْ صح التعبير - نعم الإحاطه ببعض الظاهر هو فى متناول يد البشر، وليس مرادنا نفى درجات مطلق القدره؛ لأنَّه فى الجمله يمكن الإحاطه ببعض الظاهر.

وإنَّما المراد نفى القدره المطلقه أى الإحاطه التامه الشامله للظاهر وحيث لا تكون الإحاطه التامَّه به (الظاهر) - كما مَرَّ - فإنَّه حينئذٍ لا يمكن للبشر أنَّ ينفردوا وينعزلوا بالأخذ من ظاهر القرآن والتمسُّك به من دون مُمْسِك وحافظ آخر لتمسكهم بالكتاب وهو العتره - أى الثقل الثانى.

إلفات نظر: لا تلازم بين أصل حجيه الكتاب - أنَّه غير معطل وبين استقلال الحجيّه.

إشكال على المدرسه الإماميّه: أحد إشكالات المدارس الإسلاميه على مسلك المدرسه الإماميه، إنَّكم إذا قرنتم أو اشترطتم - أيُّها الإماميه - العتره هنا فهذا معناه إنكم أفقدتم الكتاب الحجيه - وهذا - والعياذ بالله محذور عظيم يؤول إلى تعطيل الكتاب لا إلى حجيته، وإنَّكم حصرتم حجيه الكتاب بما ستبينه العتره وإلّا فلا.

الجواب: فى هذا الإشكال أو المدعى خلطٌ بين أصل الحجيه لشىء وبين كونه حجه مستقله فهو شىء آخر.

وهناك أمثله كثيره تدلُّ على الحجيه المعيه لا المستقله - نذكر بعضها: -

المثال الأوَّل: كيف نتصور معيّه حجيه أنبياء الله تعالى مِن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى إلى سيد الأنبياء محمد (صلى الله عليه و آله)، علماً أنَّ كل واحدٍ

من هؤلاء (عليهم السلام) حجه مستقله، وكذا الأئمه الأثنى عشر (عليهم السلام) ليس حجيه كل واحد منهم مستقله وإنَّما حجيه معيه، أى أنَّ النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) أو الإمام الأسبق حجه بمعيه اللاحق وهكذا.

المثال الثانى: آيات القرآن التى تبلغ أكثر من سته آلاف آيه، وفضلاً عن سوره المائه وأربعه عشر سوره، أيضاً هى الأُخرى حجيه كل آيه وكل سوره حجيه معيّه لا- حجيه مستقله؛ لأنَّ القرآن فيه عام وخاص، ومطلق ومقيد، ومجمل ومُبين، ومحكم ومتشابه و... الخ.

وهذا بعضه مرتبط مع البعض الآخر، وعليه فتكون حجيته حجيه معيه لا حجيه مستقله.

لذا نجد كثير من الفرق الإسلاميه - كما تقدم - تولّدت ونشأت واختلفت وزاغت عن وحده الصراط المستقيم بسبب أنَّها أخذت بباب فى الدين وتركت آخر، أو أخذت بمجموعه أبواب وتركت أُخرى؛ لأنَّه مَرَّ فى المعلم الأوَّل - إنَّ الدين عباره عن وحده نظام أى رابطه مُنسِقَه بين مجموعه أجزاء ليست مبعثره.

القرآن بكل آياته وسوره حجه مرتبطه بعضها مع البعض الآخر ولا يمكن أنْ تكون مشتته وحجج مستقله لا ترتبط بعضها مع البعض الآخر.

وهذا أيضاً يُعتبر أحد الأدله على أمومه المحكمات وأنَّ الدين فيه وحده نظام.

المثال الثالث: ما ذكره علماء الأصول فى كتاب الحجج من أنَّ الكتاب

والسنه والعقل والإجماع أو الثلاثه الأول ورجوع الإجماع إلى الكتاب والسنه، أيضاً توجد وحده نظام وارتباط عضوى فيما بينها مرتبطه بالمركز.

وعليه فحجيه كل واحدٍ ليست مستقله وإنَّما حجيّه معيّه.

ثالثاً: بعض المؤاخذات التى تسجل على أصحاب منهج تفسير القرآن بالقرآن:

اشاره

قبل ذكر بعض أهم المؤاخذات التى تُسجَل على أصحاب منهج تفسير القرآن بالقرآن وإنْ لم يكن هو محل كلامنا وبحثنا إلّا أنَّه تعرضنا له استطراداً من باب بيان بعض الفوارق بين ما نحن فيه ومحل كلامنا فى المعلم الرابع وهو - حجيه الظاهر حجيه معيّه بين الكتاب والسنه - وبين باقى المناهج التفسيريه الأُخرى(۱) وهى:

غرضنا التنبيه على هذهِ الزوايا المهمه الناتجه من اتباع منهج تفسير القرآن بالقرآن وليس الغرض الإخلال بمقام وجلاله أصحاب هذا المنهج وجهودهم العظيمه التى تفتخر الطائفه الحقه أتباع مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) بتلك الجهود ولولاها لاندثرت كثير من القواعد والأمور المهمه.

وإنَّما هذا بحث علمى وانطلاقاً من مضمون كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ووصيته:

«يا مؤمن إنَّ هذا العلم والأدب ثمن نفسك فاجتهد فى تعلمها فما يزيد من علمك وأدبك يزيد فى ثمنك وقدرك، فإنَّ بالعلم تهتدى إلى ربك،

۱- (۱) إلفات نظر: ليس الفرض من ذكر هذهِ المؤاخذات سواء على منهج تفسير القرآن بالقرآن أم باقى المناهج التفسيريه الأُخرى، استقصاءً لمنهجهم وباقى المناهج التفسيريه الأُخرى، كلا، ولكن بما أنَّ البحث هو استعراض منهج أمومه المحكمات القائل بأنَّ صياغه المعيه بين الكتاب والعتره الطاهره المتمثله بالسنه فى كل خطوه خطوه ولبنه لبنه بأنَّ لا يفترق القرآن عن العتره ولا العتره عن القرآن انطلاقاً من حديث النبى «... إنِّى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترى أهل بيتى.. لن يفترقا حتَّى يردا علىَّ الحوض...».

وبالأدب تُحْسِن خدمه ربک، وبأدب الخدمه یستوجب العبد ولایته وقربه، فاقبل النصیحه کی تنجو من العذاب»(۱) والمعروف عند أصحاب أهل الفن والتحقیق والتدقیق أنَّ حاله النقد لا تستلزم - و العیاذ بالله - إساءه الأدب إلی مقام وجهود العلماء الأبرار مع شکرنا لمساعیهم الکبیره والعظیمه التی أنجزوها، ولکن هذا لا یُنافی طبیعه تکامل البشر بحیث یلتفتوا إلی جوانب النقص وأنَّ الکمال لله عز اسمه ومن بعده لعباده المکرمین المعصومین علیهم أفضل الصلاه والسالم والعصمه لأهلها.

إلّا أنَّ طبیعه مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) وأتباعهم لیس سد باب الاجتهاد - سواء علی المصوِّبه - أو المخطئه أیضاً وإنَّما تفتح المجال للفکر الحر الموزون لأجل تطویر عملیه التکامل فمثلاً: - الجهود التی یبذلها العلامه السید محمد حسین الطباطبائی (رحمه الله) أحد علمائنا الأبرار ومن مفخره علماء أتباع مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) مشکورٌ علیها ولله درُّه فی ذلک فی تألیف وتفسیر کتابه الموسوم بتفسیر المیزان الذی طُبع بلغات عِدَّه منها فضلاً عن العربیه والانکلیزیه والفرنسیه والفارسیه و... الخ والذی یعتبر مصدر ومرجع فی کثیر من الأندیه العلمیه والأدبیه والأکادیمیه حتَّی من قبل أندیه إخواننا أهل السنه فی البلاد العربیه وغیرها، بل حتَّی فی حواضرهم العلمیه قُرِّرَت بعض تفاسیر أتباع مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) أمثال التبیان للشیخ الطوسی، ومجمع البیان للشیخ الطبرسی (قدس سرهما) هذا من جهه.

۱- (۱) مشکاه الأنوار للشیخ علی الطبرسی، ص ۲۳۹؛ بحار الأنوار للمجلسی، ح ۱، ص ۱۸۰، ح ۶۴..

وعمليه تطوير البحث وتعميقه للوصول والاقتراب أكثر من العتره والقرآن جهه أخرى، ولا يعنى هذا وجود تصادم وتنافى بين الأمرين والجهتين أبداً عند من يتعمق ويُحلل ويبحث فى النكات العلميه ومَن كانت لديه المهنيه العلميه والإنصاف فى التحقيق.

أولاً: إنَّ أصحاب هذا المنهج - تفسير القرآن بالقرآن - لا يتمكن المفسر الإحاطه بكل شى، أو لا أقل الإحاطه بأوفر عدد ممكن من المعلومات فى هذا المجال.

ثانياً: لا يستطيع أصحاب هذا المنهج أنْ يبلغوا كل غايات وغور أعماق آيات القرآن.

ثالثاً: خطوره هذا المنهج تكمن فى أنَّ بعض أصحاب هذا المنهج فى هذا اليوم وصل بهم الأمر فى تصورهم أنَّ السنه الشريفه - النبى وأهل بيته (عليهم السلام) لا دور لها فى تفسير القرآن - والعياذ بالله - وهذا تمادى وتترتب عليه نتائج خطيره جداً، ومَن قال لك إنَّك أقدرت الإحاطه بالقرآن.

رابعاً: - مَرَّ فى المعلم الأوَّل أنَّ المُعَلِّم الأوَّل للقرآن بعد الله عَزَّ وَجَلَّ هو النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته الذى صَرَّح به البارى عزَّ اسمه.

وبعض أصحاب هذا المنهج - أى منهج تفسير القرآن بالقرآن - صار فى تدافع مع بيانات القرآن الكريم (يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ١ وأنَّ تفسير القرآن بسنه النبى (صلى الله عليه و آله) تأتى بالدرجه الثانيه والتحتانيه بعد منهج تفسير القرآن بالقرآن، وهذا الامر فى معرفه نظام خريطه الحجج له أبعاده

الخطیره، فإنَّ معرفه نظام الحجج ومراتبه أمرٌ خطیر فی المعرفه الدینیه، بل حتَّی فی منهج تفسیر أمومه المحکمات أو منهج ولایه أهل البیت فی تفسیر القرآن، والقرآن الکریم أکَّد علی منهج أمومه المحکمات بشکل جذری ومصیری علی طبقات نظام الحجج کما فی الآیه هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ۱ وهذا التأکید من القرآن یبین أهمیه جدوی الحذر من الوقوع فی فتنه عقائدیه مذهبیه أو دیانیّه.

وهذا یکشف عن التطابق بین الحدیث القرآنی... مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ وبین الحدیث النبوی حدیث الثقلین، واللذان یدلان علی شیء واحد وهو: - ألا تریدون عاصماً لکم من الفتنه ومن الزیغ، فعلیکم بشیئین هما: -

۱ - المحکمات من الآیات.

۲ - الراسخون فی العلم الذین یتلقون من المعلِّم الأوَّل وهو الله تعالی والراسخون فی العلم.

وعلیه فیا أصحاب منهج تفسیر القرآن بالقرآن أین حدیث معیَّه الثقلین الذی نادی به رسول الله (صلی الله علیه و آله) فی أعلی صوته

«... لن یفترقا حتَّی یردا علیَّ الحوض» وما تعنیه کلمه (حتَّی) بلاغیاً ونحویاً واشتقاقیاً و... الخ.

خامساً: بعض أصحاب هذا المنهج جعل تفسیر الصحابه للقرآن فی مقام وعَرض تفسیر أهل البیت (علیهم السلام)، وهذا أمر تترتب علیه نتائج خطیره جداً.

سادساً: ومن سلبیات منهج تفسر القرآن بالقرآن إنکار الجانب الإیجابی لمنهج تفسیر أمومه المحکمات الذی أحد معالمه کما مَرَّ فی المعلم

الثالث من أنَّ للقرآن عدَّه منازل ومقامات غيبيّه مثل: - مقام أم الكتاب، ومقام الكتاب المبين، ومقام الكتاب المكنون، وتنزيل الكتاب، ولوحٍ محفوظ، ولا يمسّه إلّا المطهرون، وقرآن كريم... الخ. فإنَّ هذا المنهج ينكر تلك المنازل الغيبيه للقرآن.

وعليه نسأل أصحاب منهج تفسير القرآن بالقرآن هل أنَّ كل المنازل الغيبيه فى القرآن هى فى متداول يَدِّ الفهم أم أنَّها تحتاج إلى وسيط ومُعَلِّم؟

الجواب:

أولاً: بالنفى وإنه قطعاً ليس كل المنازل الغيبيه فى القرآن فى متناول يد الفهم.

ثانياً: نقطع ونجزم بالاحتياج إلى المعلِّم والوسيط بيننا وبين الغيب حتَّى يعلمنا ويفهمنا بعض تلك المقامات والمنازل لصريح القرآن بأنَّه كتاب [عربى فُصِّلَتْ آياته] وبيّنت بلسان قومه، وعليه فماذا تقولون يا أصحاب منهج تفسير القرآن بالقرآن فى مثل هذهِ الآيات، ويجب علنيا أنْ نؤمن بكل الكتاب لا أنْ نؤمن ببعض ونكفر بالبعض الآخر، والعياذ بالله.

ومن الواضح أنَّ هذهِ المقامات والمنازل الغيبيّه هى مُؤثِره فى تفسير القرآن، كذلك يتعاض هذا المنهج مع المعلِّم الآخر من منهج أمومه المحكمات القائل: وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْم وعلى هذا فمن يستطيع غير النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) أنْ يدَّعى أنَّه قد أحاط بتأويل الكتاب كُلَّهُ وليسَ الغرض التهويل فى تفسير التنزيل والتأويل، وسيأتى فى محله - إنْ شاء الله تعالى - بيان دور تأثير التأويل فى منهج التفسير، ولكن للأسف

المفسرون فی غفله عن هذا الذی طالما أکّدت روایات أهل البیت (علیهم السلام) علیه.

تنبیه: منهج تفسیر القرآن بالقرآن من التفاسیر المهمه ولابدَّ أنْ نقف عنده ملیًّا وکثیراًن وإنَّما تعرضنا لذکر هذهِ المؤاخذه علی هذا المنهج، والآن بمناسبه التعرض إلی المعلم الرابع - حجیّه الظاهر حجه معیّه - تعرضنا له، وإلّا بحثه یأتی إنْ شاء الله تعالی، وسنقف بما یتلاءم والمقام.

ثمره المعلم الرابع:

أحد ثمرات هذا المعلم المهم هو التفرقه بین الحجیه المستقله والحجیه المعیّه ودرجاتها: -

الحجیه المستقله: - وهی الحجیه التی لا تتقدم علیها حجه ولا تنقض حجه أُخری منها أی مقدار کما فی حاله التقیید التخصیص، کما أنَّ الاعتماد علیها لا یقوم علی حجه أُخری، وقدْ تطلق الحجه المستقله علی الاستقلال النسبی للدلیل وهی الحجه التی لولا وجود حجه أقوی منها سواء بنحو التخصیص أو التقیید أو غیر ذلک من أقوائیه الحجه الأُخری لولا وجود حجه أقوی لعُمِل بها.

الحجیه المعیّه: وهو الدلیل الذی یعتمد علیه فی نفسه ولکن تکون حجیته اقتضائیه مشروطه بعدم حجه أُخری لا مساویه ولا أقوی منها فإذا وجدت حجه مساویه لها کان المحصَّل من الحجیه مجموع الدلیلین بنحو توفیقی وتولیفی.

درجات المعیّه: وحیث إنَّ الحجج ذات مراتب طولیّه فی القوّه والضعف وبالتالی فی التقدیم والتأخیر فمنه یتولد درجات فی المعیّه بین

الحجج بحسب العرضيه والطوليه بينها.

والنزاع فی مدرسه الإمامیه بین الأصولیّه والإخباریّه مضی علیه قرون وهو فی حقیقته یرجع إلی تصدیر الحجیّه المعیّه بین الکتاب والسنه، ولکن بأی مفاد؟

هل بمفاد أننا نتمسک فقط بسُنه النبی (صلی الله علیه و آله) وأهل بیته ونستغنی بها عن القرآن - والعیاذ بالله -

وهذا أحد الإشکالات التی سُجِّلتْ علی المدرسه الإخباریّه الذی نتیجته تؤدی إلی تعطیل الکتاب ولا نستفید ولا نستهدی بالرجوع إلی بیانات وأنوار آیات الکتاب تحت ذریعه أنَّ القرآن مختص بمن خوطب به ولا یفهمه إلّا النبی (صلی الله علیه و آله) وأهل بیته هذا من جانب.

ومن جانب آخر یقول البعض: - إنَّ الکتاب حجه وهو الأصل وهذا معناه بالتالی أنَّ السُنّه لا دور لا تحت ذریعه أنَّ الأحادیث ضعیفه، وأنَّ المجامیع الحدیثیه کُلِّها أو أغلبها موضوعه - والعیاذ بالله - وهؤلاء بمختلف ألوانهم سواء إسلامیون أو علمانیون أو مدارس مختلفه من الاتجاهات الفکریه ذات ألوان عدیده تحت شعارات لیست مُزیَّفه کما یدّعون وأنَّ لکل واحد منها مبرر فکری.

وهناک قسم ثالث یقول: - العقل هو المدار فما وافق العقل من الکتاب والسُنَّه نأخذ به، وعجباً لهؤلاء الذین یستذوقون ویستحلون ما وافق العقل البشری المحدود وما نفر منه العقل البشری تنفر منه، وعلیه فی هذهِ الموازنه بین عقل بشری محدود وبین مَن خالف العقل وهو الحق،

وهـذه جدليّه ليست سـهله، وهذه عقول أكابر علماء عبر قرون ولم يَجُل فكرهم فى تسـليط الأضواء على بيان كيفيه تصوير النزاع فى الحُجيّه المعيّه المتقدمه.

ص:١٢٢

الفصل الثالث: المنهجیه والمناهج فی التفسیر

اشاره

ص:۱۲۳

المقام الأول: المنهجيه فى التفسير

اشاره

*أهميه وضع المنهجه.

*ثلاثه عوامل أساسيه فى بحوث علم التفسير.

*بدايه علم التفسير.

*بدايه البحث التفسيرى.

*توضيح للأمومه.

*ما هو نوع الصله بين فقه الفروع والعقائد.

*هيمنه العقائد على فقه الفروع.

*تطبيق منهج الأمومه والهيمنه وطبقاتها على مثل بحث الولايه.

أهميه وضع المنهجه:

إنَّ البحث فى وضع الأسس ورسم المنهجيه من الأمور البالغه الأهميه فى أى علم من العلوم؛ لأنَّ البحث فى أىّ علم لا على ضوء المنهاج أو القواعد والأسس والأصول مهما كان سوف يسير على غير بصيره فى البحث فى المنهجيه. فكيف بك فى علوم القرآن الذى يكون البحث فيها مُفَصَّلاً ومُعَمَّقاً، وهذا التفصيل يحتاج إلى وضع منهج وتشجير المعلومات قبل الولوج (الخوض فى خضم ذلك العلم) لأنَّه حينئذٍ الساكن فيه ساكن فى سفينه يعلم أنَّ البوصله فيها إلى أين تتجه به والامواج... الخ.

ليسَ هذا مختصاً بعلوم القرآن فحسب، كذلك فى علم الرجال إذا

توقف فی القواعد سوف تکون أکثر بصیره فی المباحث الرجالیّه من أنْ تخوض بها من غیر تدقیق ومنهجه.

وهکذا علم الفقه والاصول، وقواعد علم التأریخ، والعلوم الأدبیه...

وعلیه فالبحث فی القواعد والمنهجیه أمرٌ مثمرٌ یُعطی انضباط میزان منهجیه نظم وانتظام وتسلسل متواصل ومتوافق بشکل طبیعی وانسیابی منسق.

ولذا یمکن لأی طالب علم أو باحث أنْ یستعلم هذهِ الأهمیه بطریقه أُخری وهی أنَّه لو تَعَقَّد البحث لدیک فی مسأله من المسائل العلمیّه حاول أنْ تلتفت وتنظر لعلَّ الصعوبه فی المسأله ولیدهٌ عن عدم وضوح قاعده منهجیه معینه هی توجب حل العقده فی تلک المسأله..

ولا ندعی أنَّ البحث فی مسائل العلوم هو البحث المنهجی والقواعدی والأصولی هو کل شیء... کلا

إنَّما جانب إلمام المواد وجمعها أیضاً هو شیء له أهمیّه، وإلّا لا یمکن تحصیل اتقان صناعی منهجی قواعدی نظامی بلا مواد، مثله مثل الهندسه بلا مواد للبناء فإنَّه غیر ممکن.

ثلاثه عوامل أساسیه فی بحوث علم التفسیر

اشاره

إنَّ بحوث علم التفسیر من أصول وقواعد یمتزج فیها عاملان مؤثران وهما:

العامل الأوَّل: البحوث الأصولیه:

یعتبر علم الأصول من العلوم ذات المرتبه العالیه والمتقدمه، وله دخاله

فى كل العلوم الدينيه المترامیه الأطراف، والذى يتكفَّل بتأصيل أصول متينه وقويه الثبات والمنهجيه هو علم الأصول.

وإنْ كان من الخطأ، أو المسامحه فى التعبير حصـر الأصول بفقه الفروع، كلا، بلْ إنَّ علم الأصول علم مهنى يُهنـدِس المنهجه فى العلوم الإسلاميه والدينيه كافه؛ لذا أجرينا هذا التعديل فى بحث الأصول، وقلنا هناك: -

إنَّ علم أصول فقه الـدين بأكمله لا فقه الفروع فقط، بلْ فقه التفسـير، وفقه العقائـد والسـيره والتاريـخ الـدينى، وفقه الرجال، وفقه الآداب، والحديث والأخلاق... الخ.

وعليه يكون من الغفله بمكان إذا أجرينا على ما جرى عليه الأوائل من حصر علم أصول الفقه فى خصوص علم الفروع.

ولـذا لأجل البصـيره عنـد الخوض فى قواعـد علم التفسـير وأصوله، إذا أردتَ أنَّ تُقَلِّدَ مُفَسِّراً ما فلابـدَّ أنْ تتحرى عن كم ومَدَى الثبات المنهجى عند ذلك المُفسِّر، وكم هو الصواب المنهجى عنده، فإذا كنت مُتَضَلِّعاً فى بحوث منهج التفسير وقواعدِهِ وأصوله فتكون بصيرتُك نافِذَه.

وهذا شبيه ما قاله الأصوليون: - كُلَّما تُبصِّر وتتقوى وتتطور وتتضلع فى علم الأصول - أصول الفقه - كلما تَقْوَى على هندستك وصناعتك فى علم الفقه.

ومن خلال هذهِ المقدمه يتضح أنَّ علم الأصول له اليد الطولى وله الدخاله فى كل علم من العلوم الدينيه.

والشاهد على ذلك: إنَّ قواعد علم التفسير، وكذا قواعد علم السيره

والأخلاق، وكـذا قواعـد علم السير والسـلوك والعرفان، وقواعـد بقيه العلوم الـدينيه الأخرى، لا يمكن أنْ تُهذب وتؤطر، وتُقَعِدَ قواعد بقيه تلك العلوم إلّا بموازين بُحثت فى علم الأصول.

وهذهِ ليست مجرد دعوى، بلْ مشـفوعه بالدليل، باعتبار أنَّ العلوم الدينيه هى المعرفه الدينيه والفهم الدينى، كما دلَّت على ذلك الآيه المباركه فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ١.

بتقريـب: أنَّ الآـيه قـالت (ليتفقـوا) أى ليفهمـوا وهى مطلقـه، ولم تُقيـد بفهم الفروع فحسب، وإنَّمـا بإطلاقهـا تشـمل كـل العلـوم والمعارف الدينيه.

والسـبب فى هـذهِ التوسـعه: هو أنَّ المعرفه الدينيه تسـتند على الحجيّه الشـرعيه والعقليّه معاً لا على أحدهما دون الآخر، بلْ تعتمد على الحجيه الفطريه، بلْ على الحجيه الوحيائيّه، والـذى يضـبط وُيصـحِح ويُسدد معرفه الحجيه الشـرعيّه عن غير الشـرعيه هو علم الأصول.

لـذا نجـد أصـحاب التخصـصات فى العلوم الـدينيه المختلفه عنـدما يُـدونون قواعـد تلك العلوم فإنَّهم مضـطرون لإقحام مباحث أصوليه فى تلك القواعد.

فلو لاحظنا مثلاً كتب المتكلمين وما فيها من القواعد الكلاميه المُمَهِدَه للاسـتنباط فى علم الكلام أمثال ما صـنعه جمله من أعلام الشيعه وفضلاؤها كالشيخ الصدوق (رحمه الله) فى اعتقاداته، والشيخ المفيد والسيد

المرتضى و... الخ من المتقدمين، وكذا ما صنعه العلامه الحلى فى نهايه المرام فى علم الكلام و... انتهاءاً بما ردَّ به الشيخ محمد حسن المظفر فى دلائل الصدق لنهج الحق فى الرد على الفضل ابن روزبهان وغيره من الذين أثروا المكتبه الكلاميه الشيعيه بالمصنفات والشروحات العاليه المضامين.

فنلاحظ هذهِ الكتب أنَّها مملوءه بمباحث من علم الأصول، كمباحث الحجه، والشك فى الحجيّه، وبيان مراتب الحجيه... ونظام الحجيه ما هو... الخ كذلك إذا لاحظنا قواعد علم التفسير فى جمله من مصادرها حتّى فى العلوم القرآنيه، كما فى كتاب الاتقان للسيوطى فى علم التفسير، أو كتاب العلوم القرآنيه للزركشى أو غيرها.

فنلاحظ كل مُفَسِّر فى بدايه تفسيره يكتب قواعد علم التفسير فى المجلد الأوَّل، فتلك القواعد لا يمكن أنْ تتجاوز وتتخطى المباحث الأصوليه حتّى توظفها فى مواد ذلك العلم، فإنْ كانت موادّ فى علم الكلام، فكلاميه وإنْ كانت من التفسير فتفسيريه، وإنْ كانت فى العرفان فعرفانيه، وإنْ كانت فى علم الرجال فرجاليه تحتاج إلى بحث التوثيق، وما هو ضابطه، وهل التوثيق حجه أو لا؟ وكذا بيان مراتب حجيه التوثيق، وما هى دلاله كل أماره، وكم عدد الأمارات، كل هذا يبحث فى علم الأصول.

وعليه فالباحث فى علم الرجال مثلاً ـ ليست كل مباحثه رجاليه محضه، ولا أصوليه محضه وإنَّما هو مزج بين الطرفين، فلا يكون الإنسان رجالياً نحريراً بلحاظ إلمامه بمواد رجاليه غزيره، إلّا أنَّه لا بصيره له فى علم الأصول، فحينئذٍ تكون النتائج خاطئه جداً لأنَّه لا يوازن بين المواد،

وكيف يخرج بنتيجه التوثيق أو بنتيجه الجرح، بخلاف ما إذا كانت له إلمامه أصوليه قويه، فإنَّه يكون ذو بصيره رجاليه نفّاذه ثاقبه، ولكن الجانب الأصولى لوحده من دون تبحر فى المواد الرجاليه لا ينفع ويصير كالهندسه فى أرض جرداء قاحله.

وعليه فلابدَّ من ممارسه الإلمام بالمواد الرجاليه شيئاً فشيء ويوماً بعد يوم إلى أنْ يتضلع ويتبحر فيها.

وكذا فى بحوث السيره النبويه، أو سيره المعصومين (عليهم السلام) وكذا فى كتابه وتدوين السيره، وهذهِ الظواهر العلميه فى العلوم لا تأتى صدفه، كذلك الحاجه بالنسبه إلى علم التفسير، فالكلام هو الكلام، ومتى يكون المُفسِّر أقدر وأجدر وأكفأ؟

يكون كذلك عندما ينهض له جناحان قويان، قد ينهض فيه جناحٌ قويٌ، والآخر ضعيفٌ.

النتيجه: تكون مجموع نسبى متأثره فكلما اشتد المُفسِّر جداره وقوه فى علم الأصول، كلما صار أدق منهجه فى علم التفسير.

العامل الثانى: وفره إطلاع المُفسِّر على مواد التفسير:

كإلمامه بتأريخ جمع القرآن وبالسور والآيات وأحكام الناسخ والمنسوخ... الخ.

وعليه:

كلما كان إلمام المفُسِّر بالمواد التفسيريه أكبر كان تنظيره وقولبته وتفعيله لقواعد علم التفسير أضلع، ولا يكون ذلك إلّا بضم هذين

العاملين – البحث الأصولی مضافاً إلی الإلمام بالمواد التفسیریه.

فمثلاً عند ملاحظه کتاب البیان للسید الخوئی (قدس سرّه) فی تفسیر القرآن نجده (قدس سرّه) کتب قواعد علم التفسیر کمدخل إلی قواعد أصول التفسیر وإنْ لم یستوفها کلها وأعطی نبذه یسیره عن تلک القواعِد، وأقحم (قدس سرّه) المباحث الأصولیه علماً أنَّ البحوث التی اضطر إلی تنقیحها وتحریرها هل هی تفسیریه محضه أم أصولیه محضه؟

بالتالی لابدَّ أنْ تمتزج المواد التفسیریه المترامیه الأطراف بالمباحث الأصولیه.

الخلاصه: الذی ذکرناه من العاملین یجب أنْ یَطَّلع علیها الإنسان إذا أراد أنْ یکون مُفَسِّراً ناجحاً والخوض فی مباحث علم التفسیر، والمفسر الناجح هو الذی یجعل موازنهً بین العاملین السابقین لا أنَّه یُراعی أحدهما دون الآخر.

العامل الثالث: القرآن ذ و منازل:

من أمهات الطبقه الأولی لأصول التفسیر التی یرسمها القرآن الکریم وأهل البیت (علیهم السلام) هو وضع المفُسِّر نصب عینیه هذهِ الحقیقه من أنَّ القرآن الکریم ذو منازل ومقامات صرحت به آیات القرآن – کما مرَّ تفصیله بالفصل الثانی.

بدایه علم التفسیر

مَرَّ علم التفسیر بمراحل شبیهه بالمراحل التی مرَّ بها الفقه – فقه الفروع – فمثلما لم یکن فی بدایه علم الفقه شیءٌ اسمه علم الأصول – أصول الفقه – وإنَّما الأئمه أشاروا إلیه – عن أحمد بن أبی نصر، عن الرضا (علیه السلام)،

قال:

«علينا إلقاء الأصول إليكم وعليكم التفريع»(۱).

وكون هـذا أصل وباب ينفتـح من ألف باب، هـذهِ التعبيرات وغيرها عنهم (عليهم السـلام) منذ زمن أمير المؤمنين (عليه السـلام) مؤسـس كل العلوم الإسـلاميه باعتبار أنَّه (عليه السـلام) أوتى جوامع العلم، إلى أنْ أتى حفيده الإمام الباقر (عليه السـلام) والإمام الصادق (عليه السـلام) ثم كتب فى ذلك زراره وهشام بن الحكم قبل الشافعى فى علم الأصولن فأخذت البحوث الأصوليه تنتزع من بحوث فقهيه وتُميز وتُبين.

كذلك: - علم التفسير فى بدايته وترعرعه ونموه وتوسّعه واشتداده وتطوره وازدهاره مرَّ بنفس المراحل التى مرَّ بها علم الفقه.

بدايه البحث التفسيرى

بـدأ البحث التفسـيرى بعلم القراءات(۲) وكـانت مـن المتميزيـن فى مـدرسه الإمـاميه أبـان بـن تغلِب، وحمران بن أعْيَن، وحمزه الكوفى وغيرهم من جمله القرّاء العشـر، هم من أتبـاع أهـل البيت (عليهم السـلام) ومن الشـيعه الإمـاميه الـذين بـدأوا فى الميول والبروز مثل زياد بن المنذر والهمدانى من اليمن فإنَّه كان من تلامذه الإمام الباقر (عليه السـلام) رغم أنَّه انتهج المذهب الزيدى، وكذا بُرير

۱- (۱) الوسائل، ب ۶، من أبواب صفات القاضى/ ح ۵۱.

۲- (۲) علم القراءه: تعنى القراءه لغةً التلاوه، واصطلاحاً: كيفيه قراءه ألفاظ آيات القرآن الكريم وقد ظهرت القراءه كعلم مستقل فى جمله علوم القرآن، وألَّف العلماء والباحثون فى القرآن عشـرات الكتب بشأنها، تناولت بعضـها بيان القراءات المختلفه لبعض الآيـات: منهـا: معجم القراءات القرآنيه لمؤلفه أحمـد مختار عمر، وعبـدالعال سالم مُكرَّم. منها: (علل القراءات السـبع) لأبى على حسن بن أحمد الفارسى، وذكر فيه الدليل على كل قراءه. - القراءات للشيخ محمد تقى مصباح اليزدى.

بن خُضير الشهيد فى كربلاء مع الإمام الحسين (عليه السلام) سيد الشهداء، فكان بارعاً ومُتضلعاً فى علم القراءات؛ ولذا لما استُشهد وقُتِل أصبحت ندامه خاصه عليه من الطرف الآخر.

وهكذا من قبله: - عبدالله بن عباس تتلمذ على يد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والحسن والحسين (عليهما السلام)، وكان يملك مدرسه تفسيريه معينه وإنْ كان عى مدرسته مؤاخذات من قبل الأئمه (عليهم السلام) اللاحقين كالباقر والصادق (عليهما السلام).

وإنْ كان عبدالله بن عباس (رضى الله) هو تلميذ مدرسه الأئمه، لكن حيث لم يحصل لديه متابعه للاستقاء من مدرسه أهل البيت أصبحت هناك فجوه فاصله بين مدرسته رغم أنَّها قريبه جداً من مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) فى التفسير، وبين المدرسه التفسيريه للإمام الباقر (عليه السلام) والصادق (عليه السلام) وباقى المعصومين (عليهم السلام) إذْ أخذت تسجل المؤاخذات على مدرسه التفسير لعبدالله بن عباس، وهكذا حال كل من حاول الابتعاد عن مدرسه أهل البيت التفسيريه أو ابتعد عنها أمثال:

عبدالله بن مسعود، وأُبى بن كعب وغيرهم من الصحابه الذين تضلعوا واختصوا فى التفسير على يد الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) فى علوم القرآن، حيث ابتعدوا عن مدرسه أئمه أهل البيت (عليهم السلام) بدأ يَدُبُّ فيهم جرس المؤاخذات والملحوظات الخطيره على منهجيه التفسير بسبب هذا الابتعاد شيئاً فشيئاً إلى أنْ انفصلوا عن مدرسه أهل البيت وصارت لهم استقلاليات وحينئذٍ بدأت هشاشتهم واضحه، كما سنبين هذا مفصلاً إنْ شاء الله تعالى فى الملحوظات على المنهج التفسيرى عند الصحابه وعند التابعين وعند تابعى التابعين... الخ.

توضیح للأمومه

الصله بین فقه الفروع وبین العقائد:

جرت عاده الفقهاء قدیماً وحدیثاً إلی التفصیل فی باب الفقه - أی فقه الفروع - بین العبادات والمعاملات وما یتضمنه کل واحد منهما من فروع ومسائل... الخ.

وکان بعض الفقهاء القدماء یذکر مُقدِّمهً ترتبط بعلم العقائد فیذکر شیئاً یرتبط مثلاً بباب التوحید ثم باب النبوه ثم العدل ثم الإمامه ثم... الخ.

أمَّا عند المتأخرین فلیس الأمر کذلک إلّا ما ندر.

إلّا أنَّه وللأسف هناک أمراً مهماً غفلوا عنه ولم یهتموا به وهو مهم جداً وهو عدم بیان الصله بین کل باب فقهی فی الفروع بالعقائد أو بالعکس، وعلیه فماذا ینجم من أبواب العقائد فی أعمال الفروع، فمثلاً ما وَرَدَ فی الروایات عن ابن مسکان عن أبی عبدالله (علیه السلام)، قال:

«نحن أصل کل خیر ومن فروعنا کلُّ برٍّ فمن البر التوحید والصلاه والصیام وکضم الغیظ... وعدونا أصل کل شرّ ومن فروعهم کل قبیح وفاحشه فمنهم الکذب والبخل والنمیمه والقطیعه.. فکذب من زعم أنَّه معنا وهو متعلّق بفروع غیرنا»(۱).

فکیف یکون ذلک وما هی العلاقه بین أنْ یکون أئمه الشرّ أصلٌ وبین الفجور والفسوق، بخلاف أئمه الهُدی علیهم أفضل الصلاه والسلام - فإنَّه ما وَرَدَ أنَّهم

«أصل کل خیر»(۲). وأنَّ کل خیرٍ نتمسَّک به هو تولی لأئمه

۱- (۱) الکافی، ج ۸، ص ۳۳۶؛ الوسائل ب ۷، من أبواب صفات القاضی، ح ۲۴.

۲- (۲) المصدر السابق.

الهُدى (عليهم السلام).

وهكذا الأمر فى مباحث كثيره منها:

أولاً: ما هى العلاقه والصله بين بحث الشورى والإمامه والسياسيه وما هى صلتها بالفقه العقائدى، فإنَّ الإمامه السياسيه بحثٌ فقهى فرعى وليسَ عقائدى، فإنَّه حتّى عند أهل السنه والجماعه لم يُبينوا نوع وظيفه الصله بينهما.

ثانياً: أيضاً لابدَّ من معرفه العلاقه بين الإسلام وبين الصلاه والصوم والحج والزكاه والخمس والولايه، ليسَ فقط هذهِ الفروع الفقهيه الست أو الأكثر نريد معرفتها، وما هى علاقتها بالإسلام من الناحيه العقائديه والتأكيد على الولايه وكيف أنَّ الولايه مرتبطه بالصلاه والحج...

وهذ الولايه فيها جانب فقهى أم كُلُّها جنبه عقيده؟

هكذا ذكر الفقهاء أنَّ من الفروع هو مسأله التولى والتبرى، وما هى علاقتها بالعقيده.

ما هو نوع الصله بين فقه الفروع والعقائد

فى مبحث الولايه

من جمله فروع الدين التى ذكرها الفقهاء مسأله التولى والتبرى، بعد ذكر الصلاه والصوم والزكاه والحج والخمس والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر... الخ.

وعليه فهل الولايه من فروع الفقه والدين أم أنها تصلح أنْ تكون من

أصول العقائد؟(۱).

وكان ديدن الفقهاء القدماء يذكرون صله المطلب الفقهى الفرعى بالمطلب العقائدى ضمناً، وهكذا الأئمه (عليهم السلام) من قبل، فقد وردت روايات عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) كما ذكر صاحب الوسائل الحر العاملى ذلك، فيبينون مضافاً للمطلب الفقهى بيان جوانب ومطالب أُخرى لا علاقه بالمطلب سواء كان مطلباً أخلاقياً أو عقائدياً أو... الخ.

وهذا ليسَ خلطاً بين المطالب وإنَّما هو مزج وخلط صوره صحيحه تبين الارتباط بين المبادئ الوجوديه الظاهريه مع واجب الوجود.

وعليه فمن الضرورى ربط المطالب العلميه ببعد روحى، بخلاف أهل الاختصاص فإنَّهم لا يذكرون إلّا المطالب الخاصه باختصاصهم ولم يربطوا ذلك بالبعد الروحى.

وهذا ما يعبر عنه بجامعيه العلوم؛ ولذا شاهدنا فى ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم - القرن العشرين - ودَعَت الدراسات الأكاديميه إلى التخصص ولكن سرعان ما غيرت هذهِ الدراسات نغمتها فى الثمانينات

۱- (۱) الولايه تأتى بفتح الواو (وَلايه) فتكون مصدراً للفعل الثلاثى المجرد (وَلِى) وهو فعل مُعتل مثال واوى على وزن فَعَلَ نقول: - وَلِىَ ولايهً. وأُخرى تأتى بكسر الواو (وِلايه) فتكون اسم مصدر. وذكر الراغب الأصفهانى فى مفرداته: - الولاء والتَّوالى: - أنْ يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليسَ بينهما ما ليسَ منهما، والوَلايه بالفتح: النُصْرَه والوِلايه (بالكسر) تولى الأمر [الراغب الأصفهانى فى مفرداته]. وقال الجوهرى فى صحاحه: - الوَلى: القُرْب والدَّنو، يُقال: - تباعدنا بَعْدَ وَلْيَن وكل مما يليك أى مما يُقاربك... الخ.

من نفس القرن إلى دعوى الجامعيه بين التخصص وغيره حتّى يكون لدى المتخصص بُعْد أعمق.

ومن الشواهد على ذلك أنَّه توجد مقوله للشيخ البهائى (قدس سرّه) أحد علمائنا الأبرار «ما جلست مع متخصص إلّا غلبنى، وما جلست مع جامعى إلّا وغلبته».

وإنْ كان كلامنا فى التفسير والفروع إلّا أنَّه يمكن أنْ يكون له ارتباط وثيق بأصول العقائد.

وذلك لأنَّ القرآن بَيَّن فى موارد عديده الآيات الداله على الولايه وماده - و - ل - ى، بألفاظ داله على الطاعه والطهاره والمباهله و... الخ. ومن تلك الآيات:

١ - قوله تعالى: إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا...١.

٢ - قوله تعالى: اَلنَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ٢.

٣ - قوله تعالى: وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَهٍ إِذا قَضَى اللّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ٣.

۴ - قوله تعالى: أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ۴.

۵ - قوله تعالى: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ۵. وغيرها.

وعليه: إذا لاحظنا الآيات القرآنيه وكذا الروايات الوارده فى الولايه وبيان معناها والتأكيد عليها كثيره جداً.

وأمَّا الآيات الوارده فى بيان حق وأهميه الصلاه لم تصل إلى أجزاء العشره بالمائه ١٠٪ من مجموع آيات القرآن، وعليه فتقدم ما هو وارد فى الولايه.

هيمنه العقائد على فقه الفروع

بعدما تقدم أنَّ الولايه ذُكرِت فى فقه الفروع، علماً أنَّها أيضاً أخذت مساحه واسعه جداً فى العقائد، بلْ وأكَّد عليها القرآن أكثر مما أكَّد على باقى فقه الفروع من الصلاه والصوم والزكاه... الخ.

والسؤال: هو أنَّه كيف العقيده - كالولايه - تهيمن، ما هو وجه الهيمنه فيها؟.

الجواب: كل العبادات التى تصح فيها النيابه عن المنوب عنه، سواء كان المنوب عنه ميتاً كما فى الصوم والصلاه و... الخ أو حيّاً كما فى مسأله الإجازه للنيابه عن الحى العاجز فى الحج و... الخ.

يُشترط فيها كون النائب مؤمناً وأمَّا غير المؤمن فعبادته غير صحيحه.

وأمَّا أنَّه لماذا عبادته باطله؟

فإنَّ الفقهاء لم يقفوا عنده ملياً ويحللونه ويوضحونه بالمستوى المطلوب، وإنَّما وكلوا ذلك إلى بحث العقائد.

وعندما نأتى إلى العقائد فإنَّ المتكلمين وللأسف، وكذا الفلاسفه لم

يبينوا ذلك بالبيان المطلوب مع أمثلته، وإنَّما استعرضوا بعض جوانبه وذكروا بعض الأمثله.

إلّا أنَّه نقول هنا: -

لو نظرنا إلى تراث أئمه أهل البيت (عليهم السلام) ابتداءاً بأحاديث النبى (صلى الله عليه و آله) إلى نهج البلاغه إلى الصحيفه السجاديه إلى الروايات التى نقلها أصحاب المجامع الحديثيه أمثال الشيخ الكلينى فى الكافى والصدوق فى فقيهه والطوسى فى تهذيبه، والمجلسى فى بحاره والكاشانى فى وافيه والحر العاملى فى وسائله والمحدث النورى - خاتمه المحدثين - فى مستدركه... الخ.

لوجدنا فى كل المصادر المذكوره مثلاً فى نهج البلاغه: - لو أخذنا مقطعاً من خطبه معينه نجد فيها إشاره إلى عِدَّه مطالب مثلاً فيه بيان للبُعد العقائدى فى نهج البلاغه، أو البُعد الأخلاقى أو الآداب أو الفقه السياسى أو الاقتصادى أو العسكرى أو الاجتماعى أو... الخ وهذهِ ليست خلطاً بين الأبحاث بعضها مع البعض الآخر كلا.

كما أشكل بعض الحضور فى بعض المؤتمرات على بعض علمائنا وقالوا هذا خلطاً بين المباحث فأجابهم: -

للأسف أنكم لم تَّعون نظام نهج البلاغه الذى هو انعكاس لنظام القرآن.

وهكذا مثل الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) فى أى فرع من الفروع الصلاه أو الصوم أو الزكاه أو الحج، أو الوصيه أو الميراث أو... الخ.

فنلاحظ أنَّ الإمام (عليه السلام) يتكلم فى هذا الفرع المعين كالصلاه مثلاً- نجد فجأةً يُحوِّل مسار الحديث وَيردُ على شبهه عقائديه أو يشير إلى مطلب عقائدى

معین، وهذا المطلب له صله یعیه من یعی ویغفل أو غفل عنه مَن غفل.

اعتراض: إنَّ القرآن وکذا الأحادیث النبویه والروایات الوارده عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) یأتی بمبحث فی العقائد وفی نفس الوقت والمناسبه یشیر إلی مبحث ذی صله بالفروع أو بالأخلاق أو... الخ فبناءاً علی التفسیر الموضوعی والمنهجه الموضوعیه وتباین موضوعات العلوم فیما بینها بناءاً علی تمایز العلوم بتمایز موضوعاتها، فإنَّ هذا خلطٌ.

الجواب: لو استقرأنا جمیع الروایات الوارده فی المجامیع الحدیثیه فی مثل الوسائل وفی کل الأبواب من کتاب الصلاه إلی کتاب الدیّات، بلْ فی جمیع أبواب الصلاه من أوائل باب الرکوع أو السجود أو... الخ نجدها مشحونه بأمور عقائدیه، ولیسَ ذکرها من باب الاستطراد وطرداً للباب وأنَّه من باب الشیء بالشیء یذکر، کلاّ وإنَّما هذا نظام یذکر فی جمیع الأبواب فی أوائلها وأواسطها وأواخرها فیها وحده النظام أی نظام القرآن والدین یُعَرَّج فیه علی المبحث العقائدی.

فمثلاً: وَرد فی وصیه رسول الله (صلی الله علیه و آله)

[...ألا- إنَّ لعنه الله ولعنه ملائکته المقربین وأنبیائه المرسلین ولعنتی علی مَن انتمی إلی غیر أبیه، أو ادّی إلی غیر مواله، أو ظلم أجیراً أجره](۱).

وفعلاً ارتقی أمیر المؤمنین (علیه السلام) المنبر وأوصل وصیه رسول الله إلی المسلمین وظنَّ بعضهم بأنَّ هناک وصیه خطیره، نجد هل أنَّ کتاب الإجاره فی الفقه محتاجه إلی بیان، أنَّ مَن یمنع إجاره أجیر فهو ملعون من قبل الله تعالی، وهذا شیء واضح، وکذا مسأله عقوق الوالدین أو إباق

۱- (۱) أمالی الطوسی، ص ۹۱.

العبد عن مواليه فهذهِ أمور واضحه لا تحتاج إلى تأكيد.

والأمه الآن تحتاج إلى تحديد مصير بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى أواخر أيّامه من هذهِ الدنيا.

أَوَتظُن أنَّ النبى (صلى الله عليه و آله) أراد بهذهِ الوصيه ظاهر هذهِ الأمور الثلاثه الواضحه كالشمس فى رابعه النهار؟! والأمه بحاجه إلى تحديد المصير والعقيده وتنظيم شؤونهم بعد رحيله (صلى الله عليه و آله)، ولكن بعد أنَّ خفَّ عن رسول الله المرض جاء إلى المسجد وخطب بالناس وفَسَّرَ الوصيه التى نقلها عنه وصيه بالحق على بن أبى طالب (عليه السلام).

حيث نلاحظ هذهِ البنود الثلاثه فى الوصيه مرتبطه بفقه الفروع، فانظر كيف ربط رسول الله (صلى الله عليه و آله) بينها وبين المبحث العقائدى الذى نريد بيانه فى مقامنا وهو: -

أولاً: مَن منع أُجره أجير فعليه لعنه الله، هذا ما يرتبط بالفروع وأمَّا ما يرتبط بالعقائد فأنا وعلى أجيرا هذهِ الأمه قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى ١.

فانتقل (صلى الله عليه و آله) من الإجاره التى هى عقدٌ فى الفروع إلى عقد فى العقائد وهذا غورٌ فى بيان الصله بين الفروع والعقائد.

ثانياً: مَن عَقَّ والديه فعليه لعنه الله؛ لأنَّ العقوق من الكبائر التى توعد الله مرتكبيها النار، وما يرتبط بالعقائد: - أنا وعلى أبوا هذهِ الأمه فمن عقّنا فعليه لعنه الله.

وكثير من الروايات دلَّت على هذا المعنى «أبٌ أولدك وأبٌ زوجك،

وأبٌ علمك» فإنَّ والدك أعظم حقاً عليك من ولدك وزوجتك.

ثالثاً: لعن الله عبداً أبق عن مواليه.

يقول الرسول (صلى الله عليه و آله): الناس مأمورون بطاعتنا ونحن أولياؤهم فمن أَبَق من ولايتنا فعليه لعنه الله.

الشارع عبدنا بولايه النبى (صلى الله عليه و آله) ووصيه بالحق وأهل البيت (عليهم السلام) فمن أبق عن طاعتنا وولايتنا فعليه لعنه الله.

وعلى أى حال فهناك الكثير من البحوث التى قد يتوهم فيها البعض بلْ حتّى عند العرفاء والمتكلمين والمفسرين ويشتبه عليهم الأمر كما فى مبحث التمييز بين معرفه التوحيد وبين معرفه ولايه الله، فإنَّ ثمره معرفه التوحيد هو ولايه الله أو المعرفه بولايه الله هى الإيمان بالتوحيد أو بذات الله والمقام الأعظم كمالاً منه الإيمان بولايه الله.

ص:۱۴۲

تطبيق منهج الأمومه والهيمنه وطبقاتها

على مثل بحث الولايه

لعلَّه هناك سؤال أو إشكال يدور فى الأذهان من خلال ما تقدم وهو:

أنَّه إذا كانت الآيات الوارده فى القرآن فى حق الولايه وأهميتها أكثر بكثير من الآيات الوارده فى الصلاه والصوم والزكاه و... الخ فلِمَ هذا الاختلاف بين المسلمين، ولِمَ عدم التسالم على الولايه ومعناها بخلافه فى الصلاه والصوم والزكاه و... الخ فإنَّهم تسالموا على ذلك.

الجواب: هناك مستويان من الجواب: -

المستوى الأوَّل: هو محل اتفاق وتسالُم باعتبار أنَّ المراد من الولايه هى ولايه الله ورسوله والأئمه (عليهم السلام)، إذْ لا أحد يستطيع أنْ يُنكر الولايه لله ورسوله والأئمه وبالأخص مودَه الرسول (صلى الله عليه و آله) ومحبه أهل البيت (عليهم السلام). فقد تسالم المسلمون عليها، وأنَّها ضروره قرآنيه بديهيه والمنكِر لها منكر لأصل الدين وأصوله لدى كل المسلمين.

المستوى الثانى: لا أحد من المسلمين يستطيع أنْ يُنكر أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) لا يستقى العلم منهم كلا وإنَّما هم من أهل بيت زقوا العلم زَقَّاً، إذْ لا يختلف اثنان من المسلمين فى علم أمير المؤمنين (عليه السلام) سيد الأوصياء وأنَّه يمير العلم ميراً - أى يقسم العلم بين العباد - وهكذا فاطمه الزهراء (عليها السلام) سيده نساء العالمين والحسن والحسين والتسعه المعصومين من ذريه الحسين، وأنَّهم حجج الله على الخلق، ومَن يُنكر هذا يُردَّ عليه ويمرق من

الدين، وهذا المقدار إلى هنا أيضاً متسالم عليه.

أمَّا أنَّه كل المسلمين يعملون ويعتقدون بتلك الولايه فذاك بحث آخر علماً أنَّ الولايه على درجات عديده: -

منها: كما تقدم فى المستوى الأوَّل - المحبه والموده للنبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) - إذنْ على مستوى التنظير والإقرار لا يستطيع أحد أنْ يُنكر ذلك وأنَّ أهل البيت (عليهم السلام) لهم بُناه الدين الأوائل الذين بفضلهم استقام وبقى الدين إلى يومنا هذا، إذْ لا يستطيع أحد أنْ يُنكر ما قام به أمير المؤمنين (عليه السلام) بنفسه وماله وأولاده وبسيفه، وأنَّ الحق مع على وعلى مع الحق وحديث المباهله وباقى فضائلهم فى خدمه وديمومه بقاء الإسلام.

وإنْ كان هناك خلاف لا يُنكر - أيضاً - بين المذاهب الإسلاميه فى الفروع الفقهيه من الصلاه والصوم والزكاه والحج.

وعليه فإنَّ المقدار الضرورى لولايه أهل البيت (عليهم السلام) أوسع من المقدار الضرورى للصلاه والصوم والحج... الخ باعتبار أنَّ أهل البيت هم المصدر لعلم الدين وهو مقوم على الصلاه باعتبار أحكام الصلاه تستقى من القرآن والسنه وأهل البيت (عليهم السلام)، لذا لم يُنادَ بشىء أعظم مما نودى بالولايه إلّا أنَّه وللأسف المسلمون لم يُفعِلوا نظام اليقظه لهذا الأمر وأنَّه متروك ومغفولٌ عنه.

المقام الثانی: وحده معیه الثقلین

اشاره

*الهیمنه والفوقیه.

*مَن الذی جمع القرآن کما أنزل؟.

*إلفات نظر.

*النتائج السلبیه المترتبه علی عدم التمسُّک بالقرآن.

*العلاقه بین ولایه الله وولایه الرسول (صلی الله علیه و آله) والأئمه وبین منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات فی القرآن.

وحده معیه الثقلین

اشاره

ما المراد بالمعیه وعدم الافتراق بین الکتاب والعتره الوارد فی الروایات؟

لربَّ سائل یسأل ما هی السُبُل الصحیحه التی یتبعها الإنسان لأجل التمسُّک السدید والتام بالقرآن الکریم؟ لأنَّه حتّی الذین وصفهم القرآن بأنهم عضین کما فی الآیه المبارکه اَلَّذِینَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِینَ ۱ لیسوا رافعی الید عن القرآن الکریم بالمرَّه وأنَّهم تمسکوا ببعض القرآن دون بعضه الآخر، وهو لیسَ بتام ولا سدید(۱).

۱- (۲) عضین: جمع عضه أی التفریق وأصلها عضوٌ منقوصه الواو مثل عِزَه وعزین، عضه عضین، والمراد ب - (عضین) علی ما جاء فی الروایه فی تفسیر العیاشی ج ۲ ص ۲۷۱ ح ۴۳ هم قریش، فإنَّهم قسموا الآیات القرآنیه فما کان ینفعهم أخذوه وما لا ینسجم ومشتهیاتهم ترکوه فبدل أنْ یتخذوا کتاب الله هادیاً وقائداً لهم جعلوه کآله بأیدیهم ووسیله للوصول إلی أهدافهم الشریره، کما ذکره صاحب تفسیر الأمثل ح ۸ ص ۷۳ بتصرف.

والجواب: إنَّه لا يخفى على ذوى الألباب أنَّ نظام القرآن واحد لا يتبعض فإنَّه ذو وجوه منظوميه واحده، ولذا بعض الفرق الإسلاميه التى أخذت ببعض القرآن ظنَّنت أنها مستمسكه ومتمسكه بالقرآن الكريم وهو غير صحيح(۱) والصحيح كما هو عليه الواقع والحقيقه هو ما تعتقده الإماميه: - بأنَّ التمسُّك بأحد الثقلين الذى هو تعبير قرآنى الأصل نبوى الحديث

«إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وعترتى- كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض وعترتى أهل بيتى، وأنَّ اللطيف الخبير أخبرنى أنَّهما لن يفترقا حتّى يردا علىَّ الحوض فانظروا بماذا تخلفونى فيهما»(۲). والضمان لعدم الضلال هو التمسُّك بهما معاً لا بأحدهما، وسبب تسميتهما بالثقلين كما قالت به الروايه؛ لأنَّ التمسُّك بهما ثقيل(۳).

ومعنى المعيّه للثقلين - الكتاب والعتره - هو أنَّ العتره الطاهره للنبى (صلى الله عليه و آله) هم عين حقيقه القرآن وهذا هو معنى عدم افتراق القرآن عن العتره أى يوم عدم افتراق حقيقه القرآن التكوينيه وهو الكتاب المكنون وهو الروح الأعظم عن ذوات الفتره المطهّره، بلْ هو أحد أرواحهم الذى يسدّدهم(۴).

۱- (۱) الروايه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال أبى (عليه السلام) «ما افترق رجل القرآن بعضه ببعض إلّا كفر» العياشى ج ۱ ص ۹۷.

۲- (۲) إكمال الدين وإتمام النعمه للشيخ الصدوق ج ۱ باب اتصال الوصيه ص ۲۲۵ ح ۴۴.

۳- (۳) المصدر السابق: ج ۴۹ ص ۲۲۶.

۴- (۴) الإمامه الإلهيه ج ۲ للشيخ السند.

وهـذا المعنى هو أحـد الخرائط التى ترسم لنا العلاقه بين الثقلين، فهى لا تقول بمنطق: - حسـبنا كتاب الله فقط، ولا حسـبنا السـنه الشـريفه للنبى (صـلى الله عليه و آله) وأهـل بيته، بـلْ لابـدَّ منهمـا معاً نحن مفوضون بالانفراد به، ولا مقطوعون عنه، وإنَّما هما - الكتاب والسنه - مقترنان اقتران معىّ، وبالتالى لا نستطيع أنْ ننفرد بأحدهما دون الآخر، بلْ لابدَّ منهما معاً.

حديث الثقلين كلام الله فى القرآن:

وبمناسبه التعرض لذكر حديث النبى (صلى الله عليه و آله) المعروف بحديث الثقلين ناسب التكلم عن عدَّه أمور:

الأمر الأوَّل: الوحى وأقسامه.

الأمر الثانى: حديث الله فى القرآن.

الأمر الثالث: الحديث القدسى.

الأمر الرابع: الحديث النبوى.

أمَّا الأمر الأوَّل/ الوحى لغةً: مصدر من - وحى يحى وحياً - بمعنى الكتاب والبعث والإلهام والتفهيم بإخفاء وإيماء.

هو الإفهام بالرمز والإشاره الخفيّه، ومن هذا يُعرف أنَّ الوحى فى الأصل عباره عن الإعلام فى خفاء، أو الكشف عن أمر مجهول، أو إعلام بسرعه.

وقد يُطلق الوحى ويُراد به اسم المفعول (المُوحَى) وهو ما ينكشف لك بالفعل.

وعليه فالوحى الإلهى: - هو الفعل أو الإفهام الذى يكشف به الله

للإنسان عن الحقائق التی تتجاوز نطاق عقله.

وأمَّا الوحی فی اصطلاح الشریعه هو کلام الله المُنزَّل علی نبی من أنبیائه.

وذکرنـا فی مبحث الإمامه الإلهیه أقسام الوحی تحت عنوان منابع علومهم هی مصادر ومتون الشـریعه(۱) وأنَّ الوحی علی أقسام: -

أ) الوحی التشریعی والإنبائی.

ب) الوحی التأییدی والتسدیدی.

ج) الوحی الإلهامی والتوفیقی.

د) الوحی الإیتـائی والملـذانی والبسـط فی العلم والإلقائی وغیرها من العناوین الوارده فی السور والآیات القرآنیه الشارحه لأنواع الوحی.

وقد دلَّت النصوص القرآنیه علی مختلف أقسام الوحی: -

۱ - قوله تعالی: وَ ما رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لکِنَّ اللّهَ رَمی۲.

۲ - قوله تعالی: وَ النَّجْمِ إِذا هَوی ما ضَلَّ صاحِبُکُمْ وَ ما غَوی وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْیٌ یُوحی عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی۳.

۳ - وقـدْ أشـیر إلی الوحی التسدیـدی وغیره فی مواطن عدیـده من القرآن کقوله تعالی: وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَیْنا إِلَیْهِمْ فِعْلَ الْخَیْراتِ وَ إِقامَ

۱- (۱) المصدر السابق: ص ۲۵۷.

اَلصَّلاهِ وَ إِيتاءَ الزَّكاهِ١.

حيث إنَّ الوحى فى الآيه ليسَ هو الوحى التشريعى الذى هو عباره عن الأمر والنهى الإنشائى؛ لأنَّ متعلق الوحى جُعل نفس فعل الخيرات أى أنَّها كانت تصدر عنهم بوحى مقارن بصدور الفعل، كما أشار إلى ذلك العلامه السيد الطباطبائى فى الميزان، فالآيه تشير إلى أنَّ الموصوفين بجعلهم أئمه من قبله تعالى مؤيدون بحقيقه أمريه من عالم الأمر، وهو روح القدس الطاهره ومسدّدون بقوه ربانيه ينبعث منهم بتوسطها فعل الخيرات.

وسيأتى الكلام مفصلاً فى قاعده الوحى مستقلاً مفصلاً بحول منه تعالى وقوه.

الأمر الثانى: حديث الله فى القرآن: فإنَّ كلام الله هو الوحى المنزل على نبينا محمد (صلى الله عليه و آله) بصوره الكلام أو الكلمه سواء التكوينى الملكوتى أو الكلام المتموّج فى الهواء من الأصوات المتموّجه منه تعالى، والكلام الإلهى على أقسام، يأتى بيانها فى قاعده الوحى.

الأمر الثالث: الحديث القدسى: وهو ما يحكى كلامه تعالى غير متحد بشىء وهو غير القرآن أى الكلام المنزل بألفاظ بعينها فى ترتيبها لا لغرض الإعجاز.

وهذا الكلام يُوحى معناه إلى النبى (صلى الله عليه و آله) فيجرى الله على لسانه (صلى الله عليه و آله) فى العباره عنه ألفاظاً مخصوصه فى ترتيب مخصوص، ليسَ للنبى (صلى الله عليه و آله) أنْ يُبدلها ألفاظاً غيرها أو ترتيباً غيره(١).

١- (٢) المعجم الشامل.

الأمر الرابع: الحديث النبوى: للحديث فى اللغه معنيان:

الأوَّل: الجديد ضد القديم.

الثانى: الخبر والكلام(۱) وهو الموافق للمعنى الاصطلاحى والمعنى الأصلى للحديث هو الجديد، وإنَّما أُطلق على الكلام، بلحاظ أنَّه يحدُث ويتجدد.

وأمَّا الحديث فى اصطلاح المتشرعه: فقدْ اتفق المسلمون على أنَّه ما روى عن النبى (صلى الله عليه و آله) من قول أو فعل أو تقرير. والمراد من التقرير: - ارتضاء النبى (صلى الله عليه و آله) لما يُمارس بحضرته من سلوك فردى أو اجتماعى، وعدم إنكاره له.

وعليه فنسبه الحديث إلى النبى (صلى الله عليه و آله) من باب النسبه أى الأحاديث التى تحدّث بها النبى (صلى الله عليه و آله).

۱- (۱) لسان العرب ابن منظور، ماده (حدث).

الهيمنه والفوقيه

هناك عِدَّه مستويات لمعنى الهيمنه والفوقيه: -

المستوى الأوَّل: هيمنه وأمومه بعض آيات القرآن المحكمه والمتشابهه على بعضها الآخر - سواء أمومه المحكمات على المتشابهات أم أمومه المحكمات بعضها على بعض أو... فإنَّه لا يمكن بيانها بالمناهج التفسيريه الأُخرى - غير منهج أمومه المحكمات - كالمنهج التفسير الموضوعى، ولا التجزيئى الترتبى ولا فى أسباب النزول، ولا فى تفسير الأثر السطحى ولا تفسير القرآن بالقرآن ولا... الخ.

وهذهِ الهيمنه لا ضوابط وقواعد، فإذا اكتشفت هذهِ القواعد من خلال نظام الثقلين فى تفسير القرآن الكريم سنكون ألمّ بمبانى القرآن من المناهج التفسيريه تواجه مشكله هى أنَّها ليست فى صدد استخراج هذهِ القواعد من معارفها والمنهج الوحيد الذى يتكفل استخراجها ويُعرفنا القرآن بمعرفه غير مشتقه هو منهج أمومه المحكمات.

فمثلاً: ما هو الارتباط والعلاقه بين قوله تعالى: إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ١ وقوله تعالى وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ٢.

فهنا المنهج الوحيد الذى يُبين لنا نوع الارتباط بين هذين الآيتين وغيرهما من موارد أُخرى من القرآن هو منهج أمومه المحكمات وولايه

أهل البيت (عليهم السلام) الذى يؤكّد عليه القرآن الكريم، وهو المنهج الوحيد والأجدر الذى يكشف اللحمه والارتباط بين جميع الآيات بعضها مع البعض الآخر.

أيضاً تقدم أنَّ منهج أمومه المحكمات يتميز بنظام وحده وألفه وتناسق نسيجى على أصعده ومستويات مختلفه.

فمثلاً ـ عندما يكنْ الإيمان بغنى الله تعالى هو عدم اليأس من الله، فهناك آيات عديده تدلُّ على أنَّ الله تعالى أمر بالكرم ونهى عن البخل الآيه: وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ ١.

وأنَّ البخل ينشأ من اليأس من معرفه هذا النشوء وهيمنه المُنْشَأ على المَنْشأ وقبض اليد عن العطاء ناشىء من البخل، وهذا معناه هيمنه المُنْشأ على المُنْشأ.

فمثلاً أُشيع بين المفسرين بالآونه الأخيره أمثال العلامه السيد محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه) الذى يتوخى منهج تفسير القرآن بالقرآن ذكر الله تعالى فى ذيل كُلّ آيه أو مجموعه آيات مثل: - إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ٢ أو إِنَّ اللّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ٣ أو فَإِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ٤ وغيرها وهنا حاول السيد العلامه الطباطبائى أنْ يوجِد الصله بينها من بعض الجوانب.

أمَّا المنهج الذى اعتمدناه، فإنَّ الأسماء الإلهيه التى أشار لها القرآن الكريم لها هيمنه وبيان أمور كثيره وما هى نوع الصله بين صدر الآيه

وذيلها، فمثلاً: - الآيه التى تنهى عن الحسد والغيبه وجميع المعاصى ثم بعد ذلك يَذكر القرآن: - إنَّ الله واسع عليم، فما هى الصله بينهما؟.

الجواب: سعه الله تعالى لها معنى واسع، والذى يتكفل ببيان معنى هذهِ السعه هو منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) فإنَّ الواسع صفه من الصفات الإلهيه الداله على اللا تناهى لرحمه الله تعالى وقدرته والإفاضه منها على المتناهى المحدود... الخ.

للآيه قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّى ١.

المستوى الثانى: الهيمنه والأمومه على مستوى العلوم الإنسانيه إذا أرادوا أنْ يكتشفوا ظاهره مجتمعيه إنسانيه، ولا يستطعيون دراستها وتحليلها بدقّه وعمق إلّا بالرجوع إلى الرؤيه العقائديه فإنَّهم يشاهدون ويُدركون أنَّ هذهِ الظاهره الإنسانيه أو الأخلاقيه منبثقه من رؤيه فكريه وعقائديه.

المستوى الثالث: الهيمنه والأمومه من مستوى العلوم الأكاديميه فمثلاً الذى يريد أنْ يَدرس طب بدن الإنسان - كطب الأعصاب - لا يمكن أنْ يصل إلى العلاج الناجع والناجح إلّا بدراسه أمور عقائديه مرتبطه بالمدارس الأخلاقيه؛ وذلك لأنَّ حركه بدن الإنسان وأفعاله ذات صله بالصفات وعلوم الأخلاق ذات صله بعلوم العقيده والملل والنِحل.

وهكذا الارتباط بين كَرَم الله تعالى وبين صفه السخاء عند الشاب العاصى على ما وَرَدَ

«الشاب السخى المقترف للذنوب أحبّ إلى الله من

الشيخ العابد البخيل»(۱).

فغن صفتى البخل والسخاء من الصفات العمليه، فإنَّ السخاء كفعل وليد من صفه السخاوه، وقبض اليید كفعل وليد صفه البخل، ومرجع هذا إلى أنَّ مَن يحمل صفه البخل يكون أبعد عن الله ممن يحمل صفه السخاء؛ لأنَّ السخاء صفه تنطوى على الإيمان بوجود منبع لا ـ ينضب وفطرته – أى فطره السخى – هاديه له إلى نفق المعرفه بالحضره الإلهيه فطرياً تلقائياً، كما أنَّ البخيل – والعياذ بالله – منطوى على جحود خفى وهو جحود بوجود قدرهٍ وكرمٍ لا ينضب.

والسؤال: أيُّهما أفضل معرفياً؟ السخى العاصى أم البخيل العابد؟ فإنَّ البخيل عابدٌ ببدنه ولكنه متمردٌ بقلبه، فمثلاً إبليس كان ساجداً لله ببدنه، وأمَّا قلبه فهو متمرد، فهو يأبى طاعه الله تعالى فى الوسيله التى نصبها الله له، بخلاف السخى فإنَّه متمرد على الله تعالى ببدنه ولكن عابدٌ بقلبه فأيُّهما أفضل؟

الجواب: إن عباده القلب أعظم من عباده البدن، فإنَّ عباده البدن تضرُّ عباده السطحيين من البشر الذين يُساقون إلى عباده البدن التى عندهم أعظم خطباً من عباده القلب، وهذا معنى أنَّ الإيمان أعظم من العمل؛ لأنَّ الإيمان عباده القلب بخلاف عباده البدن فإنَّها عملٌ ولا فائده فى طوعانيه البدن مع تمرد الروح والقلب والعياذ بالله.

لذا دلَّت الأخبارُ على أنَّه ما نودى بشىء أعظم مما نودى بالولايه، فإنَّ الولايه أعظم من العمل؛ لأنَّ الولايه عباره عن عمل قلبى وهو أعظم من

۱- (۱) فقه الرضا لابن بابويه القمى، ص ۳۲۶؛ المفيد فى الاختصاص، ص ۲۵۳؛ ومستدرک الوسائل للمحدث النورى/ ج ۷ ص ۱۵.

العمل البدنى، وهكذا الدين هو الحبُّ والبغض، فإنَّه يوالى ويحب بقلبه، فإنَّه يلى الجانب الإلهى بقلبه ويُسلِّم ويعمل كل ذلك بقلبه، ولذا ما ورد فى الأخبار من التأكيد عليها - الولايه - وأنها أعظم من الصلاه؛ لأنَّ الصلاه فيها جنبه خضوع بدنى أو جسمى، وهكذا الحج فيه جنبه وفود على الله بالبدن وهكذا السخى فإنَّه يَسْخى بماله.

بينما الولايه هى وفود على الله بالقلب وهو أعظم من الوفود عليه بالبدن وهكذا السخى فإنَّه يسخى بذات نفسه إلى الله تعالى ولا يتوجه إلى أنانيه ذاته كما توجه بها إبليس - خلقتنى من نار وخلقته من طين - فإنَّ جبت الإنانيه فى إبليس لم يتدكدك ولم يصغ إلى الحضره الإلهيه وهكذا جهاد النفس هو تسليم لما قضى به الله فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً١. فإنَّه أعظم من جهاد العدو بالبد، وعليه فجهاد النفس جهاد جهادٌ حقيقى وهو الصلاه الحقيقيه وهو الزكاه الحقيقيه وهو... الخ.

ولذا صار التريكز والإصرار على حذف فقره «حَىَّ على خير العلم» من الأذان والإقامه للصلاه، وهل الأعمال الخيريه فيها أخير وأفعل تفضيل؟

نعم ألا وهو نور الولايه التى هى خير الأعمال.

المستوى الرابع: إنَّ هيمنه الصفه على الفعل، والذات على الصفه أى نشوء شاكله الفعل من الصفه، ونشوء شاكله الصفه من نمط الذات أو العقيده أو الرؤيه باعتبار العقيده؛ لذلك الصله بين العقيده والذات هى أنَّ

العقيـده تخلِق وتوجـد الـذات، وبما أنَّ العقيده موطنها القلب فهى من شؤون القلب والذات والروح، وهذهِ هى الفصل الأخير من ذات الإنسـان وذات المخلوق متقومه بالعقيـده باعتبـار أنَّ موطنها – العقيـده – أعالى وجود المخلوق وفصـله الأخير وعليه تكون العقيده جوهراً لا عرضاً، باعتبار أنَّ العقيده والذات تعبيران متقابلان متلازمات يكشف أحدهما عن الآخر.

ص:١٥٦

من الذى جمع القرآن كما أَنزل ؟

اشاره

لمْ يجمع القرآن كما أُنْزِل غير على بن أبى طالب (عليه السلام).

ولا تعنى هذهِ الإجابه قطع الصله بين البشر وبين تنزيل الكتاب العزيز.

وكذلك لا تعنى تجميد تنزيل الكتاب، وظاهر الكتاب.

وإنَّما المراد هنا نفى القدره المطلقه لا- نفى مطلق القدره، ومطلق درجات القدره، كلا- فإنَّ بعض درجات القدره موجوده، ولذلك بعض الأفهام السقيمه التى لا- تفهم إلّا فهماً سطحياً وتجمد على ظاهر اللفظ والعباره، وليسَ عندها نظره تأمل وعمق وغور فى الأعماق عندما يسمع هؤلاء: أنَّ القرآن لا يقدر عليه البشر، فيفهم: أنَّ البشر لا يستطيعون ولا يقدرون عليه بقدره مطلقه، كلا وإنَّما يقدرون عليه ولكنْ بقدره ما متبعه.

إلفات نظر:

لا- يكفى للباحث العلمى أو المُفسِّر للقرآن أنْ يستنتج نتائج كيف ما اتفق، وإنَّما المهم هو أنَّه كيف يؤلِّف بين هذهِ النتائج وكيفيه الموازنه بينها وفرز الأهم من المهم والمقدَّم من المؤخر، وما هو مكيال المُقدَّم وهل يُكال به المؤخر أم بمكيال آخر، هذا هو المهم.

وعدم مراعاته كما وقعت به المدارس الإسلاميه تنتج نتائج سلبيه ويحاسبون ويحاكمون عليها علمياً.

النتائج السلبيه المترتبه على عدم التمسُّک بالقرآن

هناک بعض الفِرق التی ضلَّت وانحرفت عن منهج أهل البیت (علیهم السلام) بادّعاء أنها من فِرق الشیعه، بسبب أنَّها ترکت التمسُّک الصحیح بالقرآن الکریم، المترتب عن هذا الترک ترک منهج أهل البیت (علیهم السلام) والابتعاد عنهم، وکذلک الذین ترکوا التمسُّک بأهل البیت (علیهم السلام) ویدعون أنَّهم متمسکون بالقرآن کلا بلْ هم مبتعدون کل البعد عن القرآن من حیث یشعرون أو لا.

وبعد هذهِ المقدمه یأتی السؤال: ما المقصود من التفرقه بین القرآن وأهل البیت (علیهم السلام) إذْ هؤلاء الذین فرَّقوا وتمسکوا بأحدهما دون الآخر ظنوا أنَّهم متمسکون بالقرآن وهذا توهمٌ؛ لأنَّ التمسُّک بأحدهما دون الآخر معناه ترکهما معاً من حیث لا تشعر، وإنْ کانت النفس تظن ولو صورةً أنَّها متمسکه بأحدهما.

کلاـ هما معاً لن یفترقا وإنْ ظننت أنک فرّقت بینهما، إلّا أنَّه بالواقع أنت افترقت وابتعدت عنهما بالتمسک ولو ظناً منک بأحدهما.

وهذا یستلزم نتیجه خطره جداً ذات عاقبه وخیمه وسیئه وهی التفرقه بین الله ورسوله، وبالتالی هم فارقوا الله ورسوله.

وهکذا فیما لو أرادوا التفرقه بین الرسل فکذلک هم بالواقع فارقوا الرسل، نظیر ما فعل أتباع موسی والمسیح (علیهما السلام)، فالیهود والذی استمسکوا بموسی (علیه السلام) وترکوا التمسُّک بعیسی (علیه السلام) بالواقع هم تارکوا کلا النبیین.

وهکذا اتباع نبی الله عیسی بن مریم (علیه السلام) عندما نُصِروا بتوسط بورص

الذى أغوى النصارى بالواقع لا أنَّهم تمسكوا بالنبى عيسى (عليه السلام) أكثر وتركوا سيد الرسل محمد (صلى الله عليه و آله) وإنَّما تركوا الاثنين معاً ويحسبون أنَّهم متمسكون بهما والواقع ليسَ كذلك.

والسبب فى ذلك؛ لأنَّ أنبياء الله تعالى سلسله واحده لا تنفصل ولا تنفك، نظير الابتعاد عن حلقه سلسله متصله هو ابتعاد عن كل الحلقات.

كذلك الإيمان بأئمه أهل البيت (عليهم السلام) الاثنى عشر هو إيمان على نحو الكلى المجموعى فإذا أنكرت إمامه واحدٍ منهم تركتهم كلهم لا أنك ترك أحدهم وتمسكت بالآخر، كما فعلت بعض الفرق التى تدّعى أنَّها من الشيعه كالزيديه والإسماعيليه والفطحيه.. الخ. وكذلك صله أئمه أهل البيت (عليهم السلام) بنبى الإسلام بحسب الإيمان وستتضح الحقيقه فى الآخره.

ومن خلال هذا كُلَّهُ يتضح أنَّ معيه الثقلين لا تتفككك ولا تنفصل بعضها عن بعض بأى حال من الأحوال، وعليه فالمنهاج الذى يضعه أهل البيت (عليهم السلام) ليسَ معناه قطيعه وتجميد للقرآن وتمسك بأهل البيت (عليهم السلام).

ولذا عندما نلتجئ إلى المُعَلِّم الإلهى وهم أهل البيت (عليهم السلام) لا يعنى أننا نترك الكتاب، كلا، وإنَّما ذهبنا إلى مُعَلِّم ذلك الكتاب بغيه التمسُّك والوقوف والتركيز والتدبر والتعلم أكثر فأكثر من ذلك الكتاب، لا أننا نأخذ بكلام المُعلم ولا نوازى ولا نركز ولا ـ ندقق فيما يقول فى ذلك الكتاب وإنَّما بالعكس، وهذهِ الموازاه تفك لنا الكثير من الإجمالات والإبهامات؛ لأنَّ هذا الكتاب يحتوى على أمر عظيم.

العلاقه بين ولايه الله تعالى وولايه الرسول (صلى الله عليه و آله) والأئمه

وبين منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات من القرآن

لا يخفى على ذوى البصيره وذوى العقول السليمه أنَّ ولايه أهل البيت (عليهم السلام) هى ولايه الله تعالى وولايه للرسول ومتفرعه عنهما – أعنى عن ولايه الله وولايه الرسول – وعليه فولايه الرسول (صلى الله عليه و آله) وعترته بهذهِ المراتب المتسلسله ليست نِدّاً لولايه الله أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ۱ فطاعه الرسول هى مثال لتجلى ونوع من التمثل لطاعه الله تعالى.

وهكذا طاعه أولى الأمر من أهل بيت النبى (صلى الله عليه و آله) أيضاً تمثل لطاعه الرسوله (صلى الله عليه و آله) وولايه الرسول (صلى الله عليه و آله) التى هو تمثل لطاعه الله، وولايه الله فى الأرض أعطائها لخلفائه فى الأرض.

ولو فرضنا أنَّه لم نلتزم بهذهِ المراتب المتسلسله هل تقوم للدين قائمه من دون أنْ نجعل محور الدين هو ولايه الله؟

كلا، لا يمكن، وهل يمكن أنْ تقوم للدين قائمه من دون أنْ نجعل التوحيد هو المحور الأساسى والمركزى؟ كلا لا يمكن.

وهل يمكن أنْ تستقى أبواب الأصول والفروع بشكل غير موصول ولا مرتبط بتوحيد الله تعالى؟ كلا لا يمكن.

وعليه الحلقات الثلاث المتسلسله والمترابطه ولايه الله ثم ولايه الرسول

ثم ولايه الأئمه (عليهم السلام) هى الأصل الذى يرجع إليه، وأنَّ هذهِ الأسلاك النوريه التى تربط السماء بالأرض لا يستطيع أحدٌ أنْ يبينها إلّا المعصوم اَللّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها١. والمعصوم (عليه السلام) يبين لنا كيفيه الانطلاق من النقطه المركزيه وهو التوحيد إلى الرساله (النبوه) ثم الإمامه ثم بقيه دوائر وأبواب الدين.

ثم أنَّه هل لفروع الدين قطيعه عن أصول الدين؟ كلا لا يمكن لأنَّ فروع الدين متفرعه ومتولده وناميه ونموّها من أصول الدين.

هذا مضافاً إلى وجود برهان وحيانى أعظم من البرهان الفلسفى وهو الحديث النبوى، قال النبى (صلى الله عليه و آله):

«إنَّما العلم ثلاثه: آيه محكمه أو فريضه عادله أو سنه قائمه وما خلاهن فهو فضل»(١).

فقدَّم النبى (صلى الله عليه و آله) الآيه المحكمه وأراد بها العقائد والأصول، ثم السنه القائمه وقصد بها علم الأخلاق والنفس والآداب والسنن، ثم الفريضه العادله أى الفرائض التى فُرضت على البدن.

إذنْ هذهِ الحلقات المتعاقبه هى دوائر تتبع بعضها البعض؛ لأنَّ نسيج الدين قائمٌ على مركزيه التوحيد، فإنَّ النبوَّه هى توحيد الله فى التشريع، والإمامه هى أيضاً توحيد الله فى الطاعه والولايه، والمعاد هو توحيد الله فى المنتهى ولقاء الله، والآخره هى مظهرٌ لتوحيد الله هو الأوَّل وهو الآخر.

كل أصول الدين هى مجرى لتوحيد الله تعالى وهكذا الفروع من الفقه وغيره من المعارف الدينيه هى توحيد الله تعالى.

١- (٢) الكافى ج ١ ص ٧٩ ب ٢ باب صفه العلم وفضله ح ١.

ولكن تمتاز مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) فی التوحید عن غیرها من المدارس الإسلامیه الأخری، والتوحید الذی عندها لیسَ عند غیرها من المدارس الأُخری وهو توحید الطاعه؛ لأنَّ الله تعالی عنده برنامج نظری وبرنامج تطبیقی للبشر وأنَّ الحاکم هو الله تعالی والحاکم السیاسی دائماً هو الله تعالی، هذا علی منهاج مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) بینما لا نشاهد هذا فی المذاهب الإسلامیه للأسف عندهم فقط البرنامج النظری دون التطبیقی ولیسَ عندهم توحید وحاکم سیاسی.

وحده القرآن لیست وحده سیاق الآیات ولیست وحده المعنی والموضوع، وإنَّما وحده القرآن هی وحده الدین ووحده الدین هی وحده نظام، کما سیأتی مفصلاً فی محله - إنْ شاء الله تعالی -

ولذا ولایتنا وإمامتنا نظاماً للمله وتنسیق للقلوب والأفکار فهی ترتبط وتتناسق فیما بینها وکل هذهِ البیانات تشیر إلی منهج أمومه المحکمات.

المقام الثالث

وفيه:

*بحث امتياز منهج أمومه الولايه عن غيره.

*العلاقه بين الظاهر والباطن.

*العلاقه بين الفتق والرتق.

*أهميه البحث المقارن.

*الفوارق بين منهج أمومه ولايه أهل البيت عليهم السلام على المحكمات فى القرآن فضلا عن المتشابهات وبين التفاسير الأُخرى - بحث مقارن -.

*القيمومه فى التعليم والبيان.

*حجيه آيات وسور القرآن حجيه معيه لا حجيه مستقله.

*المؤاخذات على المناهج الأُخرى.

*العلاقه بين الظهور والتأويل - قاعده التعريض - وبين منهج أمومه ولايه أهل البيت عليهم السلام.

المقام الثالث: بحث مقارن بين منهـج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السـلام) على المحكمات فى القرآن فضـلا عن المتشابهات والمناهج الأخرى

اشاره

وفيه:

١ – بحث امتياز منهج أمومه ولايه أئمه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فى القرآن فضلاً عن المتشابهات، عن غيره:

يُعلم مما تقدم يمكن القول: أنَّ أصول التفسير لابدَّ وأنْ يكون الواضع الأوَّل هو الله تعالى ثم النبى (صلى الله عليه و آله) ثم أئمه أهل البيت (عليهم السلام)، وليسَ المفسرون والمجتهدون والفقهاء، وإلّا لكان فى تفسير هذا القرآن تمزق وتشتت وذلك لأنَّ القرآن له وَحْدَه منظوميه لا يمكن كشفها إلّا من قبل المعصومين (عليهم السلام).

ثم بعد ذلك إذا حافظنا على الأصول التى هم أسسوها يمكن أنْ تنبثق أصول اجتهاديه تفسيريه لا توجب تشتتات وتمزّقات، بلْ توجب وحده منهاج.

ولابدَّ من تحقيق الحال فى العنوان التالى:

أم الكتاب

قبل الخوض فى معنى الأمومه والهيمنه للآيات المحكمه المحكمه يمكن طرح هذا التساؤل وهو:

هل أنَّ الآيات المحكمه هى أم الكتاب، أم لا؟

وهل أنَّ أمَّ الأمِ هو أصل الأصل أم أنَّ الأمَّ هو أصل ولايه أهل البيت؟.

والجواب: أنَّ القرآن الكريم فی بـدايه سوره آل عمران(۱) بيَّن أنَّ معنی أمومه وهيمنه ومركزيه المحكمـات هو يرد المتشابهات إليها، وهذهِ قاعده معرفيه مهمه جداً فی ردِّ المتشابه إلی المحكم.

وبيَّن القرآن الكريم أنَّ البشـر لو أُعطوا فقـط الآيـات المحكمـات والمتشابهات فإنَّه ليسَ لهم القـدره علی ردّ ومآل وسـير مرجع المتشابهـات إلی المحكمات، وكـذا ليسَ باسـتطاعه المحكمات لوحـدها برفع نقاط الشـبه والتشابه عن المتشابهات، وإنَّما الـذی يمتلك القـدره الكافيه لردِّ ذلك فقط هو الله تعالی وهو المعلم الأوَّل والراسـخون فی العلم هم المهيمنون علی هـذهِ المحكمات والمتشابهات.

ومن الواضـح أنَّ العالم بالشـیء محيطٌ به، وبما أنَّ الله تعالی والراسـخون فی العلم هم فقط الذين يعلمون بالمحكمات ومصداقها الأوَّل وإليه ينتهی ما عداه، بعد الله تعالی هم النبی (صلی الله عليه و آله) وأهل بيته العالمون بذلك.

النتيجه: - إنَّ المحكمـات أعظم من المتشابهات، وبما أنَّ العالِم والمحيط بالمحكمات أعظم من المتشابهات فننتهی إلی أنَّ أهل البيت (عليهم السـلام) أمومتهم وولاـيتهم (عليهم السـلام) - التی أكَّد عليها القرآن فی مواضع مختلفه من سوره المباركه منها ما نحن بصـدده إلاَّـ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ والـواو هنـا فی الآـيه المبـاركه للعطـف والعطـف يقتضـی التشـريك فی الحكم بين المعطوف والمعطوف عليه، وإنْ كان للقوم آراء أُخری فی أنَّ الواو استئنافيه أو غير ذلك.

وأمومه النبی (صلی الله عليه و آله) هی أعظم من أمومه المحكمات علی المتشابهات، ولا يكون إحكام المحكم إلّا بعلوم وببيان أهل البيت (عليهم السلام).

۱- (۱) سوره آل عمران: الآيه ۷، هُوَ الَّذِیَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ....

أيضاً ذكر القرآن أم الكتاب وأنَّ لها أماً فی مورد آخر يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ١ وهناك شواهد قرآنيه كثيره على ذلك كما سيتضح فی بحث المحكم والمتشابه.

أيضاً من مميزات منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) عن غيره، هو أنَّ هذا المنهج يتميز بأنَّ له ظاهر وباطن وأنَّ الظاهر عند الناس والباطن ليسَ عندهم.

وأنَّ الذی عند الله تعالى ليسَ خفياً وإنَّما جلياً وإلّا لمْ تستفد البشريه منه.

نعم، يحتاج إلى مُعَلِّم يعلمهم بذلك ووساطه.

ويعتمد هذا المنهج على عدم تسطيح القرآن، ولا يفهم أنَّ القرآن سطح ليسَ له عمق كما فهمه البعض.

وذكر القرآن مثلاً فی سوره آل عمران أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ٢.

ولم يقل القرآن [هن وحده موضوعيّه أو لغويه أو فلسفيه أو عقليه... الخ] بلْ قال [هن أم الكتاب].

والقرآن المجيد يحذر من جحود حقائق لأنَّ القرآن يفصح بأنَّ للسور والآيات القرآنيه تنزيل ولها تأويل، كما أنَّ لها ظاهر له باطن، للآيه المباركه يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَهِ هُمْ غافِلُونَ٣ فالآخره باطن الدنيا، فإنَّ الآخره باطن هذا الظاهر.

المعلم الثانى: لمنهج تفسير أمومه المحكمات:

ويسمى هذا المعلم بالخفاء والجلاء، أو إجلاء الخفاء، ومعنى تجليه الخفى أى إظهار باطنه بنزعه باطنيه، بلْ ينزعه قرآنيّه.

وهـذا المبحث يُعدُّ من المباحث المهمه جداً والذى مُلِئتْ كتب الحديث عند الفريقين ببيان رسول الله (صـلى الله عليه و آله) من أنَّ للقرآن ظهو وبطن ولظهره بطن إلى سبعين بطناً.

والتفاسـير الأُخرى – التى مَرَّ ذكرهـا – الأدبيه منهـا والنحويه والعقليه و... الـخ. لها درجات ومساحات معينه لا لكل الآفاق وإنَّما بسـعه قدره البشر، ومن الجلى أنَّ الحقيقه الإلهيه أوسع من الطاقه البشريه وأوسع من القدرات العقليه؛ لذا القدرات والنتاج العقلى البشرى هو بقدر الطاقه البشريه، وهى قاصره عن آفاق وسعه بحور الحقيقه الإلهيه.

والنبى (صـلى الله عليه و آله) كمـا مرَّ، بَيَّن فى حـديث الثقلين بيانـاً معرفيـاً فى وصف القرآن وأنه حبـل له طرفان طرف عنـد الله وطرف عند الناس، وهذا إشاره إلى أمومه المحكمات.

مميزات المنهج الثانى – العلاقه بين الظاهر والباطن:

يتميز المعلم الثانى بعدّه مميزات:

أولاً: إنَّ للقرآن ظاهر وهو عند الناس، وله باطن وهو ليسَ عند

الناس، وكيف ما عند الله جلى ظاهر للناس لا خفى باطن.

ثانياً: يعتمد موازنه عدم تسطيح القرآن الكريم، ولا يفهم منه أنَّ القرآن سطح ليسَ له عمقٌ - كما فهمه البعض -.

ثالثاً: أكَّد القرآن الكريم فى مواضع مختلفه على أهميه وجود حقائق قرآنيه، وحذّر من جحودها، فمثلاً قوله تعالى: أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ١ عَبَّرت الآيه ب - (أم الكتاب) ولم تعبر [هُنَّ وحده موضوعيه أو لغويه أو فلسفيه أو عقليه أو... الخ].

وهذا يدلُّ على أنَّ آيات القرآن لا تنزيل ولا تأويل، كما أنَّ لها ظاهر ولها باطن للآيه المباركه: يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَهِ هُمْ غافِلُونَ٢.

والقرآن الكريم بعد أنَّ سجل دعامه معرفيه أساسيه حذَّر البشر من أنَّ يَسجن معرفته بالظاهر من القرآن الكريم فقط، أو بالباطن فقط أو بالتنزيل فقط أو بالتأويل فقط، وإنَّما أكَّد القرآن على أنَّه إذا آمنت بالقرآن الكريم فلابدَّ أنْ يكون إيمانك بالظاهر على حد سواء إيمانك بالباطن، ومثلما تؤمن بالتنزيل كذلك بالتأويل على حدٍّ سواء وهكذا.

وهذا مما أكَّد عليه قرناء وعِدْل القرآن الكريم وهم الأئمه المعصومون (عليهم السلام) وهو أهميه وجود التأويل.

بينما لو لاحظنا المناهج الأُخرى من المدارس الإسلاميه، بلْ حتَّى من

مفسری الإمامیه نراهم یؤکّدون کُلّ التأکید علی جانب التنزیل ولم یعتنوا بجانب التأویل، وسِرُّ ذلک واضح باعتبار - کما مرَّ - أنَّ تنزیل القرآن له طرفان طرف ممدود من السماء بالأرض وهذا الطرف مقدور لعموم الناس، وأمَّا الطرف الآخر الذی هو فی السماء وعند الله غیر مقدور لهم وهم فی عجز عن تناوله إلّا أنَّه غیر خفی عنهم بواسطه معلموه ألا وهم النبی والأئمه المعصومون (علیهم السلام) حتَّی لا یحرموه؛ ولذا تری العکوف من قبل العلماء والمفسرین و... علی التنزیل.

وهذا مما لا کلام لنا فیه ولا مشکله، إنَّما المشکله تکمن فیما لو حَصَر المُفسِّر نظام حقیقه القرآن والنظام القرآنی فقط وفقط فی التنزیل، وهنا نواجه مشکله وهی أنَّ القرآن الکریم نفسه بُیِّنَ بلسان عربی مُبین ونورٌ وهُدَی، فکیف یصیر فیه غموض وخفاء وبطون.

وعلیه فالمشکله التی تواجهها المناهج التفسیریه الأُخری غیر منهج أمومه المحکمات هی مشکله العکوف علی جانب التنزیل فی القرآن الکریم ورسم نظام تفسیری للقرآن محدود بحدود التنزیل.

إلّا أنَّه وللأسف إذا رجعنا إلی قواعد وأصول التفسیر عند المفسرین نجدهم غالباً حتَّی عند علماء الإمامیه فإنَّهم یُغفلون أو لمْ یُفَعِلوا الطرف الغیبی والطرف التأویلی فی القرآن الکریم.

ومن أهم فوارق المعلم الثانی الذی نحن الآن فی صدد بیانه هو أنَّ الجانب الغیبی فی القرآن أوسع من الجانب التنزیلی بنسبه لا متناهیه، کما سیأتی تفصیله فی محله إنْ شاء الله تعالی.

العلاقه بين الفتق والرتق

من الفوارق المهمه والفارقه بين منهج تفسير أمومه المحكمات عن المناهج الأُخرى هو أنَّه فى تفسير أمومه المحكمات يتمُّ فيه التعرف على عمليه الفتق بعد الرتق أو التبين بعد الاندماج أو التفصيل بعد الإحكام.

والفتق فى اللغه هو الشق والفتح(۱).

والرتق فى اللغه: ضد الفتق وهو الإلتئام(۲).

وقد ورد فى وصف النبى (صلى الله عليه و آله) أنَّه الفاتق الراتق يعنى فاتق الجور وممزقه وراتق الخلل الذى وقع فى الدين والكلام استعاره(۳).

وهذهِ القاعده من القواعد المهمه التى أكَّد عليها القرآن الكريم وأئمه أهل البيت (عليهم السلام) إلّا أنها وللأسف أصبحت نسياً منسياً فى مناهج تفسير المفسرين، وهذا المَعْلَم نخوض به الآن على نحو الإجمال، وسيأتى بسط الكلام فيه وتفصيله كأصل تفسيرى مهم إنْ شاء الله تعالى.

سؤال: ما المراد بالبيان أو الفتق أو التفصيل؟ أى التفصيل بعد إجمال.

الجواب: سيأتى فى نظام قواعد المعانى ونظام قواعد الحقائق الوجوديه للقرآن أنَّ التفصيل والإحكام والفتق والرتق قد تكون على صعيد المعنى وذلك باستخراج معانٍ عديده من معنى واحد مدمج، فالمعانى المستخرجه

۱- (۱) مجمع البحرين ج ۲ ص ۲۲۳ ماده فتق.

۲- (۲) المصدر السابق ص ۱۶۶ ماده رتق.

۳- (۳) المصدر السابق، ص ۲۲۴.

فتق لوحده إجماليه للمعنى الوحدانى بوحده رتقيه وهو ما يعبر عنه بالعقليات بطباعه التحليل والتركيب وهذا فى الترادف العقلى والجزئيه وتفكيك المعنى الواحد إلى معانٍ عديده، وقد يكون الاستخراج لا من بطن وذات معنى معين، بلْ استخراج المعانى من الترابط والتأثير الوجودى بين معانى مختلفه. فالتفكيك والتفصيل للمعانى والدمج لها فى معنى واحد أحكام التفكيك للمعانى والدمج لها أحكام.

فى كل علم من العلوم هناك مراتب وطبقات متسلسله مترتبه فيه، وسسلسله مراجع مبتنيه أنَّ المرجع الأعلى حاكم على الأسفل كما هو المعروف فى قوانين البشر الوضعيه، فضلاً عن قانون ونظام القرآن الذى أكَّد عليه قبل أكثر من أربعه عشر قرناً.

مثال: علم القانون فيه مراتب وطبقات.

الطبقه الأولى: التقنين الدستورى، والذى يعبر عنه أحياناً بالفقه الدستورى.

الطبقه الثانيه: تقنين الفقه النيابى فى المجالات النيابيه، والمعبر عنه اليوم بالبرلمان – مجلس النواب –.

الطبقه الثالثه: التقنين الوزارى الذى تقوم به الوزارات والمجالس الوزاريه.

الطبقه الرابعه: التقنين البلدى تقوم به المحافظات والأقضيه والبلديات وغيرها.

وسير عمل هذهِ الطبقات أنَّ الطبقه الأعلى تفصيل أُجمِل فى الطبقه

الأقل، وهكذا مع تفاصيل أكثر فى الطبقه اللاحقه، فمثلاً الطبقه الثانيه - التقنين النيابى - عباره عن تفصيل للتقنين الدستورى أُجمِلَ فى التقنين الوزارى، والتقنين الوزارى عباره عن تفصيل أكثر بسطاً وشموليه وسبقه من التقنين النيابى، وهكذا التقنين البلدى الذى هو تفصيل أكثر وأكثر من التقنين الوزارى.

وبعد اتضاح هذا نقول: العلاقه بين الطبقه الأولى (التقنين الدستورى) والطبقه الثانيه (الفقه النيابى) علاقه أمومه فهذهِ أحد معانى الأمومه التى بيّنها القرآن فى سوره آل عمران هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ[1].

وكذا أهل البيت (عليهم السلام) بيَّنوها لنا وأكَّدوا عليها.

الخلاصه: إنَّ الطبقه العليا تعتبر أمّاً ومرجعاً وأصل يحتكم إليه بالنسبه للطبقه الأقل وهكذا.

وعليه فالمراد بالفتق بعد الرتق هو التفصيل بعد الإجمال وعليه يقوم نظم المجتمع أو دوله المجتمع فإنَّه قائم عدا أساس وجود دستور وأمومه فوقيه لما تحتها وأنَّ كل طبقه من طبقات القانون لها معالم معينه والطبقه الأعلى مهيمنه على الطبقه الأدنى وهكذا الأدنى هى أعلى لما دونها ولها الهيمنه، وهكذا، بلْ حتّى ديباجه الدستور - أى الطبقه الأولى التى فيها تقنين دستورى - فبها هيمنه على فصول وأبواب الدستور كُلَّها - أى أنَّ ديباجه الدستور هى أم للدستور - بأنَّ كل طبقات الدستور وتفريعاته

ترجع وتحتكم إلى الأم وهى الديباجه.

أيضاً ديباجه الدستور لها مرجع وأم وهو ما ترفعه الدول من سفارات مثلاً: جمهوريه مستقله ديمقراطيه حُرَّه فهذهِ الكلمات الأربعه تحدد أمومه مرجعيه ديباجه الدستور.

مثال الثانى: علم الرياضيات - تقدم سابقاً - أيضاً له أمومه وهيمنه على جمله من العلوم التجريبيه كعلم الهندسه الفراغيَّه، والهندسه الميكانيكيه الفضائيه، والهندسه الفيزيائيه، والكيمائيه، حساب الجبر، حساب الأجسام، حساب علم الإحصاء، وحساب الاحتمالات، واللوغارتم... الخ وهذا معناه أنَّ هذهِ العلوم لا يقوم لها أمر وينفرط أمرها ولا يستثمر من دون الرياضيات.

الذى بات اليوم واضحاً ومعترفاً به علمياً وعالمياً ودولياً أنَّ الرياضيات قائداً وسيداً ومرجعاً وأُمّاً للعلوم التجريبيه، بلْ حتّى القواعد والمعادلات التسعه فى الرياضيات لها أمومه على كل تخصصات علوم الرياضيات.

أمومه علم الرياضيات هى ما تسمى فتق وتفصيل وبيان بعد رتق وإجمال وإحكام. وهكذا باقى العلوم، وليسَ المقصود عدم أهميه أو إجحاف فى العلوم الما دون القمه والمرجع كلا، بلْ حتّى فكره التشجير ترجع إلى فكره الأمومه.

والمتحصل من كل هذا: - تبين أنَّ المنهج الوحيد من بين المناهج التفسيريه للقرآن الذى يُراعى هذهِ الأمومه والهيمنه هو منهج أمومه المحكمات وأمومه أهل البيت (عليهم السلام).

مثال ثالث: المعروف لدى كل العلوم أنَّ المسائل النظريه تستولد وتستنتج من المسائل البديهيه - أى المبادئ التصوريه والتصديقيه فى ذلك المعلم - والفكر والعقل الإنسانى إنَّما يتنامى ويتسع وتترامى استنتاجاته واستنباطاته انطلاقاً من البديهيات، وعليه فالمعلومات بينها ترابط توالدى فى اصطلاح المنطق الأرسطى المعروف وكل تفاصيل العلوم من صغرى وكبرى ومبادى تصوريه وتصديقيه بات مفروغاً عنها بأنَّها تتوالد تلك الحقائق من نظريات أو فرضيات وهكذا.

وعليه حاله توالد العلوم هو توالد وانطلاق من البديهيات إلى النظريات، وكلما توغلت النتيجه والبحث العلمى فى النظريات كلما زاد غموضاً أكثر ويَقِل فيه نور الاطمئنان واليقين والجزم.

إذنْ عمليه التوالد هذهِ هى أيضاً عمليه أُمومه، فالأم والدائره المركزيه والقطب هى البديهيات التى تنطلق منها دوائر متعدده أوسع فأوسع.

ص:١٧٩

أهميه البحث المقارن

اشاره

من الواضح أنَّ الفطنه والتدبر فی أصول وقواعد ومناهج التفسیر تعطی بصیره ناقِدَه للمُفسِّر ومنهجیه رائعه ومضبوطه وعمیقه، وتقدم أنَّ المُفَسِّر کلما یستقصی ویتوافر علی معلومات ومواد تفسیریه عدیده کلها کانت الیقظه لدیه فی المنهج التفسیری أکثر ویکون سیره ومنحاه التفسیری أکثر صواباً وسداداً وعمقاً.

ویترتب علی هذا الاطلاع علی آراء المفسرین ومناهجهم سواءً من مفسری الإمامیه ومقارنه بعض المناهج التفسیریه مع البعض الآخر، أو من مفسری العامه مع إجراء المقارنه مع مناهجهم التفسیریه أیضاً.

وهذا ما یعبر عنه بالبحث المقارن.

ما المراد بالبحث المقارن؟

ویرادُ به جمع الآراء المختلفه وتقییمها والموازنه بیها بالتماس أدلتها وترجیح بعضها علی بعض، وهو بهذا المعنی أقرب الیما کان یسمیه الباحثون من القدامی بعلم الخلاف أو الخلافیات(۱).

والبحث المقارن یُرکز فیه البحث علی عِدَّه أمور منها: -

أولاً: التعرف علی الهویه العلمیه الشخصیه للمُفسِّر، والتاریخ العملی له.

ثانیاً: معرفه الأسس التی أراد أنْ یبنی علیها تفسیره، ویتم ذلک من

۱- (۱) الفقه المقارن للسید محمد تقی الحکیم، ص ۱۵-۱۶.

خلال الاطلاع على مقدمه أو ديباجه التفسير، وأحياناً هذا لوحده غير كافٍ بأنَّ يستحوذ الباحث على معرفه المنهج التفسيرى من البدايه لاحتمال أنْ يُبين المُفسِّر بعض آراءه من خلال تفسير بعض الآيات فى وسط أو آخر التفسير، وهذا أيضاً يختلف بحسب المستوى العلمى والعملى وتطوره من خلال معرفه ذلك.

هـذهِ الأمور وغيرها تعطى الباحث المتأمِل والمطالع الكريم صوره واضحه عن اختلاف المنهجيه أو تقاربها، وكـذا تعطيه نكات كثيره عن جهه الامتياز الإيجابى وجهات الإخفاق السلبى التى قد تعتور المُفَسِّر.

والخلاصه: إنَّ البحث المقارن لا يمكن الاستغناء عنه؛ لأنَّه يُعطى الباحث إلمامه واسعه بأصول التفسير وبموارد الاختلاف، كما عبَّر عن ذلك أمير المؤمنين (ع

):«عند مقارنه الأقوال يُعلم الخطأ من الصواب».

ص:١٨٢

الفوارق بين منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام)

على المحكمات فى القرآن فضلاً عن المتشابهات

وبين التفاسير الأُخرى – بحث مقارن

اشاره

إنَّ مِن أتمِّ وأبلغ مناهج وأصول التفسير لتفسير القرآن الكريم هو أمومه المحكمات لتفسير تمام آيات القرآن الكريم، وكذلك أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) لتفسير المحكمات.

إذنْ مثلما المحكمات لها أمومه على المتشابهات، كذلك ولايه أهل البيت (عليهم السلام) لها أمومه على المتشابهات فى تفسير المحكمات.

فلو قارنا بين نظام الثقلين الذى هو بمثابه نظام هِرَمى مخروطى كبير يسمى بنظام القرآن ونظام ولايه أهل البيت (عليهم السلام)، لمنهج التفسير القرآنى هو من أشد وأمتن، بلْ وأصوب من باقى التفاسير الأُخرى كالتفسير الموضوعى والتفسير التجزيئى المعروف والمتبع عند المفسرين، والتفسير الأثرى والإشارى أو اللطائفى... الخ.

وللتعرف على هذا المنهج – أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) يستدعى الخوض فى أصول التفسير المتعدده الأُخرى والمقارنه بينها كالتالى:

المنهج الأوَّل: أمومه المحكمات والمتشابهات وأمومه أهل البيت (عليهم السلام) للمحكمات وهو الحق المتبع.

المنهج الثانى: التفسير الموضوعى.

المنهج الثالث: التفسير التجزيئى.

المنهج الرابع: التفسير الأثرى الحديثى.

المنهج الخامس: التفسير الاجتهادى.

المنهج السادس: التفسير الإشارى أو ما يعبر عنه بالإشاره.

المنهج السابع: التفسير اللطائفى.

المنهج الثامن: التفسير الأَنْفُسِى بلغت أنفُسيه.

المنهج التاسع: التفسير المادى أو الطبيعى بقراءه العلوم الطبيعيه التجريبيه من فيزياء وكيمياء وفسيولوجى... الخ.

المنهج العاشر: التفسير بالحروف والعلوم الغريبه.

المنهج الحادى عشر: التفسير العقلى المنطقى الفلسفى الرياضى الأدبى... الخ.

وستأتى المقارنه خلاف مباحث الكتاب، وبيان خواص كل منهج من هذهِ المناهج التفسيريه إنْ شاء الله تعالى.

أهم مميزات منهج تفسير أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فى القرآن الكريم فضلاً عن المتشابهات:

أولاً: يتميز هذا المنهج المبارك عن باقى المناهج التفسيريه الأُخرى بأنَّه منهج قواعدى أكثر مما هو تفسير موضوعى أو تفصيلى أو تجزيئى أو تفسير القرآن بالقرآن الذى هو تتبع القرائن القرآنيه فقط.

ومنهجنا هذا يُلزِم المُفَسِّر بمراعاه مجموعه قواعديه منظوميه كنظام

واحـد؛ وذلك بسـبب أنَّ القواعـد التفسـيريه هى أعمـده داخليه وأَسـس، ولذا أحد عظائم القرآن أنَّه جَمَعَ القواعد والأركان فى مراكز ومحاور رئيسيه مُحكمه هى المرجع، وأحد أدوار ومسؤوليات المُفَسِّر أنْ يكتشف من خلال تفسير تلك الأعمده والأسس فى القرآن، ومن الواضـح أنَّ أسـلوب القرآن الكريم لاـ يتناول السـرد القصصـى والتعرض إلى سـرد الوقائع والأحـداث فى حياه الأمم والأنبياء، كلا، وإنَّما يركِّز على ذكر الوقائع والأحـداث الرئيسـيه والمفصـليه الهامه فى ذلك الزمان من دون التعرض لـذكر التفاصـيل والجزئيـات، فمثلاًـ فى قصـه نـبى الله يعقـوب (عليه السـلام) ذكر الأحـداث الهـامه فقـط ولم يتعرض القرآن إلى ذكر الجزئيـات كـذكر بـاقى أولاـد يعقـوب أخوه يوسف واقتصـر على ذكر قصه يوسف (عليه السـلام) والأحـداث البـارزه فيهـا ومن الواضـح لو تتبعنـا الروايـات الوارده فى التفسـير للاحظنـا أنَّ الإمـام (عليه السـلام) يـأتى من سور متعـدده ولاـ يوجـد لهـا وحـده موضوعيه، وإنَّمـا لهـا وحـده أعظم من الوحـده الموضوعيه ألاـ وهى وحـده القواعـد ولمـا لها من أبعاد عديـده. علماً أنَّ وحـده القواعد على نحوين:

النحو الأوَّل: إنَّ هذهِ القواعد فى عرض واحد ويؤثر بعضها على البعض الآخر وإنْ لم يكن لها وحده موضوعيه عندائيه.

النحو الثانى: وحده موضوعيه لها تأثير وتأثر طولى طبقاتى.

ولذا أئمه أهل البيت (عليهم السـلام) دائماً يؤكِّدون على المُفَسِّر الالتفات إلى هذهِ الأعمده والمفاصل الرئيسـيه؛ لأنَّها هى الأكثر هـدايه وتأثير على حياه البشـر ولا يُفهم من هـذا أننا نهمل التفاصـيل، وأنَّ القرآن فيه تبيان لكل شـىء، كلا فإنَّ هذا لا يتنافى مع تركيز الأضواء على الأعمده والمفاصل الرئيسيه.

ولـذا نجد الإمام الصادق (عليه السـلام) ينبهنا على أنَّ المحكمات التى وصـفها القرآن بأنَّها أَمّ الكتاب أيضاً هذهِ المحكمات لها أمٌّ لقول الصادق (عليه السلام):

«إنَّ الله جعـل ولايتنـا أهـل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكُتُب، عليهـا يسـتديرُ محكم القرآن، وبهـا نوّهت الكتب ويسـتبين الإيمان»(١).

ثانياً: يتميز هذا المنهج عن سائر المناهج التفسيريه الأُخرى؛ لأنَّه المنهج الذى يحرص أهل البيت (عليهم السلام) تعليمه الآخرين، وإنْ كـانوا يواكبون الأمه على مناهـج تفسـيريه متعـدده أُخرى، إلّا أنَّ التفسـير الأكمل هو الـذى اخترنا - أمومه ولايه أهل البيت على المحكما فى القرآن.

ثالثاً: اختيار منهـج أمومه ولايه أهل البيت والمحكمات فى القرآن، ليسَ معناه تخطئه باقى المناهج التفسـيريه الأُخرى، وإنَّما هى أيضاً حافله بإيجابيات وبإنجازات منهمه ومُعَذِّره إلّا أنها ليست هى المنهج المهيمن.

وتكامل منهـج أمومه ولايه أهل البيت والمحكمات فى القرآن مبتنٍ على تكامل قواعـد المناهج التفسـيريه الأُخرى، إذْ لو جُعِلت تلـك المناهـج الأُخرى - غير منهـج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السـلام) والمحكمات هى المحور والمركز بـدل المحكمات لوقعت المحاكمات والمحاسبات إلى ما شاء الله بخلاف العكس؛ لأنَّ مـدد منهج تفسير القرآن وأمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) والمحكمات وحيانى.

رابعاً: منهجنا يسـتوعب المناهج التفسـيريه الأُخرى ويخفظ وجودها وجهودها ومقدراتها ويحتفى بها ويرى ضرورتها ولا يُفندها، إلّا أنَّه يقول

١- (١) تفسير العياشى ج ١ ص ٧٨ ح ٨.

تحتاج إلى مزيد كمال لكى تكون منهج جمع الجمع وهو الأكمل.

وعليه فمنهج أمومه الولايه والمحكمات يُفعِّل بقيه المناهج التفسيريه ولكن لا يكتفى بها ولا يقصر عليها وإنَّما يواصل المسيره إلى قمم وأبعاد وغور الأعماق أكثر فأكثر كل ذلك ينطلق به من مَنصَّه الظاهر إلى عالم الباطن والدلالات الخفيه، كما ستضح ذلك كُلَّهُ فى مبحث الظاهر والباطن.

خامساً: منهجنا ليسَ بصدد بيان تقييم المناهج الأُخرى، وإنَّما بصدد بيان نِعَم هذا الفهم وكيف هيمنه هذا المنهج على باقى المناهج التفسيريه الأُخرى، بلْ وحتّى المنهج التفسيرى الذى رسمه العلامه السيد محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه) وجعله المهيمن فى القرآن، الكريم على بقيه مناهج التفسير وهو تفسير القرآن بالقرآن، وسيتضح من خلال البحث أنَّه فعلاً هو تفسير القرآن بالقرآن أم بشيء آخر إنْ شاء الله تعالى، ولا نريد أنْ نقول: إنَّ المنهج الذى اتبعه العلامه الطباطبائى (قدس سرّه) ليسَ له ثمار وفوائد، ولكن ليسَ هو المنهج الأكمل والمهيمن والأم.

وما عدا منهج أمومه المحكمات ليسَ هو المرجع والمنتهى والمهيمن على باقى المناهج التفسيريه الأُخرى؛ لأنَّ لو جُعل غير منهج أمومه المحكمات هو المرجع ينبغى وضع ضوابط رقابيه عليه ولا يَفْلُت زمام الأمور منه، وهذا معناه أنَّه ليسَ هو المنهج المهيمن، وإذا لم يكن مهيمناً معناه أنَّه يوجد فوقه منهج آخر مهيمن ألا وهو منهج تفسير أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام).

سادساً: يمتاز هذا المنهج التفسيرى بقاعده النظم والنظام والذى معناه وجود القواعد المنسِّقه بين أمور متعدده - كما سيتضح الحال خلال

البحث إنْ شاء الله تعالى - فهناك تنسيق بين المناهج وإنَّ لكل منهج حدوده فإنَّ تعداها يقع فى أخطاء وإخفاق بدلاً من أنْ تكون له ثمار.

منهج أمومه المحكمات وأهل البيت يمتاز بأنَّه منهج يبنى ويؤسس قواعد الاتصال والتنسيق بين المناهج، ولا يجعل الأمر فوضى بين مناهج تفاسير القرآن الكريم.

سابعاً: منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) الذى نروم استنباطه وفهمه بحدود قدرتنا القاصره - أنَّ القرآن الكريم يُشير إليه فى موارد عديده وكذا العتره الطاهره أشارت إلى ذلك، ونستظهر من بيانات الوحى - بحدود قدرتنا القاصره - إنَّ هذا المنهج هو المنهج والنظام الوحيانى على بقيه الأنظمه أى هيمنه القراءه الوحيانيه للقرآن على القراءه الفَعّليه والقراءه اللغويه والموضوعيه والتجزيئيه... الخ.

وتلك القراءات عدا - أمومه المحكمات - ليست أُفقها وآفاقها وحيانيه، فهى إمَّا عقليه أو قلبيه، أو جسمانيه أو ماديه أو أزليه وهى فى حدود الصوت.

ثامناً: يتميز هذا المنهج بالهيمنه أى السيطره والاحتواء ليسَ على مَن قبله فقط، الهيمنه بلحاظ وحده الموضوع، وإنَّما المراد من الهيمنه يعنى شموليه نظام الهيمنه على نظم أُخرى، وهذا فارق علمى صناعى وجوهرى بين الوحده الموضوعيه وبين وحده النظام، وهى فوارق كثيره وخطيره.

فهناك فرق كبير بين المنهج التفسيرى للقرآن الكريم الذى يبتنى على قراءه الوحده العقليه فى القراءه الفلسفيه للتفسير الفلسفى وبين وحده

النظام أی أمومه المحکمات الذی یتمیز بوحده نظام أکثر شمولیه وهیمنه وسِعَه حتّی من قراءه الوحده العقلیه للتفسیر الفلسفی أو العقلی أو القلبی أو الروحی أو الأنفسی أو... الخ.

تاسعاً: قد لا توجد وحده موضوعیه فی أمومه المحکمات بین الآیه المحکمه والآیه المتشابهه، ولکن توجد صله حقیقیه بینهما کصله المنبع والولاده والمرجعیه فإنَّ المتشابه مرجعه ومنبعه المحکمات.

وهناک تساؤل یُطرح: - هل عدم وجود الوحده الموضوعیه بین الأشیاء یکشف عن عدم حقیقه الصله بینها، ولابدَّ من حصر الصلاه والارتباط بالوحده الموضوعیه؟.

الجواب: کلا، حَصْر الصِّلاه والارتباطات بالوحده الموضوعیه لا یکشف عن الحقیقه وذلک ببیان: -

لو لاحظنا التفسیر الموضوعی مهما بلغ شأوه وتحلیقه لا یصل إلی کشف کل أطراف الحقیقه، فقط هو محبوس ومتقوقع بما إذا کانت هناک وحده موضوعیه فقط، وهو أشبه ما یکون بالترادف اللغوی، بینما الترادف العقلی لا یتسع أُفق التفسیر الموضوعی له، فإنَّ الترادف العقلی أکثر سِعه من الترادف الموضوعی.

نذکر الفوارق باختصار بینها: -

الترادف لغه: التتابع(۱).

اصطلاحاً: هو اشتراک لفظین متغایرین فی معنی واحد.

۱- (۱) مجمع البحرین، ماده «رَدَفَ».

المترادِف: ما يكون فيه المعنى قد وُضِع له أكثر من لفظ لغرض الدلاله عليه، مثل: - الحيوان المفترس، فإنَّ له مجموعه من الألفاظ قد وضعت للدلاله عليه، مثل لفظ: الأسد، والليث والهزبر(١).

فائده الترادف: - أنَّ يثبت غناء اللغه وسِعَه إمكانيتها، ونظراً لوقوع الترادف وكثرته فى اللغات، نستطيع بواسطته ترجيح غناء لغه على أُخرى. وهذا هو الترادف اللغوى.

الترادف العقلى: هو التنسيق والتأليف بين الأشياء المختلفه والتى تتفق فى جنس من الأجناس المؤلفه لذواتها كلها من جنس واحد.

إلّا أنَّ الوحده العقليه بين الأشياء لا تُغطّى تمام ذوات هذهِ الأشياء وإنَّما بعضها.

الترادف الموضوعى: أى التلازم فى عين الوجود الخارجيه، نظير تلازم المعلول والعله فأنهما لا ينفكان.

الترادف التكوينى الوجودى: وهو الذى لا ينحصر بالمتماثلين والمتشابهين والذى تكون فيه الصِّلاه أوسع من الترادف العقلى والفلسفى، كالصِّلاه الموجوده فى نظام العلل والمعلولات.

وهكذا ربما الحال بين العله والمعلول، بين الخالق والمخلوق فإنَّه لا توجد وحده جنس بين البارى تعالى وبين مخلوقاته، فإنَّ ذاته تعالى أجل من أنْ تتركب من أشياء، أو تفتقر ذاته إلى أجزاء فليس يجمعه مع مخلوقاته وحده ماده ليسَ كمثله شىء وهو السميع البصير.

١- (١) المعجم الشامل، ج ١ ص ٣٤٢ الترادف.

الله تعالى لا يتجانس مع خلقه بشيء - داخل فى الأشياء بلا ممازجه خار عنها... الخ.

وعليه فما هى العلاقه بين الخالق والمخلوق هل توجد علاقه أم لا؟

توجد علاقه بينهما، بلْ من أقوى العلاقات والارتباطات واستقاءها منه تعالى، وهذهِ العلاقه لا تندرج تحت أفق أوسع وأرحم من غير امومه مَنْ هو الأوَّل والآخر وإليه منتهى الخلق وهو الله تعالى.

الخلاصه من كل هذا: إنَّ أمومه ولايه المحكمات للمتشابهات وأمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) للمحكمات أمومه هيمنه وقدره وسلطنه أوسعُ من الترادف اللغوى والوحده العقليه والتفسير الموضوعى... الخ.

فكل ماعدا ولايه المحكمات لها مساحه معينه ومحدوده.

والترادف التكوينى هو الأقرب لأمومه المحكمات.

عاشراً: يؤكِّد القرآن الكريم من خلال منهج أمومه المحكمات على أنَّ للقرآن طرفان طرف تنزيل، وطرف تأويل، بينما المناهج التفسيريه الأُخرى من المدارس الإسلاميه فضلاً حتّى عن بعض المناهج التفسيريه عند علماء الإماميه، تَصُب اهتمامها على الطرف النازل من القرآن الذى هو عند عامه الناس وهو التنزيل دون التأويل.

بينما الصحيح فى منهج أمومه المحكمات التأكيد على كلا الطرفين التنزيل والتأويل.

أحد عشر: امتياز منهج أمومه المحكمات على غيره، فإنَّه يتمُّ التعرف فيه على عمليه الفتق بعد الرتق، أو التبين بعد الاندماج، أو التفصيل بعد

الإحكام.

اثنى عشر: هذا المنهج يُفَعِّل الطبقات الظاهِرَه والغريبه منه فى كل طبقات القرآن الطرف الذى عند الله، والطرف الذى عند الناس.

ثلاثه عشر: يمتاز هذا المنهج بأنَّه ليسَ فيه تعطيل وتجميد لحجيه القرآن، وإنَّما فيه إعمار وإحياء له، عكس ما عند المناهج الأُخرى.

أربعه عشر: يركِّز هذا المنج على كلا الحجتين الظاهره والباطنه، والمراد من حجيه الظاهر حجيه مَعيه بين الكتاب والسنه.

خمسه عشر: يتميز منهج أمومه المحكمات بأنَّه يُبحث فيه ثلاثه أنظمه:

١ - النظام الاستعمالى اللفظى للقرآن الكريم.

٢ - النظام المعنوى والمعانى للقرآن الكريم.

٣ - نظام حقائق القرآن.

وفى كل واحد من هذهِ الأقسام الثلاثه يُبحث فيه أيضاً ثلاثه مباحث:

١ - نظام الأفعال - الأفعال الإلهيه -.

٢ - نظام الصفات الإلهيه.

٣ - نظام الأسماء.

بينما المناهج الأُخرى يبحث فيها نظام واحد.

سته عشر: يتميز منهج أمومه المحكمات فى القرآن وقطبيه أهل البيت فى القرآن: - بالتركيز على نظام الحقائق فى تفسير القرآن، أى الجانب الغيبى الذى لم تركز عليه المناهج التفسيريه الأُخرى.

سبعه عشر: يرعى منهج أمومه المحكمات ويصب اهتمامه على نظام الصفات والأسماء فضلاً عن نظام الأفعال الإلهيه، بخلاف المناهج التفسيريه الأُخرى، لم تَرْعَ كثيراً لهذه البحوث، وإنَّما ركَّزت وأكَّدت على نظام الأفعال، بدعوى أنَّ البحث الصفاتى أيضاً مطلب بعيد المنال، كما أنَّ البحث فى الأسماء كذلك بعيد المنال، علماً أنَّ نظام الأفعال الذى ركَّزت عليه منهاهجهم - غير أمومه المحكمات - لا يُفهم إلّا بنظام الصفات، كما أنَّ نظام الصفات لا يُفهم إلّا بنظام الأسماء لتوحيد الذات، كما سيتضح فى محله إنْ شاء الله تعالى.

ثمانيه عشر: يمتاز هذا المنهج عن باقى المناهج التفسيريه، أنَّه بصدد استخراج القواعد والجزئيات من معارفها، ويتكفل ببيان هذهِ القواعِد والنكات المعرفيه ببيان غير مشتت.

تسعه عشر: كل منهج من مناهج التفسير له إيجابياته ودوره وإيفاداته ولكن له نواقصه وإخفاقاته وقصوراته، فمنهاج أمومه المحكمات يؤمن تلافى وتفادى القصورات التى تُشاهد فى المناهج التفسيريه الأُخرى لتُدارك الإخفاقات فى تلك المناهج التفسيريه الأُخرى، كل ذلك يتمُّ عبر منهج تفسير أمومه المحكمات.

عشرون: من المعلوم أنَّ القرآن الكريم ذو طبقات متعدده وهذا يستلزم تعدد الخطاب القرآنى وتعدد الخطاب هذا لا يعنى تجميد القرآن فى البيانات العلميه لأهل البيت (عليهم السلام)، والإتيان بالحروف المقطعه فى بدايات السور مثل [يس، حم، الم، الر، ق، ن، كهيعص...] فإنَّه لا يُفرق معناها ومَن المخاطب بها وهذا يدلل على أنَّ القرآن ذو طبقات مختلفه وليسَ على

نسق واحد، وهذهِ المعانی لیست واضحه لعموم الناس، وإنَّما القرآن بکل طبقاته هو بیان لبعض ولثُلَّه من البشر وهم النبی (صلی الله علیه و آله) وعترته الطاهره بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ۱. ومن هذا نعرف الترابط بین ولایه أهل البیت وولایه الله ورسوله وإلقاء کُلّا منهما بظلاله وتُکلل بوارث ظلها علی قواعد وأصول تفسیر القرآن وهذا یدلل علی محوریه وقطبیه ومرکزیه منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) للمحکمات والذی یؤکِّد علیه الإمام الصادق (علیه السلام)

«إنَّ الله جعل ولایتنا أهل البیت قطب القرآن، وقطب جمیع الکتب علیها یستدیر محکم القرآن وبها نَوَّهت - یوهب (ن) - الکتب ویستبین الإیمان»(۱).

فالتوراه لا- تفهم من دون مرکزیه أهل البیت (علیهم السلام)، وعلیه فالتوراه کمنظومه للشریعه وتنظم حیاه المجتمع المتشرع لا یمکن أنْ تُفْهم تلک الشریعه والمنظومه فی التوراه إلّا من خلال القرآن، وبما هو موجود فی تراث النبی (صلی الله علیه و آله) وأهل بیته.

وهذا هو معنی الأمومه للمحکمات وولایه أهل البیت (علیهم السلام) للمحکمات فی القرآن ولجمیع الکتب السماویه کما تقدم فی الروایه عن الصادق (علیه السلام).

وعلیه إذا أراد أهل التوراه من الأحبار وعلماء الیهود أنْ یفهموا التوراه علی ما هی علیه بالنسق المنظومی فیجب أنْ یفهموا ولایه أهل البیت (علیهم السلام) وأنَّ هندسه التوراه قائمه علی نظام مرکزی والنقطه المرکزیه فیه هی ولا-یه محمد وآل محمد - صلوات الله علیهم أجمعین -.

۱- (۲) تفسر العیاشی، ج ۱ ص ۷۸ ح ۸.

واحد وعشرون: يتميز منهج أمومه ولايه أئمه أهل البيت (عليهم السلام) عن باقى المناهج التفسيريه الأخرى، بأنَّه لا يقف الأمر فى تفسير القرآن عند حدٍّ معين بخلاف غيره من المناهج التفسيريه فإنَّها تقف عند حدٍّ معين فى تفسير القرآن.

ولذا يذكر أحد العلماء فى الحوزه العلميه فى النجف الأشرف أنَّه حضر درس تفسير لأحد العلماء، وأنَّه ذكر لآيه واحده خمسةً وعشرين أو ثلاثين وجهاً وكلّ هذهِ الوجوه منطبقه مع موازين اللغه وقواعد البيان لتفسير الآيه المباركه وتَحمُّلُ الكلام الواحد لمعانى كثيره وعديده متباينه ومتخالفه بموازين واحده يُدلِّل على غَنَاء تلك اللغه وعلى عمق وتحليل المُفسِّر والغور فى الأعماق، واستخراج تلك المعانى المتطابقه مع قواعد وموازين اللغه المنضبطه بنجاح.

هذا ما نريد التأكيد عليه فى اختيار منهج تفسر أمومه المحكمات.

ما دامت تستبق قواعد العلوم اللغويه والموازين فى الاستظهار بلغ ما بلغ من استكثار وتعداد المعانى كلُّها حجه.

اثنان وعشرون: يُركِّز ويؤكِّد منهجنا على أنَّ نظام اللغه والبيان نظامٌ عظيم ولا يمكن أبداً أنْ نحبس علم اللغه فى مقوله محدوده كما اشتهر فى لسانهم أنَّ اللغه والبيان تدور مدار العرف، فإنَّ هذا يرفضه منهجنا التفسيرى المختار، والذى يؤكِّد عليه أهل البيت (عليهم السلام) وهو منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) الذى يرى إنَّ علم اللغه علمٌ منفتح وليسَ محبوس بحسب ادراكات العرف المحدوده.

ثلاث وعشرون: منهجنا التفسيرى - أمومه المحكمات وأمومه ولايه

أهل البيت (عليهم السلام) يتعاطى مع بيانات القرآن الكريم ليسَ بحجه تعبديه وإنَّما يتعاطى مع بيانات القرآن الكريم وبيانات أهل البيت (عليهم السلام) كبيانات علميّه لا أنَّها حجه ظنيه.

أربع والعشرون: التأويل ومبحث الدلالات الخفيه على منهجنا التأويل له أقسام وأنواع مختلفه تختلف بحسب الأنظمه الثلاثه:

١ - نظام الاستعمال اللفظى.

٢ - نظام المعانى.

٣ - نظام الحقائق.

وأمَّا ما يُترائى من المنهج التفسيرى الذى سلكه العلامه الطباطبائى فى الميزان فى تفسير القرآن حصر منى التأويل فى النظام الثالث إلّا الحقائق وأمَّا التأويل من سنخ الحقائق وأنَّ عاقبه حقائق الأمور هو فى الحقيقه نمطٌ من التأويل فى نظر السيد العلامه الطباطبائى صاحب تفسير الميزان (قدس سرّه).

خمس وعشرون: المناهج التفسيريه الأُخرى لا ترى نظام الحقائق له صله بالقرآن وإنَّما هى بحوث كشف عنها القرآن وإنَّما هى كعقائد نبّه عليها القرآن وليست جزء من متن القرآن، وهذا بالتالى يؤثر كثيراً على منهجيه المفسر فى تفسير القرآن ويكون للمفسر نظامان فقط؛ نظام الاستعمال اللفظى، ونظام المعانى، بخلاف منهج أمومه المحكمات فإنَّ فى منهجها لتفسير الأنظمه الثلاثه: -

١ - نظام الاستعمال اللفظى. ٢ - نظام المعانى. ٣ - نظام الحقائق. وأنَّ نظام الحقائق له تأثيره الكبير والعميق على منهجيه تفسير المفسر للقرآن،

فإنَّ المعنى إذا كان يحمل رؤيه واضحه عن نظام الحقائق يختلف عن المعنى الذى لا يحمل هذهِ الرؤيه المهمه والعميقه فإنَّه يؤثر عليه حتَّى فى كيفيه أداؤه وبيانه لتفسير آيات القرآن الكريم ويختلف عنه تماماً. فمثلاً المُفَسِّر الذى لا يعرف مدى ارتباط شجره ليله القدر بنظام القرآن ككل أحد المباحث التى ستأتى فى نظام حقائق القرآن لا يمكنه أنْ يُفسِّر جمله من الآيات والسور لماذا؟.

لأنَّه لا يمكنه أنْ يُفُسِّر بشكل دقيق إلّا مع معرفه نظام الحقائق، وإنْ كان المفسرون الأوائل من المسلمين يقتصرون على نظام الاستعمال اللفظى فقط من دون إقحام نظام المعانى فى التفسير إلّا أنَّ هذا النمط من التفسير يعتبر ابتدائياً.

ست وعشرون: من الامور التى تُمَيِّز منهج امومه المحكمات التركيز على الأنظمه الثلاثه كما بينا والنظام الاستعمالى اللفظى فيها التركيز على عدَّه قواعد منها التعريض ومنها الالتفات، ومعنى قاعده الالتفات هو تعدد الخطاب القرآنى، والروائى فى مقطع أو آيه واحد قدْ يتبدل المخاطب أو المتكلم أو كلاهما معاً أو غير ذلك، وفى قاعده الالتفات يركز على المعلومات الخطيره والمهمه التى يترتب عليها الأثر والنتيجه وهو ما يعبر عنه باللب اللباب، وهذا يتماشى مع ثوره إنجاز المعلومات المعاصره فإنَّها تركز على المعلومات الخطيره والدقيقه التى لها الأثر البالغ ولها المحوريه المركزيه فى باقى العلوم الأُخرى، وهذا مرتبط كذلك بمنهج أمومه المحكمات مما يعنى وجود معلومات مركزيه عليها تدور سائر المعلومات الأُخرى وهى عمدتها، فإنَّها لا تكترث بنقل كُلّ ما هَبَّ ودَبَّ، وهذا ما

یسمی بمصطلح العلوم الحدیثه بعلم (نظم المعلومات) وهو علم یلازم کُلّ العلوم التی یراد بها أنْ تنتهی إلی نتائج صحیحه ومثمره وعلیها یرتب الأثر لابدَّ أنْ یکون فیها نظم معلوماتی وفق قواعد وموازین وحسابات خاصه ومرتبه لا مبعثره.

سبع وعشرون: منهج أمومه المحکمات یُحذر المسلمین من اتباع المتشابهات ذروا المتشابهات وإیاکم من الانخراط فیها وابعدوا المحکمات وحوموا حولها؛ لأنَّ اتباع المتشابهات فیها فتنه عقائدیه وسیاسیه وفکریه لذا حَذَّر القرآن والنبی (صلی الله علیه و آله) والأئمه (علیهم السلام) من اتباع المتشابه، وبالتالی فإنَّ فی منظومه الدین لا یُقام لها وهج وهُدَی إلّا بمحوریه المحکمات وإلّا سوف تلتبس علینا اللوابس سواء فی القرآن أو السنه، وأنَّ معنی الأمومه هو لا تساوی ولا توازن أبداً بین المحکم والمتشابه.

علیک أنَّ لا تجعل من المتشابه محور تضِل به نفسک والآخرین، اجعل من المحکمات محوراً تهتدی به والآخرین.

ثمان وعشرون: أحد المعانی التی تمیز منهج أمومه المحکمات وولایه المحکمات وأهل البیت (علیهم السلام) هو أنَّ معنی الأمومه یعنی یجب أنْ تنظر إلی الأمور کمنظومه مجموعیه یعنی مجموع العاقبه من الصدر والذیل لا تنظر إلیها مبعثره الشتات أی لابدَّ أنْ تکون هناک نقطه مرکزیه فی المعرفه الدینیه فی معرفه تفسیر القرآن الکریم وتلک النقطه المرکزیه وهی المحکمات ومحکم المحکمات هی ولایه أهل البیت (علیهم السلام) [أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ]۱ یعنی الولایه ثم المحکمات فی سائر بنود القرآن الکریم والدین هو النقطه المرکزیه

لمحكمات القرآن وبالتال يتنتظم صحه حقائق التفسير حتّى فى قضاء الله وقدره وبالتالى تنتظم المعرفه... فانظر إلى ما قالته العقيله زينب (عليها السلام) ليزيد الفجور: -

«أحسبت يا يزيد أنْ أخذت علينا أقطار الأرض واستوسق لك ملكنا و... أنَّ بك على الله كرامه وبنا على الله هواناً ما ملكك إلّا بدد وما جمعك إلّا عدد...» فلاحظ عاقبه الأمور ولا تلاحظ صوره القضاء والقدر وانظر إلى باب المراد الجدى أين يكمن؟.

فإنَّ رضا الله وسخطه لا يكمن فى صوره القضاء والقدر إنَّما يكمن فى عاقبه الأمور لذا يقول الإمام الحسين (عليه السلام) سيد الشهداء فى دعائه نفس الأمر ما مضمونه: [إلهى إنْ أعطيتنى لمْ يضرنى شىء هو ركتبه وأعنى وإنْ أعنتنى لمْ يضرنى شىء...](1).

الضابط فى العاقبه ما قالته الآيه المباركه فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّهَ فَقَدْ فازَ٢.

تسع وعشرون: لا- يكفى فى منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) صحه ميزان الظهور كموازين فى علوم اللغه فقط - وإنْ كان هذا لابدَّ منه - ولا يكفى انسجام الآيه فى فقراتها المتعدده فقط أو السور الواحده فى آياتها بلْ ينبغى أنَّ لا يخالف النقطه المركزيه التى هى أكبر من المحكمات وهى ولايه الله وولايه الرسول وولايه أهل البيت (عليهم السلام).

واحد وثلاثون: يتميز منهجنا المختار عن باقى المناهج التفسيريه اللغويه والأدبيه والنحويه للقرآن الكريم، بأنَّ تلك المناهج تأخذ تفسير الآيه بلون أدبى فقط أى أحادى البُعد، وينقل به المُفَسِّر بلا قيد أو ضابطه

١- (١) دعاء الإمام الحسين يوم عرفه الرابعه....

إلّا الضابطه الأولى والأخيره هو أنَّه من قواعد الادب اللغوى مثلاً أو النحوى أو البلاغى أو... الخ.

أمَّا فى منهج أمومه ولاـيه أهل البيت (عليهم السلام) والمحكمات فليس الأمر كذلك فليس البُعد أحادياً يجب أنْ يصبح الاستعمال وفق موازين قواعد علوم اللغه مع الانسجام مع معنى الآيه المباركه.

اثنان وثلاـثون: من الأمور التى يتميز بها منهج أمومه المحكمات وأمومه ولاـيه أهل البيت (عليهم السلام) عن باقى المناهج التفسيريه الأُخرى هو أنَّ منهج الأمومه من مواليد مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) ومن مدرسه الوحى، وإنْ كان قد اعتمدته بعض الفرق الإسلاميه كالصوفيه والعرفانيه وما شابه ذلك، أمَّا أنَّه مَدَى تطبيقهم لهذا المنهج هل طُبِّق بالصوره الصحيحه أو لا؟ فذاك بحث آخر.

والذى يهمنا أنَّ أصل فكره هذا المنهج المختار وهو منهج الأمومه من مواليد مدرسه أهل البيت (عليهم السلام).

ثلاث وثلاثون: يتميز منهج أمومه المحكمات بأنَّه المنهج الذى أكَّدت عليه روايات أهل البيت (عليهم السلام) وتأكيد القرآن على اتباع المحكمات والنهى عن اتباع المتشابهات؛ لأنَّ اتباع المتشابه يؤدى إلى التشتت والانحراف، والتمسك والإيمان ببعض دون بعض أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ١. فإنَّ الإيمان بالبعض المفعل عن الإيمان بالبقيه هذا ضلال وليسَ هدايه.

ولذا نلاحظ التفاسير الأُخرى الخاطئه والمنحرفه، بلْ حتَّى المذاهب

الاعتقاديه الخاطئه التى نشأت فى فرق المسلمين سببها عدم مراعاه منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام).

أمَّا المناهج التفسيريه الأُخرى من التفسير الموضوعى الذى أقصى ما يلاحظه ويرعاه هو تكرر هذا العنوان كموضوعه واحده فى سائر الآيات والسور، أو التفسير التجزيئى، والأمر أعظم إذْ يَقْتَصِر المفسر فيه على ملاحظه المقطع الذى هو فيه، وهكذا صاحب تفسير أساب النزول يلاحظ سبب النزول فقط، وهكذا صاحب التفسير الأدبى فإنَّه يلحظ الأمور الأدبيه التى تخصه دون ملاحظه غيرها، وهكذا صاحب التفسير النحوى أو الصرفى أو بالبلاغى أو تفسير القرآن بالقرآن، بلْ حتَّى التفسير العقلى والعرفانى والأشارى... الخ.

فإنَّ هذهِ المناهج التفسيريه وغيرها الكثير - إنَّما ذكرت هذهِ على نحو المثال لا الحصر - للأسف لمْ تُقِم وزناً ولم تلحظ خطوره الآيات المحكمه وأهميتها، ولم يُرْعَ التناسب العملى فى الرتبه والتسلسل.

والشيء المهم الذى تتميز به منهجه أمومه المحكمات أنَّها ذات وحده مركزيه لها الهيمنه المركزيه هى أعظم من يتذرع به بعض الباحثين من أنَّ عدم التمسُّك أو الاهتمام ببحث المحكمات على اعتبار أنَّها لا تتميز بوحده الموضوع، وهذا ليسَ بالمهم بقدر أهميه الوحده المركزيه المهيمنه على ما هو دونها فى الرتبه.

أربعه وثلاثون: يتميز منهج أمومه المحكمات أنَّ الآثار المترتبه على مباحثه وأنظمته خاصه فى مبحث الاستعمال اللفظى - فى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى - هو حجيه كُلّ الدلالات - من الدلاله التصوريه والدلاله الاستعماليه والتفهيميه والجديه -.

وأساس البحث فى هذهِ القاعده الشريفه وهى قاعده استعمال الدال اللفظى فى أكثر من معنى قائمه على عدم امتناع إراده المتعدد فى عرض واحد بدءاً من المعنى أو المدلول المحورى إلى الاستعمالى إلى التفهيمى فى لسان واحد، والبناء على هذهِ القاعده ليسَ يحدث فجوه بين المسار الموجود عليه المفسرين وهذا المنهج التفسيرى لأمومه المحكمات فحسب، بلْ يوجد فجوه بين البناء والمسار والمنهج الذى عليه كافه العلوم الإسلاميه الذين يبنون فيه على لغه وحدانيه المعنى وأحديه المراد فى لسان واحد بينما تجد على العكس تماماً فى منهج أمومه المحكمات من أنَّ الباب مفتوح على مصراعيه ولكنْ بشرائط وهو أنْ يكون احتمال تعدد المعنى للداله اللفظيه الواحده هو حسب ضوابط وقواعد منضبطه فى كُلّ علم.

وأمَّا باقى المناهج الأُخرى جميعها عدا بعض المناهج التفسيريه كالتفسير التأويلى أو التفسير الإشارى أو التفسير اللطائفى أو... الخ فإنَّها لا ترى حجيه كُلّ الدلالات التصوريه والاستعماليّه والتفهيميّه والجدّيه، وإنَّما ترى حُجيّه بعضها كالدلاله الجديّه والتفهيميه فالمناهج التفسيريه الأُخرى غير منهج أمومه المحكمات دائماً تفترض أنَّ الظهور على صعيد التصوُّر وحدانى على صعيد الاستعمال والتفهيمى والجدى، والمراد من الوحدانى هو واحد على صعيد الاستعمال من بين المعانى الاستعماليّه المتعدده وعلى صعيد التفهيم أى يريد معنى واحد من بين المعانى التفهيميّه المتعدده، وهكذا المعنى الجدى يُراد منه معنى جدى واحد.

وإنْ كان فى بعض الحالات قدْ يبنون على تعدد المراد الاستعمالى عن المراد التفهيمى وتعدد التفهيمى عن الجدى، مع الالتفات إلى أنَّ هناك طبقات من المعانى بحسب الظهور الاستعمالى اللغوى بأنَّ يوجد مراد

استعمالی وتفهیمی وجدی قدْ یُطابق وقدْ لا یُطابق.

وهم بهذا المقدار یقبلوه ولا نرید أنْ نقول باقی المذاهب التفسیریه الأُخری غیر منهج أمومه الولایه علی المحکمات لا دور لها ومنشطبه بالمرّه کلا، فهناک مناهج عدیده یُشْهد لها بالصحه کالتفسیر الأدبی والموضوعی والإشاری و... الخ فلها دورٌ معین ولکنْ لیسَ لها دور الهیمنه وإنْ کانت تختلف تمام الاختلاف مع منهج أمومه المحکمات.

ومن الجدیر ذکره: - أنَّ الدور المهیمن فی أمومه ولایه أهل البیت وأمومه المحکمات هو دورٌ مرسومٌ لهذا المنهج فی تفسیر القرآن ولا ندعی أنَّ هذا هو المنهج النهائی الذی نستطیع أنْ نستکشفه من الآیات والروایات، ربما والله العالم بحقائق الأمور - یأتی جیل فی المستقبل ویستکشف منهج مهیمن أکبر وأعظم من هذا المنهاج، وإلّا فعلم أهل البیت (علیهم السلام) وتراث أهل البیت (علیهم السلام) محیطٌ لا ینفذ، قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی۱. وَ لَوْ أَنَّ ما فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَهٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ کَلِماتُ اللّهِ۲.

نستطیع أنْ نقول أنَّ منهج أمومه الولایه والمحکمات فی تفسیر القرآن هو المهیمن، بلْ مهیمن حتَّی علی تفسیر المقدار الباقی من الإنجیل غیر المحرف، وکذا التوراه ونتسطیع الهدایه لأتباع التوراه والإنجیل العهد القدیم، أو بعباره أُخری ببرکه منهاج أهل البیت الشریف نستطیع إحیاء المقدار السلیم والسدید من الإنجیل وننبذ زیفهم.

وهكذا نستطيع إحياء التوراه وننقذ المقدار الباقى منها الصحيح والسليم عن التحريف والتلاعب الصهيونى والماسونى أو التحريفات الأُخرى الجديده، فإنَّ كثيراً من أتباع الهيود تراهم مستضعفين اليوم حتَّى كبير رجال الحاخامات اليهود ولهم مشكله مع الحركه الصهيونيه.

ومن الواضح أنَّ الحركه الصهيونيه تُعدّ تحريفٌ جديد فى اليهوديه فضلاً عن التحريفات السابقه من تلاعب فى نصوص التوراه وتلاعب فى نصوص الإنجيل، إلّا أنَّ منهج أمومه المحكمات هذا المنهج العظيم الذى نحن بصدده يستطيع الحمايه من الانحراف لكتاب الله العزيز إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ١. فإنَّه بحسب بيانات أهل البيت (عليهم السلام) إنَّ هذا المنهج يمتاز بإعطاء الأمان والحفاظ على القرآن بلْ وكتب السماء أجمع.

الخلاصه: إذا أردنا أنْ نُطلِق مناشده لإحياء البقيه الباقيه من التوراه والإنجيل، وإنقاذ البقيه الباقيه من صحف الأنبياء السابقين والمطبوعه مع العهد القديم والكتب التى نزلت من السماء، علينا الاعتماد على منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام)، بلْ ربما نأنس حتَّى فى التراث النبوى الموجود عند المدارس الإسلاميه الأُخرى نستطيع أنْ ننقذه عن التلاعب والطمس وعن الحذف؛ لأنَّ عمليه التلاعب فى تراث السماء تحدث جيلاً بعد جيل، والحافظ لها والمنقذ لها بتوصيه القرآن وأهل البيت (عليهم السلام) الأكيده هو هذا المنهج أى منهج أمومه الولايه والمحكمات.

وهناك قاعده ما فتئ الفقهاء والمفسرون عن ذكرها اعرضوا الحديث على كتاب الله [فإنَّ خالف كتاب الله والسنه فهو ردٌّ وما وافق فهو هدى

وفوز..]، والروايات المستفيضه بين الفريقين التى تدلّ على أنَّ المدار فى الموافقه والمخالفه فى الصواب والغوايه هو ما وافق كتاب الله والسنه فهو مُحكمٌ وهدايه ونور وما خالفهما فهو غوايه.

وعليه فالثمار الأديانيه المترتبه على منهج أمومه المحكمات ليسَ فقط على صعيد تفسير القرآن وإنَّما على صعيد حفظ القرآن بلْ وحفظ كتب الأديان عن النماذج فى التحريف أكثر وأكثر بلْ وإبداء حركه التصحيح والتسديد وإنّا لا ننكر الجهود التى بذلت ولا تزال من قبل المسلمين لدراسه العهدين وتقويم المعوَّج منها وانطلاقاً من منهج أهل البيت ورؤيه أهل البيت (عليهم السلام) للقرآن الكريم فى تصحيح حتَّى المذهبيّه الإسلاميه والأديان السماويه وهذا يعنى محوريه الولايه والمحكمات ولا نحتاج إلى أكثر من التفاته تعليميه من ولايه أهل البيت ولمحكمات الالتفات إلى المحكمات الصحيحه الموجوده فى الإنجيل والتوره أو فى تراث النبى (صلى الله عليه و آله) لسائر مدارس المسلمين.

الخامس والثلاثون: يمتاز منهج أمومه المحكمات فى تفسير معنى الوحده والتوحيد فى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى من باقى المناهج التفسيريه الأُخرى، بأنَّ الوحده والتوحيد فى منهج أهل البيت ليست المقصود منها الوحده فى المعنى أو وحده الموضوع، كلا وإنَّما المراد من وحده الاستعمال هو وحده النظام والمنظومه. ووحده النظام تتكفلها قواعد صحيحه فى العلوم وعدم التناقض والتضارب بين القواعد بخلاف المناهج التفسيريه الأُخرى فإنَّها تقصد من الوحده فى الاستعمال أى وحده المعنى ووحده الموضوع، وهذا معنى ضيّق تترتب عليه آثار سلبيه نتيجتها

تضارب القواعد فيما بينها.

ووحده النظام أيضاً تحتاج إلى النظام يوحدها وينظمها وإنْ كانت وحده النظام تختلف عن وحده المعنى وعن وحده الموضوع والنظام الذى يوجد وحده النظام هو المركز ومن ثم الولايه - أى ولايه الله تعالى وولايه الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله)، وولايه الله هى الناظمه لولايه الرسول (صلى الله عليه و آله) والناظم لولايه الأئمه الثلاثه عشر - أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمه والحسن والحسين (عليهم السلام) والتسعه المعصومين من ذريه الحسين (عليهم السلام) - هو ولايه الله وولايه الرسول (صلى الله عليه و آله)، وكذا ولايه الله والرسول والأئمه من أهل البيت (عليهم السلام) هى المحور والناظم للمحكمات والمحكمات هى أيضاً على طبقات كُلّ طبقه هى ناظمه لما تحتها وهكذا.

وعليه فإنَّ منهج أمومه الولايه والمحكمات يفترق عن باقى المناهج التفسيريه الأُخرى هو أنَّ منهج الأمومه يرى الشتات والتدافع ليسَ فى تكثر المعانى وتعددها فى جمله واحده وآيه واحده، بلْ يرى منهم الأمومه أنَّ الشتات ومزقه الأمه والبشريه بلْ فِرقه الخلائق هى بسبب عدم تمسكهم بالولايه فإنَّ الخلائق تتشتت إذا لمْ تتمسك بالولايه والمحكمات، وعليه فإنَّ الرجوع إلى المتشابهات والتمسك بها يوقع بالهلكه.

السادسه والثلاثون: منهج الأمومه لولايه أهل البيت والمحكمات يُطَمئن المُفسِّرَ الذى ينتهجه من عدم الخوف من تكثر المعانى للآيه الواحده، وأنه ليسَ تلاعب من القرآن وإنَّما التلاعب بالقرآن يحصل إذا ترك نظام الوحده المركزيه والمحوريه لأمومه ولايه الأئمه (عليهم السلام) والمحكمات فى القرآن الكريم فآنذاك تذهب الفروع وتشتت.

مضافاً إلى أنَّ تعدد المعانى من اللفظه الواحده لا يستلزم تهافت وتضارب المعانى على منهج أمومه الولايه؛ لأنَّ السير فيه على الموازين والقواعد بخلاف باقى المناهج التفسيريه الأُخرى التى حَصَرَتْ وفَسَّرَت معنى الوحده بوحده المعنى والموضوع.

السابعه والثلاثون: يتميز منهج أمومه اولايه والمحكمات بأنَّ الآيات المحكمات وكذا المتشابهات هى على طبقات، والواقع أنَّ الآيه الواحده فيها طبقات من الدلالات المحكمه والآيه المتشابهه فيها كذلك طبقات من الدلاله المتشابهه، وأنَّ الآيه الواحده فيها محوريه للمحكمات ومحوريه للمتشابهات، وأنَّ الآيه الواحده أيضاً: يتصور لها مصداق محورى ولولايه الله وولايه الرسول (صلى الله عليه و آله) ثم ولايه أهل البيت (عليهم السلام).

إذنْ المحكمات على طبقات إلى أنْ تصل إلى المتشابهات فى الآيه الواحده وهى غير متناهيه وعليه فهذا النظام لا ترسمه مجموع آيات القرآن الكريم وسوره، بلْ يُرْسم بلحاظ الآيه الواحده، بلْ ويُرسم بلحاظ الجمله الواحده من جُمَل الآيه الواحده بلْ ويُرسم بلحاظ الكلمه الواحده من أبعاض الجمله الواحده.

وعلى أى حال فإنَّ مثل هذا التوسع لا يكون إلّا بقدره المعصوم (عليه السلام).

وهناك فرقٌ أنْ نقول: توجد قدره من هذا الشىء، وبين أنْ نقول: هذهِ القدره موجوده أو لا، بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ١.

ومن الجدير ذكره: - إنَّ المحكمات هى نظام رياضى مُعقَّد مهم فى

جمیع آیات القرآن الکریم، بلْ وفی مفرداته المبارکه، حتّی علی مستوی تطبیق القاعده الأدبیه ومواردها، وکذا المتشابهات.

ومن أبرز مصادیق تطبیق المحکمات - کما مرَّ بالآیه أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ۱. وهکذا التطبیق علی المتشابهات کقوله تعالی وَ کَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلی مَرْیَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ أو وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ ناضِرَهٌ إِلی رَبِّها ناظِرَهٌ۲. لا تُدْرِکُهُ الْأَبْصارُ۳.

وعلیه: فإنَّ نظام المحکمات وکذا المتشابهات یجری فی کل مفرده مفرده من القرآن وفی کل قاعده تُطَبَّق فیه.

ص:۲۰۸

القیمومه فی التعلیم والتبیان

من الوظائف الملقاه علی النبی (صلی الله علیه و آله) أنَّه معلم الکتاب، وقد دلَّت علی ذلک آیات فی سور متعدده أقر الباری تعالی نبیه الکریم (صلی الله علیه و آله) بتبیان وتعلیم القرآن وأنَّه (صلی الله علیه و آله) معلم الکتاب، کما فی سوره الجمعه مثلاً: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ۱.

وهذهِ الآیه المبارکه بیَّنت أنَّ للنبی (صلی الله علیه و آله) وظائف ومقدمات عدیده منها: -

۱ - یتلو علیهم آیاته یعنی یبلغهم - وبلّغهم - آیات القرآن وأوصل (صلی الله علیه و آله) للناس آیات القرآن.

وینبغی الالتفات إلی أنَّه لا یُحبس معنی التلاوه بالاقتضاء عدا قراءه ألفاظ القرآن، علماً أنَّ التلاوه لها معانی عظیمه وکثیره أُخری غیر قراءه ألفاظ القرآن، وإلّا فمن غیر الحکمه أنَّ الله تعالی یبعث نبیاً لأجل أنَّ یُبَلِّغ ویوصل إلی الناس ألفاظ آیات القرآن فقط وفقط - حاشا لله تعالی - هذا مضافاً إلی ما وَرَدَ فی زیاره أئمه أهل البیت (علیهم السلام) وما نعتقد بهم (علیهم السلام) «أشهد أنَّک تلوت القرآن حق تلاوته» إذا لا یُعقل أنَّ المعصوم (علیه السلام) وظیفته یجوِّد القرآن فقط، وإنْ کانت مسأله تجوید ألفاظ مفردات القرآن أمر مهم إلّا أنَّه لا یُقتصر أمر التلاوه علی هذا المعنی فحسب.

۲ - ویزکیهم ویعلمهم الکتاب والحکمه من منازل ومقامات النبی (صلی الله علیه و آله) أنَّه یُزَکی قومه ویصفیهم من درن المعاصی ویُنمی الطاعه عندهم.

ومن الواضح أنَّه (صلی الله علیه و آله) لیست وظیفته فقط یعلمهم الکتاب والحکمه

بأنْ يقرأ عليهم ألفاظ الآيات المباركه من القرآن، وإنَّما يُعلمهم بأنَّه معلم الكتاب، وتقدم - وسيأتى أيضاً إنْ شاء الله تعالى - إنَّ حجيه الرسوله (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته كمعلمين من قبل السماء وهذا مقام يختلف عن مقام أنهم أولياء.

٣ - ما جاء فى سوره البقره رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ١.

وهذهِ الآيه المباركه يحكيها الله تعالى على لسان النبى إبراهيم (عليه السلام) وهى عكس ترتيب ما جاء فى سوره الجمعه.

٤ - ما جاء فى سوره النحل: بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ٢.

بينت من وظائف سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) البيان والتبيان، وإنْ كان بعضهم يفهم من التبيان هو قراءه ألفاظ القرآن فقط وهو غريب.

٥ - ما جاء فى سوره القيامه: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ٣.

ومن الواضح أنَّ الآيه المباركه فرقت بين البيان والقرآن وأنَّ لكل واحدٍ منهما دورٌ فالقراءه لها دور، والبيان له دورٌ آخر.

فلكل مقام فمثلاً مقام إنَّما وليكم الله يختلف عن مقام أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم التى حجيتها حجيه تعليميه؛ لأنَّه من الخطأ أنْ

نتعامل مع القرآن كحجيه تعبديه فقط، بلْ يجب أنْ نتعاطاه كمصدر علمى وتعليمى أعظم من الحجيه التعبديه؛ لأنَّ أعلى مراتب العباده والتعبد عن معرفه وعلم.

ومن الواضح والبيِّن أنَّ القرآن فيه آيات محكمات وهى أم الكتاب وأُخر متشابهاً ومطلق ومقيد وعام وخاص وناسخ ومنسوخ و... الخ.

وليسَ بوسع البشر أنْ يتعلمه ونفسه من دون أنْ يُنصب البارى تعالى معلماً؛ لأنَّ للقرآن مقامات غيبيه نأى البارى تعالى آيه من أنَّ تصيبه مطلق عقول البشر وإنَّما خَصَّ أناس معينين لذلك ونصب معلماً أولاً وهو: -

والمعلم الأوَّل: - رسول الله (صلى الله عليه و آله) خصمه بهذا المقام من دون باقى أنبياء الله تعالى ورسله وأوصياؤه (صلى الله عليه و آله) من بعده أولهم أمير المؤمنين (عليه السلام) سيد الأوصياء.

والآيات الداله على ذلك: -

منها: قوله تعالى: وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ١.

يعنى مع سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) بعده هناك راسخون فى العلم ومعلمون تعلموا منهم.

منها: قوله تعالى: بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ٢.

أى أوتوا العلم وهم معلمون وهؤلاء الذين عندهم عيبه خزينه علم القرآن.

منها: فى سوره الواقعه: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ

اَلْمُطَهَّرُونَ ۱.

ومن توهم وقال: حسبنا كتاب الله ولا نحتاج إلى مُعَلِّم غيره تعالى؛ لأنَّ الكتاب من الله تعالى وأنَّ معلم الكتاب هو صاحب الكتاب وهو الله تعالى.

الجواب: نُسَلِّم أنَّ صاحب الكتاب وهو الله تعالى هو المعلِّم الأوَّل، وأننا محتاجون إلى تعليم الله تعالى لكتابه وبيان مقاماته ومنازله الغيبيه، وتفسير آياته من محكم ومتشابه ومجمل ومبين و... الخ.

وكذلك القرآن يؤكِّد على هذا المعنى وأنَّ المعلم الأوَّل هو الله تعالى كما فى سوره القيامه ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ، وبما أنَّ البشر بما هم لا يستطيعون مهما بلغوا أنْ يصلوا إلى تلك المقامات الغيبيه العاليه من دون تنصيب معلم إلهى يبين لنا ذلك بعد المعلم الأوَّل وهو الله تعالى هم النبى (صلى الله عليه و آله) وقُربى النبى (صلى الله عليه و آله) وليسَ فى ذلك انقطاع عن السماء؛ لأنَّ علاقه الله تعالى مع البشر هى دائماً تنطلق من علاقه

«لا جبر ولا تفويض أمرٌ بين أمرين»، وإنْ كان الله تعالى أودع فى البشر تلك القدرات التكوينيه العاليه إلّا أنَّها ليست مسنده ومفوضه إلى البشر تمام التفويض ولا تمام الجبر، بلْ أمرٌ بين أمرين كذلك علم الله تعالى الذى يعطيه للبشر من معصوم وغيره ينطلق من هذهِ

القاعده «لا جبر ولا تفويض أمرٌ بين أمرين»(۱).

وهذهِ الآيات المباركه وغيرها يصرِّح القرآن بمَن يتأهل لتعليم البشريه وخصهم بآيات كثيره، ولكنْ وللأسف بعضهم يستغرب ويستبعد بلْ

۱- (۲) الكافى، ج ۱/۱۶۰، والتوحيد/ ۳۶۲.

ویستنکر من أنْ یرصد القرآن لنفسه معلم أوَّل خاص وبعده معلمون خاصون، بینما کُلّ کتب البشر الأخری ذات التخصص لا یستنکر ولا یستغرب البعض من وجود أکفاء وأخصاء وأدلاء علیه، وهذا شیء غریب.

القرآن یُنادی بأعلی صوته أنَّ له معلم ومعلمون إلهیون سماویون لدنیون بإذن الله تعالی. وهل یوجد محذور فی نصب معلم سماوی إلهی للقرآن أم لا؟ وبعد هذا هل بإمکان أحد أنْ یقول القرآن معطلاً؟ کیف یکون معطلاً وقدْ رصد القرآن له مُعلِم ومُفَعِل وهم النبی (صلی الله علیه و آله) وأهل بیته (علیهم السلام).

ونصب المعلم والقیم من قبل الله تعالی لکتابه تعالی لا یعنی - والعیاذ بالله إزواء البشر عن القرآن أو العکس - أزواء القرآن عن البشر - کلاـ بلْ نَصبُ المعلم هو مُدُّ جسر للبشر لکی یصلوا إلی منازل الکتاب التی هی فی منأی عن عقول البشر وإلّا کیف یصل البشر إلی تلک المقامات الغیبیه ویستفید منها أنَّه لا یتمُّ ذلک إلّا عن طریق نصب المعلم والمبین.

إذنْ بعد نصب القیم والمعلم الإلهی وبإذن من الله تعالی فإنَّ هذا لیسَ تعطیل وتجمید وإزواء للبشر بلْ هو تفعیل وتنشیط للاستفاده من المقامات العلیا للقرآن، إذْ لو اقتُصر علی الطرف النازل - الذی فیه طبقات - لکان هذا نوع من إضاعه لحقائق القرآن؛ لأنَّه سوف لمْ نصل إلی المقامات الغیبیه الأُخری وسوف یکون هذا تجمید لتلک المنازل الغیبیه للقرآن.

وهناک تساؤل: ما هی النتیجه المترتبه علی التمسُّک والعکوف علی تنزیل الکتاب علی ظاهر الکتاب؟.

الجواب: هذا یؤدی إلی نتیجه خطره جداً لا یمکن التمسُّک بها علی مبنی مدرسه أهل البیت (علیهم السلام)؛ لأنَّه لو تمسکنا بذلک فقط فإنَّه یؤدی إلی أنْ

نرفع أيـدينا عن أم الكتـاب وعن الكتـاب المكنون وعن اللوح المحفوظ وعن الكتاب المبين وعن باقى المقامات الغيبيه للقرآن، وهذا يلزم منه محذور خطير جداً وهو تجميد، بلْ تضييع الكتاب وإقصاء للبشر عن بقيه منازل ومقامات القرآن الكريم.

وسـيأتى إنْ شـاء الله تعـالى فى نفس أدلَّه الظهور والتأويـل أنْ نفس ظـاهر الكتـاب وتنزيل الكتاب هى من أدنى منازل ومقامات القرآن، وأنه لا يمكن للبشـر اقتناص تلك المنازل بشـكل إحاطى تفصـيلى دقيق إلّا من خصَّهم ونصـبهم القرآن كمعلمين للبشر كما سيأتى توضيحه إنْ شاء الله تعالى.

ص:٢١۴

حجیه آیات وسور القرآن حجیه معیه لا حجیه مستقله

اشاره

سیأتی إنْ شاء الله تعالی فی المعلم الرابع: - حجیه الظاهر حجیه معیه بین الکتاب والسنه تفصیل ذلک، وسنشیر إلیه إجمالاً.

وهو أنَّ الإحاطه بظاهر القرآن بتمامه لیسَ بمقدور البشر إلّا بإعانه مَن اصطفاهم الله تعالی وهم المُعَلِّم الأوَّل بعد الله تعالی النبی (صلی الله علیه و آله) وأهل بیته علیهم أفضل الصلاه والسلام.

والبرهان الذی ینتهی إلیه البیان فی المعلم الرابع هو: - أنَّ حجیه الظاهر القرآنی حجیه معیَّه.

وهذهِ النتیجه هی إحدی المؤاخذات التی تُسجَّل نقداً علی منهج تفسیر القرآن بالقرآن الذی تبناه العلامه محمد حسین الطباطبائی (قدس سرّه) من علماء الإمامیه الأبرار، وکذا صاحب تفسیر المنار من أهل السنه وغیره.

فکره منهج تفسیر القرآن بالقرآن: -

هی أنْ یَتَفَرَّد المجتهد أو المُفسِّر بأنْ یستظهر من الظهور القرآنی بقدره نفسه هذا المعنی الذی یستظهره، سواءً کان هذا المعنی الذی یحیط بکل ظاهر القرآن نحویاً أو بلاغیاً أو لغویاً أو صرفیاً أو فلسفیاً أو عرفانیاً أو طبّیاً أو فیزیاویاً أو کیمیاویاً أو فسیولوجیاً أو... الخ فإنَّ کُلَّ العلوم لها حقائق موجوده فی القرآن الکریم.

وعلیه إذا لمْ تکن مواد الإحاطه بالظاهر متوفره تحت ید المُفَسِّر

فکیف یقال: أنَّ حجیه القرآن منفرده ولیست حجیه معیّه تحت شعار أنَّ القرآن نورٌ مبین وبیانٌ وهُدی للناس، فهذا صحیح إذا کان الآخرون بمفردهم - غیر النبی وأهل بیته (علیهم السلام) قادرین علی استیعاب تلک الهدایه والإرشاد.

إلّا أنَّ الواقع لیسَ کذلک فهم محتاجون إلی معلم ومُربِّی وقیّم علیهم فی کیفیه الاغتراف والأخذ الصحیح من القرآن الکریم.

وإنْ کان السید محمد حسین الطباطبائی (قدس سرّه) استدل لمنهجه الذی یراه بحسب رؤیته وقناعته وأنَّ هذا هو المنهج الذی ترسمه لنا الروایات الوارده عن أئمه الهدی علیهم أفضل الصلاه والسلام، بوجوه عدیده لهذا المنهج القرآنی الذی یستنبطه العلّامه من روایات أهل البیت (علیهم السلام).

ولا نرید من عرض هذا أننا ننکر ما فی هذا المنهج الذی اختاره السید الطباطبائی (قدس سرّه) من إیجابیات کثیره، وکذا لا ننکر أنَّه المنهج الذی تشیر إلیه روایات أهل البیت (علیهم السلام) إلّا أنَّه فی نفس الوقت لیسَ هو المنهج الأکمل وعدیم النواقص.

وعلی هذا تکون نتیجه هذا المنهج عدم تمکن انفراد المجتهد والمُفَسِّر فی تبیان القرآن الکریم.

وإنْ کان منهج تفسیر القرآن بالقرآن له زوایا عدیده سنتعرض لها فی ما بعد إنْ شاء الله تعالی.

والذی نرید أنْ نسلط الأضواء علیه فی هذا المطلب هو: -

أنَّ المراد من تفسیر القرآن بالقرآن معناه استقلال وانفراد حجیه

ظواهر القرآن عن البشر وحسب البشر كتاب الله كما قاله قائلهم.

النتيجه: القرآن قائمٌ بنفسه لوحده وفيه كُلّ شيء، فلا يحتاج إلى المعيه وهى الثقل الآخر العتره الطاهره.

وأمَّا بالنسبه إلى دراسه إيجابيات وسلبيات منهج تفسير القرآن بالقرآن ومدى أهميته وقيمته وما هو المقدار الذى يجب إصلاحه منه ويتم فيه ببركه منهج أمومه المحكمات، علماً أنَّ منهج تفسير القرآن بالقرآن بمعنى الاستقلاليه عن السُنه والعتره ليسَ فقط عند علماء ومفسرى الإماميه، وإنَّما حتَّى عند المذاهب الإسلاميه الأُخرى أمثال صاحب تفسير المنار.

وسيأتى إنْ شاء الله تعالى تحقيق أنَّ هذا المنهج هو الذى يؤكِّده الكتاب والعتره أم الصحيح هو منهج الأمومه، وسيأتى الصحيح إنَّ منهج تفسير القرآن بالقرآن مندرج تحت منهج أمومه المحكمات.

المؤاخذات على المناهج الأخرى

مؤاخذات على منهج تفسير القرآن بالقرآن:

(۱)

ص:۲۱۹

۱- (۱) الغرض من بيان هذا المنهج ليسَ لأجل استقصائه وإنَّما نحن بصدد المقارنه بين منهجنا - أمومه المحكمات - الذى يقول بصياغه المعيه فى كل خطوه ولبنه من مبانى الكتاب العزيز بأنَّه لا القرآن يفترق عن العتره ولا العتره تفترق عنه، وكما قال رسول الله: «لن يفترقا - الكتاب والعتره - حتّى يردا علىَّ الحوض»، وبين المناهج الأُخرى غير منهج أمومه المحكمات. وعليه يجب أنْ تكون كل الأنظمه تحمل وجهين - كتاب وعتره - لحقيقه واحده، ومن خلال هذا يتضح أنَّ الغرض من إجراء المقارنه بين منهجنا والمناهج التفسيريه الأُخرى هو لأجل الوصول إلى رسم منهج تفسيرى للقرآن متكامل لا ترد عليه - مهما أمكن وبحسب ما يوفق الله له - نقوضات أكثر كما ترد على المناهج الأُخرى. كل ذلك بفضل الرجوع إلى الروايات الوارده عن أئمه العتره الطاهره (عليهم السلام) وبِعَرْض الجوانب السلبيه لا يظنن ظان بأننا نريد تهميش واستقصاء المناهج الأُخرى وتضييع جهود وعلماء عمالقه أتعبوا أنفسهم الشريفه فى ذلك - رضوان الله عليهم - والعياذ بالله أمثال العلامه السيد محمد حسين الطباطبائى (قدس سره) صاحب الجهد العظيم الذى يعجز القلم واللسان عن تثمينه ومواجهته العظيمه للفكر الشيوعى والنازى والفكر الغربى، وتربيته لجيل من تلامذته الجهابذه - حفظهم الله تعالى - وهذا كُلَّهُ من إنجازاته العظيمه التى لا كفران لسعى العلامه الطباطبائى (قدس سره). ولكن من باب هو أنَّ نفس العلامه الطباطبائى (قدس سره) تعلمنا منه عمليه النقد والبحث أخذاً بأمر أخذاً بوصيه النبى والأئمه الهداه المهديين (عليهم السلام) وهى: أولاً: على بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير، عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله (عليه السلام)، قال: «قال رسول الله: إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يقول تذاكر العلم بين عبادى ممّا تحيى عليه القلوب الميته إذا هم انتهوا فيه إلى أمرى» الكافى/ج ۱، كتاب فضل العلم، ب ۹، ح ۶. ثانياً: مُحمَّد بن يحيى عن أحمد بن مُحمَّد عن عبدالله بن مُحمَّد الحجّال عن بعض أصحابه رفعه، قال: قال رسول الله: «تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا فإنَّ الحديث جلاءٌ للقلوب، إنَّ القلوب لترين كما يرين السيف جلاؤها» الكافى/ج ۱، كتاب فضل العلم، ب ۹، ح ۸.وعندما نكون بصدد نقل التأويل لا لأجل جحود وإنكار جهود العلامه والعياذ بالله إلّا أنَّه وبحمد الله تعالى فإنَّ طبيعه مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) ليست سد باب الاجتهاد وإنَّما نحن المخطئه وفى هذهِ المدرسه يُفسح المجال للفكر الحُرّ الموزون حرصاً على تطوير عمليه التكامل العلمى.

يدَّعى أصحاب هذا المنهج(١) الاستقلاليه للقرآن بمعزل عن العتره الطاهره التى هى العِدْل الآخر للقرآن، والتفكيك بينهما فى معرفه الأحكام والمناهج القرآنيه، وأنَّ هذا التفسير هو العاصم للفكر عن الوقوع فى الخطأ وأنه يوصل إلى الحقيقه وليسَ فيه تخطئه، والحال نرى أنَّ أصحاب هذا المنهج يُخطىء بعضهم بعضاً وهم مختلفون فيما بينهم فى تفسير الآيه الواحده، وحتَّى لو بنينا أنَّ اختلافهم ليسَ تناقضياً فهل أنَّ اختلافهم توافق وكمال أكمل أم لا؟

وعلى هذا فتُرصَد عِدَّه مؤاخذات على هذا المنهج - تفسير القرآن بالقرآن: -

أولاً: إنَّ الظاهر الذى نحن فيه جميعاً لا نحيط به، فكيف يستطيع مَن يدعى أنَّ هذا المنهج التفسيرى - القرآن بالقرآن - هو المهيمن وهو الموصل إلى الحقيقه وهو... الخ، وأنه يتمكن ويُمكِن الآخرين على تفسير القرآن بكل ما فى القرآن بحيث يستطيع أنْ يقول:

١- (١) كالسيد محمد حسين الطباطبائى (قدس سره) من علماء الإماميه وتلامذته بلْ لعلَّه حتّى السيد الخوئى فى تفسيره البيان، وكذا صاحب تفسر المنار من علماء ومفسرى إخواننا السنه.

تفسير هذهِ الآيه المباركه يتمُّ بوساطه الآيه الفلانيه، إلّا أنَّ هذهِ دعوى كبيره وأنّى لمدعيها إثباتها - وقدْ مَرَّ - إننا لا نحيط بالقرآن، وهذا لا يتمُّ إلّا من خلال مَن اصطفاهم وعلّمهم الله تعالى وهم أهل البيت (عليهم السلام).

مضافاً إلى أنَّه تقدم أنَّ النحوى والصرفى والبلاغى واللغوى و... الخ لمْ يستطع كُلّ واحد منهم أنْ يدعى أخذ بُعْدَ علمه من القرآن، فالنحوى لمْ يَدَّع ولا يستطيع أنْ يدعى أنَّه يُفسر البُعد النحوى بالنظام النحوى فى القرآن بنفسه، ولا يدعى البلاغى كذلك ولا الصرفى ولا اللغوى ولا... الخ.

فمثلاً الشيخ الطوسى فى تفسيره التبيان والشيخ الطبرسى فى تفسير البيان والزمخشرى فى تفسيره و... الخ لا يجرأ أحد من هؤلاء الأعلام ولا غيرهم القولَ بأنَّ النظام الأدبى والبلاغى و... فى القرآن نحن نفسره بأنْ نفسر الآيه ببيانها البلاغى الموجود بالقرآن مثلما هو عليه.

علماً أنَّ علمء البلاغه لا زالوا يكتشفون نكات بلاغيه فى القرآن لمْ تكتشف طيله أكثر من أربعه عشر قرناً من قبل الأوائل، وإنْ كان لا يُنكر ما اكتشفوه من نكات بلاغيه وغيرها بمقدار ما أُوتوا من قدرات عقليه جزاهم الله خيراً.

الخلاصه: إنَّ الذى يدعى أنَّه يُفسر القرآن بالقرآن ليسَ كُلّ القرآن بيده، وعليه فكيف يرفع مثل هذا الشعار: بأنَّ هذا التفسير هو لا غير، علماً أنَّ كُلّ مُفسر التزم على نفسه فى هذا المنهج أنَّه لمْ يُحِط بكل حقائق القرآن.

وعليه فإنَّ هذا المنهج التفسيرى - القرآن بالقرآن - لمْ يؤمِن لكم بحسب ما رفعتم من شعار؛ لأنَّ الاختلاف والتناقض بين المفسرين فى هذا المنهج لمْ يؤمن الوصول إلى المنتهى الأفضل والأحسن.

ثانياً: لا يستطيع المُفَسِّر فى هذا المنهج أنْ يبلغ كُلّ الغايات التى يهدف إليها القرآن، وإنَّما غايه ما يستطيع الوصول إليه هو اكتشاف بعض النكات العلميه وهذا لا مانع منه.

إلّا أنَّه يُقال له كما قيل: - حُفِظتَ شيئاً وغابت عنك أشياء.

ثالثاً: بعض أصحاب هذا المنهج يدعى أنَّ سُنه النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل البيت (عليهم السلام) لا دور لهم فى تفسير القرآن علماً أنَّه مَرَّ فى المُعلِّم الأوَّل بعد الله تعالى هو النبى (صلى الله عليه و آله) ومن بعده أهل بيته (عليهم السلام)، كما مرَّ من الآيات القرآنيه الداله على ذلك.

رابعاً: تقدم حديث معيه الثقلين - كتاب الله والعتره الطاهره - من قول الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله)

«إنى تاركٌ فيكم الثقلين...» فضلاً عن عشرات الآيات الدالى على عدم استقلاليه أحدهما عن الآخر.

خامساً: بعضهم جعل تفسير الصحابه للقرآن فى مقام تفسير أهل البيت (عليهم السلام) والعياذ بالله.

سادساً: تقدم أنَّ القرآن له منازل غيبيه وهى قطعاً مؤثره فى تفسير القرآن، فيقال لمفسر هذا المنهج: - هل كُلّ المنازل الغيبيه فى القرآن فى متناول يدك وفهَمك؟.

الجواب: كلا، القرآن يُجيب فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ١.

وإنَّ القرآن له منازل ومقامات غيبيه خارج طوق البشر - وعنده أم

الكتـاب – فـأم الكتـاب هى عنـد الله لا عنـد الناس، وكـذا كتابٌ مسطور فى رقت منشور وَ كِتابٍ مَسْطُورٍ فِى رَقٍّ مَنْشُورٍ۱ فهذهِ المنازل والمقامات الغيبيه هى عند الله وليست عند البشر.

لا أحد يستطيع أنْ يدعى ويقول: أنْ أُفسر القرآن بالقرآن، ولا أحد يستطيع أنْ يعلم تأويله إلّا الله والراسخون فى العلم وهم النبى (صلى الله عليه و آله) وعترته الطاهره (عليهم السلام)، هم فقط أحاطوا بتأويل الكتاب كُلَّهُ.

سابعاً: هناك حديث منسوب للنبى (صـلى الله عليه و آله) يشـير فيه (صـلى الله عليه و آله) إلى النظام الاستعمالى فى القرآن وأنَّ القرآن فيه طبقات ما مضـمونه سـند الحديث روى عن الإمام على (عليه السلام) من بيان المراحل المعرفيه الأربع للقرآن أنَّه قال: –

«كتاب الله على أربعه أشياء: – على العباره، والإشاره، واللطائف، والحقائق، فالعباره للعَوامِّ، والإشارهُ للخواصِّ واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»(۱) والمأخـذ الـذى يُسـجل على هـذا المسـلك – تفسـر القرآن بـالقرآن – هو أنَّه هـل بإمكـان كـل طبقه من الطبقات تفسـر بقيه الطبقات؟ ومَن له القـدره اللامتناهيه للوصول لكل طبقات القرآن كى يُفسـر بها بقيه الطبقات؟ وهـذهِ ليسـت قدره مُفسـر أو مجتهد أو فقيه أو كلامى أو... الخ وإنَّما هى قدره معصوم، نعم، المُفَسِّر والمجتهد يبذل جهوده ويتوصل بحسـب ما يبذله من وسع الطاقه والجهد وبالتالى تكون سعه دائرته محدوده بخلاف المعصوم فإنَّ دائرته لا تتحدد.

۱- (۲) عوالى اللآلى ج ۴ ص ۱۰۵ ح ۱۵۵؛ جامع الأخبار: ص ۱۱۶؛ بحار الأنوار ج ۹۲، ص ۱۰۳ ح ۸۱.

العلاقه بين الظهور والتأويل (قاعده التعريض) وبين منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام)

بناءً على ما ذكره العياشى فى أوائل تفسيره من قول الإمام الصادق (عليه السلام)

«إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكُتب، عليها يستدير محكم القرآن وبها نوَّهت الكتب ويستبين الإيمان»(١).

تدل الروايه على أنَّ النقطه المركزيه لمحكمات القرآن تدور على ولايتنا وعليها يدور مُحكم القرآن بلْ على ولايتنا يدور كل كتاب أنزل من السماء من صحف آدم وإبراهيم وإدريس وجميع صحف الأنبياء، والتوراه والزبور والإنجيل.

فإنَّ هؤلاء الأنبياء بعثوا بهذهِ الشرائع السماويه وأنها قائمه على نظام التصريح لا على نظام التعريض، ومع ذلك فإنَّ القطب المركزى التأويلى لتلك الكتب هى ولايه أهل البيت (عليهم السلام).

وسنتعرض لذلك فى محله مفصلاً إنْ شاء الله تعالى

١- (١) تفسر العياشى ج ١ / ص ٧٨ ح ٨.

الفصل الرابع: نظم وقواعد التفسـير ومميزات وخصائص منهج أمومه ولايه أهل البيت عليهم السلام على المحكمات فضلاً عن المتشابهات

اشاره

ص:۲۲۵

الفصل الرابع

وفيه عده مقامات:

المقام الأوَّل:

*المقدمه.

*ما هى الشروط التى ينبغى توفرها بالمفسر؟

*أصول وقواعد التفسير لمنهج أمومه الولايه على المحكمات.

*مميزات وخصائص منهج أمومه الولايه على المحكمات.

*الفرق بين الأنظمه الثلاثه.

*العلاقه بين الأنظمه الثلاثه.

*نظريه تجسم الأعمال.

*أفعال الإنسان اختياريه أو لا.

*النظام اللفظى فى القرآن الكريم.

ص:٢٢٧

المقام الأول

المقدمه:

اشاره

توسعت البحوث حول قواعد التفسير وأصوله إلى بحوث حول مناهج التفسير شيئاً فشيئاً، فلو لاحظنا كتب التفسير القديمه فأنَّها توسعت إلى مناهج التفسير وأُخِذَ بالتوسع أكثر فأكثر إلى أنْ وصلت إلى علوم التفسير أو العلوم القرآنيه كما يُعَبَّر عنها اليوم وهى بحق كذلك؛ لأنَّ كل أصل تفسيرى أو منهج تفسيرى كى يطّلع الباحث على أسسه ومنهجه ونظامه توسع فيه؛ لأنَّه أصبح علماً قائماً بذاته.

ومن الواضح أنَّ البحث القرآنى فيه هذهِ القابليه، كيف لا والقرآن أعظم كتاب تشهده البشريه، وهو كتاب الخالق وليسَ كتاب المخلوقين، وهو من أعظم كتب الخالق التى أُنزلت على الخلائق.

ومن ثَمَّ قد وُصِف القرآن بأوصاف شبيهه بالأوصاف التى هى ذات طابع سماوى إلهى كأوصاف اللاتناهى قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّى وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً١.

وعلى هذا فإنَّ كُلّ قاعده فى القرآن وكلّ منهجه فيه توسعت وأصبحت علماً قائماً برأسه.

ص:٢٢٩

ألفات نظر:

إنَّ كُلّ ما تقدم وما سيأتى بيانه هو بالحقيقه بيان لجمله من معالم المنهج التفسيرى الجديد - منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) والمحكمات فى القرآن الكريم - هو ليسَ جديداً وإنَّما هو موجودٌ فى بيانات أهل البيت ومتأصل وعميق، ومقصودنا من الجديد هو من جهه بلورته فى الساحه التفسيريه، وهذا المنهج لا يعتمد على آيه محكمه واحده، بلْ يعتمد على مجموع المحكمات كمنظومه، وهذا الأمر ليسَ بالسهل على مستوى التطبيق العملى، وإنْ كان سهلاً بلحاظ التنظير الكلامى.

هذا وقدْ حاول علماؤنا الأعلام (رضى الله عنه) بمحاولات عديده وشمَّروا عن ساعد الجدِّ فى البحث واستكشاف تلك القواعد والأصول التى بَيَّن أهلُ البيت (عليهم السلام) أهميته وأهميه مراعاتها فى القرآن الكريم.

ومن بين تلك المحاولات:

أولاً: محاوله الفيض الكاشانى (قدس سرّه)(1) فى تفسيره الصافى الذى اعتمد فيه الفيض على ما ذكره صاحب تفسير البيضانى، ثم على نصوص الأحاديث المرويّه عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام).

وذكر الفيض الكاشانى (قدس سرّه) فى مقدمه تفسيره مقدمات مهمّه منها: -

أ) نقل الروايات المبيّنه لفضل القرآن.

١- (١) محمد بن مرتضى المدعو ب - (محسن) المُلقَّب بالفيض كان مُحدِّثاً وفقيهاً وفيلسوفاً فاضلاً حكيماً عارفاً ولد ب - (كاشان) عام ١٠٠٧ هج، والمتوفى سنه ١٠٩١ ههج وله تفسير مزج فيه بين الروايه والدرايه المسمى ب - (الصافى) المطبوع بخمسه أجزاء شاملاً لجميع سور وآيات القرآن الكريم.

ب) إنَّ علم القرآن كُلَّهُ عند أهل البيت (عليهم السلام) يعلمون ظاهر القرآن وباطنه علماً شاملاً لجميع آی القرآن.

ج -) إنَّ جل القرآن واردٌ بشأن أولياء الله تعالى ومعاداه أعداء الله... الخ(۱).

بيان قواعد وأصول التفسير واستنباطها من بيانات أهل البيت (عليهم السلام) فی هذا المجال لتقاوِم قواعد التفسير فی الكتب الأُخرى المستفاده من غير بيانات أهل البيت (عليهم السلام).

وذكر الفيض الكاشانی (قدس سرّه) الفوارق بين تفسيره - الصافی - ومن اعتمده وبين تفاسير أُخرى من الشيعه أو السنه فمن الشيعه مثل تفسير التبيان للشيخ الطوسی، ومجمع البيان للشيخ الطبرسی (قدس سرّه)، ومن السنه (العامه) كتفسير الكشاف للزمخشری، وإتقان العلوم للسيوطی أو الزركشی،... الخ.

ثانياً: محاوله السيد هاشم البحرانی فی كتابه تفسير البرهان(۲) حاول (قدس سرّه) أنْ يستنبط قواعد منهجيه معينه لتفسير القرآن من خلال نصوص أهل البيت (عليهم السلام)، والآيات التی نبّه عليها أهل البيت (عليهم السلام)، مما يؤشر إلى أنَّ تلك القواعد كانت ضروريه ومرعيّه تفسير القرآن.

ثالثاً: محاوله الشيخ الحويزی فی تفسير نور الثقلين(۳) إلى حدٍّ ما نقل

۱- (۱) مقدمه تفسير الصافی للفيض الكاشانی.

۲- (۲) السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل البحرانی من أحفاد السيد المرتضى - علم الهُدى - كان من علماء القرن الحادی عشر ومعاصری الشيخ الحر العاملی صاحب الوسائل.

۳- (۳) هو الشيخ العلامه المحدث الخبير عبد علی بن جمعه العروسی الحويزی، وأنَّه حويزی المولد شيرازی المسكن واختلف فی سنه وفاته بين ۱۱۱۲ هج وبين ما ذكر الشيخ أقغا بزرك الطهرانی أنها سنه ۱۰۹۷ هج، عاصر العلامه المجلسی (قدس سره)، والحر العاملی (قدس سره).

أحاديث النبى (صلى الله عليه و آله) والأئمه فى تفسير الآيات أكثر مما فعله صاحب تفسير البرهان وإنْ كان الأخير أسبق منه.

رابعاً: محاوله العلامه ملا شريف الفتونى فى مرآه الأنوار، وقدْ ذكر العلامه الفتونى عِدَّه مقدمات لعلم التفسير على ضوء ما استنبطه من بيانات منهجيه وحاول أنْ يستكشفها ويؤلف قواعد فى علم التفسير(١).

خامساً: محاوله السيد العلامه محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه) فى تفسيره البيان فى تفسير القرآن(٢) ولا شك أنَّ القيام بمثل هذهِ المهمه الصعبه التى تحتاج إلى الإحاطه الشامله والعميقه فى المعارف القرآنيه، وكذا المعرِفه الكامله باللسان المُفَسِّر لتلك الآيات أى الروايات الوارده عنهم (عليهم السلام) والقدره على تطبيق ما يوصل أحدهما من الآخر بالتوفيق بين الآيات بظواهرها وحسب ما يعطيه مفادها، وبين الروايات الوارده فى تفسيرها عدا كثرتها وما يترائى من الاختلاف الشاسع فى مضامينها(٣).

وهذهِ المحاوله من السيد العلامه الطباطبائى (قدس سرّه) لاستكشاف المنهج الذى يُرشِد إليه أهل البيت (عليهم السلام) فى تفسير القرآن.

١- (١) مراجعه ترجمه العلامه الملا شريف الفتونى (قدس سره) ولعل الشيخ كاشف الغطاء من تلامذته.
٢- (٢) تفسير البيان فى الموافقه بين الحديث والقرآن للسيد محمد حسين الطباطبائى يقع فى سته أجزاء فى الطبعه الأولى ١۴٢۵.
٣- (٣) تفسير البيان للسيد محمد حسين الطباطبائى (قدس سره).

- علماً إنَّ تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائى هو وليد تفسير البيان.

الخلاصه: إنَّ السيد العلامه الطباطبائى (قدس سرّه) وسواه من الذين سبقوه من أعلام المفسرين من علماء الإماميه قدْ طرحوا نظريه خاصه فى استنباط منهج وقواعد خاصه فى علم التفسير الذى فى رؤيته هو منهج أهل البيت (عليهم السلام) الذين حملوه لإنَّهم عِدْل القرآن وهم الثقل الثانى الذى أُمِرَ بالتمسك بهما.

ثانياً: ما هى الشروط التى ينبغى توفرها فى المُفَسِّر؟.

يُعلم مما سبق أنَّ هناك شروطاً ينبغى توفرها فى المُفَسِّر: -

١ - توفر الملكه التفسيريه فى المُفَسِّر نفسه التى هى عباره عن الإحاطه والتضلع فى أصول التفسير وقواعده وعلوم القرآن.

٢ - أنْ تكون لديه ممارسه ومطالسه وقوه فى النقض والإبرام.

٣ - أنْ يكون ذا بصيره نافذه تفسيريه ينضم إليها المقاربه بين كتب التفسير وغزاره التفسير.

إلى غير ذلك من الشروط التى ستتضح من طيّات البحث؛ لأنَّ المفسير يقِف أمام كتاب إلهى فيه كلام الله لا يأتيه الباطل فالذى يريد الولوج فى هذا المضمار لابدَّ أنْ تتوفر عنده المؤهلات لذلك من مؤن علميه وإعداده الإعداد المناس بالذى يتناسب وحجم موضوع علم التفسير.

علماً أنَّ علم التفسير كما لا يخفى، فيه آراء متضاربه أشد التضارب فهناك من يُحرر علم التفسير من الكلاسيكيه التقليديه القديمه والتقيد بالمصطلح، ويفرض افتراضات هى أقرب للخيال، وبالتالى يفتح المجال فى

علم التفسير بلا ضوابط وبلا مناهج.

وهناك: - من هو عكس الأوَّل، بأنْ يتقيد بالمصطلح والكلاسيكيه القديمه.

وثالث سار سيراً وسطاً.

لأجل هذا الاختلاف أو سواه نشأت مناهج وأصول وقواعد التفسير المختلفه المشارب فيما بين بعضها البعض.

وعلم التفسير ليسَ كباقى العلوم يقف أمام ظاهره كونيه ويعالجها وإنَّما علم التفسير يقف أمام كلام الله تعالى، وهذا الموقف فيه من الصعوبه ما لا يقوم بعبء ثقلها علم آخر.

ص:٢٣٤

أصول وقواعد تفسير منهج أمومه ولايه أهل البيت على المحكمات

تنقسم أصول وقواعد منهج أمومه المحكمات إلى:

القسم الأوَّل: النظام الاستعمالى اللفظى فى القرآن الكريم أى نظام تنزيل الكتاب الشريف، وقدْ يسمى هذا النظام لألفاظ الكتاب الكريم كما فى الحديث – العباره للعوام أو للعامّه –.

القسم الثانى: النظام المعنوى والمعانى فى القرآن الكريم، وليسَ المراد به المعنى الأوَّل من المعانى التى تقدّمت بالألفاظ، وإنَّما المراد به جمله طبقات المعانى فى القرآن.

ومن الواضح إنَّ لمعانى تأثيراً على الجانب العقلى فى الإنسان وبالتالى يؤثر على الروح – أى التأثير الروحى لمعانى القرآن – وتوازن العَقِل فى ذلك بسبب معانى القرآن.

فلو قرأنا كتب المعقول للقدماء والجُدد من فلسفيه وعقليه وحكميه و... الخ، لوجدنا الطبع يَمُج منها وتأثيرها جزئى على شريحه معينه من العقول البشريه بخلاف قراءه القرآن فإنَّه يهيمن على كُلّ مَن يقرأه، فليس قراءه آيات القرآن هى صناعه البرهان ولا فن الخطابه ولا الجدل ولا... الخ.

فمثلاً المناطقه حصروا الصناعات بالخمس، وإنْ كان هذا الحصر ليسَ فى محله وإنَّما هى أكثر من ذلك، فصناعه منها ترتبط باللغه العقليه، وصناعه ترتبط بلغه الخيال وثالثه بالوهم، ورابعه بالجدل وخامسه بالجانب

العاطفی النفسانی الغریزی من الغضب أو المحبه. وهی الخطابه، وسادسه ترتبط بفنون الأدب کاللفظ و... الخ.

وعلیه فالسؤال فالسؤال الذی یُطرح: - هل تأثیر معانی ألفاظ القرآن علی الروح هو من قبیل هذهِ الصناعات التی ذکرها المناطقه، أو من قبیل المعانی البلاغیه فی علم المعانی والبیان والبدیع، أو هل هو من قبیل المعانی اللغوی والنحویه أو الصرفیه أو الکلامیه أو... الخ.

وعلیه فالسؤال الذی یُطرح: - هل تأثیر معانی ألفاظ القرآن علی الروح هو من قبیل هذهِ الصناعات التی ذکرها المناطقه، أو من قبیل المعانی البلاغیه فی علم المعانی والبیان والبدیع، أو هل هو من قبیل المعانی اللغوی والنحویه أو الصرفیه أو الکلامیه أو... الخ.

الجواب: لیسَ الأمر کذلک؛ لأنَّ القرآن الکریم فیه قدره عالیه لا تضاهیه قدره فی باقی العلوم، وتلک القدره العلمیّه التی یمتلکها القرآن متمیزه عن غیرها بمهاره وخلابه عظیمه فی تحویر المعانی، والانتقالات المرتبه فی عالم المعانی بانسیابیّه لیسَ لها نظیر بحیث وصلت إلی حدِّ الإعجاز.

ونظام المعانی ینقسم إلی نظامین: -

النظام الأوَّل: نظام الإشاره وکما وَرَدَ فی بعض کلمات أمیر المؤمنین (علیه السلام) (۱)[الإشاره للخواص] ویسمی بالتفسیر الإشاری وفیه یُجهد المُفَسِّر نفسه بالالتفات إلی الإشارات فی الآیات، لا إلی السطح الظاهر کما

۱- (۱) روی عن الإمام علیّ (علیه السلام) فی بیان المراحل المعرفیه الأربع للقرین أنَّه قال: کتاب الله علی أربعه أشیاء: علی العباره، والإشاره، واللطائف، والحقائق، فالعباره للعَوام، والإشاره للخواصِّ، واللطائف للأولیاء، والحقائق للأنبیاء، بحار الأنوار ج ۹۲ ص ۱۰۳ ح ۸۱.

فی الصعید الأوَّل: نظام الألفاظ وهو المنهج والتفسیر الموجود فی کلمات أهل البیت (علیهم السلام) وهو غیر منهج أمومه المحکمات الذی نتبناه فی تفسیرنا للقرآن.

النظام الثانی: نظام اللطائف وکما وَرَدَ فی بعض کلمات أمیر المؤمنین (علیه السلام) «اللطائف للأولیاء».

واللطائف: هی الطبقات العمیقه التی هی أبطن البطون وتحتاج إلی لطف وشفافیّه خاصه فتکون أکثر لطافه، أی معانی باطنیه خفیّه، ومعانی أبطن وتوغل فی الباطن والعمق أکثر فأکثر.

القسم الثالث: نظام حقائق القرآن وهو ما یُعبَّر عنه بالحدیث النبوی والحقائق للأنبیاء کما وَرَدَ(۱).

وکل قسم من هذهِ الأقسام الثلاثه له قواعده ومنهاجه، فغیر المُطّلِع علی هذهِ المناهج والقواعد رُبَّما یهاجمها ویقول هذا تلاعِبٌ فی التفسیر وما شابه ذلک.

وکُلُّ قسم من هذهِ الأقسام الثلاثه یبحث فیها هذهِ الأنظمه الثلاثه أیضاً: -

---

۱- (۱) یمکن أنْ یکون هذا التقسیم مستفاد مما ذکره أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی وصف القرآن وأنَّه علی طبقات أربعه ولیست نظم ثلاثه وهی:أ) العباره للعوام أو العامه.ب) الإشاره للخواس.ج -) اللطائف للأولیاء.د) الحقائق للأنبیاء.والألفاظ تعود إلی نظام الاستعمال، واللطائف والإشارات مرتبطه بعالم المعانی، والحقائق للأنبیاء، وهکذا الإشاره للخواص مِن عالم اللطائف للأولیاء أیضاً من عالم المعنی، ولکن بشکل أعمق وأخفی.

النظام الأوَّل: نظام الأفعال أى الأفعال الإلهيه.

النظام الثانى: نظام الصفات الإلهيه.

النظام الثالث: نظام الأسماء – أى إثبات الربوبيه.

ص:٢٣٨

مميزات وخصائص منهج أمومه الولايه على المحكمات

يتميز منهج أمومه المحكمات بعدَّه خصائص، وهى: -

أولاً: بسط وتفصيل الكلام فى الأقسام الثلاثه - الاستعمال اللفظى، والمعنوى وحقائق القرآن - بما فى كُلّ واحد منها البحث عن نظام الأفعال والصفات الإلهيه.

بينما المناهج الأُخرى أكَّدت وركَّزت فى أصول قواعد التفسير بلحاظ النظام الاستعمالى، وشيئاً ما فى النظام المعنوى، ونادراً ما فى نظام الحقائق.

وسبب ندره استعمال المناهج الأُخرى لنظام الحقائق وتأكيدها فى المعارف على طرف الحبل الممدود إلى الناس وهو النظام الاستعمالى؛ لأنَّ المعارف استعماليه، وأمَّا الحقائق فندره استعمالها هو بسبب أنَّها غيبيّه، وعليه فهى بعيده المنال عن المناهج الأُخرى غير منهج أمومه المحكمات.

ثانياً: مضافاً إلى أنَّ المناهج التفسيريه الأُخرى غير منهج أمومه المحكمات، لمْ يُتعب أصحاب تلك المناهج أنفسهم فى البحث عن الجانب الحقائقى حتَّى يتوصلوا ولو إلى شىء معين، بحجه أنَّها غيبيات وحقائق القرآن وهى بعيده المنال، علماً أنَّها مؤثَّره فى التفسير، لذا صارت مناهجهم التفسيريه بسبب غياب هذا الجانب ليست هى الأكمل، والأمثل.

ولذا امتاز منهج أمومه المحكمات عن باقى المناهج التفسيريه بسبب تركيزه على جانب نظام الحقائق - الغيبى - فى القرآن.

إذنْ امتياز منهجنا وكونه أصلاً أو له أصوليه وقطبيه مستمده من روايات أهل البيت (عليهم السلام) فى القرآن ميَّزته عن باقى المناهج التفسيريه بحق ولهذه القطبيه مركز وأصل.

ثالثاً: يتميز هذا التقسيم للأصول والقواعد التفسيريه، بصب اهتمام منهج أمومه المحكمات على نظام الصفات، ونظام الأسماء، فضلاً عن نظام الأفعال الإلهيه، بخلاف المناهج التفسيريه الأُخرى، لمْ ترعَ كثيراً لهذه البحوث، وإنَّما ركَّزت وأكَّدت على نظام الأفعال.

بدعوى أنَّ البحث الصفاتى أيضاً مطلب بعيد المنال، كما أنَّ البحث فى الأسماء كذلك بعيد المنال.

علماً أنَّ نظام الأفعال الذى ركَّزت عليه مناهجهم - غير منهج أمومه المحكمات - لا يُفهم إلّا بنظام الصفات، كما أنَّ نظام الصفات لا يفهم إلّا بنظام الأسماء لتوحيد الذات، كما سيتضح ذلك كُلَّهُ من خلال البحث إنْ شاء الله تعالى.

رابعاً: كيف يؤثر منهج أمومه المحكمات فى النظام الاستعمالى الذى هو العباره والألفاظ.

علماً أنَّ نفس أمومه المحكمات لها أمومه للمتشابهات على شكل طبقات محوريه، وهكذا كيفيّه تأثير أمومه المحكمات فى النظام الثانى أى نظام المعانى أو الإشارات؛ لانه كما أنَّ منهاج الثقلين وأمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) عاصم فى النظام الأوَّل من الضلال فى التفسير الإشارى أو نظام معانى القرآن.

خامساً: القرآن الكريم فيه أنظمه بيانيه تؤثر على المنهاج التفسيرى للمفسر فمثلاً: نظام الاستعمال اللفظى هو نظام تحته أنظمه هو ناظم لها وهكذا الفرع تحت الفرع ويتشعب إلى شعب... فإنَّه حتَّى الأنظمه لها نظام مهيمن.

وأنَّ نظام عالم المعانى له نظم معينه وقواعد ترسم نظام المعانى وليسَ عباره عن ركام من المعانى مكدس.

والنظام الثالث أى نظام الحقائق الذى أيضاً له بُعده العميق فى منهجيه تفسير المُفَسِّر ولولاه لما استطاع المُفَسِّر الغور إلى الأعماق.

وسنبين فى جمله الصله الوطيده بين هذهِ الأنظمه الثلاثه.

ص:٢٤١

الفرق بين الأنظمه الثلاثه

الأفعال – الصفات – الأسماء

اشاره

مقدمه/ المشهور بين المتكلمين بلْ والحكماء والعرفاء أنهم فرَّقوا بين الأنظمه الثلاثه.

الفعل: ما يَلْحَظ الحدث بما هو أى يدلُّ على معنى مستقل مقترن بزمان.

الاسم: هو اللفظ المأخوذ إمَّا من الذات بما هى هى كلفظ الجلاله له سبحانه وتعالى، والرجل والإنسان و... الخ أو بكونها – الذات – موصوفاً بوصف كالعالِم والقادر أو مبدأ الفعل: كالرازق والخالق.

الصفه: فهو الدال على المبدأ مجرداً عن الذات كالعلم والقدره والرزق والخلقه، وعلى هذا – رأى المشهور – يصح أنْ يقال: –

الاسم: ما يصح حمله كما يقال: الله عالِمٌ، وخالقٌ، ورحمنٌ، ورحيمٌ و... الخ.

والصفه: لا يصح كملها كالعلم، والخلق والرحمه و... الخ.

إذنْ على رأى المشهور الصفات مندكه فى الأسماء من غير عكس(۱).

وذكر السيد العلامه محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه) لا فرق بين الاسم والصفه، غير أنَّ الصفه تدلُّ على معنى من المعانى تلبس به الذات، أعمُّ من العينيه والغيريه.

والأسم: – هو الدال على الذات مأخوذهٌ بوصف، فالحياه والعلم

۱– (۱) مفاهيم قرآنيه للشيخ جعفر السبحانى ج ۶، ص ۳۳.

صفتان، والجماد والعالِم أسمان(۱).

هذا كُلَّهُ على ما هو المشهور ويوافقه ظاهر الكتاب من أنَّ أسماء الله سبحانه وتعاليمن قبيل الألفاظ والمعانى فيكون لفظ الجلاله وسائر الأسماء كالرحمن والرحيم والعالِم والقادر أسماء الله الحسنى الحقيقيه، ولها معانٍ ومفاهيم فينتقل إليها الذهن عند السماع.

وأمَّا عند أهل المعرفه: فالأسماء والصفات ليست من قبيل الألفاظ والمفاهيم بلْ حقيقه الصفه ترجع إلى كمال وجودى قائمٌ بالذات، والاسم عباره عن تعيُّن الذات بنفس ذلك الكمال، والأسماء والصفات الملفوظه أسماء وصفات لتلك الأسماء والصفات الحقيقيه التى سنخها سنخ الوجود والكمال والتحقق والتعين، فلفظ الجلاله ليسَ أسماً بلْ أسماً للأسم، ومثله العلم والقدره والحياه و.. فهى ليست صفات بالحقيقه، وإنَّما مرأه تعكس أوصافهُ الحقيقيه(۲).

وأقول: الفعل: يلحظ الحدث كحدثٍ، أمَّا إذا لوحظ حاله أو هيئهً عارضه فيكون صفه.

وإذا صيغ من الهيئه ما يكون قالباً مشيراً إلى الذات الموصوفه يكون اسماً.

وليسَ المراد من الفعل فى مباحث المعارف الإلهيه ما يكون عرضٌ فى مقابل الجوهر، بلْ أعم من ذلك - حتَّى لو تعلَّق الفعل بجوهر مخلوق، كما أنَّه ليسَ المراد من الصفه ما يكون هيئه وجوديه عارضه بلْ ما يشمل الجواهر المخلوقه، إذا لوحظت ناعته بنحو الصفات الفعليه لخالقها.

۱- (۱) تفسير الميزان ج ۸ ص ۳۶۹.

۲- (۲) مفاهيم قرآنيه: ج ۶ ص ۳۳-۳۴.

كما أنَّ الأسماء ليسَ المراد بها الإشاره الذهنيه أو الصوتيه، بلْ ما يشمل الآيات المخلوقه وإنْ كانت جواهر مخلوقه عاليه.

والصفه فى كُنهها لا توصِل إلّا إذا لوحظت مشيره إلى الذات أى لوحظت فيها حيثيه الاسم لأنَّ فى الصفات لحاظٌ وحجابٌ ذاتى بخلاف الأسماء.

وهناك أصلٌ مهم جداً مؤلف من مراحل ثلاث: -

المرحله الأُولى: أنَّ كُلّ فعل له ارتباط بالصفه، هو فعل الإنسان.

المرحله الثانيه: والفعل مرتبط بالصفه لا محاله له ارتباط بصفه الإنسان.

المرحله الثالثه: إنَّ الصفه لا محاله لها ارتباط بعقيده الإنسان، والعقيده والمعتقد هو جوهر الإنسان.

وهذهِ المراحل الثلاث يُعبر عنها كثير من علماء الأخلاق والفلسفه بأنَّ كُلّ رؤيه معرفيه أو عقائديه تولد صفات مناسبه لها، كما أنَّ كُلّ صفه معينه تولد أفعال متناسبه معها.

وتوضيح ذلك: مثلاً صفه البُخل تؤثر فى الإنسان عملاً فيكون بخيلاً فتولد الصفات المتلائمه مع شخصيه الإنسان البخيل من الجبن والخِسَّه... الخ.

وهكذا صفه الكرم تؤثر فى الإنسان فتجعله مبسوط اليد، وهكذا الجبن يُولِّد عند الإنسان صفه الانهزام والفرار فى ميدان الحرب وغيره.

إلفات نظر:

من خلال عرض الأنظمه الثلاثه وما يتفرع عنها سنجد قاعده واحده قدْ تتكرر فى الأنظمه الثلاثه أو الأربعه، إلّا أنَّه لا تتكرر بنفس

هويتها، وإنَّما تتكرر بهويه أَخرى بمضمون آخر.

الخلاصه: إنَّ كُلّ من الأسماء والصفات تنقسم إلى ذاتيه وفعليه، فللّه أسماءٌ وصفات ذاتيه هى عين ذاته غير زائده عليها، وله عز وجل أسماء وصفات فعليه هى عين فعله.

فالقدره والعلم والحياه صفاتٌ ذاتيه يُشتق منها القادر والعالم والحى، وهى أسماء ذاتيه غير زائده على الذات الإلهيه المقدسه.

والخلق والرزق والتدبير والربوبيه والحكم والعدل وغيرها من الصفات الفعليه يُشتق منها أسماء فعليه، هى الخالق والرازق والمدبر والرب والحكم والعَدْل، ولا ريب أنَّ الأسماء الفعليه غير الذات وليست عينها مخلوقه لها مُشتقةٌ من أفعاله عز وجل.

ولا ريب أيضاً أنَّ جمله وافره من الأسماء الإلهيه هى أسماء فعليه مشتقه من أفعاله ومخلوقاته تعالى.

والمخلوق يكون اسماً لله عز وجل بملاحظه صدوره من خالقه وأنه فقيرٌ له مُتقوِّم به ليسَ له من نفسه شىء، دالٌّ بسبب افتقاره بما فيه من كمال على كمال خالقه وبارئه.

وعليه فالاسم هو سِمَةٌ وعلامه على صانعه، وما فيه من عظمه وحكمه داله على عظمه وحكمه الخالق؛ إذْ ليسَ له من ذاته إلّا الفقر والاحتياج(١).

١- (١) الإمامه الإلهيه، ج ۴ ص ۲۴۳ للشيخ محمد السند.

العلاقه بين الأنظمه الثلاثه: الأفعال – الصفات – الأسماء

توجد صله وطيده بين هذهِ الأنظمه الثلاثه: –

١ – نظام إسناد الأفعال.

٢ – نظام إسناد الصفات.

٣ – نظام إسناد الأسماء والذات.

وبأيِّ شيء يرتبط سواءاً على الصعيد الربوبى أو البشرى.

أمَّا على الصعيد الربوبى: هناك حاكميه وهيمنه بين الأنظمه الثلاثه يمكن تصورها بما يلى: –

أولاً: إنَّ النظام الذاتى الربوبى حافظ ومهمين على نظام الأسماء والصفات.

ثانياً: نظام الأسماء والصفات حاكم على نظام الأفعال الإلهيه.

فهذه المخلوقات هى آيات الله وشأنه تعالى وهى تمثل صفات الله وذاته وأسمائه، ولهذا يُذكر هذا المبحث فى البحوث العقليه والفلسفيه.

وعليه فالنظام الذاتى الربوبى يَظهر فى نظام الصفات والأسماء، ونظام الأسماء والصفات يَظهر فى نظام الأفعال.

إذنْ توجد صِله وارتباط تكوينى بين هذهِ الأنظمه الثلاثه، وليسَ غرضنا بيان وجود الصله بينها فقط، وإنَّما نحن بصدد بيان: – أنَّ الفعل

لوحده لا يصل إلّا بالصفه، والصفه فى كنهها وحقيقتها لا تصل إلّا بالأسماء.

وعليه فالصفات المحموده أو المذمومه هى عباره عن رؤى عقائديه فكريه وإيمان يكون فى جوهر الإنسان، ثم ينزل إلى هذا الإيمان إلى صفات الأفعال التى تصدر من الإنسان كصفه: - الكرم، والشجاعه والكرامه والإباء و... الخ كما فى كلمات الإمام الحسين (عليه السلام):

«وأنوفٌ حميّه ونفوس أبيَّه لا تؤثر مصار اللئام على مصارع الكرام».

وهكذا التوكُّل كمعرفه اعتقاديه: وهو الاعتقاد بغنى الله تعالى وهذا معناه أنَّه يُسلِّم ويذعِن أنَّ الله ذو القوه المتين، فإنَّه يعتقد بغنى الله تعالى، ولذا يؤثر بالكرم - ومن الواضح أنَّ الكرم يؤثِّر على شخصيه المُكرِم.

ولذا وَرَدَ فى بعض الروايات - كشاهد على ذلك - إنَّ الله يُحب الشاب العاصى السخى من الشيخ الزاد الناسك البخيل - وذلك باعتبار أنَّ السخاء كصفه وفعل وليد معرفه نظريه بغنى الامتناهى ولا محدود لله عز وجل، عكس البخيل ليسَ على معرفه ويقين من غنى الله اللامحدود، وإنْ كان بدن البخيل يتعب بالعباده ولسانه يتعبد، إلّا أنَّ قلبه ليسَ على معرفه ويقين والعياذ بالله من غنءا الله اللامحدود.

ومن الواضح أنَّ عباده القلب أعظم من عباده البدن.

إذنْ هذا الشاب عاصٍ ببدنه ولكنْ بقلبه وبفطرته مطيع عابد، ويؤيده ما جاء فى الحديث الشريف: وَرَدَ فى الحديث الشريف عن رسول الله (صلى الله عليه و آله): -

«يا أبا ذر إنَّ الله تبارك وتعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكنْ ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(١).

١- (١) أمالى الطوسى/ ٥٣٦؛ مكارم الأخلاق للطبرسى/ ٤٦٩؛ البحار للمجلسى/ ج ٦٧، ص ٢٤٨، ح ٢٣.

وعليه فهذه الصفات وغيرها رؤى عقائديه فكريه نابعه من أعماق جوهر الإنسانيه الذى ينزل إلى الصفات الخارجيه سواء صفه مدح أو ذم، وهذهِ الصفات ترجع إلى تجلى الإيمان واليقين فى الذات الإلهيه والقدره الإلهيه.

وعليه فهناك علاقه وطيده وترابط بين الأنظمه الثلاثه: - إسناد الأفعال، وإسناد الصفات وإسناد الأسماء والذات على الصعيد الربوى والبشر صعوداً ونزولاً.

فعلى مستوى الصعيد الربوى: فنلاحظ هذهِ المخلوقات التى هى آيات الله تعالى وشأن من شؤونه تعالى فهذه المخلوقات تمثل صفات الله وأسماء الله وذاته تعالى، ولذا تعرّض أهل المعقول والفلسفه إلى هذا المطلب وقالوا: -

بإنَّ النظام الذاتى الربوبى يظهر فى نظام الصفات والأسماء ونظام الصفات والأسماء يظهر فى نظام الأفعال.

وكذلك يتميز النظام الذاتى الربوبى بصفه أُخرى وهى: - صفه الهيمنه والمحافظيه على نظام الأسماء والصفات، وأيضاً نظام الأسماء والصفات بدوره حاكم على نظام الأفعال الإلهيه.

وأمَّا على الصعيد البشرى: فإنَّ هويه أى فعل يفعله الإنسان - سواء خير أو شر - لا يمكن أنْ تحدد بالدقه؛ لأنَّ هناك سلوكيات معينه فى الإنسان لا يمكن تحديدها إلّا عن طريق الصفات للحديث النبوى: -

«إنَّما الأعمال بالنيات»(١) ، لأنَّ جوهر الفعل وروحه هو النيّه للصفه التى توقع

١- (١) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسى، ج ۴، ص ۵۱۹ ح ۱۸۶؛ دعائم الإسلام للقاضى النعمان المغربى ج ۱، ص ۲.

الفِعل على أثرها، وهذهِ النيّه ترجع إلى فعل قلبى مرتبطه بالصيغه.

والحصيله من كُلّ هذا هو أننا لأجل أنْ نبنى ونرسم منهج تفسيرى متكامل لابدَّ من الالتفات إلى الأنظمه الثلاثه؛ لأنَّها تشكل هرميه مترابطه ومنتشره وساريه فى علوم كثيره تذعن لها، أمَّا أنَّه يلتفت إلى أحد هذهِ الأنظمه الثلاثه دون الآخرَين، فإنَّ ذلك يكون تفسيراً ناقصاً.

وعليه فهذا هو أحد أسباب اختيارنا لمنهج أمومه ولايه أهل البيت على المحكمات فضلًا عن المتشابهات، ورفض المناهج الأُخرى بسبب الإخفاقات والسلبيات والنواقص الموجوده فيها.

ص:٢٥٠

نظريه تجسم الأعمال

اشاره

إنَّ قاعده إسناد الأسماء والصفات والأفعال فى القرآن الكريم سيأتى بسط البحث فيها فى مجموعه النظام الثالث، والغرض فى المقام للإشاره إلى نبذه حول أطراف هذهِ القاعده:

أولاً: مضمون النظريه:

هناك عدَّه حقائق كشف عنها القرآن الكريم والروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) منها:

١ - تجسم الأعمال.

٢ - تجسم الملكات.

٣ - تجسم النيّات.

وكلّ واحد من هذهِ الأقسام الثلاثه له تجسم، فالأعمال تتجسم وهى محل البحث وسيأتى عنها الكلام بعد قليل، وأمَّا الملكات كذلك لها تجسم فالملكات التى يكتسبها الإنسان فى هذهِ الدنيا تاره يكتسب ملكه الطاعه والعدل، وأُخرى يكتسب ملكه التمرد والعصيان فلكل من الملكتين ظهور دنيوى وظهور أخروى يتنعم الإنسان بواحده منهما ويُعذب بالأخرى، وهكذا الحال فى النيّات(١).

ومحل الكلام هو تجسم الأعمال: - وهذهِ النظريه من النظريات المهمه

١- (١) مفاهيم القرآن ج ٨ ص ٣٣٠.

التى نقّحها بوضوح فائق فلاسفه الإماميه مسترشدين بالآيات والروايات عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) ومؤداها: - أنَّ كُلّ عمل من الأعمال التى يكررها الإنسان فهى تؤكِّد ملكات.

١ - إمَّا ملكات حَسَنَه نورانيه: وهذا ما يُعبر عنه بجنبه الصعود والدرجات وهو يمثل الجنبه الإيجابيه فى عمل الإنسان(١) وعليه فيكون هذا ظهور للعمل بوجوده الدنيوى وحينئذٍ ما يكتسبه الإنسان من الأعمال الحسنه كالصلاه والصوم والحج و... الخ.

أوما يحققه من أعمال الخير كالزكاه والصدقه، وما يقوم به من البر والإحسان كلَّها أعمال دنيويه، ولا ظهور لها بحسب هذهِ النشأه سوى ما نشاهده منها.

وكذلك للأعمال ظهوراً فى النشأه الأخرويه بوجود يُناسبها كالجنه ونعيمها وصورها وغلمانها وما تشتهيه الأنفس وتلتذ به، فليس لها حقيقه وراء تلك الأعمال التى اكتسبها أو حققها فى حياته، فالأعمال الدنيويه تظهر بهذا النحو من الجزاء(٢).

٢ - أو ملكات رديئه أو ما يُعبر عنه بجنبه النزول والدركات، وهو يمثل الجنبه السلبيه فى عمل الإنسان، فما يقترفه الإنسان من الأعمال السيئه كالشرك بالله سبحانه وظلم العباد وهتك الأعراض وسفك الدماء فى هذهِ النشأه تظهر فى يوم القيامه بوجودها المناسب لها، فتظهر بصوره الجحيم ونارها وما يواجهه من أنواع العذاب.

١- (١) الإمامه الإلهيه ج ١ ص ٧٥ للشيخ محمد السند.

٢- (٢) مناهج القرآن ج ٨ ص ٣٣٠.

وكلتا الملكتين – الملكه الحسنه النورانيه، والملكه الرديئه – كلما ازدادت ترسَّخت فى النفس أكثر حتَّى تصبح جوهريه، ومن هنا قالوا إنَّ الإنسان ليسَ هو النوع الأخير، بلْ يتلبس بعد الصوره الإنسانيه بصوره وفعل إمَّا ملائكى أو شيطانى بهيمى سبُعى.

والله تعالى يُزد الذين آمنوا وعملو الصالحت قُرباً منه وهدايه عقائديه بسبب فعلهم الأعمال المُقربه إليه تعالى والمحببه له فزادهم قُرباً وهدايه، هذا بلحاظ قوس الصعود، بخلاف قوس النزول فإنَّه مَن يَفسِق – والعياذ بالله – فإنَّ عقيدته تنهدم ويوقِع نفسه فى الهاويه بنفسه وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَهٍ فَمِنْ نَفْسِكَ١. فإنَّ الفعل السىء الذى يرتكبه الإنسان بسبب سوء اختياره فى قوس النزول يورث صفه سيئه، والصفه السيئه تورث جحود عقائدى كما أشارت إلى ذلك الآيه المباركه ثُمَّ كانَ عاقِبَهَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللّهِ٢.

والإنسان فى سعيه نحو الكمال إنَّما يبتغى أنْ يحصل على حاله الثبات، وهذا ما يُسمى بالكمال العَرَضى الذى سوف يكون فى معرض الزوال فتعود حاله إلى ما كانت عليه قبل تحصيله. فهو يسعى لأنْ يحصل على كمال ذاتى بنحو جوهرى لا يكون معرضاً للزوال، وبهذا يتكامل ويصعد فى سُلَّم الكمالات ويثبت عند كُلّ درجه، ويحصل هذا التغيير الجوهرى عن طريق الأفعال المؤديه للكمال حيث يحدث الفعل – عند تكراره والمواظبه عليه – حالات فى النفس تنتقل إلى هيئات ثم تنتقل إلى ملكات فتشتد حتَّى

تصل وتصبح فصولاً جوهريه.

بالإضافه إلى ذلك فإنَّ البدن يكون بشكل يتناسب مع القوّه التى يمتلكها الإنسان وغيره، فمثلًا فى الأسد الهيئه الجمسانيه له تناسب القوه التى يمتلكها ودلَّت الآيات والروايات على أنَّ الأجسام الأخرويه هيأتها تابعه للفصول الجوهريه التى يتكامل بها الإنسان أو يتناقص.

كذلك فى محل كلامنا إنَّ موارد الحكم بالحُسن هى نفسها فى موارد الفضائل والكمالات، حيث يتبين أنَّها توجب تجسم الأعمال بصوره نورانيه، وموارد القبح هى بنفسها موارد النقص التى تتجسم بصوره رديئه ظلمانيه، فيظهر أنَّ الحكم بالقبح والحسن ليسَ اعتبارياً بلْ أمر عقلى له مناشىء تكوينيه(١).

ثانياً: مدرک النظريه:

دلَّت الآيات القرآنيه والروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) على ذلك:

أمَّا الآيات هى: -

١ - قوله تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً٢.

بتقريب: إنَّ الآيه المباركه تصرِّح بحضور عمل الإنسان من خيرٍ وشرٍّ فى النشأه الأُخرى.

١- (١) الإمامه الإلهيه، ج ١ الشيخ محمد السند.

۲ - قوله تعالى: عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ۱.

۳ - قوله تعالى: وَ وُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلاّ أَحْصاها وَ وَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً۲.

بتقريب: إنَّ هاتين الآيتين الأخيرتين يستفاد منها التصريح فى كيفيه التجسم للأعمال، إنْ خيراً فخير، وإما شرّاً فشرٌ، فمثلاً عمل السوء فى كتمان الحقيقه والواقعيه فى مقابل ثمن بخس، أو أكل مال اليتيم ظلماً فإنَّه سوف يتجسم ذلك العمل فى الأخيره بصوره النار، وعليه فكأنما لكل عمل يعمله الإنسان ظهورين: - ظهور فى الدنيا وهو ما يشاهده كُلّ إنسان خلال سنى عمره التى يعيشها، وظهوراً فى الآخره هو تجليه بصوره النار المحرقه، ويؤيد ذلك أنَّه سبحانه وتعالى تصِف الآخره بأنَّها يوم تُبلى السرائر، ويقول: يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ۳.

وكأنما الحقيقه اختفت تحت اللثام فأضحت سرَّاً مستوراً، وفى ذلك اليوم تزول كافه الحجب وتظهر الحقيقه فى أنصع صورها.

والمحصل من هذا كُلَّهُ: كأنَّ هذهِ الآيات الثلاث وإنْ كان يوجد غيرها - أوضح ما فى الباب للدلاله على تجسيم الأعمال، وهى تثبت أنَّ نفس الأعمال التى اكتسبها واقترفها الإنسان يجدها أمامه يوم القيامه بأعيانها وتحضر بواقعها، ولو كان هناك اختلافاً فإنَّما هو فى كيفيه الظهور، وإلّا فالعمل نفس العمل والواقعيه محفوظه ولكنْ ظهورها مختلف(۱).

۱- (۴) الكافى ج ۳۳۲/۲ باب الظلم من كتاب الكفر والإيمان ح ۱۱.

۴ – قوله تعالی: وَ یَزِیدُ اللّهُ الَّذِینَ اهْتَدَوْا هُدیً...۱.

وأمَّا الروایات: فهناک عَّده طوائف من الروایات دلَّت علی تجسیم الأعمال نذکر منها:

أولاً: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله)

«اتقوا الظلم فإنَّها ظلمات یوم القیامه»(۱).

بتقریب: – کأنَّ الظلم یتجلی فی الآخره بصوره الظلمه، وعلیه یکون للظلم ظهورین: – دنیوی وأخروی.

ثانیاً: وقال رسول الله (صلی الله علیه و آله) فی ضمن وصایاه لقیس بن عاصم: –

«إنَّه لابدَّ لک یا قیس من قرینٍ یُدفن معک وهو حیٌ وتدفن معه وأنت میت، فإنْ کان کریماً أکرمک، وإنْ کان لئیماً أسلمک، ثم لا یُحْشر إلّا معک، ولا تبعث إلّا معه ولا تُسأل إلّا عنه فلا تجعله إلّا صالحاً»(۲).

ثالثاً: عن رسول الله (صلی الله علیه و آله)، قال:

«مَن تَقَرَّب إلیَّ شبراً تقربتُ إلیه ذراعاً، ومَن تَقَرَّبَ منی ذراعاً تقربتُ منه باعاً، ومَن أتانی مشیاً أتیته هرولهً»(۳).

هذهِ بعض الأحادیث عن تجسم الأعمال ومَن أراد الاستقصاء فعلیه الرجوع إلی الجوامع الحدیثیه.

۱– (۲) باب أحوال المتقین والمجرمین فی القیامه من کتاب العدل والمعاد ح ۶۹؛ والمحاسن للبرقی، ج ۲۸۸/۱، ح ۴۳۲.
۲– (۳) راجع: – أمالی الصدوق المجلسی الأوَّل ح ۴، نهج البلاغه قسم الحِکَم، الحکمه السادسه، بحار الأنوار، ج ۷ / ص ۱۹۷
۳– (۴) مسند أحمد بن حنبل، ج ۲، ص ۴۸۲؛ عوالی اللئالی لابن جمهور الأحسائی، ج ۱، ص ۵۶، ح ۸۱.

أفعال الإنسان اختياريه أو لا؟

هناك نزاعٌ بين الفقهاء وغيرهم أنَّ بعض الأفعال القبيحه والمذمومه التى تصدر من الإنسان مثل الحسد والبخل وشرب الخمر والكذب والسرقه والعصبيه و... الخ.

هل هذهِ الأفعال وغيرها اختياريه للإنسان أو لا؟.

الجواب: إنْ قلتَ أنَّها ليست اختياريه فكيف نطالب بأنْ لا نحسّد وأنَّ الحسد حرامٌ ومن الكبائر التى توعَّد الله مرتكبيها النار، فحينها يصبح الإنسان مُجبراً، وهذا ليسَ صحيحاً ولا تقول به مدرسه أهل البيت (عليهم السلام).

وإنْ قلت: أنَّها اختياريه فمن الصعوبه بمكان أنْ نقول بسهوله أنَّ هذا الفعل الذى يصدر من الإنسان كالبخل أو الجبن أو إدمان المخدرات أو... الخ، هو اختيارى.

نعم، فى بدايه حصول هذهِ الأفعال والعادات المَرَضيه الخفيفه القاتله والهدّامه هى خطوات اختياريه.

أمَّا بعد مرور فتره طويله على ممارستها وإدمانها وبعد أنْ تسيطر وتستفحل على مرتكبها ففى مثل هذهِ الحاله يَفلت زمام السيطره على النفس، وعليه يمكن أنْ نقول: - أنها فى هذا الظرف والوقت الراهن أنها ليست اختياريه، وليسَ معنى هذا أنَّه يبقى ويستمر عليها، وإنَّما لابدَّ من معالجتها والحدِّ منها ثم القضاء عليها.

وإنْ كان سدُّ الباب من أوَّل الأمر أمام إبليس والشياطين إحصانٌ

وعملٌ وقائى من أنْ يدخل الشيطان وأعوانه إلى النفس حتّى لا يتعود الخبيث من أنفسكم والسيطره عليها، كما قال الإمام الصادق (عليه السلام): -

«لا تعودوا الخبيث من أنفسكم بنقض الصلاه فتطمعوه، فإنَّ الشيطان خبيث يعتاد لما عُوِّدَ.. الخ»(۱).

ولو تنزلنا وقلنا أنَّ الشيطان نفث ودخل فى النفس الإنسانيه فإنَّ هذا ليسَ معناه هو أنْ نُسَلِّم للأمر الواقع وأنَّ ما نحن فيه هو للشيطان وأتباه، كلا ثم كلا، إنَّما هنا يأتى دور الرؤيه العقائديه السليمه من الإنحراف التى بدورها تولِّد الصفه والصفه تولد فعل اختيارى فى النفس وقوّه إراده، فإذا جعل الإنسان هذا فى أعماق نفسه وتوكل على الله فإنَّ المصروع يصبح صارعاً بإذنه تعالى: إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ۲.

الخلاصه: فليحذر الإنسان من الاعتقاد برؤىً فاسده وخاطئه؛ لأنَّ تولد فى النفس آثار سلبيه وتمرُّد وعصيان وعدم انقياد لله تعالى؛ لأنَّ الرؤيه العقائديه الحسنه تولِّد صفه حسنه وتولد فعل حسن.

ولذلك يُلحظ أصحاب الرؤى الفاسده والعياذ بالله - أنَّهم يعتقدون بأنَّهم أصبحوا أُسارى للشيطان ولهذه الهيئات المعينه ويوسوس لهم الشيطان أنَّه لن يستطيع التخلص منها، ولذا حَذَّر الإمام الصادق (عليه السلام) من تعويد الشيطان؛ لأنَّه أنْ عودتموه الخبيث تعوَّد - والعياذ بالله - والتخلص من حبائل الشيطان وشراكه عندما توقِع الرؤى الفاسده نفس الإنسان فيها

۱- (۱) الكافى - للكلينى، ج ۳، ص ۳۵۸ / ح ۲؛ الطوسى فى الاستبصار، ج ۱، ص ۱۴۲۲/۳۷۵.

فمن الصعوبه بمكان التخلص منها خاصه ذو النفوس الضعيفه والمريضه، الذين دائماً يصابون ويسحرون بمسٍّ بسبب تفاقم الرؤى العقائديه الفاسده التى يقع فيها بخلاف ما إذا كانت نفس الإنسان مؤمنه مطمئنه بعقائد نوريه وحيانيه محمديّه صحيحه فإنَّ الشيطان وأتباعه لا يقرُب منها؛ لأنَّها لمْ تنقاد إليها بخلاف ما إذا كان الإنسان ضعيف النفس، فهؤلاء الذين يُسحرون أو يصابون بمسٍّ ذلك بسبب تفاقم الرؤى العقائديه الفاسده التى يعتقدون بها.

وهذا النظام الثلاثى الذى اخترناه، ليسَ فقط بالنسبه إلى العلوم والمعارف الدينيه بشتى أنواعها، وإنَّما حتَّى فى باقى العلوم الجامعيه والأكاديميه الأُخرى، فمثلاً فى علم القانون والعلوم الإنسانيه وغيرها أيضاً يعتمدون هذا النظام الثلاثى للتفسير – فعل صفه رؤيه.

فالعلوم الإسلاميه عندهم مثلاً الرؤيه الكونيه والأيديولوجيه هى أساس الفلسفه الأخلاقيه، وهذهِ الفلسفه هى صفات الرؤيه الكونيه يعنى عقيده وفكر وفلسفه، وهكذا الفلسفه الأخلاقيه هى أساس للفلسفه الحقوقيه والدستوريه والقانونيه.

النتيجه: من كُلّ هذا يُعلم أنَّ النظام الثلاثى – ألفاظ، معانى – حقائق – نظام حاكم ومهيمن على العلوم الباحثه عن حتَّى مثل أحوال الطب الإنسانى، بلْ وحتَّى ما يرتبط بعالم الماده والظواهر الطبيعيه.

إذنْ هناك سلسله مراتب علوم عقائديه أو رؤويه – أى من العقيده والفكر – ثم علوم إنسانيه ثم علوم بدنيه تربط بالبدن بعضها مهيمن على البعض الآخر.

وهو ما يُعبَّر عنه بعلم الاشتقاق والوصول إلى جذر وأساس الكلمه المعروف ب - (علم الصرف).

فإذا قرأت القرآن تلاحظ أنَّ البشر يعجز من أنْ يمارس نظام الاشتقاقات فى القرآن، فالخبير المتخصص فى هذا المجال يُلاحظ أنَّ القرآن يأتى بتفعيله للفعل، وثانيه للاسم، وثالثه للجمله الأسميه ورابعه جمله مُؤكده و... الخ.

ويلاحظ المُتخصص كيف يتجول القرآن بانسيابيه فائقه فى المواد اللفظيه فى الآيه الواحده فضلاً عن السوره الواحده.

علماً أنَّ هذهِ الممارسه الاشتقاقيه - كما مَرَّ - وكما سيتضح كذلك من خلال البحوث الآتيه فى المواد القرآنيه، يعجز عنها متكلمو وبلاغيو وصرفيو ونحويو ومفكرو البشر، فمثلاً النحويون لمْ يحيطوا باشتقاقاته وتعدد المصارد والصفه المشبهه والفعل...، وأحياناً يأتى القرآن بالمعنى فى موضعٍ وباللفظ فى موضعٍ آخر وهكذا مسأله التقديم والتأخير والقواعد المرتبطه بها فإنَّ لها انسيابيه ونسق واحد من القرآن ولا يلزم منها التافت.

وهكذا الشاعر لمْ يستطع أنْ يأتى فى قصيدته بسبك نفس السبك القرآنى ويحافظ عليه وهكذا باقى التخصصات الأُخرى، بلْ البشر بكافه عقولهم وباختلاف مستوياتهم الفكريه والثقافيه والتخصصيه يعجزوا من أنْ يأتوا بآيه واحده ممارسٌ فيها سبك كالسبك القرآنى.

هذا كُلَّهُ فى الطرف الذى عند الناس، وإنْ كان حاق بعض اللغات

غير مكتشف فى القرآن الكريم، علماً أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) أشاروا من خلال بياناتهم إلى قِمم هذهِ العلوم، وأنَّ أَسسها مبثوثه ومشروحه على مختلف العلوم.

هذا من جانب الألفاظ والاشتقاقات، وهو بالطبع غير جانب صياغه فك المعنى.

ص:۲۶۲

المقام الثانی: النظام الاستعمالی اللفظی فی القرآن الکریم

اشاره

وفیه بیان:

القاعده الأُولی: - التعریض، وفیها بیان عدَّه أمور:

*أولاً: ما معنی التعریض؟

*ثانیا: تنبیه.

*ثالثا: الکنایه أبلغ من التصریح.

*رابعاً: کلام أمیر المؤمنین علیه السلام حول التعریض.

*خامساً: أهمیه دلاله التعریض وفائدتها.

*سادساً: التعریض لیسَ مختصاً بعلم التفسیر.

*سابعاً: بیان إعجاز القرآن الکریم هو أحد أدلَّه إمامه أهل البیت علیهم السلام.

*ثامنا: برهان علمی حدیث علی إعجاز القرآن وحقانیته علی إمامه أهل البیت علیهم السلام.

ص:۲۶۳

القاعده الأولى: التعريض

المقدمه:

اشاره

إنَّ الخوض فى قواعد نظام الاستعمال اللفظى فى القرآن سيكون معمَّقاً لا سطحياً ضمن سلسله أنظمه، وكما سنتعرض خلال البحوث الآتيه - إنْ شاء الله تعالى - وفق منهج أمومه المحكمات وأمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) فى القرآن - ولا نريد أنْ ندعى أنَّ البحوث التى تَعَرَّضنا إليها هى خاتمه البحث والتحقيق، وإنْ كنَّا بحثناها بحثاً معمَّقاً وكان البحث مشتملاً على بيان دقائق النكات العلميه والفنيه والصناعيه، إلّا أننا نوصى الأخوه الباحثين والمتتبعين وأنفسنا جميعاً فى التبحر والتأمل فى إجراء هذهِ القواعد البلاغيه المختلفه فإنَّه يزيد الباحث والمتتبع مهاره ومراس لمْ يصل إلى درجته جمله من كبار علماء الادب والبلاغه السابقين أمثال الزمخشرى الذى عكف على دراسه التركيب فى الجانب الأدبى والدلالات الأدبيه الخفيه فى آيات القرآن وقال عنها نفس الزمخشرى أنَّها نكات لطيفه وإنْ كان المعروف عنه - الزمخشرى - استفاد هذهِ النكات من تفسير التبيان للشيخ الطوسى (رضى الله).

وعليه فهذا الزمخشرى البلاغى العملاق رغم عقود بهذا المراس واكتشاف النكات البلاغيه الأدبيه إلّا أنَّه هناك نكات فنيه وعلميه وصناعيه لمْ يكتشفها ولم يشم رائحه اكتشافها إلّا أنَّها اكتشفت بعده، وهذا أمر طبيعى عند أصحاب كُلّ فن.

وهكذا علماء النحو والصرف أمثال رضى الدين الاسترابادى(١).

١- (١) المعروف بنجم الأئمه من علمائنا الأبرار الإماميه - ألَّف كتاب الكافيه فى الصرف تحت قبه أمير المؤمنين (عليه السلام).

وهذهِ القواعد التى بحثناها ولا زال البحث فيها قائماً هى أوسع شأواً وأَفقاً من أنى يستوعبها جيلٌ من البشر، بلْ هى بتعاطى جهود الأجيال تتسع تطبيقاً ومساحةً ومداراً لتراكم جهود الأجيال البشريه وعليه فمن الخطأ جداً، بلْ من غير المنطقى ولا المعرفى التعديل والاعتماد على أفق درجه جيل سابق والاعتماد على نتاج أفكار الأجيال السابقه فقط من دون أنْ نطورها ويُضاف إليها نتاج الجيل اللاحق وإبداعاته وأفكاره الناتجه عن نضوج تلك القواعد لدى الجيل اللاحق مع ضمان كامل الاحترام والتقدير للجهود العلميه التى بُذلت فهم مشكورون وجزاهم الله خيراً على سعيهم فى هذا المجال.

ولكنْ بنفس الوقت على الجيل اللاحق أنَّ يواصل الدرب، ومثل هذا ليسَ فقط عند أصحاب فن معين كالبلاغه أو النحو أو الصرف، بلْ حتَّى الناقد الأدبى الذى يرفع التقاضى لمحكمه التنافس والسياق الأدبى سواء كان هذا الأدب قبل الإسلام وفى الجاهليه وسواء فى لغه العرب وبعد الإسلام أو لغات أُخرى، فإنَّ الناقد الأديب دائماً يصل إلى مساحات من تطبيق علم الأدب لا يصل إليها غيره مما يعنى أنَّ مساحه اكتشاف تطبيق القواعد أو اكتشاف قواعد جديده ليسَ يقف عند حدٍّ معين فى علوم اللغه الإنسانيه لاسيما اللغه العربيه.

وغرضنا الأساسى الذى نريد تسليط الأضواء عليه هو أننا لا نريد أنْ نشبع أو نستفظع على الآخرين الذين تقدمونا أو قبلنا بقليل من الأجيال التى سبقتنا بأنَّ هناك ظهورات فى كينونه القالب اللفظى للمفرده القرآنيه

ولم يكتشفوها وأنَّ هناك قواعد وشواهد موجوده وقدْ أشارت إليها الروايات، ولكنْ وللأسف لمْ يعتنِ بها حتَّى مفسرو الخاصه - كما سيتضح كُلّ ذلك من خلال البحث عن كُلّ قاعده فى محلها -

إلّا أنَّه نريد التنبيه على خطأ أدبى كان يرتكبه المفسرون والقرّاء والمجودون للقرآن وعلماء القراءات بحسب نفس منصّه أصل الوضع اللغوى، والكل غافل، وعلينا أنْ لا نستعظم اكتشاف مثل هذهِ القاعده الموجوده فى كيان القالب اللفظى للمفرده القرآنيه، وهذا يمكن العثور عليه من خلال المداوله لروايات أهل البيت (عليهم السلام) التى أشارت إلى خطأ لغوى ارتكبه المفسرون والمجودون فى كيفيه الوصول إلى ما يريده أهل البيت (عليهم السلام) أى ما يوصلهم إلى أصل وحاق الدلاله التصوريه أى بحث فى أصل وضع اللغه ثم يتفرع البحث إلى الدلاله الاستعماليه التفهيميه ثم المراد الجدى والكل على طبقات كما سوف يتضح كُلّ ذلك إنْ شاء الله تعالى.

وعلى أى حال فإنَّ الأئمه (عليهم السلام) بيّنوا وجود خطأ فى أصل الالتفات إلى الوضع اللغوى فى الآيه عند المفسرين أو القرّاء.

إذنْ تطبيق القواعد المعروفه لمْ ينته بَعْدُ، ولا زال هناك قواعد غير مكتشفه فضلاً عن تطبيقها فى القرآن الكريم ورغم وجودها فى كينونه حاق اللفظ والمسيره لا زالت طويله.

وبعد هذهِ المقدمه نقول: -

تباينت آراء البيانيين واختلفت كلمتُهم، فمنهم مَن ذهب إلى أنْ الكنايه والتعريض شىء واحدٌ.

ومنهم مَن جعل التعريض قسماً من الكنايه، وثال ذهب إلى أنَّ الكنايه تختلف عن التعريض ولكَلٍّ وجهٌ.

ولا غرو أنْ نقول: إنَّ نظام الاستعمال اللفظى ونظام التعريض هو نظام الدلالات الخفيه.

الكنايه لغةً: ما يتكلم به الإنسان ويُريـد به غيره، وهى مصدر كالرمايه والعنايه والهدايه، فيقال: - هدى هدايه، وعنى عنايه، ورمى رمايه، وكنّى كنايةً.

اصطلاحاً: لفظ أُريد به غير معناه الذى وضع له مع جواز إراده المعنى الأصلى لعدم وجود قرينه مانعه من إرادته.

إذنْ الكنايه اصطلاحاً: ما يُراد بها المعنى ويُعبر عنه بغير لفظه الموضوع له.

فمثلاً- فلان كثيرُ الرمادِ، كأنَّ تريـد إثبات الكرم لإنسانٍ ما، ولكنك تعبر عنه بغير اللفظ الموضوع له، فتقول مثلاً: كثير الرماد ولا شك أنَّ كثره الرماد لمْ توضع لمعنى الكرم - وهو الذى اختاره عبدالقاهر الجرجانى، وعليه يكون معنى الكنايه هو: -

أنَّ تُطلِق اللفظ وتريد به لازم معناه مع قرينه لا تمنع من إراده المعنى الحقيقى.

التعريض:

التعريض لغةً: خلاف التصريح، وهو إماله الكلام إلى عُرْض - بضم العين - وهو الجانب والناصيه.

اصطلاحاً: فقدْ عُبِّرَ بعدَّه تعبيرات.

أولاً: ما ذكره السبكى فى عروس الأفراح: - وهو الدلاله بالمفهوم

بقصد المتكلم(۱).

ثانیاً: قال السکاکی: - إبراز غیر الحاصل فی معرض الحاصل إمَّا لقوه الأسباب وکون ما هو للوقوع کالواقع، والتفاؤل وإظهار الرغبه.

وأمَّا تعریضاً: - بأنْ ینسب الفعل إلی واحد والمراد غیره کما فی قوله تعالی: وَ لَقَدْ أُوحِیَ إِلَیْکَ وَ إِلَی الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکَ لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ وَ لَتَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِینَ ۲.

قال ابن عباس هذا أدب من الله تعالی لنبیه (صلی الله علیه و آله) وتهدید لغیره؛ لأنَّ الله تعالی قدْ عصمه من الشرک.

والشاهد فیه: قوله تعالی: لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ فالمخاطب هو النبی (صلی الله علیه و آله) مقطوع به، حیث استعملت هنا کلمه إنْ مع لفظ الماضی تعریضاً علی مَن صدر منه الشرک، إذنْ الإتیان بلفظ الماضی (أشرکت) للإشاره إلی أنَّ المعنی علی الاستقبال - وإبرازاً للإشراک الغیر الحاصل فی معرض الحاصل أی إبرازاً للإشراک (الشرک) الذی هو غیر حاصل من النبی (صلی الله علیه و آله) فی أحد الأزمنه فی معرض الحاصل، کل ذلک علی سبیل الفرض والتقدیر تعریضاً بمن صدر عنهم الإشراک بأنْ قد حبطت أعمالهم، کما إذا شتمک أحدٌ فتقول: - والله إنْ شتمنی الأمیر لأضربنه وهذا تعریضٌ بأنَّ إذا شتمک یستحق العقوبه وإنک تضربه وإنْ کان أمیراً، فتمیل الکلام إلی جانب أی ضربک الأمیر علی تقدیر صدور الشتم منه ینتقل إلی الذهن بالقرینه منه إلی

۱- (۱) عروس الأفراح ج ۴ ص ۴۰۸.

ما هو المقصود وهو المقصود وهو ضربك المخاطب الذى صدر منه الشتم(١).

ثالثاً: ما ذكره ابن معصوم فى أنوار الربيع: - التعريض: هو الإتيان بكلام مشار به إلى جانب هو مطلوب وإبهام أنَّ الغرض جانب آخر، وسُمىَ تعريضاً لما فيه من الميل إلى المطلوب إلى عُرضٍ بالضم أى الجانب ويُقال: - نظر إليه بعُرض وجهه أى بجانبه.

ومنه المعاريض فى الكلام وهى التوريه بالشىء عن الشىء، وفى المثل: إنَّ المعاريض لمندوحه عن الكذب أى سعه وفسحه، وهو إمَّا لتنويه جانب الموصوف كما يُقال: - أمْرُ المجلس السامى نَفَذَ، والستر الرفيع قاصِدٌ لكذا تعريضاً بأنَّ المعبر عنه أرفع قدراً وشأناً من أنْ يَسَعَ الذاكر له التصريح باسمه وترك تعظيمه بالسكينه(٢).

رابعاً: ما ذهبنا إليه التعريض: هو أنَّ يُطلق الكلام ويُشار به إلى معنى آخر يُفهم من السياق فتقول: - عرَّضتُ بفلان، إذا قلت قولاً لغيره وأنت تعنيه هو: - إياك أعنى واسمعى يا جاره، أو مثل قولك للمؤذى: - المسلم مَن سلَّم المسلمون من لسانه ويده، تعريضاً ينفى صفه الإسلام عن المؤذى.

وعليه فالتعريض: هو أنْ يُذكر المتكلم جملةً من القول يريد بها شيئاً آخر.

الخلاصه: هذهِ توصيهٌ وشقشقه لابدَّ من دق جرس الإنذار مَرَّات فيها؛ لأنَّ المُفَسِّر دائماً فى حاله سُبات ويظن بأنَّ هذهِ المنظومه الأدبيه والرسم الأدبى الذى رسمه للآيه هو منتهى ما فى الآيه من ظهور، وهذا

١- (١) دروس فى علم البلاغه للبامبانى ج ٢ ص ١۴٣.

٢- (٢) أنوار الربيع لابن معصوم/ ج ۶ ص ۶٠.

أوَّل الكلام وأوَّل غفله سيقع فيها المُفَسِّر إذا كان يدور فى خلده هذا المعنى.

وليكن نصب أعيننا روّاد البلاغه الإلهيين وهم النبى (صلى الله عليه و آله) وعترته الطاهره من قولهم العلمى فى المعجز فى علم البلاغه حيث يقولون (عليهم السلام):

«... ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتَّى يعرف معاريض كلامنا وإنْ الكلمه من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهاً لنا من جميعها المخرج»(۱).

وعليه فالقرآن الكريم كتاب الله ومِن خالق الكلام هو منظومه نظام جحفلى لا انتهائى انشطارى وإنَّما اكتشاف القواعد والنكات العلميه والبلاغيه والنحويه والأدبيه واللغويه و... الخ. إلى اللامحدود وأنَّ فى كل آيه كما هو مضمون تعبير الإمام زين العابدين (عليه السلام) - كنوز وجواهر - إلّا أنَّ المشكله التى تواجه المفسرين يدعى أنَّ ما أتى به فى مختلف المناهج التفسيريه هو بضاعه ليسَ فوقها بضاعه وهى السهم المُعَلَى وهى... الخ ومن الواضح هذا خطأ، وربما يقول البعض إنَّ هذا بيان أو قاعده إجماليه وهى بدورها تعطى ضابطه لمنهجيه المُفَسِّر الانفتاح على آفاق غير محدوده، فهذا صحيح بخلاف ما إذا جزموا وقالوا إنَّ هذا هو المراد وقطعاً ونجزم به فإنَّ مثل هذا غير صحيح؛ لأنَّ البحوث الحديثه فى الفلسفات الحديثه والألسنيات تقول: -

إنَّ الحقيقه لا يمكن أنَّ يمتلكها شخص إلّا إذا كان بعون وبمدد من المعصوم (عليه السلام) باعتبار أفقه واسع ووحيانى ولهم القدره على ذلك - كما أشرنا إليه - فإنَّه لمْ يستطع جهابذه وأكابر أهل العلم الوصول إليها لا بالمطالب البلاغيه ولا النحويه ولا الصرفيه ولا... الخ بخلاف بقيه الباحثين غير

۱- (۱) معانى الأخبار للصدوق، الكافى ج ۸ الروضه.

المعصوم من علماء ومحققين ومفسرين دائماً يجب أنْ يقولوا

«لا علم لنا إلّا بمقدار يسير»؛ لأنَّ الباحث والمُفَسِّر لمْ يدرس الآفاق اللامتناهيه حتَّى تقول تفسيرى لهذه الآيه هو المطابق للواقع وهو... كلا إنَّما فيه من الجهاله الشيء العظيم.

فائده: المعاريض: جَمع لِمِعْرَاض، يُقال: عرفتُ ذلك فى معراض كلامه أى فى فحواه. حتَّى ضُرب مثلاً هكذا وَرَدَ من كلام عمران بن حُصين ابن عبيد أبو نجيد خزاعى (٥٣ هج - ٦٧٢ م) والأجود من هذا أنْ يُقال التعريض ضد التصريح وهو أنْ يُلْغِزَ كلامه عن الظاهر فكلامه مُعَرَّض(١).

سؤال: ما هو الفرق بين الكنايه والتعريض؟

الجواب: ذكر البلاغيون فى كلماتهم - من خلال ما تقدم بيانه - هو: - إنَّ الكنايه ما يتكلم الإنسان بجمله ويريد بها غيره، وهذا يُفهم من خلال اللزوم.

والتعريض: هو نفس ما فى الكنايه ويفهم من خلال السياق لا اللّزوم كما مَرَّ.

تنبيه: تعتبر هذهِ القاعده - التعريض - الأس الأساس فى النظام الاستعمالى فى ألفاظ القرآن، إلّا أنَّ المفسرين وللأسف لمْ يولوه العنايه القصوى ولم يُعتَنَ بالظاهر الأولى لألفاظ القرآن الكريم التى تعتبر منطلقاً ومبدءً الحلقات أُخرى ومع ذلك لا يصح الاقتصار على مبحث الظهور

١- (١) مجمع الأمثال للميدانى، ج ٨۴/١.

والظاهر، بلْ لابدَّ من التوسع والتبحر فی علم التعریض.

وعلم التعریض کما سیأتی تفصیل ذلک - ومَرَّ بعضه - له أقسام عدیده: -

منها - الکنایه، ومنها الاستعاره، ومنها الالتفات، ومنها التلویح، ومنها التنبیه، ومنها الإیحاء والإشاره... الخ من أقسام الدلاله الالتزامیه، إلّا أنَّه توجد ثغرات فی هذهِ الأقسام وهی عدم بیان موازین هذهِ الأبواب والأقسام، صحیح علم البلاغه اعتمد علی هذهِ الأبواب إلّا أنَّه لمْ یعطها حقها من العنایه، إذْ لمْ یتوسع فی علم البلاغه فی باب التعریض وأقسامه بشکل مبسوط وواسع، نعم، فی کتب الأصول لعلَّه شیئاً ما تُوسِّع فی هذهِ المباحث عند القدماء، أمَّا عند متأخری محققی الأصولیین والمعاصرین للأسف هجرت بالمرَّه، فمثلاً کتاب القوانین للمیرزا القمی تعرض لمثل هذهِ المباحث ولعلَّه توسع فیها شیئاً ما، علماً أنَّ هذهِ المباحث من صمیم بحوث الاستظهار التی تُعدُّ من أهم أدوات الاستنباط هو کون استظهاره سلیماً من الآیات القرآنیه والروایات الشریفه.

نعم، مبادرات بُذلت من بعض العلماء المتأخرین أمثال: - المیرزا مهدی الأصفهانی (رحمه الله)(۱) له کتاب المعاریض من نفس حاقه التعریض، وکذا الشیخ أبو المجد الأصفهانی(۲) له کتاب فی علم الأصول فی مباحث الألفاظ توسع توسعاً لطیفاً فی بمحث التعریض.

۱- (۱) من سُلاله آل کاشف الغطاء، اشتهر بلقب (آغا نجف).

۲- (۲) المیرزا مهدی الأصفهانی من تلامذه الشیخ النائینی (قدس سره) والسید الیزدی من خریجی حوزه النجف الأشرف ثم انتقل إلی مشهد الإمام الرضا (علیه السلام) وأسس مدرسه کلامیه تقریباً فی ضمن منهاج أهل البیت (علیهم السلام) تسمی بمدرسه التفکیک.

الخلاصه: الغرض من هذا التأكيد والتشديد على أهميه مبحث قاعده التعريض؛ لأنَّ هذهِ القاعده هى أس أساس النظام الاستعمالى فى القرآن الكريم والوحى الشريف وبالتعريض بُعث سيد الأنبياء محمد (صلى الله عليه و آله)، وبُعث سائر الأنبياء والمرسلين بالتصريح وإذا كان الأمر كذلك فلابدَّ للأدباء والمفسرين والأصوليين ومن اتقان هذهِ القاعده المهمه والتوسع والتضلع فيها كى يكون المسير فى الدلالات التعريضيه سيراً وفق منهج منضبط.

وعدم توسع العلماء من فنون مختلفه فى هذا الباب - التعريض -؛ لأنَّه باب وعلمٌ صعبٌ وتمام مقاليد وأزمّه هذا العلم عند المعصوم (عليه السلام).

ما معنى التعريض؟

التعريض لغه: هو الإشاره إلى جانب وإراده غيره، هو الحجيّه العظيمه ولكنْ بشكل مخفف وفى إعطاء المهله وقطع العذر تُستمهِل أكثر بياناً وأعظم منه؛ لأنَّ رسول الله (صلى الله عليه و آله) بُعِثَ بالكتاب المهيمن على من قبله من الكتب، ورغم كون هذا الكتاب مهيمن وقاطع للعذر ولكنَّه بشكل مخفف المعلومه عظيمه العلم، والقرآن الكريم يوصل هذهِ المعلومه العظيمه العلم إلى البشر بشكل رقيق وبأسلوب ليِّن وفيه مهله وإمهال ورويّه وتروى وتدبر أكثر فأكثر، ولذا كان بعث النبى (صلى الله عليه و آله) أرأف وأرحم للبشر، ولكنْ كُلّ هذا يحتاج إلى صبر وسِعَه صدر وتحمل من سيد الأنبياء ولأنّه كان ذو صبر أكثر كان ذو سعه صور وشرح صدر أَ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ١ ؛ لأنَّه (صلى الله عليه و آله) فى مقام تحمل مسؤوليه عظمى ألا وهى مسؤوليه التربيه والتزكيه والتعليم للبشريه أكثر من سائر الأنبياء (عليهم السلام)، فمثلاً على لسان موسى (عليه السلام) يخاطب ربّه

قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی وَ یَسِّرْ لِی أَمْرِی وَ احْلُلْ عُقْدَهً مِنْ لِسانِی۱.

بینما خاتم الأنبیاء یقول له الحق جل وعلا ابتداءاً منه تعالی أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ۲.

إذنْ أسلوب التعریض أبلغ بکثیر من أسلوب التصریح، ولذا قال علماء البلاغه، (الکنایه أبلغ من التصریح) فی البلوغ والوصول لهدف لهدایه من التصریح، وهذا جواب عمن یقول لماذا لا یوجد تصریح فی القرآن الکریم؟ فإنَّ التصریح فی بعض حالاته یولِّد حاله تشنج وتمرد وعصیان لدی المخاطب، وربما تُولَّد له ردَّه فعل معاکسه.

بخلاف التعریض والتعبیر الهادی الذی فیه توصیه من النبی (صلی الله علیه و آله) والأئمه (علیهم السلام) فی عموم أبواب الدین، فمثلاً- باب الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر فیه التوصیه بأسلوب الرفق دون الجِدَّه؛ لأنَّ الرفع أبلغ وهو أسلوب الإحسان ونهج أئمتنا (علیهم السلام) فی کافه مجالات الحیاه الاجتماعیه والثقافیه والاقتصادیه والسیاسیه و... بما فی ذلک مجال الحرب والجانب العسکری فإنَّهم یتمتعون بأخلاق عسکریه عالیه وشعارهم الرفق واللین والإحسان حتّی فی ساحه الحرب، ولذا جسَّد هذا المعنی الإمام الحسین (علیه السلام) عندما قال یوم عاشوراء: أکره أنْ أبدأهم بقتال... وکانت کلماته (علیه السلام) أهملونی أنْ أخاطبکم بکلام الله فیه رضاً لکم وموعظه وهدایه... وکل ما قال الحسین یوم کربلاء هو دائماً فیه أسلوب الرفق وهو أبلغ.

الخلاصه: إن التعریض کما ذکره أمیر المؤمنین (علیه السلام) أبلغ من التصریح

فی جوانب عدیده:

منهـا: الجـانب التربوی والاجتمـاعی والثقـافی والسیاسـی والحربی... الـخ؛ لأنَّ التعریض تخفیف وهو لینٌ فیُعطیک فرصه واختیار وخیار وإراده للطرف المقابل للهدایه لذا بُعِثَ (صلی الله علیه و آله) بالتعریض بینما باقی أنبیاء الله تعالی بالتصریح.

کمـا ویؤکِّد أمیر المؤمنین (علیه السـلام) فی هـذا الحـدیث الشـریف علی أنَّ أحـد المفاتیـح الکـبری للتمکن من تفسـیر القرآن ومعرفه ظـاهر القرآن هو معرفه نظـام التعریض فی الأسـلوب والکلام وأنَّه أسـلوبٌ اعتمـد علیه القرآن الکریم، بلْ یعم الأحادیث القدسـیه من الله تعالی علی لسان النبی أو العتره، وکـذلک یعم حـدیث النبی (صـلی الله علیه و آله) نفسه الـذی أوتی (صـلی الله علیه و آله) جوامع الکلم، وکـذلک یعم کلامـه العتره الطـاهره الحـافظه للقرآن بکـل مـا للحفـظ من معنی أیضـاً قائمه علی نظام التعریض لا التصریح بخلافه فی الکتب السماویه الأُخری من التوراه والزبور والإنجیل وصحف آدم وإبراهیم فإنَّ نظام الاستعمال فبها قائم علی التصریح، وهذا لا یتنافی مع وجود تأویل فی تلک الشرائع والکتب السماویه.

أیضـاً هنـاک بیـان یصـلح کشاهـد علی مـا نحن فیه وبـاقی المقامـات الأُـخری مـا جاء فی کلام الإمام الصادق (علیه السـلام) ما مضمونه:

«إنَّ لکلامنا هذا أبطن تحت بطن... إلی سبعین بطناً» أو

«إنَّ فی کلامنا متشابه ومحکم» ورَدّ المتشابه إلی المحکم وهذا معناه تطبیق أمومه المحکمات.

کما للقرآن باطن وظاهر ومحکم ومتشابه کذلک لکلامنا (کلام المعصوم) باطن وظاهر ومحکم ومتشابه؛ لأنَّهم (علیهم السـلام) نقله الوحی، کما أنَّ

القرآن ينقل الوحى الإلهى.

فائـده: قال السـكاكى: تتفاوت الكنايه إلى: تعريضٍ وتلويحٍ ورمزٍ وإيماء وإشاره وذكر التفتازانى: إنَّ السـكاكى قال: تتفاوت ولم يقل تنقسم؛ وذلك لأنَّ التعريض وأمثاله مما ذكر ليسَ من أقسام الكنايه فقط بلْ هو أعم كذا فى شرح المفتاح(١).

وأمَّا مـا هو المختـار حسب منهجتنـا الخـاصه من أنَّ الكنـايه من ضـمن أقسـام التعريض ويعبر عنها بالكنايه العرضـيه أو التعريض بالكنايه: - وهى إماله الكلام إلى عارضٍ دال على المقصود، والمراد من عارض أى جانب مائل عرضى وليسَ بشكل مستقل.

التلويح لغةً: ما تُشير إلى غيرك من بُعْدٍ.

واصطلاحاً: هو اقتضاب بالدلاله على الشىء بنظيره وإقامته مقامه.

أو: ما يُقتبس من الآيه أو يكتفى بمعناها تلويحاً.

أو: هو الكلام الذى كَثُرت وسائِطُه بلا تعريض أى كثره الوسائط بين اللازم والملزوم وتشير إلى المعنى المقصود ومن بعيد.

كما قول الشاعر: -

وما يَكُ فىَّ من عيبٍ فإنِّى جبان الكلب مهزولُ الفصيل

وهنا كنّى الشاعر عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب مهزول الفصيل فإنَّ الفكر ينتقل إلى جمله وسائط.

١- (١) مختصر المعانى أقسام الكنايه.

الرمز لغةً: أنْ تشير إلى قريب منك خِفيةً بنحو شِفَهٍ أو حاجب.

واصطلاحاً: هو الذى قَلَّتْ وسائطه مع خفاءٍ فى اللزوم بلا تعريض نحو: فلانٌ عريض القفا، أو عريض الوساده، كنايه عن بلادته وبلاهته، وكذا: هو مكتنز اللحم كنايه عن شجاعته، ومتناسب الأعضاء كنايه عن ذكائه وغليظ الكبد كنايه عن القسوه.

الإيماء أو الإشاره: هو الكلام الذى قلَّت وسائِطُهُ مع وضوح اللزوم بلا تعريض وبلا خفاء دلاله بوسائط. وغيرها الكثير من أقسام الدلاله الالتزاميّه كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد رضا المظفر (قدس سرّه)(۱) إلى دلاله الإيماء والإشاره والتنبيه و... الخ.

فهذه نموذج من نماذج الدلاله الالتزاميه الخفيّه وليسَ على سبيل الحصر وإلّا فأنواع الدلالات الالتزاميه كثيره جداً.

۱- (۱) أحد علماء ومفكرى الإماميّه صاحب كتاب أصول الفقه وله كتاب المنطق، وعقائد الإماميه وكُلَّها تدرَّس كمنهج فى الحوزات العلميه الشيعيه.

تنبیه

اشاره

أولاً: قدْ تستعمل القاعده الواحده فی أکثر من نظام من الأنظمه السابقه - نظام الاستعمال للألفاظ، ونظام المعانی الإشارات أو اللطائف، ونظام الحقائق، کما سیتضح خلال البحوث الآتیه إنْ شاء الله تعالی، ولکنْ تکررها لیسَ بنفس هویتها، وإنَّما تتکرر بهویه أُخری وبمضمون وببیان آخر.

ثانیاً: إنَّ النظام الاستعمالی بألفاظ القرآن الکریم قائمٌ علی نظام التعریض، وینبغی الالتفات إلی أنَّ مبحث التعریض کما مَرَّ لیسَ قائماً بالکنایه فقط، وإنَّما هناک أقسام تشمل التلویح الکنایه والاستعاره والإشاره والإیماء والتنبیه... الخ.

ثالثاً: [الکنایه أبلغ من الحقیقه والتصریح]

ذکر البلاغیون أنَّ المجاز والکنایه أبلغ من الحقیقه ومن التصریح أی معناه أنَّ کُلّ من المجاز والکنایه أبلغ فی إیصال المطلوب، وهذا لأوَّل وهله قدْ یستغرب منه حتَّی مَن عنده شیء من الفضل والتحصیل فضلاً عن الجاهل بأنَّه: کیف الکنایه والتی هی عباره عن نوع من الخفاء والستر والتعریض والتفاف ودوران ومع ذلک هی أبلغ فی الإیصال إلی المعنی من التصریح أو قل أنَّ الکنایه: کُلّ دلاله خفیه مشتمله علی الدلاله علی الشیء المدعی بالبینه والبرهان فهو یفید زیاده تأکید للإثبات.

من الواضح إنَّ المتکلم یأتی ببیان وبدلیل فیشیر إلی النتیجه بالدلیل

بدلاً أنْ يُصرِّح بها.

كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لأصحابه فى حرب صفين عندما رأوا معسكر معاويه يسبون ويلعنون فقال (عليه السلام):

«لا أحب أنَّ تكونوا لعانين ولكنْ اذكرو أعمالهم»(۱).

بتقريب: إنَّك إذا ذكرت أعمالهم وبينت هذهِ الحقائق ولعموم المسلمين فإنَّه سوف يغنيك عن ذكر النتيجه؛ لأنَّه فى ذكر مثل هذهِ الحقائق هو نوع من ذكر النتيجه مع البرهان.

مضافاً إلى أنَّه قدْ فى بعض الأحيان قدْ تذكر النتيجه من دون ذكر برهانها فإنَّ الكثير منهم يشمئز من ذلك ولكنْ لو ذُكر البرهان ولم يذكر النتيجه فإنَّ الطرف إذا كان داعياً يلتفت إلى أنَّ هذا البرهان وهذهِ الأعمال التى ذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصحابه لمعسكر معاويه ماذا تؤدى إلى من نتيجه.

وعليه فإنَّ علماء البلاغه يعللون أنَّ الحجيه فى الدلاله فى التعريض أبلغ من التصريح؛ لأنَّ الحجيه التعريضيه فيها تضمن الدلاله للبيان والدليل والبرهان. ومعنى أبلغ أى أثبت وضوحاً للسامع؛ لأنَّه من باب التدليل على الشىء ببينه فهو يفيد زياده تأكيد للإثبات.

رابعاً: وخيرُ شاهد على استعمال التعريض ما جاء فى كلام أمير المؤمنين علىُّ بن أبى طالب (عليه السلام) حول التعريض.

وَرَدَ فى احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) على زنديق جاء مُستدلاً عليه بآى

۱- (۱) الاحتاج للطبرسى، ج ۱، ص ۳۰۹.

من القرآن، متشابه: -

«... وأمَّا قوله - تعالى - للنبى (صلى الله عليه و آله) - وما أرسلناك إلّا رحمه للعالمين...» أشار (عليه السلام) فى هذا التفسير البديع إلى أنَّ بعثه النبى (صلى الله عليه و آله) هو أحد مصاديق مظاهر الرحمه الإلهيه، وهذا ما يرتبط بكون الخطاب الوحيانى فى القرآن وفى أحاديث النبى (صلى الله عليه و آله) قائمٌ على نظام التعريض.

ثم يقول (عليه السلام) فى الرد على الزنديق

«وإنك ترى أهل الملل المخالفه للإيمان ومَن يجرى مجراهم من الكفار مقيمين على كفرهم إلى هذهِ الغايه» اى إلى الساعه التى كان يُحدِّث فيها أمير المؤمنين (عليه السلام).

«وإنه لو كان رحمهً عليهم لاهتدوا جميعاً ونجوا من عذاب السعير، فإنَّ الله تبارك وتعالى إنَّما عنى بذلك: إنَّه جعله سبباً لأنظار أهل هذهِ الدار؛ لأنَّ الأنبياء قبله بعثوا بالتصريح لا بالتعريض».

والإمام (عليه السلام) أجاب عن اعتراض السائل: بأنَّ الله تعالى جعل النبى (صلى الله عليه و آله) سبباً لإنذار أهل هذهِ الدار، وهذهِ المهله التى فيها رحمه وتوسعه ورفق بالعباد سببها خاتم الأنبياء (صلى الله عليه و آله) الذى هو حجه على الخلائق أجمعين بُعث بالتعريض لا بالتصريح بخلاف ما لو كان خطاب بعثه النبى (صلى الله عليه و آله) سواء من القرآن الكريم أو من الأحاديث النبويه هى بالتصريح لما كانت هناك مهله، وإنَّ أحد الآثار المترتبه على التصريح ذكر أمير المؤمنين (صلى الله عليه و آله)

«... وكان النبى منهم إذا صدع(۱) بأمر الله وأجابه قومه سلموا وسَلِمَ أهل دارهم من سائر الخليقه، وإنْ خالفوه هلكوا وهلك أهل دارهم بالآفه التى كان نبيهم

۱- (۱) صدع: - أى بيَّن الأمر أبانهً وأظهره وفرَّق بينهم الحق والباطل، مجمع البحرين ماده (صَدَعَ).

يتوعدهم بها ويخوفهم حلولها ونزولها بساحتهم من: - خسفٍ أو قذفٍ أو رجفٍ أو ريحٍ أو زلزله أو غير ذلك من أصناف العذاب التى هلكت بها الأمم الخاليه»(۱).

إذنْ بيَّن (صلى الله عليه و آله) أنَّ أنبياء الأمم السابقه لأنهم بعثوا بالتصريح فلا يكون لأممهم مهله فإنَّهم: إمَّا أنْ يستجيبوا أو يُهلكوا فى العذاب وأنَّ الله تعالى عَلِمَ من نبينا (صلى الله عليه و آله) ومن الحجج فى الأرض أى الأئمه (عليهم السلام) أوصياء النبى (صلى الله عليه و آله) الصبر على ما لمْ يُطِق من تقدمهم من الأنبياء الصبر على مثله... فبعثه الله تعالى بالتعريض لا بالتصريح وأثبت حجه الله تعريضاً لا تصريحاً ومن هذا يُعلم الرد على أولئك الذين يريدون أنْ يفهموا الحقيقه من القرآن فقط عن طريق الصراحه والنص، أنهم سيخفقون فى الوصول إلى الحقيقه القرآنيه والحقيقه الدينيه؛ لأنَّ الله تعالى أوصل الحقيقه إلى العباد من طُرُقٍ شتى ولم يحصرها بالصراحه والنص الصريح، بلْ أغلب الحقيقه أوصلها عن طريق التعريض أو الظهور الخفى... الخ.

ما هى الصله بين الصبر والتعريض:

لقائل أنْ يقول: ما هو نوع الصله بين الصبر وبين شاكله وقالب نمط الحجيه التى كُلِّفَ بها سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) باتباعها فى إبلاغ معارف الشريعه والدين وهو التعريض فبعثه الله تعالى بالتعريض - أى أثبت حجه الله تعريضاً لا بالتصريح، وعليه فنظام بيانات الحديث النبوى والمولوى والأئمه (عليها السلام) قائم على معرفهِ نظام الدلاله فى باب التعريض.

وتقدم الكلام أنَّه حتَّى البلاغيين لمْ يوفوا البحث فى علم المعانى

۱- (۱) الاحتجاج للطبرسى، ج ۱، ص ۲۰۹.

وعلم البيان فى نظام الدلاله التعريضيه أو الخفيّه وإنَّما أشاروا إلى رؤوس نقاط ومطالب ولم يفيضوا فيها البحث بسطاً لوعوره البحث باعتراف جمله من كبّار البلاغيين منهم الزمخشرى وأنَّ البلاغيين لمْ يخوضوا فى هذا البحر الطمطام إلّا يسيراً رغم جهودهم المتكاثره والمتكدسه لذلك كانت قراءه الشريعه قراءه النصوص الوحيانيّه فيها المسافات الكبيره لطى الطريق إليها؛ لذلك كانت أحد مميزات الدلاله التعريضيه أو التأويل عن الدلاله التصريحيه هو أنَّ الدلاله التعريضيه والدلاله الخفيه أوفر معلومات ودلائل من الدلاله التطبيقيه، ولذا أحد أسرار سيّد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) أنَّه بُعثَ بالتعريض، بيما سائر الأنبياء بعثوا بالتصريح؛ لأنَّ علمه (صلى الله عليه و آله) أوفر ومهيمن على علم سائر الأنبياء، وكذا ما نزل عليه من الكتاب - القرآن - كذلك هو المهيمن على سائر الكتب، وعليه بالتالى لابدَّ أنْ ما ينشره (صلى الله عليه و آله) ويوصله إلى البشر من علوم يفوق ما قام به الأنبياء من قبله ومن ثَمَّ بُعث بالتعريض.

كذلك أثبت وبالحجه تعريضاً لا تصريحاً لقوله (صلى الله عليه و آله): من كنت مولاه فهذا علىٌ مولاه وهو بمنزله هارون من موسى إلّا أنَّه لا نبى بعدى.

فلزم النبى (صلى الله عليه و آله) الأمه: إنَّه لما كانت النبوه والأخوه موجودتين فى خِلْقَه هارون معد ومتين فيمن جعله النبى (صلى الله عليه و آله) من ذريته، وليسَ هو نبىٌ من الأنبياء وهو على بن أبى طالب (عليه السلام)، وهذا التشبيه والتنزيل ب - (هارون) يشير به (صلى الله عليه و آله) إلى أنَّه قدْ استخلف علياً (عليه السلام) على أمته كما استخلف موسى هارون حيث قال، وأخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين.

وبيَّن أمير المؤمنين (عليه السلام) فى جوابه لهذا السائل: [الموصوف بالزنديق وإنْ كان من خلال كلماته وبالنتيجه هو لى بزنديق وإنَّما هو باحث وفاحص

عن الحقيقه] كيفيه التلويح والتعريض فى آيات القرآن بإمامته (عليه السلام) وبما قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) وأمر به كسد الأبواب إلّا باب على (عليه السلام) وقال (صلى الله عليه و آله):

«وما تركتُ ولكنى أُمرتُ فأطعتُ» فقال: سددتَ بابنا وتركتَ لأحدثنا سِنّاً(۱).

وهذا الكلام من أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) فيه إشاره إلى جامع يستعمل الأنظمه الثلاثه أعنى نظام الاستعمال اللفظى، ونظام المعانى، ونظام الحقائق فى القرآن.

وبعد هذهِ المقدمه، نبين العلقه بين الصبر وبين التعريض، فنقول:

تقدم فى بيان أمير المؤمنين (عليه السلام) من أنَّ السبب فى بعث النبى (صلى الله عليه و آله) بالتعريض لا بالتصريح هو لأنَّ الله تبارك وتعالى اسمه لما علم من صبر وقوّه تحمل النبى (صلى الله عليه و آله) وقدرته على ذلك وكذا عترته وآله الطاهرين الأوصياء صبرهم فى هدايه البشر وتعليمهم، بينما فى سائر الأنبياء بُعثوا بالتصريح لقِلَّه صبرهم، فهم بالقياس إلى النبى (صلى الله عليه و آله) صبورين وكذا بالقياس إلى سائر البشر فإنَّ أنبياء الله تعالى ورسله من أصبر البشر وأشد الناس ابتلاءاً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فالقرآن الكريم امتدح صبر بعض أنبياء الله تعالى مثل: نبى الله أيوب (عليه السلام) وأولوا العزم فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ۲ ، إلّا أنَّ قياس صبر سائر الأنبياء إلى صبر سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) كقطره فى بحر باعتبار أنَّ علم رسول الله (صلى الله عليه و آله) ومعرفته وكمالاته أكبر من بقيّه الأنبياء فمن ثمَّ صار صبره أكثر.

وهكذا لو لاحظنا الفرق بين القرآن وبين الكتب السماويه الأُخرى

۱- (۱) الاحتجاج للطبرسى، ج ۱، ص ۳۰۹.

كالتوراه والإنجيل بغض النظر عن تحريفها فإنهما الكثير من القضايا الملكوتيه المصرَّح بها والمكشوف عنها، ولذا البعض يُفضل أسلوب التصريح؛ لأنَّه جاهزوبارز ولا يحتاج إلى تأمل فى عالم المعانى والدلالات الخفيه؛ وذلك لأنَّ المقطع الزمنى الذى بُعث به موسى (عليه السلام) وعيسى (عليه السلام) مثلاً يحتوى على درجه من الملكوت لا كل الدرجات بخلاف أسلوب التعريض فى القرآن الكريم فإنَّ قضايا الملكوت غير مُصرَّح بها ويشتمل على درجات الشهاده ودرجات الغيب و... الخ.

ومن الواضح أنَّ سعه التعريص والدلاله الخفيه تختلف عن التصريح ولو صُرِّحَ بالملكوت، فمثلاً وصايا وعظات الإنجيل ملكوتيه صارخه وواضحه لكنَّها بالحقيقه هى محدوده، وفيه قليل من المباحث التى يتعرض فيها إلى الحضره الإلهيه، بخلاف القرآن الكريم لا يُقتصر فيه على الملكوت الأوَّل ولا الثانى ولا الثالث ولا... الخ إلى أنْ يصل إلى الحضره الربوبيه وفيه شمول وهيمنه على الكتب التى قبله.

وعليه فالبارى عزَّ اسمه لم يعتمد فى إيصال الحجه والهدايه والنور إلى البشر بأسلوب التصريح، والسبب فى ذلك - والله العالم - هو أنَّ أسلوب التصريح، يُنجز الحجيه وإذا نجزت الحجيه وتمَّ نصاب حجيتها فإنَّه لا يُعذر البشر ولا يمهلون ومن الواضح هذا أشد ثقلاً على البشر.

بخلاف أسلوب التعريض الذى بيِّن حكمته وفلسفته أمير المؤمنين (عليه السلام) وما هى ثمره وعنايه هذهِ القاعده التى هى أنجح وأرق أسلوب فى التربيه، ولها غايات كماليه هى أكمل فى أسلوب التعريض منه فى أسلوب التصريح، ولذا بيَّن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنَّ الله تعالى عجَّل بالعذاب لأقوام

سائر الأنبياء ولم يُمهلوا بسبب أنَّ أسلوبهم الذى بعثوا فيه هو التصريح لا التعريض فلم يُمهَلوا ولم يُرفق بأممهم.

بينما سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) الذى بُعثَ بالتعريض وُصِفَ بأنَّه وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ١.

ويعتبر أسلوب التعريض من أرفق الأساليب بالبشر.

ص:٢٨٦

أهميه دلاله التعريض وفائدتها

اشاره

هناك عدَّه فوائد للتعريض منها:

الفائـده الأُولى: ما أفيـد من كلام أمير المؤمنين (عليه السـلام): من أنَّ السـنه النبويه المطهره فضـلاً عن القرآن المجيد قائمه على التعريض لا على التصـريح، فإنَّ السـنه مثل القرآن ليست قائمه ومنحصـره بالتصـريح فقط، كلا وإنَّما التصريح فيهما مساحته قليله جداً.

ولـذا تعتـبر مسـاحه المعلومـات والحقـائق فى التصـريح أقـل بكـثير مـن المسـاحه الأـكبر مـن الحقـائق والمعرفه الـدينيه المتقرره والموجوده فى التعريض.

إذنْ أحد مميزات الدلاله التعريضـيه أو الباطنيه فى دلالات القرآن والسنه أنَّها أوفر معلومات ودلائل من الدلاله التصريحيه، وهذا هو أحـد أسـباب أنَّ سـيد الأنبياء (صـلى الله عليه و آله) أنَّه بُعث بالتعريض بينما سائر الأنبياء بعثوا بالتصـريح لوفره علمه بالكتاب الذى نزل عليه (صلى الله عليه و آله) مهيمن على سائر الكتب السماويه الأُخرى التى نزلت على الأنبياء والمرسلين.

بالتالى أنَّ ما ينشره (صلى الله عليه و آله) ويوصله إلى البشر من علوم لابدَّ أنْ يفوق ما قام به الأنبياء والمرسلين من قبله ولذا بُعث بالتعريض.

الفائـده الثـانيه: إنَّ حجيه التعريض أوسـع زمانـاً وأداؤهـا الـتربوى للنفس والمجتمـع أنفـع وأفقه أرحب من التصـريح؛ لأـنَّه دائماً التصريح معلوماته تكون ضيّقه بخلاف التعريض الذى تكون معلوماته أوسع وفيه طيّات وبطون تترامى إلى ما لا نهايه.

ولذا بيَّن أمير المؤمنين (عليه السلام): أنَّ أحد الأسباب والحِكَم فى بعثه النبى (صلى الله عليه و آله) بالتعريض هو لأنَّه (صلى الله عليه و آله) وعترته أهل بيته أصبر على أداء الرساله والقيام بمسؤوليه الدين؛ لأنَّه أفضل من الأنبياء السابقين لعلم الله تعالى المسبق بقوه صبرهم لذا جعلهم الله تعالى يُبلغون رسالاته بالتعريض بخلاف من سبقهم من الأنبياء لمْ يكونوا بقوّه ذلك السطح، ومن ثَمَّ بُعثوا بالتصريح، وفى التصريح كما هو معلوم تشديد الحجيه ومع المخالفه إنزال العقاب مباشره، بخلاف التعريض فإنَّ فيه رخاء وسِعَه وفسحه فى الحجيه.

الفائده الثالثه: الكتب السماويه الأُخرى غير القرآن كالتوراه والإنجيل والزبور و... الخ مقتصر فيه على التصريح، بينما القرآن الكريم حتَّى فى الشريعه لا يقتصر على التصريح، ولذا شريعه سيد الأنبياء خالده إلى الأبد ولا تنسخ إلى يوم القيامه.

وهذا يُدلِّلُ على أنَّ التعريض ليسَ فقط فنٌّ فى البيان بلْ يرجع إلى كيان معنوى مترامى غير محدود والوصول إلى كيان معانٍ غير محدود لا يمكن أنْ تؤدى إلّا بالتعريض؛ لأنَّها إنْ أُديت عبر اللسان والبيان لا محاله تكون حبيسه درجه أو درجات معينه ولا يمكنه أنْ يكون مُتسعاً إلى ما لا نهايه وبالتالى هذا الطعن الذى كان يوجه ويُسجل على مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) عادَ برهاناً إعجازياً علمياً لرياده وجداره مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وهذا مما أدركته العقول الناضجه والمفكرين من البشر.

الفائده الرابعه: من حِكَم التعريض وفوائده هو أنَّ التعريض حَسَنٌ لإسماع المتكلمين المخاطبين الحق على وجه لا يُثيرهم ولا يغضبهم، وهذا أدخل فى لحاظ النص ومتابعته واستكشاف نكته العلميه والفنيه الخفيه،

وبهذا يكون التعريض أسلوباً تربوى ناجحٌ، ويعتبر من الخطأ فى الأسلوب التربوى معالجه المشكله بجهاله مُكَشِّرَه وصريحه، وحتَّى فى أسلوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإنَّ الطريقه المثلى لذلك هو أنْ تعالج الخطأ وتنهى عن المنكر وتأمر بالمعروف دائماً بأسلوب فيه نوع من الإيماء والخفاء واللين ممزوج بتلويح، فإنَّ مثل هكذا أسلوب أنجح وأنجع؛ لأنَّه أحد الثمرات المترتبه على هذا الأسلوب هو المحافظه على هيبه وشخصيه الطرف المقابل الذى تريد إرشاده وهَدْيه إلى الطريق الصحيح وتعالج الداء فيه بأسلوب هادئ غير متشنج، وبخلافه ينتج نتيجه معاكسه ونقض المطلوب؛ لأنَّ الخطأ فى بعض الأحيان يمارسه المُخطئ بشكل جهرى وعلنى مع عناد، وهذا يتطلب فطنه والتفات من الطرف الآخر فى اختيار الأسلوب المناسب لردعه وهذا بحث آخر.

إلّا أنَّه فى أغلب الموارد التى ليسَ فيها جهارٌ وعنادٌ وإنَّما لابدَّ من مداراه الطرف الآخر بأسلوب هادئ تربوى فيه لينٌ ولأنَّه يعطيه فرصه لمراجعه الطرف المقابل نفسه وقراره وإرادته ولا يُعاجل به، لذا كان هذا أحد الأسباب التى بُعث النبى (صلى الله عليه و آله) وكذا أسلوب القرآن قائمٌ على نظام التعريض والدلاله الخفيه أو الدلاله الترويحيه، وهذا أسلوب تربوى ناجح يجذب المخاطب بطريقه معسوله وذكيه وهادئه لا بطريقه مُنفِّره، ولذا وَرَدَ التأكيدعلى إتباع مثل هذا الأسلوب من قبل أهل البيت (عليهم السلام):

«عن أبى عبدالله (عليه السلام)... أوصيكم بتقوى الله العظيم (ن) والعمل بطاعته واجتناب معاصيه، وأداء الأمانه لمن ائتمنكم، وحُسن الصحبه لمن صحبتموه وأنْ تكونوا لنا دعاةً صامتين، فقالوا يا بن رسول الله وكيف ندعوا إليكم ونحن صموت (صامتون) قال تعلمون ما أمرناكم به من العمل بطاعه الله

وتتناهون عمّا نهيناكم منه من ارتكاب محارم الله وتعاملون الناس بالصدق والعدل وتردون الأمانه وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر... الخ»(۱).

أی بأعمالکم فإنَّ الطریقه المثلی دائماً لردع الطرف الآخر هو أنْ نلتزم عملاً بالشیء الذی ترید أنَّ تُثقف وتدعو الطرف الآخر إلیه من دون کلام فإنَّه تلقائیاً سوف یؤثر به عملاً ولا یُفهم من هذا أنَّ الکلام واللسان لیسَ له أی دور وتأثیر، کلا، وإنَّما المقصود هو أنَّ التأثیر بالطرف المقابل من جهه الالتزام بالعمل أکثر تأثیراً من جهه الکلام، ولأنَّ الأسلوب العملی دائماً هو أسلوب مثمر ولیّن ولذلک اتّبعه الأنبیاء والمرسلین لما فیه من اللطافه فی کیفیه التربیه، ولیسَ فیه غِلظه وحِدَّه وخَرْق؛ لأنَّ ما وَرَدَ عن أئمه الهدی (علیهم السلام) فی کلماتهم الحِکْمِیَّه حول اللین: عن زراره عن أبی جعفر (علیه السلام)، قال: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله):

«بأنَّ الرفق لمْ یوضع علی شیء إلّا زانه، ولا نُزِع من شیء إلّا شانه»(۲).

ولذلک من دقائق قناعه التعلیم وسیاسه الأسلوب التربوی فی القرآن هو لا یُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاّ مَنْ ظُلِمَ۳.

وعلی المعلم أنْ لا یتعرض بسوء إلی طریقه التعریض مهما أمکن، وما أمکنه أنْ لا یُصرِّح فلیفعل فإنَّ التصریح والجهر والتشهیر أسلوبٌ لیسَ بتربوی ولیسَ بناجح إلّا فی بعض الموارد الاستثنائیه، وإلّا فإنَّ الأصل الأولی یقتضی الستر والخفاء لأنَّ الله تعالی ستّار وستور؛ لأنَّ فی سیاسه الستر والخفاء - کما مَرَّ - المحافظه علی هیبه وشخصیه الطرف المقابل

۱- (۱) دعائم الإسلام للقاضی النعمان المغربی، الکافی للکلینی، ج ۲.

۲- (۲) الکافی - للکلینی، ج ۲، ص ۱۱۹ ح ۶؛ الوسائل، ب ۹، من أبواب غسل المیّت، ح ۳.

ويمكن هَـدْيه إلى الطريق الصحيح والقويم ويراجع ويصحح أعماله التى ارتكبها لأنَّ التصريح يهتك حجاب الهيبه ويورِّث الجرأه ومن المعلوم أنَّ الجهر بالسوء فيه إعانه لجانب الشر ويعبر عنه باللغه الحديثه دعايه للشرور وإعانه ومعاضده دعائيه لجانب الشر عكس ما فى الخفاء من إعانه وتعقيم دائماً لسطح الظاهر وإنْ كان فيه تحت الستار شيءٌ من السوء إلّا أنَّه لا يطفو إلى سطح الظاهر.

ولذا نلاحظ الدين الحنيف دائماً يوكِّد ويحرص على نقاء الظاهر لذلك لا يُقال الظاهر من دون الواقع فإنَّ الظاهر من دون الواقع زيف، وأنَّ الظاهر درجه من درجات الواقع غايه الأمر إنَّ هذا الظاهر تاره يتواصل من خلاله إلى الأعماق وهذا هو المطلوب وأُخرى: - يقف عند هذا السطح أيضاً درجه من درجات الإصلاح، ولذلك بدأت الآيات والروايات باللسان والاكتفاء بالظاهر؛ لأنَّ فى هذهِ الدرجه نوع من السداد والصراحه، وعليه فالمحافظه على الظاهر أمرٌ هام.

وحجيه التعريض تتفادى تلويث الظاهر وهو أسلوب تربوى عظيم جداً، ودائماً أهل التقوى والصلاح وأهل المعنى يتوخون التعريض لما فيه من التربيه القرآنيه كمنهاج سياسى، ويحمل بين طيّاته أسلوب اللين والرحمه والستر.

الفائده الخامسه: إنَّ التعريض فيه تفادى من إثاره الحرص لأنَّ التعريض فيه علاج لغرائز الإنسان من دون إثاره، فمثلاً القرآن الكريم يذكر معالجات لقضايا كثيره ولكنَّه لمْ يصرح بها وإنَّما استعمل التعريض والكنايه والتلويح والإشاره والتلميح و... الخ.

فمن تلك المعالجات مثلاً- يريد القرآن معالجه الأمور الجنسيه والشهويه فى الإنسان فإنَّه لا يأتى بألفاظ صريحه مثيره، وإنَّما يستعمل ألفاظ تعريضيه يُعالج فيها الداء من دون إثاره للغريزه الجنسيه ويعالجها بطرق ترويضيه وتربويه وبطريقه ذكيه، كما فى سوره يوسف (عليه السلام).

ولذا يلاحظ أنَّ من أخطاء المجتمع الغربى أنهم يثقفون الأجيال على ثقافه جنسيه صارخه ورديئه وهابطه بخلاف القرآن والروايات التى تبين فيها ذلك بنوع من التعريض، وبيان الروايات مثلاً- لآداب ليله الزفاف وآداب الجُماع واختيار الأوقات المناسبه والطعام المناسب و... الخ.

أو يعالج القرآن الكريم مثلاً- قوه الغضب باعتبارها قوه مستنفذه فى الإنسان أيضاً يعالجها القرآن بطريقه التعريض، وهنا يكمن الفرق بين عدسه تعريض القرآن وبين غيره، فإنَّ عدسه التعريض ف يالقرآن حتَّى فيسوره يوسف (عليه السلام) لا- توجه إلّا أماكن صارخه ومثيره وإنَّما يوجهها إلى الظل فإذا شاهدت الظل عرفته من الظل، وهذا أسلوب عظيم استعمله القرآن الكريم.

بخلاف عدسه غير القرآن فإنَّ الجانب العملى يعكس الجانب التربوى وبيئه وأسره الشخص، فمثلاً- نلاحظ مصوِّر أو مخرج سينمائى ملتزم أخلاقياً كيف يوجه عدسته فإنَّه لا يوجهها إلى أماكن الإثاره الشهويه الجنسيه أو الغضبيه أو... الخ بخلاف غير المتلزم أخلاقياً لا يهمه كيف يوجه عدسته سواء إلى مواضع الإثاره أو غيرها.

تنبيه: ليسَ الأصل فى علم التفسير بكل إضافه - التفسير الموضوعى، التفسير الروائى التفسير اللغوى أو أمومه الولايه على المحكمات فى القرآن،

أو التجزيئى أو اللطائفى أو... الخ. قائم على الحصر فى الظهور البدوى الأوّلى - كما ادّعاه البعض - بلْ علم التفسير حسب منهج تفسير أهل البيت (عليهم السلام) ذو أفق وسيع ورحب قائم على التأويل.

التعريض ليسَ مختصا بعلم تفسير القرآن:

قاعده التعريض ليسَ مختصاً بعلم التفسير بلْ فى بقيه علوم الدين الأُخرى من الفقه والعقائد والحديث والكلام و... الخ أيضاً كذلك قائمه على التعريض وأنماط وألوان الدلالات الخفيه كما هو واضح.

فمثلاً فى علم الفقه قالت الآيه فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَهٍ مِنْهُمْ طائِفَهٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ١.

بتقريب: إنَّ الغرض من النفره والمهاجره لطلب العلم ليسَ فقط يروى روايه أو ينقل حكماً معيناً أو... الخ وإنَّما لأجل أنْ يتفقهوا أى يفهموا، ومن الواضح أنَّ الفهم لا ينحصر فقط بالظاهر وإنَّما هناك مجال واسع جداً لفهم الآيات والروايات من خلال ما تدلّ عليه من المفهوم والدلالات الخفيه.

إذنْ بحسب علوم اللغه وبحسب العلوم الدينيه المختلفه من أنَّ علم النص الدينى وعلم التفسير كعلم بارز، وكذا بقيه العلوم الأُخرى القائمه على النص الدينى هى علوم قائمه على ترامى الدلالات إلى حدٍّ لا يقف عند حدٍّ معين.

وهذا هو المستفاد من بيان أمير المؤمنين (عليه السلام) من أنَّ

«سيد الأنبياء بعث

بـالتعريض لاـ بالتصـريح». والاكتشـاف التـدريجى لعلماء كُلّ علم من العلوم خاصه العلوم الـدينيه القائمه على النص الـدينى من القواعـد والحقائق التى لمْ يكتشـفها العلماء السابقون فإنَّ مثل هـذا لا يـدعو إلى عـدم حقيقه القواعد المكتشـفه والنكات العلميه والفنيه والصـناعيه غير المكتشـفه عنـد السابقين، فهى حقيقه ما دام تحفظ الموازين والضوابط والقواعـد فى جمله العلوم، ومجرد خفاءها وعدم اكتشاف السابقين لها لا يخرجها عن حجيه الظهور فى كُلّ العلوم وبالأخص الدينيه منها القائمه على النص الدينى، فـإنَّ الغور فى النصوص الـدينيه والتأمـل والتـدبر فيهـا أكثر لأجـل أنْ يسـتخرج منهـا كنوز أكثر فـأكثر على وفق قواعـد وموازين منضبطه.

ومن خلالـ عرض هـذا يُفرَق الفرق بين مـدرسه أهل البيت (عليهم السـلام) وباقى المـدارس الأُخرى من فلسـفات غربيه حـديثه ألستيّه والمدارس التعدديه:

الفرق الأوَّل: هو أنَّ مدرسه أهل البيت (عليهم السـلام) القائمه على قاعده التعريض والتى لا تناهى فيها وتمادى مسـيره اسـتنطاق قراءه النص الـدينى وتفسـير القرآن تـدعو إلى التوسـعه فى كُـلّ الاتجاهـات ولكنْ بمـوازين وقواعـد حـتَّى تبقى حجه وتوسـعها منضبط ومع الشواهد لا الكلام التخرصى الاستذواقى.

بينما المدارس الأُخرى سواء الفلسـفيه الغربيه أو غيرها أيضاً يدعون إلى التوسـعه والتعدديه ولكنْ وللأسف بلا انضباط وهذا مما يؤدى إلى الفوضى والجهاله واللاعلم.

الفرق الثـانى: البرمجه العصبيه فى قراءه النص الـدينى، فالحـداثيون يـدعون إلى تعـدد القراءات لكنْ بلاـ حساب ولا ميزان وإنَّما يفتح الباب على

مصراعيه، ولكنْ وللأسف بشكل فوضوى وهذا بحسب منطق العقل والعقلانيه ليسَ فتحاً للباب وإنَّما سفسطه وسدٌّ للباب.

أمَّا مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) تدعو إلى فتح الباب على مصراعيه أيضاً أى فتح باب التأويل والدلالات الخفيّه إلّا أنَّها تشترط أنْ يكون ذلك على وفق قواعد وموازين منضبطه تنطلق من سطح الظاهر الأوّلى ومنطقه بديهيه واضحه، ثم شيئاً فشيء إلى مناطق نظريه أبعد مبهمه مظلمه متوغله فى الإبهام ينقشع الظلام عنها ببركه نور المناطق النيره، لكنَّ طبق قواعد وموازين متعاقبه ومتلاحقه ومتسلسله ومنتظمه حتَّى تصل إلى نتائج يقينيه لا موهومه ومتزلزله فى كافه أنواع العلوم الدينيه وغيرها كالرياضيات والهندسه بأصنافها وأنواعها.

فالتطور والنضوح العلمى واكتشاف نظريات جديده فى الرياضيات الحديثه وما توصل إليه علم الرياضيات الآن ودخالته فى العلوم الأُخرى الحديثه لمْ يأتِ قفزه واحده ووصول عشوائى، وإنَّما حصل ذلك شيئاً فشيئاً، وبُذل جهدٌ دؤوب من قبل علماء متخصصين بعدما كانت مسائل علم الرياضيات مثلاً مبهمه ومتوغله فى النظريه ثم سُهِّلت، فهل يعنى هذا أنَّه سوف تقف مسيره قافله علم الرياضيات إلى حدّ وتنتهى؟

كلا لا تنتهى ما دامت المسيره الفكريه للبشر مستمره فى كُلّ العلوم وليسَ الرياضيات فقط بلْ تتعداه إلى كُلّ العلوم الأُخرى من الفيزياء والكيمياء والأحياء والهندسه والفسلوجيا والبيلوجيا وعلم الإداره والسياسه والاقتصاد و... الخ.

وهذا كُلَّهُ يجرى فى علم التفسير وإنْ حاله حال أى علم آخر تجرى

عليه التوسعات والتطورات العلميه وتوسيع دائره المعلومات والمباحث الجديده التى كانت متوغله فى عالم النظريه والإبهام فتتبده شيئاً فشيء.

وهذا ما يجرى فى تفسير القرآن الكريم فى شأن التأويل والظهور فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام)، ويُفاد أنَّ التأويل أمرٌ خفى ومجهول لدى الباحثين، وإنْ كان سبب ذلك الخفاء هو بسبب عدم فطنه وتفطن الباحث الكريم بالطريق الموصل لهذا المعنى التأويلى من منطقه ومنصه الظاهر فى القرآن.

النتيجه: التى نريد أنْ نصل إليها وهى مهمه جداً هو أنَّ حجيه الظهور فى تفسير القرآن أو بقيه النصوص الدينيه لا تخضع لمقوله التقابل بين الوضوح والخفاء وإنَّما تخضع تحت ضابطه الموازين والقواعد وإنْ خفيت.

كما تقدم سابقاً، مثال بعض المسائل فى علم الرياضيات المعقده، أو فى علوم الفيزياء، والعلوم التجريبيه ففيها بعض المسائل المعقده والمُحَيِّرَه ولكنْ بالتأمل فى المعادلات والمسائل الرياضيه والفيزيائيه و... الخ وملاحظه مراحل الحلول السليمه الموصله إلى النتيجه، إذا اكتشفت فإنَّ ذلك الإبهام والخفاء يتبدد ويتبده وينقلب الخفاء إلى وضوح.

بيان إعجاز القرآن الكريم هو أحد أدلّه إمامه أهل البيت (عليهم السلام)

أحد براهين ودلالات أئمه أهل البيت (عليهم السلام) كما أنَّه أحد إعجازات القرآن الكريم هو: -

إنَّ هناك نكات ونتف من الآداب القرآنى لمْ يتفطن إليه الأوّلون ولا الآخرون إلّا فى كلمات أهل البيت (عليهم السلام) الإشاره إليه وهى دلالات منتزعه من ظاهر ألفاظ القرآن الكريم، ومع ذلك لمْ يلتفت ولم يتفطن إليها مراجع علماء النحو والبلاغه والأدب والتفسير والفقه والكلام و... الخ ولذلك البعض يقول:

بأنَّ أهل البيت (عليهم السلام) فى تفسيرهم لجُمل آيات القرآن أنهم تأويليون وهذا صحيح لأنَّ الأمور التى ينتزعها الإمام المعصوم (عليه السلام) من ظاهر لفظ الآيه هى أمور خفيه خفيت على غير الإمام (عليه السلام) علماً أنَّ الإمام (عليه السلام) عندما يبين هذا المعنى التأويلى يُشفع هذا البيان ببيان معه ضميمى يبين فيه كيفيه الوصول لهذا المعنى التأويلى من حاق ظواهر ألفاظ القرآن الكريم.

وقدْ غفل المفسرون والفقهاء والأدباء و... الخ عن بيان مثل هذهِ التأويلات والأمور الخفيه حتَّى فقهاء ومفسرو و... مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) إلّا لعله عند البعض أمثال: - الملا شريف الفتونى صاحب مرآه الأنوار، وربما صاحب كنز الدقائق الملا شريف الفتونى الجبعى العاملى لهم باع فى بيان هكذا نكات باستعمال القواعد والموازين.

ص:٢٩٧

والنكته والسر فى ذلك واضح من أنَّ جل روايات أهل البيت (عليهم السلام) للآيات متضمنه لنكات الدلاله اللفظيه فى فتح ظاهر القرآن الموصله إلى ذلك المعنى التأويلى، إلّا أنَّه وللأسف كثير من مفسرينا فضلاً عن مفسرى المدارس الإسلاميه الأُخرى يتلقون هذهِ المعانى التى أدّاها وبيّنها أهل البيت بأنَّها تعبديه هذا لمن يؤمن ويُذعن بعصمه أهل البيت (عليهم السلام) وإلّا لا يستطيع أنْ يتقبلها؛ لأنَّ الإمام (عليه السلام) يبين أمور من ظاهر لفظ الآيه التى لا يلتفت إليها حتَّى الأوحدى من المفسرين والفقهاء والأدباء وليسَ بمقدوره الإحاطه بذلك إلّا من بيده تمام الإحاطه وزمام مقاليد الأمور الذى هو فقط الإمام المعصوم (عليه السلام) علماً أنَّ الأئمه – عليهم أفضل الصلاه والسلام – لمْ يبينوا تلك النكات والتأويلات كمصادره أو ادعاء، بلْ رغم عصمتهم وحجيتها يبينوها مشفوعه بالأدله والبيانات القرآنيه من سطح ألفاظ القرآن الكريم وهنا يكمن سِرُّ عظمه المعصوم (عليه السلام).

ص:٢٩٨

برهان علمی حدیث علی إعجاز القرآن الکریم وحقانیته وعلی إمامه أهل البیت (علیهم السلام)

کان الغربیون والمستشرقون فی القرن السابع عشر، والثامن عشر والتاسع عشر یوسمون مذهب أهل البیت بأنَّه مذهب ذو نزعه باطنیه وإغراق فی عالم الدلاله الخفیه و... الخ إلّا أنَّ کلاً من الغربیین وکذا المستشرقین تراجع عن طعنه السابق وهذا الطعن أصبح بالواقع تفوقاً عظیماً لمدرسه أهل البیت علی غیرهم، وأقرَّ واعترف جمیع هؤلاء وأصحاب النظریات والمدارس الفکریه لا أقل فی المساحه الصحیحه منها والبدیهیه - سواء فی شرق الأرض وغربها، والمسلم وغیر المسلم - أنَّ المدرسه التی منهجها التعریض منذ أکثر من أربعه عشر قرناً هی بحق تستحق أنْ تکون رائده البشر وهی مدرسه أهل البیت (علیهم السلام)، وإذا لاحظنا الیوم الساحه الدولیه والعالمیه نجد أنَّ أی إثاره فکریه بشریه وبلغتها الحدیثه أنَّ الجانب المشرق فیها هو مقتبس ومطابق لمدرسه أهل البیت قبل أکثر من أربعه عشر قرناً، والکل یلهج ویعترف بأنَّ منهاج أهل البیت الیوم هو رائد فائق لعقول الملل والنحل المختلفه من البشر.

وبهذه الإطلاله التأریخیه الیسیره علی نفس قاعده التعریض أو الدلالات الخفیه أو التأویل نلاحظ وبوضوح مدی خطوره وأهمیه هذهِ القاعده لأهم منهج من المناهج التفسیریه وغیرها هو منهج أهل البیت (علیهم السلام)، وأصبحت هذهِ القاعده کبرهان ودلاله علی منهج هذهِ المدرسه الحقه التی تعتمد علی قواعد وموازین منظمه لا مبعثره.

ص:۲۹۹

ولا يخفى على ذوى البصيره والتأمل الدقيق فى الآيات والروايات أنَّ هناك جمله من حقائق القرآن أودعت فى التأويل والتعريض والدلاله الخفيه لا فى عالم الظهور والتصريح.

وعليه لو لاحظنا بين كُلّ آونه من الآونات يتجلى برهان وإعجاز وبيان لحقانيه القرآن والدين الإسلامى ومنهاج الإيمان لأهل البيت (عليهم السلام).

فمثلاً: كان الغربيون وكذا المستشرقون يعيبون على تشدد الإسلام فى قوانين حفظ الأسره ابتداءاً بالعلاقه الزوجيه الشرعيه الصحيحه والمثاليه ثم إلى تربيه الأولاد ثم رسم النظام المعيشى للأسره ومسأله الحجاب والمحافظه على الدين و...، وكان الغرب يردد مقولته: - اجعلوا الأسره منفتحه إباحيه ولا مانع من ذلك وأطلقوا الحريات لأفراد الأسره لهم حق ممارسه أشىء يرغبون فيه من الربا والزنى والقمار و... الخ.

الآن أفاق الغرب من نومته ووجد أنَّ زعزعه الأسره تُشكل كوارث هدامه للمجتمع وهكذا حرمه الربا وصل إلى حدٍّ أنَّ بعض الفضلاء أراد أنَّ يرتاجع عن حرمه الربا نتيجه عدم اليقين بتشريعات الدين وفلسفه تشريعاته.

المقام الثالث

اشاره

ونتعرض فيه: -

*الظهور والتأويل.

*البداهه والنظر أمران إطلاقيان أم نسبيان.

*الحشويه وخفاء القرآن.

*إشكالات على مبحث قاعده التعريض وأجوبتها.

*كيف يفرق الباطن بالظاهر.

*هل الولوج فى باب التأويل حكراً على فئه من الناس.

*إثاره: - التأويل لا يمكن ضبطه بقواعد اللغه العربيه.

*بيان مشرب فكرى آخر.

*التأويل يندرج تحت الظهور بلْ جزءٌ منه.

*روايات تأويليه تعبديه.

*نظريه أُخرى فى معنى دلاله الظهور.

*ارتباط نظام التأويل والدلاله الخفيه بنظام عالم الظهور.

*علم اللغه فى الأداء الإعجازى اللغوى القرآنى.

*التبيان الروائى فى التفسير المأثور.

*المقارنه فى التأويل بين مدرسه أهل البيت (عليهم السلام)، وبين مدرسه فلسفه الألسنيات.

*نظريه السيد المرتضى رضى الله عنه.

*هل الظهور صفه ثابته للألفاظ أو صفه لإدراك الإنسان.

*حجيه الدلاله فى اللغه العربيه.

** الوضوح والخفاء أمران نسبيان.

*التوريه.

*البيان تعليم إلهى فطرى للبشر.

*تلخيص لنتائج القاعده الأُولى - أعنى التعريض - من قواعد النظام الاستعمالى اللفظى.

ص:٣٠١

الظهور والتأويل

الظهور لغةً: ما لا يخفى، والبروز بعد الخفاء، فيقال: ظهر لى رأىٌ إذا علمت ما لمْ تكن تعلمه(۱).

ويقال: بَدْوّ الشىء الخفى(۲).

اصطلاحاً: هو البيان الذى نستطيع به إيراد المعنى الواحد بصور مختلفه.

أو: هوما برز وانسبق إلى ذهن السامع من الكلام سواءً كان مُفاداً ومدلولاً مطابقياً أو التزامياً، أو ما يهتدى السامع إليه بحسب موازين المحاوره والكلام والأدب.

التأويل لغةً: تفسير الكلام الذى تختلف معانيه ولا يصح إلّا ببيان غير لفظه(۳).

أوْلُ: مبتدأ الشىء... ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه، وذلك قوله تعالى: - هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ تَأْوِيلَهُ۴.

اصطلاحاً: ما كان خفياً ولا ينسبق إليه الذهن، أو ما لا يهتدى إليه السامع بحسب موازين وقواعد اللغه والأدب والتفاهم المحاورى.

ويعتبر الظهور والتأويل من قواعد نظام الاستعمال اللفظى فى القرآن،

۱- (۱) مجمع البحرين، ماده (ظَهَرَ).

۲- (۲) كتاب العين للفراهيدى.

۳- (۳) المصدر السابق، ماده (أوَل).

وهذهِ القاعده بدورها تتشعب إلى قواعد عديده أَخرى أيضاً، نتعرض إليها لاحقاً ضمن بعض المباحث التاليه إنْ شاء الله تعالى.

وهـذهِ القاعـده وإنْ كنّـا لمْ نسـلط الأضواء عليها كثيراً فى مبحث نظام الاسـتعمال اللفظى فى القرآن؛ لانه سوف نبحثها أيضاً فى القسمين الآخرين فى نظام المعانى فى القرآن، ونظام الحقائق القرآنيه - ونسلط عليها الأضواء أكثر هناك. فانتظر.

ودراسه وبحث هذهِ القاعده له أهميه وفائده تظهر فى جمله من المقامات:

منها: مقام قراءه تفسير القرآن الكريم والسـنه المطهره للنبى (صـلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السـلام) أى قراءه النصوص الدينيه بأكملها.

فـالمُفَسِّر أو الفقيه إذا توصـل إلى تفسـير غامض او ظهور غير واضـح وخفى يصـعب إدراكه على الآخرين فحينئـذٍ ربما لا يكون هناك ظهور ولا يوجد تفسير بلْ يكون تأويلًا... الخ.

وعليه فيكون البحث عن مثل هذهِ القاعده بحثاً مهماً يُعَيِّن مصـير قيمه التفسـير أَنَّه اسـتظهار من الآيات والسور أو تأويلٌ، سيما أنَّ التأويل يحتاج إلى شاهد وميزان وإلّا لمْ يُعَوَّل عليه، فإذا لمْ يكنْ للشىء ظهور فهو تأويلٌ ومن الصعوبه بمكان الوقوف على دليله أو قدْ لا يتمكن فى بعض الأحيان من الوقوف على دليله.

البداهه والنظر أمران إطلاقيان أم نسبيان ؟

هل المراد بالبديهى ما يشمل مطلق الأفراد والذى يُعبَر عنه إطلاقى أى يسرى إلى كُلّ الأفراد أم نسبى؟.

توضيح ذلك: - البديهى سواء كان فى الأمور التكوينيه وعالم المعانى أو عالم الألفاظ فإنَّ الأمر بديهى وكذا النظر كُلّ منهما يمكن أنْ يوجد فى الإنسان ويمكنه أنْ يزيله.

وبناءاً على ما تقدم من ذكر بعض الأمثله ثبتت فى الآونه الأخيره أنَّ البداهه والنظريه أمران نسبيان، ومن الواضح أنَّه ليسَ المقصود من ذلك أنَّه كُلّ بديهى ليسَ له وصف ذاتى ثابت، بلْ نسبى قدْ يتحقق وقدْ يزول وكذلك ليسَ مقصودنا أنَّ كُلّ نظرى يمكن أنْ يتبده، وإنَّما المراد فى دائره مركزيه أوليه للبديهيات فإنَّ هذهِ الأمور البديهيه ثابته كالتناقض فهو بديهى البطلان وبداهته ثابته فى دائره مركزيه أوليه، وكذا التضاد كالوجود والعدم لا يقع فمثلاً معرفه كنه البارى لا تتبده فإنَّها تبقى غيب خفى، فإنَّ مثل هذا لا يقع لأنَّها مفاهيم واضحه وبديهيه وبداهتها ليست نسبيه، بلْ إطلاقيه وعامه.

والإحاطه بكل هذهِ الأمور يكون أمراً نظرياً غيبياً وعليه فيبقى الغيب المطلق غيباً مُطلقاً ولا يتبده، وكذا الشهاده المطلقه تبقى مطلقه أى لا تتبدل فى حصه من الظاهر إلى الباطن وإنَّما تبقى ظاهراً، والباطن يبقى باطناً.

وكذلك الغيب النسبى: - ليسَ المراد منه ذلك الغيب النسبى فى مناطق متوسطه بين طرفين - الغيب المطلق والشهاده المطلقه - أى ما بينهما

يكونْ نسبى بين البديهى المطلق الذى هو فى الدائره المركزيه الأوليه، والبديهى المطلق هو ما بين هاتين الدائرتين فإنَّ هذا المعنى المغيب النسبى والبديهى المطلق ليسَ هو المراد، وإنَّما المراد هو بونٌ نسبى وسيع لا يتناهى يصبح نسبياً.

وعليه فليس المدعى: - إنَّ كُلّ ظهور هو ظهور نسبى، وإنَّ كُلّ بطون وخفاء هو بطون وخفاء نسبى، وإنَّما بعضه ظهور مطلق، ويكون أقصى الطرفين ظهورٌ مطلق والآخر بطونٌ مطلق وما بينهما يكون نسبياً، وهذا لا يُفرَّق فيه بين عالم المعانى فى القرآن وبين عالم دلاله الألفاظ فيه.

وهذا مطلبٌ مهم جداً بمعرفه دقائقه تندفع كثير من التساؤلات والشبهات، وإنْ لمْ نكن الآن فى صدد استعراض تلك الشبهات والتساؤلات وإنَّما موكول إلى محله ونُقصر الكلام على ما نحن بصدد بيانه: - من أنَّ الظهور للألفاظ ومنه ظهور ألفاظ القرآن الكريم هل ظهور نسبى أم ظهورٌ مطلق، وكذا البطون والخفاء نسبىٌ أم مطلق، وأين منطقه النسبيه فيهما - الظهور وبطون - وأين منطقه الإطلاق.

وعلى معرفه هذا المبحث المهم تتعدد المسالك وما يتبناه أصحاب ذلك المسلك من ثبوت الظهور النسبى أم المطلق عندهم، وما هى سعه حدود دائره كُلّ منهما، وهكذا الخفاء والبطون هل المراد الخفاء المطلق أم النسبى وما هى سعه حدود دائره كُلّ منهما؟.

فمثلاً أصحاب مسلك الظهور يَدَّعون أنَّ القرآن كُلَّهُ ظاهر وبيِّن وبإمكان قدره نفس البشر بعد ترويض النفس والعقل بالعلوم من دون حاجه إلى تعليم مُعلم بأنْ يستكشف ويستجلى دلالات القرآن الكريم،

وهذا المسلک يتبناه كثير من المفسرين من العامه، بلْ ربما حتَّى من الخاصه أمثال العلامه السيد محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه).

إلّا أنَّه مسلک منقوض ومخدوش بنفس ما جاء فى بيانات القرآن الكريم والروايات الوارده عن أئمه الهُدى بأنَّ دلالات القرآن الكريم بعضها غيبٌ وخفاء وبطون مطلق لا يقدر عليه إلّا الراسخون فى العلم وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ١. ولا يُفهم من هذا أنَّه يستوجب تعطيل القرآن - والعياذ بالله - وإنَّما الذى يُفهم هو أنَّ الانتفاع بتلک المنطقه التى هى غيب مطلق فى القرآن لا يتمُّ إلّا عبر أصحاب قناه ونافذه الراسخون فى العلم، ولا يمسَّه إلّا المطهرون، إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً فقط الذين اختارهم الله واصطفاهم يمسوّن ويغترفون من الغيب المطلق فى القرآن ويرفدون البشريه.

إنْ قلتَ: ما جاء فى أوائل سوره النحل: يُنَزِّلُ الْمَلائِكَهَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ٢ إنَّها غير مختصه لا بنبى ولا رسول ولا...، إنَّما ما يشاء من عباده.

قلتُ: معنى - من يشاء من عباده - أى الذين تتعلق بهم مشيئه الاصطفاء الإلهى - هم أصحاب سوره القدر التى بينات هويتهم تَنَزَّلُ الْمَلائِكَهُ وَ الرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِىَ حَتّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ وكذا حم وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ إِنّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَهٍ مُبارَكَهٍ إِنّا كُنّا مُنْذِرِينَ٣.

وعليه فمنطقه الغيب ليست مُفعَّله ولكنْ تفعيلها بتوسط الراسخين فى العلم والذين تعلقت بهم مشيئه الاصطفاء وهم محمد وآل محمد (صلى الله عليه و آله) فقط ومن هذا يتبين أنَّه ليسَ بمقدور البشر وحده استجلاء واستكشاف ظاهر دلالات ألفاظ وبيان القرآن الكريم من دون معلم إلهى.

ص:٣٠٨

الحشويه وخفاء القرآن

اشاره

نذكر دعويين ادعتهما الحشويه وبعض من أيدهم بذلك.

الدعوى الأُولى: إنَّ القرآن الكريم كُلَّهُ خفاء.

وفيها: هذهِ الدعوه غير صحيحه وذلك لأنَّ بعض دلاله بيان ألفاظ القرآن الكريم بديهى وظاهر للكل لما دَلَّت على ذلك الآيات القرآنيه بصراحه مثل قوله تعالى: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها١.

فالقرآن الكريم فى هذهِ الآيه وجّه خطابه لمن كان إدراكه متواضعاً فى عقله وفهمه وروحه فالقرآن يخاطبه بلحاظ تلك المنفعه البينه والظاهره ظهوراً مطلقاً.

ونفس الكلام يُقال بالنسبه للروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) بعضها ظاهر وبيِّن ومُطلق يفهمه حتَّى ذو المدركات المتواضعه، ولا ينكر أنَّ بعضها الآخر فيه إجمال وغموض فيحتاج إلى فهمها ذوى فضل فى العلم.

الدعوه الثانيه: إنَّ بعض فهم من بعض روايات أهل البيت (عليهم السلام): - أنَّ عامه الناس الذين ليسو لهم فضل فى العلم ومدركاتهم متواضعه يجب أنْ لا يقرأوا بعض الروايات كالروايات التى تخص باب العقائد مثلاً أو التى تخص باب التفسير أو الفقه أو الحديث أو... الخ؛ لأنَّ قراءه مثل هكذا روايات تسبب لهم إرباك وتشويش لهم فى المعرفه؛ لأنَّ فيها روايات متشابهه مثل آيات القرآن: فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ

اَلْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ١.

وقراءه هكذا روايات متشابهه قدْ تؤدى إلى ذوى الإدراكات العقليه المتواضعه إلى ما لا يحمد عقباها.

وفيها: قراءه ومطالعه الروايات الموجوده فى الموسوعات الحديثيه أمثال الكافى والغنيه أو التهذيب والاستبصار أو الوسائل أو البحار أو الوافى أو... الخ هو ليسَ حكر على أحد بلْ هى مأدبه ألهيه مفتوحه للكل - إنْ صحَّ التعبير - فليس من حق أحد أنْ يمنع الآخرين من الجلوس على هذهِ المائده الإلهيه العظيمه وخُذْ بمقدار ما تستطيع بحسب حجم وسعه معلوماتك، إلّا أنَّه فى نفس الوقت أحذر الاقتحام فى بحار المتشابهات فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ٢ ؛ لأنَّك سوف تُغرَق قطعاً ما لم تستعن وتستغث بسفن النجاه الذى وصفهم القرآن الكريم بأوصاف خاصه.

١ - الراسخون فى العلم.

٢ - لا يسمُّه إلّا المطهرون.

٣ - إنَّما يريد الله ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت.

ومن الواضح أنَّ التمسُّك بسفن النجاه حتماً سوف ينجو من الغرق.

ولذا كان أحد مميزات دلاله التعريض والدلاله الخفيه أو التأويل عن المسلك الظاهرى أو المسلك الحشوى أو القشرى الذى يجمد على حرفيه

سطح الدلاله والألفاظ والنص هو إمَّا مسلك دلاله التعريض الذى يعتبر أحد مميزات وأسرار سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) الذى بعث بالتعريض دون سائر الأنبياء الذين بعثوا بالتصريح هو لوفره علمه (صلى الله عليه و آله) على سائر الأنبياء، والكتاب الذى نزل عليه (صلى الله عليه و آله) المهيمن على سائر الكتب السماويه التى نزلت على باقى الأنبياء والمرسلين فلابدَّ أنْ يتميز ما ينشره (صلى الله عليه و آله) ويوصله إلى البشر من علوم يفوق ما قام به الأنبياء من قبله ومن ثم بُعث بالتعريض وبالمقابل فإنَّ المسلك الظاهرى أو الحشوى يُباين ويُباعد عن مسلك دلاله التعريض بدرجه (١٨٠) درجه، فإنَّ هذا المسلك يجمد على حرفيه سطح الدلاله والألفاظ والنص فإنَّ مثل هذا المسلك وكذا مسلك مدرسه الألسنيات أو الحداثويات والفلسفات الحديثه الغربيه المسماه بالهرمونطيقيا - أو باللاتينيه تسمى بالهرمونتك - أو منهج التعدديه التى تسمى باللاتينيه - كواليراليس - وغيرها ويعبر عن جميع هذهِ المدارس الغربيه الحديثه العلمانيه بالحداثويات فى قراءه النص الدينى أو غيره، أيضاً هم يؤمنون بشىء من الغيب إلّا أنَّهم لا يتقيدون بقواعد وشواهد ودلائل عكس مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) التى تعتمد فى منهجتها على الدلائل والموازين والتحاكم إلى قواعد وانضباط.

وإنْ كانت هناك بعض المسالك الظاهريه يقبل السطح الظاهرى وشىء من الباطن والخفاء ويقف أيضاً عند حدٍّ معين إلّا أنَّه بالتالى لا ينطبق ولا يوافق مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) لا يقف عند حدٍّ يتعاقب ويترامى لكن شريطه أنْ يكون وفق موازين، وكلّ إنسانٍ حسب قدرته فى بيان الدلاله الخفيه واستنطاقها وهنا تتميز قدره المعصوم التى لا تقف عند حدٍّ معين؛ لأنَّها بتسديد وحيانى ولديه علم لدُنى وبين القدره المحدوده لغير المعصوم، فإنَّ المعصوم يتميز بسعه آفاق العلم الذى عنده وبقابليه

الاختزان الذى وَرَدَ وصف المعصوم بذلك فى أحد بنود زياره أمير المؤمنين:

«السلام عليك يا خازن وحى الله وهذا الوحى الذى بُعث به سيد الأنبياء على طبقات غيبيه عديده، والناس تختلف قابليتهم فى استيعاب هذهِ العلوم والحيانيه على درجات».

الحقيقه لا تُحْجم:

لابدَّ من الالتفات إلى الفرق بين لا يُكلف الله نفساً إلّا وسعها وبيّن ما آتاها وأودع فيها من قدره وقوّه، ولكنْ على المُكلَّف الذى تتسع قدرته وسعته إلى حدٍّ معين عليه أنْ لا يقول أنَّ الحقيقه كُلّ الحقيقه هى منحصره بهذا الحدِّ الذى توصلتُ إليه وبمقدار سعتى وقدرتى، وسواء كان الفقيه المجتهد أو عالم الذرّه أو الفيزياء أو الكيمياء أو الطب أو... الخ وِسْعُه مُعيَّن ومحدد بهذا المقدار، ولكنْ عليه أنْ لا يقول أنَّ الحقيقه هى بهذا الوسع وإنَّما يقول: - توصلتُ إلى مقدار من الحقيقه بحسب وسعى وقدرتى المعينه؛ لأنَّ وسع الحقيقه ووعاؤها سعته عظيمه، بخلاف ما يدركه المعصوم (عليه السلام) من الحقيقه التى أعظم وأعظم بكثير مما يُدركه ويكتشفه غير المعصوم.

لأنَّ من أخطأ الأخطاء الفادحه أنْ يُحدد الإنسان حجم الحقيقه بجد حجم سعه نفسه وقابليتها، ومن الخطأ كذلك أنْ يحدد الإنسان غير المعصوم سعه قابليه وحقيقه نبى الله المعصوم بحسب نفس وقدرات تلك النفس المحدوده الضعيفه، ويقول: - أنا أستطيع أنْ أحدد وأنهى مَعرفه حقيقه سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) مثلاً بحسب حد نفسى، وإنَّما لابدَّ أنْ يقول: - إنَّ

هذا ما استطعتُ إدراكه بحسب قابليتى الذهنيه وقدراتى، وهذا ما استطيع إدراكه وما غاب عنى فأكثر.

ولذا يقول القرآن وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی وَ ما أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِیلًا۱ و لا تُکَلَّفُ نَفْسٌ إِلاّ وُسْعَها۲ وإذا تكلَّف الإنسان بما وراء سعته تصير محل مؤاخذه وعتاب على الإنسان.

إذنْ درجات وطبقات حقيقه نظام الدلاله فى القرآن لا يقف عند حدٍّ وإنَّما يقف عند قدراتنا وهذا أمرٌ آخر، ولذا من أحد المؤاخذات التى تؤاخذ على المناهج الفلسفيه سواء منهج مدرسه المشاء أو الإشراق أو الحكمه المتعاليه، أو المدارس الفلسفيه الغربيه الحديثه وإنْ كُنّا لا ننكر أنَّه يوجد فيها جانب سليم ونحترم ذلك إلّا أنَّه من الخطأ فيها أنَّها نتاج عقلى بشرى أنْ نجعل نتاجها تمام الحقيقه، أو أنَّه وحىٌ منزل وهذا خطأٌ؛ لأنهم يعرفون الفسلفه: بأنَّها معرفه الحقيقه وحقائق الأشياء بقدر الوسع البشرى وهذا يلازمه أنَّ الحقيقه وبحسب سعه الإنسان على عكس ما تذهب إليه مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) التى تقول:

إنَّ حقيقه الأشياء أوسع من أنَّ تُدرِك بعقل بشرى محدود ويقف عند حدٍّ معين عند غير المعصوم (عليه السلام) وعليه فليس كُلّ ما فى الحقيقه أنحصر بالفلسفه، وليسَ كُلّ الفلسفه قدْ استوعبت أو أدركت كُلّ الحقيقه.

وبالتالى كيف يسوغ لك أنْ تجعل المنهج الفلسفى هو المنهج الوحيد

الحصـرى لإدراك تمام الحقيقه بحسب تعريفهم للفلسفه وأنه بها تُدرك تمام حقائق الأشياء وأنَّ الفيلسوف يعتمد فى كُلّ نتاجه على ملاكـات وإدراكات العقل البشـرى، من دون الاعتراف من قبل الفيلسوف بجانب الوحى، فهـذا غيرُ صـحيح فإنَّ أمر الوحى شىء آخر وسعهٌ أُخرى.

ص:٣١۴

إشكالات على مبحث التعريض

اشاره

من الواضح إنَّ تحليل النص الدينى وتداعياته والإشكالات التى توجه إليه لا تقتصر على علم التفسير فقط، وإنَّما تتعدى إلى علم الفقه والعقائد والرجال والكلام فإنَّ كُلّ هؤلاء كما سيتضح يتجنبون الغور فى تحليل النص الدينى، ولذا قال الزمخشرى صاحب تفسير الكشّاف - ويعتبر الزمخشرى من الذين يُتابعون الدلالات الخفيه فى تراكيب استعمالات القرآن الكريم فى تفسير كُلّ مجمل - [إنَّ أسرار التنزيل ورموزه فى كُلّ باب بالغه من اللطف والخفاء حدّاً تدق عنك حظك العالى] وهذا معناه أنَّ المُفَسِّر يحتاج إلى بذل مزيد تركيز ومع ذلك تزِّلَ عنه عيناه.

وبعضهم ذهب إلى أنَّ الخفاء يتوقف على أعمال التأمل والرويّه والانتقال من سطح الظاهر إلى الأعماق والغور بها وليسَ الخفاء لكثره الوسائط والانتقالات وإنَّما المهم الوصول إلى النتيجه وفق قواعد وموازين وإنْ كانت الوسائط لها دور ولا تُنكر إلّا أنَّ الوسائط سواء كثُرت أو قلَّت ليسَ هى كُلّ شىء وإنَّما دورها كعامل مساعد.

وهذهِ الإشكالات للحشويه أو الظاهريه(١) أو مسلك السلفيه والأخباريه بلْ حتَّى من بعض الأصوليين: -

الإشكال الأوَّل: إنَّ الإغراء بالتعريض والتأويل يستلزم استنتاجات ذوقيه مزاجيّه - أى حسب مزاج الشخص - بحسب الصيغه الفكريه

١- (١) المراد من الظاهريه هم شبيه بالإخباريه الذى لا يعتمد على تحليل صناعى.

للمُفَسِّر فإنَّها تنعكس على استنباطه لاسيما فى باب التعريض والتأويل والدلالات الخفيه، وبالتالى لا يُعدَّل على الدلاله الخفيه المستنبطه ولا حجيه لها؛ لأنَّ مفاد الآيه إذا كان خفياً فهو ليسَ بحجه؛ لأنَّه مفادٌ تخرصى وتهجسى إلّا أنْ يثبت بنص شرعى تعبدى فيؤخذ به.

أمَّا استنطاق الآيات والسور للوصول إلى المعانى والمداليل المستنطقه الخفيه فإنَّ مثل هكذا استنطاق خاطئٌ وكافر؛ لأنَّه لا يستند إلى قواعد علوم اللغه العربيه وتمسكوا لدعوتهم وإشكالهم هذا بعدَه أدلَّه: -

الدليل الأوَّل: إن خطاب الدين الوحيانى يُخاطب به عموم الناس، وإذا كان كذلك فلابدَّ أنْ يكون الميزان والمعيار هو قدره وقابليه تحمل عموم عقليه الناس وأهل اللغه العربيه بأنْ يستطيعوا أنْ يتحملوا فَهْمَ واستخراج هكذا خطاب فيه معانٍ ومضامين غير ظاهره ومستبطنه وخفيّه؛ لأنَّ الخطاب إذا كان خفياً ومستبطناً لا يصل إليه إلّا آحاد الناس - أى الأوحدى منهم - وعليه فهم هكذا خطاب يكون فيه دلالات خفيّه لمْ يكنْ فهماً متعارفاً للحوار الكلامى والخطاب الإلهى، وإنَّما هو تهجسات ذوقيه فلا يُعوَل عليها.

الدليل الثانى: إنَّ الظهور العرفى أمرٌ ظاهرٌ وبيِّنٌ يتعارف عليه أبناء اللغه، أمَّا إذا كان خارجاً عن فهم أبناء اللغه والعرف فهو ليسَ بظهور عرفى وإنَّما هى تكلفات يُحَمَّل بها النص الدينى.

الدليل الثالث: وهو قريب من الدليل الثانى - أنَّ الدلاله المُستنِده إلى قواعد اللغه العربيه المفروض أنها دلاله دليل مُرشد وموصِل، فكيف يوصَف بالخفاء؛ لأنَّه معنى دلاله الظهور الحجه هو ما يوصلك ويدلك

على المطلوب؛ لأنَّ كل ما يُخفى ويحجب عنك فهو ليسَ بحجه.

الدليل الرابع: إنْ القرآن الكريم نزل ببيانٍ مُبين واضحٍ ونور وهُدى فكيف يكون فيه خفاء وإبطان؟.

الدليل الخامس: إنَّ مبحث التأويل والدلالات الخفيّه يوجب التلاعب فى نصوص الدين ونصوص القرآن الكريم والأحاديث والروايات وبالتالى يكون الاستنتاج كُلَّهُ ذوقى ومزاجى.

الجواب عن الإشكال الأوَّل: يجاب عن الإشكال الأوَّل بأدلته الخمسه بعدَّه أجوبه.

الجواب الأوَّل: لو سَلَّمنا ذلك فإنَّه لا يستلزم سدّ باب التعريض أو التأويل، بلْ غايه ما يلزم أنَّه يجب أنْ ينضبط باب التعريض والتأويل وفَهْم باب الدلالات الخفيه للنص الدينى بأسس وموازين ذلك العلم، وهذا لا مانع منه إذا كانت هناك ضوابط يسير عليها الذى يدخل ويستعمل باب التعريض والتأويل حتّى لا يقع فى محذور المزاجيه والهلوسه وما شاكل ذلك.

لا أنَّه لأجل أنْ نتفادى هذا المحذور نقوم بغلق أصل باب التعريض أو التأويل أو التلميح أو التنبيه أو الإشاره أو باب الدلاله الالتزاميه.

الجواب الثانى: لو كان باب التأويل ليسَ باباً علمياً وأنَّه بابٌ عاطل ومتروكٌ فلماذا شَيَّدَ القرآن الكريم أركانه فى الآيه المباركه وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ١ ، ولماذا استحباب التأويل فى سور متعدده وجعل

القرآن الكريم جزء مهم وكبير من حقائق القرآن واقعه فى منطقه التأويل لا فى منطقه الظهور البدوى وإنْ كانت هناك مساحه مهمه من القرآن واقعه فى ساحه الظهور والبيان إلّا أنَّه من الإجحاف بحق القرآن حصره فى منطقه الظهور فقط، بلْ القرآن الكريم يعمل على كلا المنطقتين وما وقع فى منطقه التأويل أجل وأعظم، وعليه ما فائده الظهور إذا كانت منطقه أضيق وأقلَّ من الخفاء.

والقرآن الكريم يشدد ويُصرُّ على أنْ جزءاً وافراً من حقائق الكتاب العزيز مودعه فى التأويل، كما فى الآيه المباركه وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ أو قوله تعالى يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ١ وغير ذلك من الآيات، وليسَ هذا فقط فى تفسير القرآن، بلْ حتَّى فى فقه الفروع نفسه يأتى.

ويؤكِّد هذا ما قاله الإمام الصادق (عليه السلام)

«حديث تدريه خيرٌ من ألف حديث ترويه، لا يكون الرجلُ منكم فقيهاً حتَّى يَفرِّق معارض كلامنا، وإنَّ الكلمه من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهاً لنا من جميعها المخرج»(١).

الفقيه هو الذى يَفْهَم لَحْنَ المعانى أى معانى الألفاظ بنظره هندسه معانى لا بصروه مزاجيه خلطيه.

هذا ولا يزال إلى يومنا هذا بعض الفرق المنحرفه فكرياً فى الإسلام وأصحاب السَيْر المعنوى القلبى تشابهت عليهم الأمور وأُبهمت بعدما أغلقوا باب التأويل ويتصورون أنَّ رواه الحديث هم الذين يروون نفثات وشغفات القلب والنفس الثاقبه، وإذا سألت مفسرهم من أين لك هذا

١- (٢) الكافى ج ٨، للكلينى؛ معانى الأخبار للصدوق؛ خاتمه المستدرك، ج ١.

التفسیر، یُجیب: هذا ما أفاضه سیرُ القلب، ولا یزال بعض الناس وللأسف یعتقدون بهکذا صنف من البشر من أنهم عندهم استرسال فکری ویتخذونه وحیٌ منبری عن رب العالمین، وأنهم أصحاب مقامات معنویه ویُنذرون عمّا فی الغیب، وهو وإنْ کان بوابه إلی بحور عظیمه من الغیب، إلّا أنَّه قدْ یؤدی بغیر أهله إلی الانزلاقات والغرق فی بحر الجهاله والعمایه.

ولا یُفهم من هذا الکلام أنَّنا نغلق الأبواب أمام أصحاب هکذا ادّعاء، ولکنْ فی نفس الوقت علیهم بالوسطیه والمعادله والتوازن أی لا إفراط ولا تفریط، وَ لا یَجْرِمَنَّکُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلی أَلّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوی۱.

الجواب الثالث: وهو جواب عن الدلیل الأوَّل – من قال بأنَّ الدین برمته مخاطب به عموم الناس، نعم نُسلِّم أنَّ الفصول الضروریه للدین یخاطب بها عموم الناس، أمَّا الفصول المترامیه الأطراف والواسعه من الدین لا نُسلِّم مخاطبتها لعموم الناس؛ لأنَّه لیسَ کُلّ فصول الدین برمتها مبتذله وجاهزه تحت متناول أیدی وعقول عامّه الناس، وهناک من قال [حسبنا کتاب الله] هل عنده قناعه تامه أنَّ الکتاب کُلَّهُ ظاهره ومنسوخه... کُلّ ذلک تحت متناول یده وأنَّه قدْ أحاط به کُلَّهُ؟.

الجواب: عن ذلک یتضح مما سبق وأنَّ هذا الأمر منحصر بالنبی (صلی الله علیه و آله) وعترته أهل بیته (علیهم السلام) والذی یدعی ویقول [حسبنا کتاب الله] أنَّ یُجیبنا ما معنی الآیات القرآنیه التالیه: –

۱ – قوله تعالی: وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ۲.

۲ – قوله تعالی: لا یَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ۱.

۳ – قوله تعالی: بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ۲.

۴ – قوله تعالی: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ۳، فالباری عز اسمه بواسطه أولیائه یبین ویفسر لنا القرآن ولیسَ البشر.

۵ – قوله تعالی: وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الذِّکْرَ لِتُبَیِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَیْهِمْ۴.

۶ – قوله تعالی: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ۵.

۷ – قوله تعالی: أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلی قُلُوبٍ أَقْفالُها۶.

۸ – قوله تعالی: وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ۷.

۹ – قوله تعالی: قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی۸.

۱۰ – قوله تعالی: وَ فَوْقَ کُلِّ ذِی عِلْمٍ عَلِیمٌ۹.

۱۱ – قوله تعالی: وَ ما أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِیلاً۱۰.

۱۲ قوله تعالی: هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ۱.

إلی عشرات الآیات الکریمه التی تبین أنَّ طبقات العلم وطبقات الخطاب القرآنی منه طبقات علویه مکنونه فی کتاب مکنون، محفوظه فی اللوح المحفوظ لا یمسُّه ویتناوله إلّا ثله خاصه وهم المطهرون، نعم بعض درجات وطبقات تنزیل الکتاب یخاطب به العموم.

وهذا أمر مهم وأصل أصیل قدْ غَفَلَ عنه کبار المحققین.

وهکذا الروایات الوارده عن أئمه الهدی (علیهم السلام):

«إنَّما یعرف القرآن مَن خُوطِب به»(۱) وهذا معناه أنَّه بعض طبقات الخطاب القرآنی لیسَ خطاباً موجّه للکل وإنَّما هو للقله الرائده البارزه من البشر الذین اصطفاهم وهم بدورهم بعد ذلک یُوَّصلون المعلومات بشکل مخفف إلی بقیه البشر.

أی أنَّ التوراه لا تفهم من دون مرکزیه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) فإذا أراد أهل التوراه من الأحبار وعلماء الیهود أنْ یفهموا التوراه علی حقیقتها وما هی علیه بنسق منظومی یجب أنْ یفهموا ولایه أهل البیت وأنَّ هندسه التوراه قائمه علی نظام مرکزی والنقطه المرکزیه فیه ولایه محمد وآل محمد - صلوات الله علیهم أجمعین -

وعلیه فلا ینتظم النظام اللفظی الاستعمالی حتّی فی التوراه - والتوراه بالعبریه أی الشریعه - فضلاً عن نظام المعانی ونظام الحقائق، وکذا فی الإنجیل - والذی یعنی بالعبریه هدیه الملکوت - لأجل أنْ یفهم النصاری الإنجیل فهماً معمقاً فعلیهم بمراجعه الصحیفه السجادیه وسیعرفون حلّ

۱- (۲) الوافی للفیض الکاشانی، ج ۲۶، والکافی للکلینی، ج ۸.

كثير من العقد فى الإنجيل لم يستطيعوا فك طلسمها ورموزها إلّا من خلال الرجوع إلى الصحيفه السجاديه.

وهـذا الكلام ليسَ مجرد ادعاءات ومصادرات، بلْ قارن علماء الأخلاق وعلماء الروح والفلسـفه و... الخ بين الإنجيل الصـحيح لا المُحرَّف وبين الصحيفه السجاديه، فماذا يجدون؟

مَن وصل إلى أوج الملكوت وسبَحَ فى بحر الملكوت سوف يُفرِّق بين قواعـد نظام الإنجيل وما أودع فيه وبين ما هو موجود فى القرآن الكريم والصحيفه السجاديه.

الجواب السادس: ترامى دلالات الألفاظ إلى طبقات ومراحل من الدلاله لا يُخرِج مداليل الدلالات المتعاقبه المترامیه والمتلاحقه عن الظهور، ومن الواضـح أنَّ ترامى العدول يعطى نفس أهل تلك اللغه - أى لغه كانت من لغات العالم - إمكانيه ألفاظ الكلام ويدل على أنَّ هذهِ اللغه تشـتمل على حلقات من المعانى وطبقات لا تخرج عن موازين قواعد علم اللغه، بلْ يمكن أنَّ يُقال أكثر من ذلـك فى عمليه النقـد الأـدبى إذْ يحـاول الأدباء - اليوم - أنْ يقرؤا شخصـيه المتكلم، وفى العلوم الإنسانيه يحاول العلماء أنْ يقرأوا شخصـيه المتكلم من خلال كلامه ويعرفون أخلاقه ويعرفون الكثير عن ملامح شخصـيته الروحيه والنفسـيه وقدراته العقليه ويعرفون ذلك من خلال قراءه كلماته أو سماع كلامه، وهذا ما أشارت إليه روايات أهل البيت (عليهم السلام)

«المرءُ مخبوء تحت طى لسانه لا طيلسانه»(۱) أى المرء مخبوء تحت طيات وفلتات لسانه لا تحت طيلسانه - أى ثيابه - ولا يتوهم

۱- (۱) الأمالى للصدوق، ص ۵۳۱، وله عيون أخبار الرضا/ ج ۲، ص ۷۸.

أحـدٌ ويقول: – هـذا مختص بعلوم القرآن والتفسير أو الفقه أو الحـديث أو العقائـد... الـخ وإنَّما يشـمل كل العلوم بما فى ذلك التجريبيه منها الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء و... الخ.

فمثلاً: علم الرياضيات كل طبقات البشر حتّى المتواضعه منها يدركون أهميه وضروره علم الرياضيات والحساب ولا يستغنون عنه من عـدٍّ وحسـاب الأرقام فى مختلف شؤون الحياه لا أقل فى محاسـبه وتـدبير إداره معيشـته وأسـرته و... فحينئـذٍ لابـدَّ من إعمال موازنه كل بحسب مقـدارها حاجته، فالـذى يعلم موازنه ماليه لتدبير دخله اليومى أو لأسـرته أو لدائره معينه أو حساب شـهرى أو سنوى أو.. فإنَّه يأخذ من الرياضـيات العمليات السطحيه الواضحه غير ما ياخذه العالم الفيزيائى أو الكيميائى أو المهندس لهندسه فضائيه الـذى يحتاج إلى أنْ يغور فى أعماق المعادلات الرياضـيه الصـعبه والمعقـده ويسـتخرج منها الـذى ينفعه ويؤدى مطلوبه، وعليه فاخذ مثل هذا الإنسان من الرياضيات يختلف عن أخذ الإنسان البسيط أو تلميذ الابتدائيه أو المتوسطه.

وبالتالى كُلٌّ يأخذ بحسب مستواه فإنَّ هناك قواعد ومعادلات رياضيه لا يدركها كل أحدٍ.

وهكـذا النقـد الأـدبى أوليس النقـد الأـدبى كـان عريقـاً فى اللغه العربيه وحتّى فى بـاقى اللغـات الأُـخرى غير العربيه كالانكليزيه والفارسـيه و... الـخ وما كان قبل الإسـلام تُعقـد فى سوق عكاظ من مباريات وسـجالات شـعريه ونقد أدبى لأصـحاب المعلقات السبع وغيرهم، ومن الواضح أنَّ هذهِ المعلقات السبع لم يخترها عموم الناس وإنَّما اختارها عموم أهل اللغه

والمتخصصين فى هذا المجال.

فالناقد الأدبى كان يعيش فى الجاهليه ما قبل الإسلام وكان مُؤهلاً لأنَّ يعرف عظمه القصيده الشعريه وتفوقها على قصائد عظام أُخرى، وكان الشعراء والأدباء وأهل اللغه ينتخبون كل سنه ناقدٌ وحَكَمٌ فى سوق عكاظ فى مِنى فى موسم الحج غير الناقد الذى كان فى العام الماضى وهكذا، وهذا يدلل على أنَّ بين النقاد فى الأدب العربى هناك تسابق بين النقاد ومباريات ومهاره فى الحذاقه للوصول إلى المعانى التى لا يصل إليها الناقد الآخر، مع أنَّ هؤلاء النقاد هم فى طبقه واحده التى تعتبر هى المرجع وقتها.

إذنْ مجالس النقد الأدبى التى تنعقد وقائمه على قدم وساق فى اللغه العربيه وبقيه لغات العالم إلى يومنا هذا منهى بين ثُلَّه خاصه وهم النقاد الأدبيون تجد بينهم مباريات، فالناقد الأدبى عندما يُحلل الكلام ويستخرج من الكلام معانٍ كثيره إلى ما شاء الله فهل يعتبر التفطن والالتفات إلى مثل هذهِ المعانى الدقيقه التى يستكشفها جليّاً ثم يدلل على ما توصل إليه بشواهد لا أنَّه يدعى مدعيات بدلائل خفيت على غيره وهو تفطن إليها فقط، وهذا نظير بعض المسائل المعقده والمشكله فى بعض العلوم كالمسائل والمعادلات الرياضيه فإذا حلَّها والتفت إليها النابغه والفطِن ويدلل عليها بشواهد تصبح سهلهً وواضحه بعدما كانت متوغله فى ظلمه النظريه.

وعليه فماذا نسمى مثل هكذا خفاء ثم ظهر لذلك قال البعض: -

«إنَّ الخفاء والظهرو والبطون صفه إدراكيه للعقل لا لنفس المُدرك»

الجواب الرابع: نظام التعريض مقابل نظام التصريح، ونظام التعريض فيه أقسام عدَّه:

منها: الكنايه فی الاستعمال القرآنی.

ومنها: المجاز فی الاستعمال القرآنی.

ومنها: الإيماء والإشاره والتنبيه و... الخ، وبعض كتب التفسير بعبورن عن دلاله الإشاره بالتفسير الإشارى أى الذى يتتبع ويتصيد ويُتابع ويجمع الإشارات الموجوده فی القرآن الكريم.

وبناءاً على ما وَرَدَ فی الحديث المنسوب لأمير المؤمنين (عليه السلام).

«العباره للعوام، والإشاره للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»(۱).

وعليه فلطائف القرآن إشاراته كلها تندرج تحت بحث ما وراء سطح العباره فی ألفاظ القرآن وليسَ نصاً ظاهِراً جلياً، وليسَ من الصحيح حصر فهم معانى القرآن بالعبائر فقط، إلّا أنَّ الوصول إلى هذهِ الطبقات للأقسام من العباره إلى الإشاره إلى اللطائف إلى الحقائق ليسَ بسهل وبصوره مباشره وإنَّما هناك سلالم وحلقات مستلسله ومترابطه وليسَ الأمر مزاجى أو جزافى، وإنَّما هناك نظام وميزان للوصول إلى تلك الأقسام وهذهِ الطبقات الأربعه موجوده، فوجود العباره للعوام من الناس ليسَ معناه أنْ طبقه الإشاره معدومه أو طبقه اللطائف معدومه أو الحقائق كلا وإنَّما هذهِ الطبقات موجوده وكل طبقه منها تعمل بمستوى معين من الناس.

الجواب الخامس: يمكن أنْ يكون هذا الجواب عباره عن قاعده تعدد الخطاب القرآنى هى أيضاً من قواعد نظام المعانى وسنبيِّنها فی محلها مفصلاً،

۱- (۱) بحار الأنوار/ ج ۹۲ ص ۱۰۳ ح ۸۱.

ولكن بما أنها مرتبطه بقاعده التعريض فى الحدود والنتيجه.

ومفاد القاعده: أى قاعده تعدد الخطاب القرآنى: - كون القرآن نظام خطابه لعموم الناس نُسَلِّم به، وأمَّا بالنسبه للبعض الآخر من الخطابات القرآنيه فهى للخواص أو للأولياء أو للأنبياء وعلى أثر هذا الكلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) بُيِّن بكلام أمير المؤمنين (عليه السلام).

ومن هذا يُعلَم أنَّ مستوى الخطاب القرآنى للبشر ليسَ على وتيره واحدَه بلْ مختلفه كما بينتها الروايه الشريفه.

وعليه فتعدد الخطاب القرآنى ليسَ معناه تجميد للقرآن الكريم فى بيانات أهل البيت (عليهم السلام) العلميه، فمثلاً: - لماذا أتى القرآن الكريم فى عديد من السور بالحروف المقطعه فى مثل سوره: يس، الم، المر، كهيعص، حم، طه، ن، ق و... الخ؟ ولعلّه - والله العالم - أهم فائده من وجود الحروف المقطعه فى السور القرآنيه هى للتدليل على أنَّ الخطاب القرآنى ليسَ على نسق وطبقه واحده بلْ هو متعدد، وعليه فأدل دليل على أنَّ طبقات القرآن متعدده هى خطابات القرآن المتعدده.

وليسَ الغرض من تعدد الخطابات القرآنيه الألغاز والإجمال، وإنَّما القرآن كتبا هُدى ونور فى كل طبقاته ولكل مَن خوطب به كلٌّ بحسب طبقته، فمثلاً فى قوله تعالى (يس) من هو المخاطب أو (كهيعص) أو (حم) أو (ألم)... الخ.

نعم، مجموع القرآن كُلَّهُ بطبقاته آياتٌ بينات وبيانٌ للبعض وهم

النبی (صلی الله علیه و آله) وعترته الطاهره بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ۱.

وهـذا ترابـط واضـح بین ولاـیه أهـل البیت (علیهم السـلام) وبین ولایه الله ورسوله، وإلقاء کُلّ منهما بظلاله علی قواعـد وأصول تفسـیر القرآن وأنَّهـا لاـ تقوم لهـا قـائمه سدیـده وصـحیحه إلّـا بالالتفـات إلی محوریه وقطبیه ومرکزیه ولاـیه أهـل البیت (علیهم السـلام) للمحکمات ومرکزیه المحکمات للمتشابهات وإلّا سوف تضـیع من بین أیدینا حتَّی أبسط القواعد فی الاستعمال اللفظی للقرآن الکریم.

وهذا ما أکَّد علیه الإمام الصادق (علیه السلام) فی تفسیر العیاشی

«ولایتنا قطب القرآن وعلیها تدور محکمات القرآن وعلیها تدور جمیع الکتب المنزله علی الأنبیاء»(۱).

وکذلک القرآن أشار إلی ذلک وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِی لَحْنِ الْقَوْلِ وَ اللّهُ یَعْلَمُ أَعْمالَکُمْ۳.

ونفس معرفه لحن قول المتکلم هی عملیه استظاهر منضبطه وصحیحه وعلی وفق قواعد وشروط مُثبته فی کُلّ فنٍّ.

بلْ یمکن أنْ یقال أنَّ علماء العلوم الحدیثه توصـلوا إلی أنَّ کثیر من علوم النفس تبتنی مباحثها وقواعدها علی نبره کلام المتکلم أی علی الألفاظ التی ینتخبها فی الکلام فهی وسیله حدیثه.

بلْ حتَّی فی التحقیقات الجنائیه والتحرّیات الأمنیه فإنَّه من خلال

۱- (۲) تفسیر العیاشی، ج ۱ ح ۸.

ألحان مداليل خفيّه للكلام يستطيعون أنْ يستجوبوا ويستنطقوا ويستخرجوا اعترافات من شخص من دون أنْ يقصدها... الخ.

وبالتالى كُلّ هذهِ الأمور تشكل ظهورات فى الكلام يتوصل إليها بموازين وقواعد لا على تهجسات وتخرصات.

فمجرد وجود خفاء ودلاله تعريض وتأويل لا يدعو ولا يستلزم عدم حجيّه تلك الدلاله الخفيه.

فلو لاحظنا نفس علماء البلاغه - علم معانى وعلم بيان وبديع - نلاحظ وجود سجالات فى اكتشاف تلك القواعد الصحيحه وكيفيه تطبيقها علماً أنَّها كلها فيها درجات من الخفاء والظهور ومع ذلك لمْ يستلزم خروجها عن الظهور.

جواب بالدليل الخامس عن الإشكال الأوَّل: تقدم الدليل الخامس وهو أنَّ مبحث التأويل والدلالات الخفيه يوجب التلاعب فى نصوص الدين ونصوص القرآن الكريم والأحاديث والروايات وبالتالى يكون الاستنتاج كُلَّهُ ذوقى -

والجواب: - هذا المحذور مُبرر له بمعنى أنَّ أسسه وقناعاته لا يمكن أنْ يكون الاسنتاج فيها عفوى قريحى، وإنَّما لابدَّ أنْ يكون مُنضبطاً ضمن موازين وقواعد ولا يعنى انضباطه ضمن الموازين والقواعد دليل على أنَّها جليّه للكل؛ إذْ لو كان معنى سلامه النتائج وسدادها لكان النتائج واضحه للكل وبالتالى تكون كُلّ بحوث العلم ونتائجه كلّها جهالات ومدعيات ومصادرات.

ص:٣٢٨

فنلاحظ انقشاع وتبدی الخفاء فی مختلف المسائل العلمیه فی مختلف العلوم جیلاً بعد جیل إلی جلاء ووضوح ضمن قواعد وموازین ومع ذلک لا یؤثر ولا یضر فی عملیه النتائج والاستنتاجات حتّی لو کانت خفیه.

فمثلاً ـ لو سمع أحدٌ من البشر قبل قرنین من الزمان - قبل اکتشاف الطائره - أنَّ معدن الحدید یطیر ویمتطی الهواء وهو یحمل المئات من البشر وآلاف الأطنان من المواد ألم یُسَفهوا عقله؟!

نعم یُسفّه لأنَّ الأمر کان خفیاً، وکونه خفیاً لا ـ ینافی حقیقته وحقّانیته ولم یَصُّد الخفاءُ البحث العلمی عن البحث والاکتشاف وتجلیته وما أکثر هذهِ البحوث العلمیه.

وعلیه مهما توغلت النتائج فی النظریه والخفاء وغیابها عن ذهن عامه البشر فلا یستلزم خفاء تلک النتائج أو الحقائق شریطه استنادها - النتائج - إلی الموازین والقواعد العلمیه ولنعم ما قال أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب (علیه السلام)

«لا تَستوحشنَّ من طریق الحق لقلَّه سالکیه»(۱).

وعلیه فلا تستوحش أیُّها الباحث الکریم من بعض المسائل النظریه المتوغله فی الإبهام إلّا أنَّه بعد البحث سرعان ما تنقشع تلک الظلمه وتصبح نیّره بنور البحث والعلم علی أفق قواعد وموازین منضبطه وسلیمه.

وکذا ما قاله الإمام موسی الکاظم (علیه السلام) لهشام

«یا هشام لو کان فی یدک جوزه، وقال الناس (فی یدک) لؤلؤه ما کان ینفعک وأنت تعلم أنَّها جوزه، ولو کان فی یدک لؤلؤه وقال الناس: أنَّها جوزه ما ضَرَّک وأنت تعلم أنَّها

۱- (۱) رجال الفکر/ ج ۲، للسید مرتضی الرضوی.

لؤلؤه»(۱).

وإنْ كان الإمام الكاظم (عليه السلام) ليسَ بصدد بيان الآيه المباركه وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلاّ هُوَ۲.

وإنَّما الإمام بصدد بيان أنَّه لا تُقام حقيقه الأشياء وعلميتها بالخفاء والظهور؛ لأنَّ هذا خفى على الناس فلا يعرفون ما فى يدك من جوهره أو حجاره وعدم معرفتهم؛ لأنَّه أمر خفى عليهم وهو لا يزلزل الواقع عمّا هم عليه من حقيقه علمك بالشى، بأنَّك تعلم ما فى يدك إنْ كان جوهره أو حجاره، فعدم معرفتهم لا يزعزع يقينك بأنَّ ما فى يدك هو أحدهما.

الخلاصه: ليكن عملك مُسْتَقى من دلائل وقواعد وموازين علميه متسلسله وسليمه ومنتظمه، لا أنَّ ميزان علمك على قبول الناس وعدمه وجلاء أو خفاء الشىء لدى الناس، وإنَّما ليكن انطلاقك من منطق علمى رائد وشامخ وهو ما قاله أهل البيت (عليهم السلام) قبل أربعه عشر قرناً ما مضمونه

«إنَّ العلم لا يعرف وحشهً ولا أُلفهً» وإنَّما يعرف العلم التنقيب والفحص طبق آليات وموازين وقواعد.

إذنْ: - إذا أردت العلم فاخلص له فإنَّ العلم صديقه الدليل والقواعد الصحيحه لا الظهور والخفاء.

الإشكال الثانى: لو فرضنا أنَّ المتكلم غير ملتفت لهذه الدلالات والمعانى الخفيه التى يستبطنها كلامه وعليه فكيف يُخرِّج فى حقه مبنى أنَّ

۱- (۱) ابن شعبه الحرّانى، تحف العقول، ص ۳۸۶.

الكلام له سبعين وجهاً وله سبعين بطناً وأنه حجه فی حقه - غير الملتفت - فهناك بعض الكلمات التی تُرصَد على المتكلم يمكن استخراج ملفات كثيره جداً إلى ما شاء الله لمْ يكنْ يقصدها تفصيلاً، إلّا أنَّه يمكن أنَّ يُقال أنَّها مقصوده له إجمالاً وارتكازاً ومن الواضح كما تقدم وننبه عليه الآن إلى أنَّ هذا الكلام لا يختص بعلم التفسير فقط، بلْ يتعدى إلى علم الفقه فإنَّ الفقهاء يذكرون استنتاجات واستظهارات من دلالات خفيه بناءاً منهم على مبنى أنَّ المتكلم خاصه إذا كان معصوماً فإنَّ كلامه يتحمل ويقصد هذهِ التفاصيل والمعانى الخفيه.

فی كلام الله تعالى وكذا فيمن استخلفهم الله جل وعلا على البشر فلا يتطرق إليهم الجهل فإنَّ الله تعالى يزودهم بالعلم اللدنى وهذا لا كلام لنا فيه.

وهناك مسلك آخر: - حصر فيه البعض حجيه الظهور فيما لو قصد المتكلم تفصيلاً وهذا المسلك فيه ما فيه.

أيضاً يوجد مسلك ثالث وهو مسلك صحيح ومعتمد ومتين وحاصله: -

الجواب: إنَّ الارتكاز الإجمالى للمعلومات والمعانى والدلالات الخفيه يكفى للاعتماد عليها وإنْ لمْ يلتفت إليها المتكلم ويتدبرها ملياً وإنَّما يكفى أنْ تكون مرتكزه فی خلده وهذا له أمثله عديده منها: -

مثال: قراءه علماء التأريخ لقطعه تأريخيه مأثوره لأجل معرفه تأريخ أقوام شعوب البشر فيستنتجون عدَّه أمور منها: -

١ – معرفه اقتصاد تلك الحقبه وما هى حاله الاقتصاد آنذاك.

٢ – معرفه النظام الأخلاقى فى تلك الحقبه.

٣ – معرفه الوضع القانونى فى المجتمع من خلال قراءه تلك الحقبه وكيف كانت فى تلك القرون الغابره؟

فبعض البارعين فى علم القانون مثلاً استعرض جزءاً من مقطع تأريخى لقريش قبل الإسلام واستنتج أموراً منها:

١ – أنهم كانت لديهم بنود قانونيه تحترم كرامه الإنسان أكثر مما يمارسه البعض فى زماننا.

٢ – إنَّ المرأه محترمه لا يدخل عليها ما يدخلها الآن من الابتذال والهوان والحط من كرامتها وشخصيتها.

مثال ٢: بعض العلماء البارعين والماهرين فى الجانب الأمنى والاستخباراتى لو قرآ الآيات القرآنيه الخاصه بالجانب الأمنى، نلاحظ كيف يستنطق الوصايا الأمنيه فى القرآن غير ما يستظهر المُفَسِّر أو الفقيه، والسبب فى ذلك – هو أنَّ التفات ذلك العالم البارع فى العلوم الأمنيه لبنود معينه فى القرآن لمْ يلتفت إليها الفقيه أو المُفَسِّر.

فاستنطاق الجانب الأمنى والبنود الأمنيه من خلال لقاء موسى (عليه السلام) بالخضر (عليه السلام) ويلاحظ البرنامج الأمنى الذى يراعيه الخضر (عليه السلام) ويشرحه لنا القرآن الكريم ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ١. عن اليمين وعن الشمال.

ویستنتج منها دلالات ومعانی خفیه.

الإشکال الثالث: بعض المذاهب الإسلامیه حاولت - ولکنْ لمْ تفلح - فی أنْ تجعل مصدر طعن علی مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) فی أنَّها تنتهج المنهج التأویلی وأنَّها مدرسه باطنیه وفیها جانب خفاء وأنَّها تتوسع فی منهجها الدلالی فی قراءه النص الدینی، وحاول کثیر من علماء الجمهور عندما ترجموا شخصیه الإمام الرضا (علیه السلام) مثلاً ترجموها بإجلال وإکبار وإعظام وکانوا یثنون علی شخصیته بالمدح والثناء وأنْ سید النبی (صلی الله علیه و آله) فی زمانه ویعترفون بسلالته وأنه وافر العلم وأنه... الخ.

إلّا أنهم حاولوا أنْ یسجلوا مؤاخذه علی الإمام الرضا (علیه السلام) هم بسحب فهمهم یتصورون أنَّ الإمام (علیه السلام) یأتی بالغرائب عن أبیه الکاظم بتفسیرات وأمور خفیه ومن الواضح أنَّ الإمام الرضا (علیه السلام) من الأئمه الذین سنحت لهم الفرصه أنْ یعقد مؤتمرات لعلماء ومفسری وفقهاء وفلاسفه وعرفاء ومتکلمی و.. المذاهب الإسلامیه الأُخری تحت إشراف ورعایه وتدبیر الدول العظمی فی زمانها ألا وهی الدوله العباسیه التی کانت تضم خمسه وخمسین دوله من شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها - لکی یبین حقائق کنوز علوم أهل البیت (علیهم السلام) وهذهِ الأمور التی بیَّنها الإمام (علیه السلام) کانت خفیه علیهم وأظهرها لهم الإمام الرضا (علیه السلام) لذا استغرب وجعلها غریبه الجانب الآخر.

الجواب عن الإشکال الثالث: یصلح الجواب لهذا الإشکال ما رواه الصدوق بسنده عن الحسن بن الجهم، قال: - حضرتُ مجلس المأمون یوماً وعنده علی بن موسی الرضا (علیه السلام)، وقدْ اجتمع الفقهاء وأهل الکلام من

الفرق المختلفه فسأله بعضهم، فقال له: يا بن رسول الله بأى شىء تصحّ الإمامه لمدعيها؟ قال بالنص والدليل، قال له: - فدلاله الإمام فيما هى؟ قال فى العلم واستجابه الدعوه، قال فما وجه أخباركم بما يكون؟ قال: ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله (صلى الله عليه و آله)، قال: فما وجه أخباركم بما فى قلوب الناس؟ قال (عليه السلام) له: أَمَا بَلَغَكَ قولُ الرسول (صلى الله عليه و آله) اتقوا فراسه المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله، قال: بلى، قال: وما من مؤمن إلّا وله فراسه ينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه وقدْ جمع الله الأئمه منّا فرقه فى جميع المؤمنين، وقال عز وجل فى محكم كتابه إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ - الحجر/ ٧٥ - فأوَّل المتوسمين رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم أمير المؤمنين (عليه السلام) من بعده ثم الحسن والحسين والأئمه من ولد الحسين (عليهم السلام) إلى يوم القيامه، قال فنظر إليه المأمون، فقال له: يا أبا الحسن زدنا مما جعل الله لكم أهل البيت، فقال الرضا (عليه السلام): إنَّ الله عز وجل قدْ أيدنا بروح منه مقدسةً مطهَرةً ليست بملك لمْ تكن مع أحد ممن مضى إلّا مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) وهى مع الأئمه منّا تسددهم وتوفقهم وهو عمود من نور بيننا وبين الله عز وجل..

بتقريب: إنَّ الإمام الرضا (عليه السلام) نلاحظه كيف يغور فى حديث نبوى أصيل فى بيان دلالات خفيه لهذا الحديث الشريف ويثبت هذا الحديث الشريف: - أنَّ هناك نور أعظم من العرش الرحمانى يرتبط ببعض الصلحاء من البشر وأنهم حبل الله الممدود وسفراء الله فى خلقه.

فنلاحظ بوضوح كيف يُفسِّر الإمام (عليه السلام) الحديث بالتعريض والتلويح فى مسأله نور [الإيمان للمؤمن وفراسه المؤمن، فهذه أمورٌ ودلالات خفيه يستظهر منها المؤمن أموراً يمكن له ترتيب الأثر عليها إذا كان قدْ استعمل

آليات استظهار واستنباط الإشارات الخفيه بصوره منضبطه وتحت قواعد وموازين صحيحه.

ولكنْ سبحان الله سرعان ما تبدل ذلك الطعن إلى مدح وصفه إيجابيه تدل على الغور فى الأعماق وعالم التحليل بعدما انتشرت لدى البشر تعدد القرارات للنص الواحد ما يسمى بالمصطلح (الهرمونطيقيا) أى فلسفه الألسنيات والحداثويات، وأصبح من البديهى لدى عقول البشر أنَّ النص الواحد له أعماق وطبقات وباستطاعه العقول البشريه الغور والوصول إلى الحقيقه فى النص الوحيانى تختلف درجه الوصول باختلاف قدرات البشر.

وعليه أصبح من الواضح لدى المثقفين من إخواننا أهل السنه هذهِ الأمور التى هى أساس منهج مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) التى هى مهد الحضاره والعلم والتحليل والتدقيق والعمق بحق، بعد أنْ راجت وللأسف بعضهم روَّج لها ثم انخدع بها - فى الغرب فلسفه الألسنيات التى هى موجوده لدينا قبل أنْ تترعرع عندهم قبل العقود الأخيره من القرن العشرين الميلادى، إذْ لا تجد مدرسه تحتفى وتهتم بمباحث الألفاظ فى قراءه متن النص اللفظى أى أسس وأصول الفقه والفهم مثلما هو موجود فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) والباب مفتوح أمام علماء القانون وغيرهم فى شرق الأرض وغربها فى كيفيه منهجه قراءه القانون ليدلوا بدلوهم وفى المقابل لتدلى الحوزات الشيعيه بعلمائها ومفكريها وفضلائها من مذهب أهل البيت (عليهم السلام) الأثنى عشريه ليرى من هو الأوفر دلواً وصدقاً.

الإشكال الرابع: إذا كان بحث الظهور والتأويل والدلالات الخفيه من المباحث المهمه جداً فى مصادر الوحى كالقرآن والسنه المطهره

للمعصومين (عليهم السلام) فكيف يكون للدلاله الخفيه أعلام وإيصال وكشف عن الخفى أو عمّا هو أخفى منها، فإنَّ البعض يستصعب تصور إنَّ الدلاله إذا كانت خفيّه فهى إذنْ ليست ظاهره وإنْ لمْ تكن الدلاله ظاهره وكانت خفيه فكيف تكون كاشفه عن الخفى أو ما هو أخفى منها، وبالتالى كيف يكشف الكاشف الخفى عن المُنكشف الأخفى، والحال أنَّ المشهور كيف يجمعون على أنَّ الدلاله بين كونها دلاله كاشفه مُجليه وهى خفيه تحتاج لمن يُجَّليها والمعروف أنَّ الجلى والظاهر يكشف عن الخفى لا العكس، إذنْ كيف هى دلاله وهى خفيّه لأنَّ نفس الدلاله مأخوذه فيها الظهور الوضوح.

الجواب على الإشكال الرابع: من الواضح أنَّه لا يوصل إلى الباطن إلّا من خلال الظاهر، وهذهِ الدلالات الخفيه تترامى فى الخفاء وتتسلسل إلّا أنَّ المنطلق الأساس الثابت والرصين لهذه الدلالات لابدَّ أنْ يبتدأ من منصه الظاهر وبخطوات موزونه وبقواعد وحلقات توصل إلى الطبقات الخفيه.

وبعد هذا نقول: إنَّ الخفاء على طبقات وهذهِ الطبقات فيها الخفى وفيها ما هو أخفى وأخفى، فإنَّ القليل فى الخفاء إذا وصل إليه العقل والإدراك فهو بدوره يكشف عما هو أخفى منه وهذا أشبه ما يكون بطبقات الأرض فكلما نصل إلى طبقه فهى بدورها سطحٌ ساتر للطبقه التى هو تحتها إلى الباطن، وعليه فلا تنافى بين القول بأنَّها دلالات وبين كونها خفيه، وعليه يتضح أهميه وضروره الطبقه الأُولى الظاهره فى الدلالات كذلك أهميه علم التجويد فى علم قراءات القرآن ونظام العلوم القرآنيه وأهميه التجويد؛ لأنَّه يتعامل مع ألفاظ المصحف الشريف فبعدأنء نثبت

ألفـاظ المصـحف ثم نبـدأ بمحاسـبات العلوم الأـخرى للألفاظ كعلم النحو والصـرف والبلاغه وعلوم فقه اللغه ونحت اللغه وعلم الاشتقاق... الخ.

وكذلك أهميه علم الحديث وعلم الدرايه فإنَّه يضبط ألفاظ الحديث ثم علم النحو والصرف وعلم اللغه العربيه.

وعليه فالعلوم تتناول ظاهر القرآن وهى علوم ضـروريه ولا يمكن الاستغناء عنها فى حين أنَّ منهج تفسر أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) يؤكِّد على خطوره المحكمات وأهميه طبقات المعانى وحقائق القرآن ووجود الطبقات الخفيه وما لها من الأـهميه الكبيره ومع ذلـك فـإنَّ منصه الظاهر الأُولى للألفاظ لا يُسـتغفل فى منهـج أمومه المحكمات؛ لأنَّ وراءها منطلق لما وراءه وهكذا.

كيف يفرق الباطن بالظاهر:

لاـ إشـكال فى أنَّ لكـل ظـاهر بـاطن لأـنَّ نفس معنى كلمه الظـاهر مأخوذٌ بها معنى البطون فلا يُقال ظاهر إلّا ويتبعه وجود باطن، فمثلاً فى اصـطلاحات علوم القرآن يوجد مثل مصـطلح علم المصحف والتصحيف ومعناه تثبيت رسم الألفاظ القرآنيه وحركاتها وكيفيه أداءها وتلحظ من جوانب عدَّه أُخر، فمثلاً ضـبط رسم الكلمه والتثبيت منه هو ظاهر يؤثرعلى المعنى والدلاله الخفيه لهذه المفرده، ونحن نريد الوصول إلى الباطن والمعنى الخفى من خلال سلوك الطرق العلميه واستعمال القواعد والموازين العلميه فى الوصول إلى صـحراء الباطن والخوض فى عالم الدلالات الخفيه واسـتخراج المعانى التى يمكن ترتيب الآثار عليها والوصول إلى الحقائق، ولا نريد الوصول إلى تلك الحقائق من خلال

العرفان العملی، والفرق بین المسلکین - أی مسلک القواعد العلمیه للوصول إلی الدلالات الخفیه والمعنی الخفی وبین مسلک العرفان العلمی للوصول إلی عالم الدلالات الخفیه والمعنی - واضحٌ إنَّه علی الثانی - مسلک العرفان العملی - لا یرید سالکه أنْ یصل إلی الحقائق عن طریق تعلم علوم الحدیث والتفسیر والمعارف الموجوده فی الآیه أو الحدیث، والشخص الذی یرید الوصول إلی الحقائق عن طریق مسلک العرفان العملی مهما زاول من ریاضات فإنَّه لمْ یصل إلی الحقائق بمثل ما وصل إلیه سید الأنبیاء (صلی الله علیه و آله) وکذا سید الأوصیاء والأئمه (علیهم السلام) وهم قدْ جُعلوا السبب فی الوصول إلی تلک المراتب العالیه، وجُعلوا (علیه السلام) حبل الله والثقلین، ومَن أراد الوصول إلی الحقائق عن غیر هذا الطریق الذی جعله الله تعالی وهو طریق القرآن وطریق تعلم علوم آل النبی (صلی الله علیه و آله) بهجر علومهم (علیهم السلام) وأحادیثهم الموجوده فی المصادر، واعتمد فقط علی الریاضیات الروحیه والعقلیه الفکریه الفلسفیه ویحاول أنْ یطیر الإنسان بهذین الجناحین الضعیفین أی جناح العقل المحدود وجناح القلب الضعیف فإنَّه لا یتمکن الوصول إلیهما إلی کُلّ الملکوت بهذا العقل الجزئی وبالقلب الوضیع الوسطی، وعلیه فیستحیل ولا یتمکن أنْ یطیر الإنسان من دون أنْ یستمسک بالحبل الذی أتی به الأنبیاء (علیهم السلام) وعلیه فبدایه الحبل جعل الله تعالی أطراف منه عند الناس بواسطه النبی (صلی الله علیه و آله) الذی قال:

«إنی تارک فیکم الثقلین».

الخلاصه: إنَّ المنطلق الأساسی الثابت والرصین للوصول إلی عالم الدلالات الخفیه هو لابدَّیه الانطلاق من منصه الظاهر والسیر بخطوات موزونه مُقعده بقواعد وحلقات توصل إلی المعانی الخفیه والأخفی.

وبعد هذا یتبین الجواب عن أنَّها کیف دلالات وهی خفیه؟

فيقال فى الجواب: هى خفيه بالقياس إلى ما هو أجلى منها؛ لأنَّه كما تقدم إنَّ الجلاء فيه درجات والخفاء فيه درجات وكلّ من الجلاء والخفاء نسبى باعتبار أنَّ الظهور والخفاء - كما مَرَّ - صفتان لإدراك الإنسان قبل أنْ تكونان صفتان واقعيتان للمعلومه بما هى حقيقه عينيه ترتبط بإدراك الإنسان، بانه كلما فُعِّل إدراك الإنسان أكثر فأكثر كلما استوضح الطريقه لديه أكثر فأكثر فإنَّه يُستوضح لديه الطريق بقدر ما أُبهم وأُظلم الطريق على غيره، ومن الواضح أنَّ ظلمه الطريق على غيره لا يُنافى إناره وظهور الطريق لديه.

ص:٣٣٩

هل الولوج فی باب التأویل حکراً علی فئه من الناس

اشاره

لعلَّ البعض یتصور أنَّ الولوج فی باب التأویل والتعریض والدلاله الخفیه حکراً علی فئه من الناس، وهذا تصورٌ خاطئ، ولکنْ فی نفس الوقت هناک بعض الناس یقتحمون باب التأویل بأراجیف وتهجسات وأهواء وهذا أیضاً لیسَ صحیح، ولا یعنی التأویل باطل وأنَّه لیسَ هناک میزان للتأویل الحق کلا، غایه الأمر علی الإنسان أنی یتفحص عن قواعد وموازین بأنْ یأخذ کُلّ شیء عن دلیل وبیّنه لا عن شبهه وإبهام، ولذا نلاحظ القرآن الکریم یذم من یتبع ویسترسل مع الشبهات بقوله تعالی: فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ...۱. وتکون نتیجه إتباع المتشابه هی الوقوع فی الفتنه، کذلک الولوج فی باب التعریض فإنَّه باب کبیر وفیه أقسام عدیده من التلویح والإیماء والإشاره والکنایه، والکنایه أیضاً علی أقسام استقصاها البلاغیون: - کنایه حسیه، وکنایه تخلیه، وکنایه عن الصفه المعنویه، وکنایه عن الموصوف وکنایه نسبه الصفه إلی الموصوف، وهکذا باب المجاز والدلاله الالتزامیه فإنَّها أیضاً ذو أقسام کثیره.

وعلیه فالوقوع فی الخطأ فی باب التأویل والتعریض لیسَ معناه سدّ الباب وأنَّ هذا الباب لا یدخله إلّا فئه معینه من الناس، وإنَّما لابدَّ من تقویم وتصحیح الفکره بإقامه الموازین وتطبیق القواعد الصحیحه الخاصه بباب التعریض والتأویل والالتزام بها.

ومَن أراد الدخول فی هذا الباب الطویل العریض الذیل فعلیه أنْ

یسیر علی طبق القواعد والأدله الصحیحه حتّی یخرج بنتائج طیبه ونافعه وعملیه، حتّی إذا طلب منه دلیل علی صحه ما یدعیه فعلیه أنْ یقدمه إذا کان.

فالباری تعالی فقط الذی لا یُطالب بدلیل لا یُسْئَلُ عَمّا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ۱.

ومع ذلک یخاطب البشر بالدلیل وأنه علی البشر لا یقبل شیء إلّا عن علم ودلیل ومعرفه هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ۲ فالله تعالی یحث علی العلم والعقل والتعقل أَ فَمَنْ کانَ عَلی بَیِّنَهٍ مِنْ رَبِّهِ..۳.

الخلاصه: إنَّ الدخول والغور فی باب التأویل والتعریض یحتاج إلی قواعد وموازین حاله حال باقی الأبواب الأُخری خاصه التی فیها جنبه خفاء وبطون وغیب.

إِنّا کُلَّ شَیْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ ۴ وَ أَقِیمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لا تُخْسِرُوا الْمِیزانَ۵. إذنْ لابدَّ من میزان.

هذا ولکنْ من الغریب جداً أنَّ من یرید اقتحام باب التأویل والتعریض فی تفسیر القرآن الکریم، ویرید اقتناص واصطیاد مفاد الآیات والسور القرآنیه عبر منهج التأویل والتعریض وهو لا یعی ولا یُلم وغیر محیط بقواعد علم البلاغه أو قواعد اللغه أو النحو أو الصرف أو العلوم الشهیره والتی لها دخاله فی علم التفسیر، نعم لا نقول الإحاطه بمثل هذهِ القواعد هو کُلّ شیء إلّا أنَّها أساسیه فی ضبط عملیه التفسیر.

إثاره: التأويل لا يمكن ضبطه بقواعد اللغه العربيه:

أثار البعض(۱) هذهِ الدعوى وحاصلها:

إنَّ التأويل والدلاله الخفيه لمْ يمكن أنْ ينضبط بقواعد العلوم العربيه باعتبار عدم انسباق أذهان عموم المخاطبين إليها، وأنَّ هذهِ الدلالات لا تستند إلى أصل لغوى، وبالتالى لا يندرج فى حجيه مداليل الدلالات الحواريه واللغويه.

ولعلَّ البعض يتحفظ فى التعبير عن التعريض أو التأويل وأنه يندرج فى حجيه الظهور ويقول: - التعريض أو التأويل لا يندرج تحت حجيه الظهور؛ وذلك باعتبار أنَّ التأويل مقابل الظهور وعليه فكيف التأويل يرجع إلى الظهور؟

إلّا أننا نقول باندراجه تحت حجيه الظهور، ببيان: -

تقدم فى مبحث التعريض أنَّ السيد المرتضى فى دفع بعض الإشكالات وأطلق على التفسير التأويلى أو التفسير للدلالات الخفيه أطلق عليه الظهور الخفى، علماً أنَّ هناك دعوى من بعضهم: - أنَّ التأويل لا ينضبط بقواعد وعلوم اللغه العربيه وعلوم القرآن، وهذا مبحث خطر وحسّاس؛ لأنَّ ما وَرَدَ فى كلمات أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام): - أنَّ جُلَّ دلالات القرآن الكريم والنظام الاستعمالى لها قائم على أساس قاعده التعريض وعليه فكيف تدفع هكذا دعوى عن مثل هذهِ القاعده؟ وللأسف يركِّز أصحاب الفكر السلفى المنحرف على هذهِ الدعوى الخطيره الدعوى

۱- (۱) إشاره إلى بعض أقوال الفقهاء والمتكلمين والمفسرين من الفريقين، بلْ حتّى لدى بعض الأصوليين وبعض الأخباريين من الفريقين.

الخطيره والجدل والحوار العقائدى من السلفيه قائم على إنكار الدلالات الخفيه فى الآيات وإنْ كانت هى موجوده على إمامه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)، إلّا أنَّهم يتمسكون بشىء وهو أنَّه ما دامت هناك دلالات خفيه بمعنى لا ينسبق ولا يتبادر إليها ذهن عموم الناس فى الوهله الأُولى، وإنَّما يحتاج إلى تروى وتدبر وعليه فيدعون أنَّ مثل هذهِ القواعد ليست دلالتها حجه وغير صالحه لإثبات شىء فى الدين، بلْ رُبَّما حتَّى فى الوسط الداخلى يخشى البعض أو يتحاشا الخروج والتوسع عن دائره الصريح ويُريد أنْ يقوقع ويحبس الذهنيه الإسلاميه أو الإيمانيه فقط فى ضمن دائره الدلاله الصريحه والنصيّه.

ومع ذلك فإنَّ السلفيه يُعطون لمثل هذا المنهج طابعاً علمياً مع أنَّه بالواقع حشوى ظاهرى، ويريدون العكوف على سطح الظاهر فقط، ويتركون الغور والخوض إلى الأعماق؛ لأنَّ فى ذلك مخاطر عليهم من الغرق لو جازفوا وغاروا إلى الأعماق، ولذلك فضلوا الحياه العلميه والمعرفيه السطحيه.

الخلاصه: تبين أنَّ مراد الحشويه والظاهريه الذين يعتقدون بان كُلَّ ما وراء الدلاله الصريحه والظاهره هو إيهام وفوضى واستنتاج مزاجى، ومن الواضح المقطوع به هو بطلان هذا كُلّه وخطأه كما مَرَّ توضيحه.

ص:٣٤٤

بيان مشرب فكرى آخر

هناك مشرب فكرى لدى فئات من المشتغلين بالعلوم الإسلاميه والتيارات الفكريه المختلفه يقول: -

إنَّ الدلاله الصريحه ليسَ لها أى دور وإنَّما عليك الاكتراث بالدلاله الخفيه المبتنيه على الاستخراج والاستذواق من دون انضباط قواعد.

إلّا أنَّ هذا فيه إفراط كثير لما يقوله الإمام الصادق (عليه السلام) مضمون الروايه:

«من طلب باطناً بلا ظاهر ضلَّ، ومن طلب ظاهراً بلا باطن ضلَّ».

والإمام الصادق (عليه السلام) يشير إلى أنَّه يجب الإيمان بظاهر الشريعه كما يجب الإيمان بباطن الشريعه ويجب الإيمان بظاهر الدين كما يجب الإيمان بباطن الدين وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلًا١.

وليسَ كُلّ ما علمته فهو الدين كُلَّهُ، وعليه فيجب الإيمان بباطن الدين الخفى، وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً٢.

وعليه فكيف لا- أكذب بما لمْ أُحط به علماً بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الظّالِمِينَ٣.

وفى الروايه أنَّ الإمام الصادق (عليه السلام) يبين أنَّ الآيه فيها وصيتان: -

الوصيه الأولى: قوله تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ١.

بتقريب: أنَّ الذى خفى عليك لم تُحِط به فلما تُنكِرْه؟ فعليك أنْ تؤمن بوجوده ولا تنكره والذى ينكره ظالمٌ.

الوصيه الثانيه: قوله تعالى: وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً٢.

أى لا تُثبت ولا تنفى شىء من دون دليل ومستند كالإثبات أو النفى بالادعاءات أو المصادرات... الخ.

إذنْ الدعوى عامّه من البارى جل ذكره إلى البشر بأنْ لا يغوينك ولا يخادعنك قول القائل أنَّ هذا الأمر من أسرار الدين ولا تسئل عن الدليل، فإنَّ القرآن يدعو كما تقدم إلى التعقل والإدراك.

وعليه فيجب أنْ يكون عندك علم ودليل لما تتبعه وتثبته سواء أمراً باطناً وخفياً فى الدين أو الشريعه أو التفسير أو الثقه أو... الخ ولا تسمح لعقلك أنَّ يُسلِّم ويُذعن بشىء لا علم وبلا دليل عليه تتبعه.

الخلاصه: إنَّ التمسُّك بالظاهر دون الباطن أو بالعكس يصبح التمسُّك بالمسيره العلميه عرجاء وعوجاء، بلْ لابدَّ أنْ يكون للظاهر الذى هو منطلق لما خفى من جناح آخر ألا وهو الباطن والجانب الخفى، وبنفس الوقت لا يظنَّ ظان أنَّ التمسُّك بالظاهر فقط أمرٌ نستخف أو نزدرى به، كلا، بلْ التمسُّك بالظاهر أساس القرآن، وأساس الدين، والظاهر هو

منطلق الشروع بالشريعه إلّا أنَّه له جناح آخر له من دونه يَضِل المستمسك بالظاهر فقط وكذا العكس ألا وهو الباطن والدلالات الخفيه، ولابدَّ أنْ يكون التمسُّك بالباطن وفق قواعد وموازين وضوابط علميه.

وبهذا ولله الحمد وصلنا إلى رسم المعادله العلميه الدقيقه بين دور الظاهر ودور الباطن ولابدَّ من الاعتناء وبكلا الطرفين حتَّى نصل إلى نتيجه علميه متعادله.

وأمَّا ما يبنى عليه جمله من الفقهاء والمفسرين من الاقتصار على الظاهر وأنه قول رائج فيجب علينا أنْ نعالجه بدقه.

ص:٣٤٧

التأويل يندرج تحت الظهور بلْ جزء منه

جرت سيره العقلاء وديدنهم فى أى علم من العلوم وفن من الفنون على ضبط منهاج ذلك العلم والفن بقواعد وأسس وموازين سليمه كى يكون سير خطوات تقدم ورقى ذلك العلم والفن علميةً، والانتقال من المسائل المتوغله فى النظريه وصحراء التأويل إلى نور عالم البيان والوضوح والبداهه، وهذا سيرٌ علمى موزون ضمن ثوابت لا يختلف فيه العلماء والمثقفون والعقلاء، لا سيراً تخبطياً استذواقياً، وهذان السيران متعاكسان.

وهنا يكمن سر اختلاف منهاج مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) مع المنهج الفكرى الحداثوى والفلسفات الألسنيه الجديده، والفرق الفارق والأساسى بينهما هو ما يُقال: البرمجه العصبيه فى قراءه النص الدينى، وهم – الحداثويون – يدعون إلى تعدد القراءات ولكنْ بلاـ حساب للوصول إلى النتيجه النهائيه العلميه المبتنيه على قواعد وموازين، انطلاقاً من شعار: افتح الباب على مصراعيه، لكنَّ وللأسف كان فتحهم للباب عشوائياً وهوجاوياً، وهذا يُعتبر بحسب منطق العقل والعلم سدٌّ للباب وسفسطةٌ. وهذا على العكس تماماًمع منهاج مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) الذى فُتِح فيه باب التأويل والدلالات الخفيه على مصراعيه بشرط أنْ تكون النتائج وفق قواعد وموازين تنطلِق منها شيئاً فشيئاً إلى مناطق نظريه مبهمه سرعان ما ينقشع عنها ظلام الجهل والتوغل فى النظريه ببركه نور المناطق المبدهه والمبينه والنيره على طبق قواعد وموازين متعاقبه ومُتسلسله.

وأمثله ذلك كثيره منها: – ما فى علوم الرياضيات: – كعلم الجبر وعلم

الهندسه، الميكانيكيه والفضائيه، والفراغيه، والسطحيه، والفيزيائيه والكيمائيه وعلم الأحياء الهندسى ونظريه اللوغارتم ونظريه الاحتمالات و... الخ. ومن الواضح أنَّ تشعب وتكثر أقسام علم الرياضيات - الذى يدخل فى كُلّ أو أغلب العلوم إنْ لمْ تكن مبالغين لأهميته العمليه والنظريه - لمْ تكتشف هذهِ العلوم الحديثه للرياضيات سابقاً، وعلم الرياضيات ابتدأ بمرحله ابتدائيه ثم أخذ بالتطور شيئاً فشيئاً وقَرْناً بعد قَرْن بعد بذل العلماء والمتخصصين الجهود الضخمه فى حلِّ المسائل المعقده والمتوغله فى عالم النظريه وانقاذها إلى مرافأ شاطىء العلم والبيان والنورانيه، وهل بعد هذا التطور والنضوج الحاصل فى علم الرياضيات معناه أنَّه سيقف إلى حدٍّ وينتهى؟ كلا سيستمر إلى ما لا نهايه ما دام مسيره الفكر البشرى مستمره، هكذا شأن علم الرياضيات.

ومن الواضح أنَّ هذا التطور والنضوج فى المسائل المبهمه ونقلها إلى عالم البيان والوضوح ليسَ من مختصات علم الرياضيات وإنَّما يشمل باقى العلوم الأُخرى كالفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء والبيلوجيا والفسلوجيا، وعلم الإداره،، وعلم السياسيه وعلم الاجتماع... الخ. وكلّ هذهِ العلوم ابتدأت - كما هو المعلوم - بمساحه ابتدائيه فى العمران ثم اتسعت بلاد العلوم شيئاً فشيئاً.

وعلم تفسير القرآن شأنه شأن العلوم الأُخرى فإنَّه يجرى فيه عين ما جرى بتلك العلوم كما فى مثل مبحث التأويل والظهور فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) الذى فتحت فيه الباب على مصراعيه شريطه أنْ تكون النتائج مبتنيه على قواعد وموازين علميه، نعم - لا يُنكر - أنَّ مبحث التأويل من

المباحث التى قلما يلتفت ويتفطن إليها الباحث المتجر فى علوم القرآن بالطريق الموصل لهذا المعنى التأويلى من منطقه ومنصه الظاهر، إذْ لو استطاع الباحث أنْ يهتدى إلى الطريق الموصل له من منطقه الظاهر إلى منطقه صحراء التأويل الموصِل إلى بيوت وغمرها بعدما كانت خاويه، ولكنْ هذا الأمر لا يتمكن منه إلّا النزر اليسير من الذين زوّدهم الله تعالى بالعلم الغفير، فمثلاً لو كانت هناك مسأله معقده ومجهوله وقدْ حارت فيها الألباب وتبلبلت فيها الأفكار وأعيت فيها المذاهب، فى أى علم كانت هذهِ المسأله من العلوم كعلوم الرياضيات أو الطب أو الفيزياء أو... الخ، ثم يأتى عالم متخصص وباحث مُدقق وفطن يكتشف الطريق لحل هذهِ المسأله المعقده بخطوات موزونه وطريق علمى ومتسلسل وفق قواعد وموازين وصل إلى حلها بعدما كانت نظريه ومتوغله فى ظلمه عالم الإبهام والإجمال والنظر فتدخل بعد أنْ زال عنها الغموض فى منطقه الظهور فحينئذٍ سوف يندرج التأويل فى منطقه الظهور وهذا يُعتبر تعريفاً آخر للتأويل غير ما تقدم ذكره – ومنه يظهر أنَّ التأويل لا يأبى الاندراج تحت منطقه الظهور، بلْ التأويل جزء الظهور.

إلّا أنَّه وللأسف أكثر الباحثين وأغلبهم لمْ يلتفتوا ويتفطنوا إلى كيفيه اندراج التأويل فى الظهور علماً أنَّ هناك حلقات مُوصله – إلى عالم التأويل من خلال منصه الظاهر.

وما ذهب إليه كثير من المفسرين وعلماء العلوم القرآنيه وأصول الفقه من أنَّ التأويل هو ما ليسَ بظاهر وما لا يدلُّ عليه الكلام فليس صحيحاً؛ وذلك لأنَّ ظاهر الكلام له دلالته على التأويل، وله حلقاته التى توصل إليه.

ولذلك الظهور والخفاء يكونان حالةً ونعتاً للقوّه الإدراكيه فى الإنسان وليسا – الظهور والخفاء – صفه للمعلومه نفسها وبذاتها.

ومن هذا يُعلم أنَّ الظهور والتأويل أمران نسبيان وليسَا إطلاقيين أى هما ثابتان للشخص بحسب قدراته الذهنيه وفهمه لا أنَّه صفه ثابته للشىء بحسب عين الشىء فى الواقع.

والظهور والبداهه حاله حال أى مسأله من مسائل أى علم تصبح واضحه ومُبيّنه بعدما كانت متوغله فى عالم الإجمال والنظريه والإبهام، كذلك الظهور والبداهه قدْ تكون مسأله فى زمن نظريه تأويليه وفى آخر ظاهره بديهيه، أو قدْ يكون الأمر بالعكس والعياذ بالله – وقدْ تكون دلاله ومدلولها واضحه وبديهيه فى زمان ولكنْ فى زمان لاحق تصبح هذهِ الدلاله المجهوله ونظريه نتيجه لتباعد الأجيال عن عصر النص والرساله، كما فى حكم الفقهاء من أنَّ الضرورى والبديهى قدْ يكون لفئه من خواص الناس كالفقهاء مثلاً ونظريه بالنسبه لغيرهم من عامه الناس.

الخلاصه: إنَّ الظهور والخفاء والتأويل أمورٌ إضافيه نسبيه تُضاف إلى شخص ولا تضاف إلى آخر، وما يُعْرَف به بين الظهور والدلاله الخفيه من أنَّ مفاد الظاهر يوصل إليه من خلال قواعد وموازين، والخفى لا يوصل إليه من خلال ذلك فهو غير صحيح، فإنَّ كلا المفادين لهما موازين وقواعد توصل إليهما غايه الأمر الخطوات الموصله إلى الظاهر جليه عند الباحث بخلافها فى الأمر الخفى فهى خفيَّه لديه.

وما اشتهر من أنَّ التأويل مفادٌ قريحى ورجماً بالغيب وعفوى فهو خطأ لأنَّ التأويل بالنتيجه يجب أنْ يوصل إليها وفق قواعد وموازين تخفى على كثير وتظهر للقلّه، وهنا يتجلى الفرق بوضوح بين المعصوم وغيره.

روایات تأویلیه تعبدیه

هناک جمله من روایات أهل البیت (علیهم السلام) الوارده فی تفسر القرآن الکریم یتعاطی معها فقهاء ومفسرو وفلاسفه وعرفاء الفریقین – من العامه والخاصه، أنَّها روایات تأویلیه تعبدیه، أی روایات لا یهتدی بها إلی کیفیه الوصول إلی المعنی التأویلی من ظاهر القرآن الکریم.

والواقع لیسَ الأمر فإنَّ أئمه أهل البیت (علیهم السلام) بینوا لنا الآیات التأویلیه ووضحوها ولکنْ بشکل مطوی یغفل غالباً عنه المفسرون أو العرفاء أو الفلاسفه أو غیرهم. وسبب غفله هؤلاء المفسرون والعرفاء – هی بسبب عدم ترویهم وعدم تأملهم العمیق فی استنطاق واستخراج الذی بینه أهل البیت لهذا التأویل، فإنَّ دأب أهل البیت دائماً وأبداً عندما یبینون المعنی التأویلی البیِّن عندهم (علیهم السلام) یحتاج فی المقابل من المُفَسِّر أو الفقیه أنْ یتدبر ویتأمل فإذا فعل ذلک سیجد کیف الأئمه بینوا ذلک المعنی التأویلی إلّا أنَّه وبسبب عدم التروی والتأمل والاستعجال حُرِم علم التفسیر من بیان هذهِ الکنوز العلمیه الضخمه التی خلَّفها لنا الأئمه (علیهم السلام) من خلال الروایات فی باب علم التفسیر، ولکنْ وللأسف أنَّ الکثیر من مفسری الفریقین یتعاملون مع روایات أهل البیت بأنَّها تأویل تعبدی محض، صحیح أنَّها تأویلیه ولکنها لو تعاملوا معها من أوَّل القرآن إلی آخره بالتأمل والتدبر والالتفات بدقه إلی النکات العلمیه والفنیه التی بینها المعصوم (علیه السلام) فی معالجه هذا التأویل وکشف القناع عن ألفاظ تحتها معانی عمیقه لأوصلتنا إلی طبقات وطبقات ومعانی غزیره لو تعاملنا معها أوصلتنا إلی کشف مناهج کثیره وغیر متناهیه وجدیده.

نظریه أَخری فی معنی دلاله الظهور

هناک نظریه یتبناها جیلٌ من الفقهاء والمحدثین والمتکلمین والمفسرین والأدباء ومن أصحاب علوم مختلفه عند الفریقین، وهؤلاء ذهبوا إلی عدم حجیه الدلالات الخفیه؛ لأنَّها متوغله فی الإبهام وعدم الوضوح، وأنَّ الغرض من ألفاظ مفردات اللغه هو عن طریق الحوار الذی یوصل المتکلم إلی مقصوده ولا ـ حاجه إلی عالم ما وراء الألفاظ أی عالم المعنی والدلاله الخفیه والتعریض والتأویل.

وحاصل النظریه:

«إنَّ دلاله الظهور للفظ الغرض منها هو أنْ تُدِل السامع وتوصله إلی المعنی».

واستدلوا أصحاب هذهِ النظریه بعدَّه أدلَّه علی صحتها وخروج الدلالات والمدلولات الخفیّه عن نطاق عالم الألفاظ وحجیه الظهور، وهی: -

الدلیل الأوَّل: إنَّ عالم الدلاله قائم علی الظهور العام والوضوح لدی عموم الأذهان، وما کان وراء الوضوح لدی عامه الأذهان ولم تتبادر إلیه أذهانهم فهو لیسَ بظهور ولیسَ بدلاله ظهور وإنَّما هو تحمیل وتکلف للفظ.

إذنْ معنی الظهور هو أنْ یدلُّ علی إیصال المعنی والوضوح والظهور إلی عموم أذهان الناس.

الدلیل الثانی: إنَّ الغرض من الخطاب القرآنی هو خطاب وبیان لعموم الناس، وإذا کان کذلک فکیف یقوم أسلوب القرآن الکریم أو السنه الشریفه للنبی (صلی الله علیه و آله) وعترته المطهره علی أحجیات الألغاز والتعمیه،

وهـذا نقضٌ للفرض وخلاـف الحكمه ولاـ يفهمه إلّا البعض النخبوى التخصصـى لا عموم أذهان الناس، ومن الواضـح أنَّ التكلم والحوار اللفظى هو جسرٌ ووسيله لانتقال المتكلم إلى المخاطبين.

الـدليل الثـالث: إنَّ علوم اللغه والأـدب هى عبـاره عن نظام اللغه فى بيئه أهل تلك اللغه وأهل اللسان، وإذا كان المعنى المقصود من هذا اللفظ ليسَ واضـحاً وكان خفياً ويقصيهم إلى مسافات بعيده ولا يعلمون بها وليست فى حضيره بيئتهم وتوظف وتستخدم الألفاظ بآليات بعيده عن عالمهم خارجه عن عالم حوار أبناء اللغه.

ومن الواضح أنَّ علوم اللغه هى مأخوذه من أبناء اللغه فكيف تتجاوز ما هو المعروف عند أبناء اللغه.

وعليه فأصـحاب هـذهِ النظريه يـذهبون إلى عـدم حجيه دلاـله التعريض ودلاـله الخفاء وأنَّ المقصود من الإعراب فى اللغه العربيه يعنى الإبانه والظهور، وأنَّ العرب بناءاً على ما وصـفهم الإمام محمـد بن على الباقر (عليه السـلام): - يُظهرون ويُقربون مقتضـيات الفطره الإلهيه وهو ولايه الله ورسوله وأهل بيته (عليهم السلام).

والجواب: يمكن الإجابه عن هذهِ النظريه واستدلالاتهم باختصار:

هـل أنَّ علوم اللغه من وضع أبنـاء اللغه أم هى ظـاهره كونيه فطر الله النـاس عليها سواء اللغه العربيه أو غيرها، اَلرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ١ ، فهـذا جواب من القرآن الكريم بـأنَّ اللغه والبيـان هى من تعليم الله تعالى وما أودعه تعالى فى الفطره المبرجمه فى خُلْد البشر كالفطره

المودعه فى النحل، وفى هـذا ردٌّ على مَن قال: - كيف تكون اللغه هى من التأسيس الربانى والحال نلاحظ أنَّ علوم اللغه والنحو والبلاغه والصرف والأدب و... الخ تتوسع جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن، والجيل اللاحق يكتشف أموراً لم يكتشفها السابقون - وإنْ كان البعض يستبعد أنْ تكون اللغه من التأسيس الربانى لأنَّ علم اللغه يتصل مع كل البشر وهذا يعنى عندهم اتصال الوحى بكل البشر.

والجواب عنه: ليسَ المقصود من الوحى المتعارف المركوز فى الأذهان وإنَّما المراد بشكل آخر كما سيتضح بعد قليل.

وهـذا دليل على أنَّ علوم اللغه ليست من صنع البشر إذْ لو كانت كذلك لكانت محدوده ومقصوره على ما بنوه وأنجزوه، بينما نلاحظ الآن علوم اللغه أشبه بالترسانه المنظوميه اللامتناهيه.

إذنْ اللغه هى ليست من صنع البشر وإنَّما من إعجازات ربِّ العالمين، كما فى الآيه السابقه من أول سوره الرحمن.

ألفات نظر: هناك فرق ينبغى الالتفات إليه بين علوم اللغه، وأبناء اللغه حملةٌ لها وبين هم مؤسسون لها.

ومن الواضح أنَّ مقصودنا من أنَّهم حَمَلةٌ وليسوا بمؤسسين لها وهى من ربِّ العالمين لا نقصد من ذلك أنَّهم نَزَلَ عليهم وحىٌ نبوى وعلَّمهم ذلك، وإنَّما المراد أنَّ الله تعالى خلق الفطره وأودع فى عقول البشر ما يحتاجون إليه، كما أودع فى عقل غير البشر - حسب ما يحتاج إليه فى حياته - كالفطره المودعه عند النحل وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً

وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمّا يَعْرِشُونَ١.

كُلّ ذلك بشهاده أنَّ القرآن الكريم هو استثمار لعلوم اللغه العربيه بدرجه خارجه عن قدره البشر ولذلك يُقال: - الإعجاز البلاغى فى القرآن، وهذا مؤشر على أنَّ اللغه وعلومها آليه ومنظوميه مترامیه القدرات والقواعد والمعادلات، خارج بناءها عن قدره البشر وإنَّما هى من إيجاد ووضع رب العزه خالق الخلائق أجمعين.

مضافاً إلى أنَّ أبناء اللغه فى سنّهم اليافع لا- يحيطون بدقائق أسرار اللغه تماماً وإنَّما كلما كبر سنهم فإنَّه سوف يتصل بسطح منظومه اللغه أكثر فأكثر.

وسيأتى توضيحه أكثر بعد قليل.

والخلاصه: إنَّ دور أبناء اللغه كحمله لعلوم اللغه فعليهم استثمار ذلك البيان بما فيهم علماء البيان واللغه و.. بما منحهم الله تعالى وأودع فيهم من قدره عظيمه من رب العالمين.

ص:٣٥٨

ارتباط نظام التأويل والدلاله الخفيه بنظام عالم الظهور

إنَّ نظام التأويل والدلاله الخفيه وعلاقته بعالم الظهور وتعدده وترامى أطرافه فيتعرض له ضمن مبحث التعريض والتأويل وعالم الظهور باعتباره نظام وفق أسس وقواعد لا فوضى ركاميه،، وتعدد سلسله القراءات للنص الدينى ولمعانى الآيات القرآنيه التى هيأيضاً وفق موازين وقواعد علوم الأدب واللغه هى أمر واقعى وذو طبقات غير متناهيه يقف عليها ويعلمها من علم وعرف القواعد الصحيحه لعلوم اللغه والنحو والصرف و.. أنَّ تعدد الطبقات إلى ما شاء الله لا يعنى أنَّها غير موصوله وسوف نقع فى متاهات وأمور غامضه ومجمله وأنَّها غير متصله بوصال رابط مع المعنى الظاهر الأولى، بلْ هى مرتبطه مع المعنى الظاهر الأولى بحلقات وروابط وفق قواعد وعلوم اللغه.

هذا مضافاً إلى أنَّ هذهِ القاعده - أعنى الارتباط بعالم الدلالات الخفيه والتعريض والتأويل عن طريق منصه الظاهر وحجيه الظهور - لا تقتصر على الظهور عند عامه السامعين أو الظهور عند النخب أو ما شابه ذلك، إنَّما حجيه الظهور فقط تتقيد بتسلسل الدلالات ومدلولاتها وفق قواعد علوم اللغه والعلوم الأُخرى، فإذا تمَّ ربط الدلاله وتعاقبها وفق هذهِ القواعد تكون الدلاله موزونه صحيحه وسديده فتتبّع عرفها من عرف وجهلها من جهل، نظير الناقد الأدبى فى أى لغه من لغات العالم إذا توصل أو تفطن إلى نكته أو قاعده أو نظام خفى قبل أنْ يلتفت إليه غيره يعتبر هذا سبقٌ أدبى لذلك الناقد علماً أنَّه نفس هذا الناقد لمْ يكنْ ملتفتاً إلى هذهِ القاعده الخفيّه

وهذهِ النكته لا تخرج المعنى المستفاد عن حجيه الدلاله أبداً.

ولذلك نلاحظ علماء أى لغه من اللغات المعبر عنهم بعلماء الألسنيات لديهم اكتشافات مُذهله من أنَّ البيان عند الكائن الإنسانى أمر إعجازى من رب العالمين؛ لأنَّ هـذا البيان نظام قنواتى لإيصال المعلومات بشـكل غريب تعجز عنه عقول البشـر، وهنا يكمن سر الإعجـاز فى الاكتشافـات المتلاـحقه لتلـك القواعـد الخفيـه والأسـرار العظيمـه فى عـالم التعريض والـدلالات الخفيه وكيفيه ارتباطها بعالم الظهور؛ ولذا البارى تعالى شأنه يتباهى فى أفعاله العظيمه اَلرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ١. مما يدلل على أنَّ فى البيان وحده إعجاز إلهى يمُن الله تعالى به على خلقه الإنسانى.

إذنْ البيان ونظام الـدلاله ليسَ بمقـدور العُرف أنْ يوجده ويخلقه وإنَّما العرف هو حاملٌ له – للبيان – وخالقه هو الله تعالى، وكم فرق بين الخالق للبيان والحامل له إذْ لو كان البيان من صـنع البشـر لما كانت البشـريه جيلًا بعد جيل وفى أى لغه من لغات العالم يكتشف العلماء فيه علوم جديده تلو العلوم ولا زال العلماء يكتشـفون أسـرار هذهِ اللغات شـيئاً فشيءً، وهذا يدلل على أنَّ الخالق والموجد للبيان هو الله تعالى علماً أنَّ علم اللغات وعلم الألسنيات أصبح علماً مشتركاً بين سائر اللغات وهذا يدلُّ على وجود

ثوابت وقواعـد وضوابط مشتركه بين سائر اللغات وهذا يدلَّ على وجود ثوابت وقواعد وضوابط مشتركه بين لغات كُلّ البشـر فى العالم.

وعلى كُلّ حال فإنَّ نظام البيان نظامٌ موحـدٌ وقائمٌ ومسـتقلٌ ولا تُسـجِّل براعه اكتشاف لمكتشف قواعده ونكته إنَّما هى موجوده، وإنَّمـا يحتاج الكشف عنها إلى تفطن والتفات وقوّه تركيز وتأمل، وما توهمهُ بعضٌ من أنَّ نظام اللغه والـدلاله والبيان بأنَّه مرهونٌ وضيِّق النطاق بحسب إدراك العرف وما شابه ذلك فهو غير سليم.

وتوضـيحه: إنَّ ابن اللغه واللسان فى سنِّهِ اليافع لا يحيط باللغه تماماً وإنَّما كلما يكبر يتصل بسطح منظومه اللغه أكثر فأكثر، وحتَّى إذا مـا كبر سنَّه واشـتدَّ ربمـا لاـ يحيـط بكـل درجـات علم اللغه الـذى هو من أبنائها، وإنَّما الـذى يحيط بها النخب العلميه، ومن الواضح يوجد تفاوت بين النخب العلميه فى درجات الإحاطه باللغه.

الخلاصه: الـذى يزيـد التوصل إليه كشواهد على أنَّ علم اللغه والبيان هو نظام مفهومى حقيقى موجود عَلِمَ به مَنْ عَلِمَ وجَهِلَه من جهـل ولا يتقيـد بالانكشاف والوضوح لـدى أبناء اللغه أنفسـهم، وإنَّما هو نظام فى نفسه موجود، حاله حال سائر العلوم والأنظمه الأُخرى كالفيزياء والكيمياء والأحياء والرياضيات و... الخ وعليه فعلم اللغه علم عامٌ وقدْ دلَّت النظريه القديمه التى كانت تتعاطاها الجامعات الأكاديميه فى مختلف علوم اللغه، وإنْ كانت بعضـها لا زالت تسـير بسـيرها هو تعليم البشـر لغه مشتركه بين أبنائه وأنَّ اللغه حبيسه بحدود ما ينطبق لدى أبناء اللغه وحواریاتهم عن أنفسهم لا أنَّ علم اللغه علم عام.

«المرء مخبوءٌ تحت طيِّ لسانه لا طيلسانه»(۱).

من هول عظمه علم البيان وعلم اللغه ما يشير إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل أكثر من أربعه عشر قرناً

«المرء مخبوءٌ تحت طيِّ لسانه لا طيلسانه».

بتقريب: إنَّ قيمه المرء بعلمه ومنطقه وأنَّ المرء لا زال مُهاباً حتَّى يتكلم فإذا تكلم عُرفت قدرته الكلاميه والبيانيه ومكانته العلميه، ومن العلوم النفسانيه والعلوم الأمنيه والاستراتيجيه أنَّه من خلال مقطوعه كلاميه من كلام المتكلم تُدرس فيه شخصيه هذا المتكلم بكل أبعاده، ولا يختص هذا بالمتكلم الذى على قيد الحياه، وإنَّما يشمل المقطوعات الكلاميه قبل أجيال.

ومن خلال استنطاق تلك المقطوعه الكلاميه التى تعتبر كنز ثرٌّ لاستخراج معارف ومعلومات عديده منها:

۱ - كيف كانت بيئتهم التى يعيشون فيها.

۲ - كيف كانت قوانينهم.

۳ - كيف كانت حياتهم الاقتصاديه والاجتماعيه وأعرافهم و... الخ.

۱- (۱) الأمالى للشيخ الصدوق، ص ۵۳۱، عيون أخبار الرضا له أيضاً، ج ۲، ص ۷۸.

هناك سؤالٌ يتبادر إلى الذهن وهو: لماذا البيان القرآنى وصل إلى حدِّ الإعجاز؟

وجوابه: تميّزت عظمه القرآن الكريم وأنَّ فيه بيـان إعجازى؛ لأنَّ القرآن فيه بيان لحقائق معلومات، وتلك لمْ تكن مقتصـره على البشـر فى القرون السابقه، وإنَّما اسـتطاع القرآن أنْ يكشف لنا مقطوعات كلاميّه عن كائنات خلقيه أُخرى، كعالم الملائكه، ومن خلال هذا يستطيع المتأمل والملتفت تقييم بحوث كونيه وفلسفيه ومعلوماتيه حول عالم الملائكه وطبيعه خلقتهم.

وكـذلك أخبرنا القرآن الكريم من خلال مقطوعات كلاميه - أعنى الآيات الكريمه - عن عالم الجن وعالم الروح وعالم البرزخ وما شابه ذلك.

إذنْ تميّز القرآن الكريم من خلال نقـل هـذهِ المقطوعـات الكلاميه عن عوالم مختلفه فإنَّها تكشف وتُبرز لنا حقائق ذلك العالم وما يجرى من حوار بين كائنات من عالم آخر.

وعليه لمْ يَعُـد البيـان منجمـداً ومنحبساً على تلك المقوله [ما يسـتفاده العرف ظاهراً من هـذا الكلام هو الحجه] ومن الواضـح أنَّ العرف ليسَ هو الحاكم مع وجود ظهور ومؤدى أقوى وهو علوم البيان، وإنَّما دور العرف وأبناء اللغه هو دور الحامل الناقل لهـذا النظام والخازن والحافظ له لا أنَّ دور العرف دور الميزان وكلمه الفصل.

ومن هذا يُعرَف: أنَّ المدار ليسَ على العرف ولا أبناء العرف واللغه وإنَّما الحاكم هو علوم البيان وأبناء اللغه عليهم استثمار ذلك البيـان بمـا فيهم علمـاء البيان واللغه بما منحهم الله تعالى وأودع فى البشـر من قـدره عظيمه من رب العالمين، وسـيأتى إنْ شاء الله تفسـير جديـد فى مبـاحث لاـحقه وفق منهجنـا التفسـيرى، أمومه ولاـيه أهـل البيت (عليهم السـلام) على المحكمـات فضـلاً عن المتشابهات لمعنى الإعجاز اللغوى أو الأدبى فى القرآن بما يتناسب ويتصل بهذا البيان.

ص:٣٦۴

علم اللغه فی الأداء والإعجاز اللغوی القرآنی

بلغ القرآن الکریم مرتبه الإعجاز فی کثیر من العلوم منها البلاغه والبیان والنحو والأدب والاشتقاق و... الخ ومنها الإعجاز اللغوی للقرآن أی أنَّ القواعد التی استثمرها وفعّلها ونشطها القرآن الکریم فی علم اللغه هو الأداء اللغوی القرآنی الذی باعتراف البشر وإلی یومنا لمْ یکتشف سرُّ عجز البشر عن اکتشاف سرّ إعجاز القرآن، وکذا لمْ یکتشفوا سر إعجاز کلام رسول الله (صلی الله علیه و آله) الذی أحد سؤدده (صلی الله علیه و آله) أنَّه أُوتی جوامع الکلم منها

«إنَّما الأعمالُ بالنیات»(۱) و «خیر الکلام ما قلَّ ودلَّ» «أغنی الناس من لمْ یکنْ للحرص أسیراً»(۲). «الحمیه أس الدواء والمعدهُ بیتُ الداء وعود بدناً ما تعوَّد»(۳). «إنَّ المرأه ریحانه ولیست بقهرمانه»(۴).

هذهِ التفاسیر النبویه القصیره تصلح أنْ تکون جامع تشریعی یُصطلح علیه بتعبیر العلوم الحدیثه بدیباجه الدستور، فمثلاً التعبیر النبویه الوارد فی حق المرأه: -

«أنَّ المرأه لا تُحمَّل مسؤولیات فیها بطشی وقوه وسبعیه وحرّب وقهر وشده و...» الخ وإنَّما یصل دور المرأه فی کُلّ التشریع هو دورٌ أمومی ودور عاطفی ودور أُلفه وریحانه، نظیر ما جری فی واقعه کربلاء فإنَّ فیها

۱- (۱) دعائم الإسلام للقاضی النعمان المغربی، ج ۱، ص ۲.

۲- (۲) الأمالی للصدوق، ص ۲۱؛ معانی الأخبار/ ۱۹۶.

۳- (۳) الصدوق فی الخصال، ص ۱۲، ح ۳؛ الطبرسی فی مکارم الأخلاق، ص ۳۶۲؛ المجلسی فی البحار، ج ۵۸، ص ۳۰۷، ح ۱۷.

۴- (۴) الکافی للکلینی، ج ۵، ص ۵۱۰ ح ۳؛ والوسائل ب ۸۷ من أبواب مقدمات النکاح وآدابه ح ۱.

دور علم ومعرفه ومشهد عسكرى لسيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) والمشهد الآخر فى كربلاء وهو المشهد العاطفى والروحى والقلبى ألا وهو صوت العقيله زينب (عليه السلام) تخطب وتقول:

«إنَّ الله قدْ شاء أنْ يراهنَّ سبايا»(١) فنلاحظ كلا زاويتى الحديث فى كربلاء موجوداً جابن القهرمانه والحرب والقتال لسيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)، وجانب الريحيانيه للعقيله زينب (عليها السلام).

وهكذا كلام أمير المؤمنين (عليه السلام):

«إظهار الحرص يورث الفقر»(٢).

فإنَّهم عجزوا عن اكتشاف سرِّ إعجازه، فكيف بكلام الله تعالى أنْ يدرك البشر سر إعجازه ومن الواضح: - أنَّه لا يُفهم من كلامنا هذا أنَّه يستحيل اكتشاف ذلك، وإنَّما يمكن ذلك ولكنَّه بالتدريج مع الالتفات والفطنه؛ ولذلك نلاحظ أنَّ علماء البيان واللغه والأدب و... الخ يكتشفون القواعد شيئاً فشيئاً لا دفعه واحده، ولذا أحد أبعاد الإعجاز البلاغى فى القرآن هى القدره الفنيه فيه على ممارسه هذهِ الفنون بدرجه لا يصل البشر إلى إدراكها فضلاً عن ممارستها فأتوا بسورهٍ من مثله بلْ فأتوا بآيه من مثله لذلك نرى جمله من العلماء والمفسرين من الفريقين يحسبون كثيراً من بيانات أهل البيت (عليهم السلام) الوارده فى تفسير الآيات أنَّها تأويلات خفيه باطنيه، والحال أنَّ هذهِ البيانات من أهل البيت (عليهم السلام) معالجه لنفس ظاهر القرآن، لذا يكون ظاهر القرآن مستعصياً التدقيق فيه على المفسرين، كما ستأتى أمثله ذلك مفصله فى مبحث الالتفات إنْ شاء الله تعالى.

والخلاصه: إنَّ القواعد الإعجازيه الموجوده والمخبئه فى علم اللغه والتى فُعِّلت ونُشِّطت فى القرآن أكبر تنشيط واستثمار، وإعمال تلك القواعد

١- (١) ابن طاووس/ اللهوف فى قتلى الطفوف، ص ٦٥؛ المجلسى فى البحار، ج ۴۴ ص ٣۶۴.

٢- (٢) الخصال للصدوق، ج ٢ ص ۵٠۴.

فی کلام الله تعالی أعظم مما هو فی کلام النبی (صلی الله علیه و آله) وإعمالها فی کلام النبی (صلی الله علیه و آله) أعظم مما هو فی کلام سید الأوصیاء علی بن أبی طالب (علیه السلام)، وفی کلامه (علیه السلام) أعظم مما هو فی کلام بقیه المعصومین، وفی کلامهم (علیهم السلام) إعمالها أعظم لتلک القواعد وأکبر من بقیه الناس غیر المعصومین (علیهم السلام) من العلماء وغیرهم.

وبعد هذا العرض یتضح معنی قوله (علیه السلام)

«المرء مخبوء تحت طی لسانه لا طیلسانه» بأنْ یستطیع الإنسان الباحث أنْ یعرف أقدار المتکلم أنَّه معصوم أو غیر معصوم من خلال کلامه.

فمثلاً لو قارنّا بین مقطوعه کلامیّه لأمیر المؤمنین (علیه السلام) فی نهج البلاغه وبین أی مقطوعه کلامیه عربیه قدیمه أو حدیثه أو مقطوعه لأحد الصحابه فیها قطرات علمیه مقارنهً علمیهً، لوجدنا بونٌ شاسع واسع بینهما إذْ نجد اللطافه والشفافیه والسبک العلمی وإعمال القواعد بصوره متوازنه من قواعد بلاغیه ولغویه ونحویه و... أدلُّ علی المطلوب فی کلمات المعصوم (علیه السلام) منها فی غیر کلام المعصوم.

ألم یقل أمیر المؤمنین (علیه السلام)

«المرء مخبوء تحت طی لسانه لا طیلسانه» یا لها من کلمه مختصره تنطوی تحتها مطالب وعناوین علمیه ضخمه، وهکذا قوله (علیه السلام)

«والله لا تسألونی عن شیء إلّا وأبیِّن لکم أین هو فی کتاب الله»(۱).

وهذا یبین أنهم (علیهم السلام) یمتلکون القدره علی البیان والاستبیان علی استشکاف الدلالات الخفیه.

وهکذا لو أجرینا مقارنه علمیه بین زبور داود (علیه السلام) وبین زبور آل محمد (صلی الله علیه و آله) وهو الصحیفه السجادیه للإمام زین العابدین علی بن الحسین

۱- (۱) الوسائل أبواب صفاه القاضی.

السجاد (عليهما السلام) وبميزان علمى سواء كان ذلك الميزان العلمى عقلياً أو فلسفياً، فالكلمات التى أبرزها الإمام زين العابدين على بن الحسين (عليهما السلام) فى مناجات ربه مع تلك الكلمات التى ناجى داودُ ربَّه فسوف نلاحظ أنَّ كلمات الإمام السجاد (عليه السلام) أكثر لطفاً وشفافيه، وهذا هو برهاننا على أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) قدْ فضلهم الله وزوَّدهم بعلم وكرامه ومقامٌ أكثر من بقيّه الأنبياء وهذا الكلام ليسَ دعوى وعاطفه، بلْ هو برهانٌ وبيان.

والمتحصل من كُلّ هذا: إنَّ نظام اللغه والبيان نظام عظيم ولا يمكن أبداً أنْ نحبس علم اللغه فى مقوله محدوده كما اشتهر أنَّ اللغه والبيان تدور مدار العرف وإنْ كُنّا نرفض هذا المشهور حسب منهجنا التفسيرى - أمومه الولايه على المحكمات فى القرآن - الذى يرى هذا المنهج أنَّ علم اللغه علم منفتح وليسَ محبوساً بحسب قدرات وإدراكات العرف وهذا أحد الفوارق الفاصله بين منهجنا وباقى المناهج التفسيريه الأُخرى.

وأحد أهم الثمرات المترتبه التى تقع مسؤوليه علميه على عاتق الباحثين من علماء الإماميه خاصه فى الحوزات العلميه هو أنَّ مبنى عالم الدلاله فى اللغه وأنه غير محبوس ومقصور بحدود قدره ما يدركه العرف، وإنَّما هو على طبق معادلات وقواعد وموازين تترامى وتتعاقب بعضها تلو البعض الآخر ويصل إليها مَن يصل ويعجز عنها مَن عجز، ومن ثمراته هو - التبيان الروائى فى التفسير المأثور - الذى ما سنبحثه تحت العنوانى الآتى.

التبيان الروائی فی التفسير المأثور

لو نظرنا نظره أوليّه إلی ما يوجد من بيانات تفسيريه فی الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) لوجدنا أنَّ كُلّ أو أغلب هذهِ البيانات تأويليه، ثم إذا دققنا النظر لوجدنا هذهِ التأويلات ترجع فی الحقيقه إلی كشف أنحاء من الظهور خفيت علی الآخرين وأراد أئمه أهل البيت (عليهم السلام) أنْ يُجْلوها ويوضحوها للآخرين، كيف أنَّها ظاهره وكيف أنَّ فيها دلاله علی ما هو أخفی؟

وهذهِ المباحث البالغه الأهميه للأسف لمْ يَخُض فيها الأخوهُ الباحثين كثيراً من مفسری الإماميه فضلاً عن مفسير العامه، ولم تُبذل الجهود الكبيره ما عدا محاولات يسيره من بعضهم ولم يتعاملوا مع روايات أهل البيت (عليهم السلام) بأنَّها روايات تأويليه تعبديه.

ولا يخفی أنَّ التعبدی علی قسمين:

١ - تعبدی فيه تبيان علمی برهانی.

٢ - تعبدی محض أی ليسَ فيه تبيان علمی وهو تعبدی نازل.

القسم الأوَّل أعظم من الثانی بقدر ما هو إفاده واستفاده وإيقاظ إلی وجود هذهِ المحاولات فی منصه الظهور ولكنْ بتدبر وإمعان نظر.

وبعد هذا نقول: - أنَّ نقوم بتبيان الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) فی ذيل الآيات القرآنيه المعروف مثلاً بالتفسير المأثور بأنْ يُبين الأخوه الباحثين فی هذا المجال الروايات ذات الصله بظاهر القرآن الكريم

عبر سلسله من القواعد اللغويه والأدبيه والدلالات المنضده والمنظمه والمؤلفه اللفظيه ولو بضميمه جمله من قواعد العلوم الأخرى المبدهه، وتُبين تأويلات أهل البيت (عليهم السلام) التى يُنظر إليها كتأويلات أنَّها تفسيرات تعالج طبقات الظهور وليسَ صرف تأويل، يعنى لها صله متسلسله تُستنبط من ظاهر الآيات ومن الظهور الأوّلى من الآيات علماً أنَّه لا توجد روايه عن أهل البيت (عليهم السلام) إلّا ويُشارُ فيها إلى كيفيه الوصول إلى هذا المعنى التأويلى من منصه سطح الظاهر.

وعليه فروايات أهل البيت (عليهم السلام) ليسَ فيها بيان للنتيجه فقط والمفاد الخفى التأويلى، بلْ فيها إشاره خفيه إلى الطريق الموصل إلى هذهِ النتيجه الخفيه من منصه سطح ظاهر ألفاظ الآيات القرآنيه، ومن الطبيعى أنْ قدره الالتفات والوقوف على ذلك عند الأشخاص مختلفه، بينما السيره الدارجه عند بعض مفسرى الإماميه فضلاً عن مفسرى غير الإماميه أنَّ النظره عندهم إلى تلك الروايات أنَّها تأويلات تعبديه توقيفيه بلا بيان الوجه الاستدلالى وهو ما يعرف عندهم بالاصطلاح تعبدى محض، والحال أنَّ فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) التركيز بالدرجه الأُولى على التعليم والبيان وبالدرجه الثانيه التركيز على التعبد الظنى والآمريه، ومن الواضح أنَّ التعليم هو نوع ولايه أعظم من آمريه الولايه والطاعه والحجيّه.

وبيَّن القرآن الكريم وبالدرجه الأُولى أنَّ أحد الأدوار الأساسيه الرئيسيه لسيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) دور ومقام التعليم هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ١.

بأنْ يتلو عليهم ألفاظ القرآن وإنْ كان لمعنى (يتلو) معانى أَخرى - يأتى التعرض إليها فى محلها إنْ شاء الله تعالى - وتعليم النبى (صلى الله عليه و آله) للبشر ليسَ ناشئاً من نتاج فكر بشرى أو علوم البشر وإنَّما تعليم الوحى السماوى وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ١.

وعليه فيتجلى ويتجسد المعلم والمُبيِّن الإلهى فى المعلم البشرى ألا- وهو الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه و آله)، وهذا البحث يعتبر من المباحث المهمه فى بيان مقامات النبى (صلى الله عليه و آله) وأحد تلك المقامات أنَّه معلِّم إلهى للبشر، إذْ لمْ يُبحث هذا المقام وماذا يُراد بالمعلم بالشكل المناسب له لا فى علم الأصول ولا علم الكلام ولا التفسير ولا العرفان، نعم بُحث فى علم الأصول إنَّ هذا المقام كعلم من العلوم الدينيه أشير فيه إلى أنَّ حجيه اليقين أو القطع أعظم من الحجيه التعبديه ومقدمات القطع مقدمه على مقدمات الظن... الخ، وذكر علماء الأصول أنَّ المراد من معلم يعنى يوجد لديك القطع أو اليقين ليسَ عبر الظنون أو الصدفه وإنَّما اليقين يحصل طبق دلائل مُبدّهه.

إذنْ لابدَّ من بيان حقيقه هذا المقام للنبى (صلى الله عليه و آله) وأنّه معلم إلهى وبيان أنَّ النبى (صلى الله عليه و آله) فى جانب يعنى إنَّه وليٌّ مفترض الطاعه - اطيعوا الله وأطيعوا رسول الله - ومن جانب آخر يجب التصديق برسالته وكذلك أهل بيته (عليهم السلام) يجب التصديق بهم لأنّهم ورثوا منه (صلى الله عليه و آله) هذهِ المقامات العلميّه، والقرآن الكريم أشار إلى هذا الجانب فى عدَّه مقامات: -

١ - قوله تعالى: وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ٢.

۲ – قوله تعالی: وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَی الرَّسُولِ وَ إِلی أُولِی الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِینَ یَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لا فَضْلُ اللّهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّیْطانَ إِلاّ قَلِیلًا۱.

۳ – قوله تعالی: بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ ما یَجْحَدُ بِآیاتِنا إِلَّا الظّالِمُونَ۲.

وغیرها من الآیات القرآنیه التی ذکرت وأکّدت علی أنَّ هؤلاء (علیهم السلام) لهم صفه علمیه ومقام علمی شبیه ما نعت به القرآن الکریم الخضر: فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَیْناهُ رَحْمَهً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً۳ وهذا الإتباع والانقیاد هو عن علم ودرجه الإنقیاد عن علم أعلی درجه من الآمریه والإنقیاد التعبدی ومن الواضح أنَّ الحجیه الیقینیه حجیه قطع وإتباعها أعظم من حجیه الظن، وإنْ کان اتّباع موسی (علیه السلام) للخضر لیسَ اتباع ظنی أو علی عمایه – والعیاذ بالله – وإنَّما اتباعٌ فیه نور ولکن إجمالی وإبهامی.

الخلاصه: إذا تعاطینا مع بیانات القرآن الکریم تعاطی التعلیم والاستعلام والبیان سیکون تعاطی للآیات القرآنیه علمیاً وعن دلیل لا تعاطی ظنی أو جه تعبدیه ظنیه.

وهکذا تعاملنا مع الروایات الوارده عن طریق أئمه أهل البیت (علیهم السلام) تعاملاً علمیاً وبالتالی سوف ینتج أنَّه لیسَ تعاملنا مع الروایات أنها تأویلیه بمعنی تعبدیه بلا معرفه، نعم نُسَلِّم التعبدیه الظنیه إلّا أنَّها لیسَ تعاطیاً

بمستوى عالٍ من الاتّباع، نظير عباده الأحرار أعظم من عباده التجار، وعباده التجار أعظم من عباده العبيد، وغير خفى أنَّ العباده هى انقياد وطاعه ن فالعباده عن معرفه يعنى عباده علميه، وهى أعظم من العباده عن سطوهٍ وخوف أو طمع ومغنم، والعباده العلميه حجيتها أعظم من حجيه العباده الظنيه التى تعنى خوفٌ وتنجيز وتعذير وعقوبه ومثوبه.

تنبيه: إنَّ منهجنا التفسيرى - منهج أمومه الولايه على محكمات القرآن فضلاً عن المتشابهات - يتعاطى مع بيانات القرآن الكريم ليسَ كحجيّه ظنيه تعبديه وإنَّما يتعاطى مع بيانات القرآن الكريم وكذا بيانات أهل البيت (عليهم السلام) كبيانات علميّه لا أنَّه نتعاطى معها كحجيه ظنيه.

فنستكشف من دلاله الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) فى علم التفسير أنَّ مناشئ الدلاله فى ظهور القرآن التى توصل لهذا المفاد الخاص المُصرَّح به فى الروايه، فإذا تمسَّكنا بهذا بلا معرفه الطريق للوصول إليه من الظاهر الأولى فى القرآن صارت الحجيه حجيةً ظنيه وتعبديه، بخلاف ما لو كان الخبر مستفيضاً فإنَّ الحجيه سوف ترقى إلى درجه القطع أى حجيه قطعيه إجماليه والإجمال بسبب الإبهام. أمَّا لو تعاطينا وتداولنا ونظرنا إلى مفاد الروايات الوارده فى ذيل الآيات وأنها ملفته لنا ومنبهه إلى كيفيه دلاله ظاهر القرآن للوصول إلى هذا المعنى والنتيجه الخفيّه.

إذنْ الذى تريد الوصول إليه هو البحث والتنقيب عن الطريق الذى تشير إليه الروايه فى كيفيه الوصول من منصه الظاهر إلى هذا المعنى الباطن، وسيكون البحث عن مثل هذا الأمر علمياً، ولن تكون حينئذٍ هذهِ الروايات تأويليه محضه، بلْ سيكون مآلها تفسيريه للظاهر، وبعد هذا

سوف يصير ذلك المعنى الخفى ظاهراً وبيِّناً، نظير الوصول للنتيجه فى المسأله الرياضيه المجهوله عبر مراحل فى الاستنتاج الرياضى المتلاحق.

وثمره هذا المنهج التفسيرى - أمومه ولايه أهل البيت على محكمات القرآن فضلاً عن متشابهاته - ليسَ فقط أنَّه حجيه علميه وأنَّه أرقى من الحجيه الظنيه فحسب بلْ هذا المنهج - الذى يعتمد على علم اللغه والبيان - هو القيام بمسؤوليه يوصى بها القرآن الكريم ألا وهى... لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفى بِاللّهِ شَهِيداً١.

وأحد معانى الظهور هو الغلبه والانتشار بعد الخفاء والحبس الذى هو نوع من الخفاء.

وبعد هذا البيان ينبغى تصحيح النظره إلى الروايات الوارد فيها تفسير للآيات وأنَّها ليست فقط تأويليه تعبديه محضه، وإنَّما تأويليه مبتنيه على التعبديه العلميه وعلى نهج التعليم فحينئذٍ قدْ قمنا بخدمه علميه عظيمه لعلم أهل البيت (عليهم السلام) بأنْ نوقف الآخرين على مدى علميه تراث أهل البيت (عليهم السلام) ونهج أهل البيت (عليهم السلام) فى القرآن الكريم.

ومن خلال البحث فى التأويل والدلالات الخفيه والظهور والدلالات الجليه: أنَّ نُبَدِّه وتظهر بيانات أهل البيت (عليهم السلام) التأويليه التى يحتملها الآخرون بأنَّها تأويليه خفيه من خلال الطريق للوصول إليها من سطح ظاهر دلاله الآيات شريطه أمور يأتى ذكرها فى محلها إنْ شاء الله تعالى.

فمثلاً كثير من المفسرين يغفلون عن ملاحظه قاعده الالتفات

وتشعباتها وهى من الموارد الصعبه بحق؛ لأنَّ المُفَسِّر يغفل عن ملاحظه حالات التغير والتبدل التى تحدث فى أجواء الآيه القرآنيه المباركه أو الجمله أو حتَّى المفرده، فيحسب أو يظن أنَّ كثيراً من الآيات أنَّها تأويليه وخفيّه باطنه إلّا أنَّه إذا دقَّقَ النظر سيرى أنَّ هذهِ الآيات سوف تعالج سطح الظاهر لألفاظ القرآن الكريم من منشأ خفى على الآخرين ومن ثم تلقّاه الآخرين بأنَّه تأويل وباطن، فإنَّ مثل هكذا منهج من التعاطى مع التفسير بالمأثور لن يفتح بابه الآن بشكل وسيع ومُفعَّل وإنْ خاض فيه جملةٌ من المحققين إلّا أنَّه بشكل بسيط.

إذنْ عمده التعاطى مع التفسير بالمأثور دائماً التعامل معه على أنَّه حجيته تعبديه تأويليه يُقتصر فيها على المصداق، ومن باب الجرى والتطبيق الذى هو أحد ضوابط باب الالتفات الذى تعامل معه بعض مفسرى الإماميه كالسيد العلامه محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه) صاحب تفسير الميزان الذى كان أكثر تعاطيه وتعامله مع التفسير الروائى المأثور كما فى تفسيره الروائى [البيان] إنَّه تأويل ومن باب الجرى والتطبيق فى منطقه محدوده قدْ يكون تعبدياً تأويلياً.

ص:٣٧٥

المقارنه فى التأويل بين مدرسه أهل البيت (عليهم السلام)

وبين مدرسه فلسفه الألسنيات

مقدمه:

اشاره

قبل الخوض فى ذكر الفوارق فى التأويل بين مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) وبين مدرسه فلسفه الألسنيات المعبر عنها بالهرمونطيقيا والحداثويات فى معرفه قراءه النص الدينى، لابدَّ من إلفات نظر إلى نقطه مهمه وهى:

أولاً: أنَّ التأويل يختلف بحسب الأنظمه الثلاثه - النظام الاستعمالى اللفظى، ونظام المعانى، ونظام الحقائق - وإنْ كان السيد العلامه محمد حسين الطباطبائى قدْ يُترائى فى جمله من أبحاثه أنَّ التأويل حصرى، بالنظام الثالث أعنى نظام الحقائق، ويعتبر السيد العلامه التأويل من سنخ الحقائق والحقيقه العينيه وإنْ لمْ يكنْ نظام الحقائق هو كُلّ التأويل، فإنَّ التأويل له أقسام وأنواع عديده كما سوف يتضح كُلّ ذلك فى محله.

ثانياً: هناك نقطه أُخرى مهمه فى بحث التأويل والظهور فى النظام الاستعمالى اللفظى فى القرآن الكريم، وهى: - وجود فوارق مهمه بين تعدد القراءات فى منهج أهل البيت (عليهم السلام) للنص الدينى وبين تعدد القراءات والتأويل الذى يسلكه أصحاب مدرسه الحداثه فى عصرنا الراهن.

ولو أجرينا مقارنهً بين المدرستين لوجدنا نقطه اشتراك ونقاط اختلاف بيهما: -

أمَّا نقطه الاشتراك: إنَّ كلا المدرستين يقرُّ بتحمل النص الدينى وفيه

قابليه لدلالات ومدلولات متكثره وليست حصرياً بدلاله واحده وبمدلول واحد.

وإنْ كان هذا الجانب المشترك بينهما ما فتئ الكثير من المذاهب الإسلاميه يطعنون ب حتَّى إلى الآونه الأخيره بلْ العقود الأخيره قبل ما يزيدعلى ثلاثه عقود كان هذا مصدر طعن على مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) ولكنْ سرعان ما انقلب إلى مدح وإعجاز عظيم بعد رواج فلسفه الحداثويات والهرمونطيقيا والألسنيات التعدديه وتبيَّن عندهم أنَّ هذا ليسَ مصدر طعن، بلْ مدح وعظمه وإجلال وهذا ما تقدم بيانه.

نقاط الافتراق:

الفرق الأوَّل: إنَّ خفاء القرائن والغفله وعدم الالتفات إليها عند الكثير أو عند الكل لا يخدش فى دليليه الدليل.

وذلك ببيان: - إنَّ فى منهج مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) لابدَّ من تتابع الدلالات والمداليل الخفيه وفق قرائن وموازين وقواعد وأدله غايه الأمر هذهِ الشواهد والموازين قدْ تكون غير ملتفت إليها ومغفولاً عنها عند الكثير أو الكل فإنَّ مثل هذا الخفاء لا يؤثر على دليليه الدليل كما تقدم تفصيله فى المباحث السابقه، وأنَّ هذا المنهج لا يتقيد بمعرفيه الشواهد بحسب قدره الأغلب أو الكل أو لدى العرف إلّا أنَّه لابدَّ من وجودها.

إنَّ مدرسه الحداثويين: - ليسَ الأمر عندهم كذلك، وعندهم الأمر مجرد صرف إبداء الاحتمال ويُرتب عليه الأثر ويتبنونه إلى درجه الجزم فى كثير من الأحيان عكس مدرسه أهل البيت (عليهم السلام).

الفرق الثانی: فی منهج مدرسه الحداثیون یرفضون وللأسف التحاکم إلی میزان وقواعد وشواهد مشترکه توصلهم إلی المعانی المتلاحقه والمتعاقبه، ورفضهم هذا یدلُّ علی عدم عدم اعترافهم بوجود قواعد وموازین یترافعون إلیها عند الاختلاف إلّا بمقدار إبداء الاحتمال والمفاد، کذلک یرفضون فتح باب محاسبه الأفکار إذا کانت المحاسبه بالسلاح والقوه، ونحن نُسلِّم معهم بذلک وهذا المقدار من المحاسبه مرفوض، إلّا أننا نقول لهم: -

ما المانع من محاسبه الفکر بالفکر مثلما یحاسب العمل بالعمل، علماً أنهم یدّعون حریه إطلاق الفکر ولکنهم وللأسف لا یعملون بها وإنَّما هذا مجرد رفع شعار وواقعه سدٌّ لباب الفکر بلون آخر، وهذا بالأخیر یترتب علیه حبس الأفق الفکر، ومن الواضح أنَّ فتح باب المحاسبه الفکریه یؤدی إلی توسعه الأفکار، أالیس یدعون ویرفعون شعار الانفتاح علی الأفکار الأُخری، وهذا الانفتاح علی الأفکار الأُخری یصیر تلقائیاً مقارنه وهذهِ المقارنه کذلک تلقائیاً تؤدی إلی الموازنه بمیزان المحاسبه والمحاکمه الفکریه وترک وسد مثل هکذا باب ینتج نتیجه وخیمه ویولِّد الانهزام النفسی والفکری لدی الباحثین فی هذا المجال وعدم تحمُّل مسؤولیه فتح هذا الباب تحت ذرائع مختلفه.

أمَّا مدرسه أهل البیت (علیهم السلام): - فعلی العکس من مدرسه الألسنیات والحداثویین، فتطلق الحریه للفکر ولا تحاکم الفکره فی نفسها فکریاً، وإنَّما علی الأقل تحاسب الفکره بآداب فکریه وبنمط فکری، مضافاً إلی أنَّ تحمُل المسؤولیه أمرٌ لابدَّ منه ولا یمکن التخلی عنه ورفع الید عنها فإنَّ الکلَّ

يُسألُ فی مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) ویُحاسب لا أقل بمحاسبه الفکر بالفکره فإنَّ النقد کما قالوا لا یُفسِد فی الود قضیه، وأنَّ حیاه العلم بالنقد والبحث کما وَرَدَ فی کلمات أئمه أهل البیت (علیهم السلام).

الفرق الثالث: منهج الحداثویین یدَّعی أنَّ الحقیقه لا یمتلکها الإنسان وما عرف الإنسان من الحقیقه فهو جزء الحقیقه ولدی الآخرین أجزاء أُخری، وأنَّ هذا الجزء لا یعتمد علیه بتاتاً وعلیه فلا تحاکم مع الطرف الآخر.

إذنْ آراء الحداثویین بالحقیقه متعدده: -

١ - منه: - من یقول الحقیقه لا یمتلکها أحد.

٢ - ومنهم: - من یقول الحقیقه موزعه بین الأطراف المختلفه.

٣ - ومنهم: - وهو الأکثر ربما یقول: - بأنَّ الحقیقه لا یتناوشها أحدٌ وإنَّما کُلّ ما یکون لدی الأطراف قدْ یکون زبدٌ سرابٌ بقیعه یحسبه الظمآن ماءاً.

وعلیه فمنهج الحداثویین منهجٌ سفسطیٌ - ومعنی السفسطه أی التشکیک والتشکیک عباره عن الرفض بلا دلیل لکل شیء - وهذا شیء مذموم فإنَّ الرفض والإنکار لا یستند إلی دلیل علمی وهذا بالتالی أمرٌ غیر علمی، وإنْ کانوا یرفعون شعار التنقیب فی کُلّ شیء والسؤال عن کُلّ شیء فهذا محمودٌ، إلّا أنَّ هذا یرفعونه مجرد شعار ثم یشککون به وعلیه فهم - الحداثیون - یقولون بتعدد الآراء ولا مانع من تعدد القراءات وتعدد الفهم یدلُّ علی أنَّ کُلّ واحد ما بحوزته هو سراب بقیعه.

وهكذا النظريه النسبيه التى ترفعها مدرسه الألسنيات هى بالحقيقه يطرحونها وللأسف بشكل نسبيّه سفسطيه تشكيكيه، وأنَّ الحقيقه لا يمتلكها الإنسان - كما مَرَّ - ولا تتحاكم مع الطرف الآخر، بحجه أنَّك لديك جزءٌ من الحقيقه والآخرين لديهم أجزاء من الحقيق فأنت ماذا تُريد أنْ تداينه وتحاكمه بأى شىء؟

ومن هنا يعلم أنَّ الحداثويين يريدون أنْ يجنّدوا هذا المنهج للامسؤوليه واللاتعهد واللاالتزام واللاتدين؛ لأنَّ الالتزام والتعهد هو التدين وهم لا يريدون ذلك وإنَّما يريدون التوظيف للمنهج اللادينى، وهذا نمطٌ من أنماط العلمانيه، وهذا مما يؤدى إلى أنْ يكون الجانب التربوى عندهم منفتحاً على اللاثوابت، وهذا بلحاظ وآخر يستلزم تضييع الهويه على مسلك الحداثويات الحديثه أو الاستخفاف بالهويه بنمط وبلونٍ آخر.

إذنْ النسبيّه لديهم سفسطيةٌ لا يعتمد عليها فهم عندهم رؤيه الكل صحيحه وعليه لا تُداين الطرف الآخر برأيه؛ لأنَّه لا أحد يقبل بأنْ تصدر رأيك على رأيه إلّا أنَّ الواقع ليسَ المسأله مسأله رأى، وهذا له رأيه، وأنت لك رأيك و... الخ.

انظر أيُّها المتأمل المدقق المنصف كيف يلبسون تعتيماً فى هذا البحث وكأنما يجعلون هويه الفكره هو الشخص لا هويه الشخص الفكره، وبالتالى صار عندهم الرأى ملك هذا وذاك، وأنه يتلون بفكر هذا وبفكر ذاك فى نفسه ولا يتلون الرأى بلون العلم فى حد نفسه وهكذا لا يتصورون من أنَّ العلم مجرد فى حدِّ نفسه.

بخلاف مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) من أنَّ الحقيقه والنسبيه تعنى أنَّ

السائر على الصراط المستقين يصل إلى درجات وغيره يصل إلى درجات أعلى أو أدون، إذنْ هناك درجات فى طى الصراط واحتواء الحقيقه تصل إليها من وصل ويغفل عنها من يغفل وعند الله العلم الكامل ويطّلع عليه تعالى ويظهره لمن يشاء وما شاء من عباده المصطفين المعصومين (عليهم السلام) النبى (صلى الله عليه و آله) وآله صلوات الله عليهم أجمعين.

ص:٣٨٢

نظریه السید المرتضی (رحمه الله)

نظریه السید المرتضی (رحمه الله)(۱)

تقدَّم أنَّ السید المرتضی (رحمه الله) ذکر فی کتابه الشافی فی الإمامه نظریه مفادها [أنَّ الحجیه لا یُقتصر فیها علی الصریح بلْ تعم غیره].

وکأنما هذهِ النظریه جاءت ردّاً علی من کان عنده انحراف معرفی یظن أنَّ الحجیه منحصره فقط فی الدلاله الصریحه، وأنَّ الدین یُؤخذ من الکتاب والسنه من الدلالات الصریحه فقط، وما عداه فلیس بحجه.

ولازم رأی هؤلاء المنحرفون فکریاً أمثال: - السلفیه والوهابیه وغیرهما أنَّ غیر الصریح لیسَ بحجه وإذا لمْ یکنْ حجه فهو لیسَ من الدین وهذا مما تترتب علیه لوازم وأمور خطیره جدّاً.

بینما القرآن الکریم یؤکِّد علی أنَّه یجب أنْ یؤمن المسلم والمؤمن بظاهر القرآن کما یؤمن بتأویله ویؤمن بمحکمه کما یؤمن بمتشابهه وأنْ لا یقتصر أمر الدین علی التمسُّک بالظاهر فقط والشاهد علی ذلک ما جاء فی سوره آل عمران وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ۲ ، و یَوْمَ یَأْتِی تَأْوِیلُهُ۳ إلی غیر ذلک من الآیات، التی تثبت أنْ القرآن له تأویل کما له تنزیل، ومن الواضح أنَّ التأویل أخفی من الظهور الخفی وکلٌ منهما - التأویل والظهور الخفی - حجه حسب نظریه السید المرتضی، وعلیه فکیف یحبسون أصحاب الفکر

۱- (۱) فی نتابه الشافی فی الإمامه.

المعرفی المنحرف والمعوّج الحجیه علی خصوص الظهور الصریح للنص.

إشکال: قدْ یشکل البعض علی أنَّ الخوض فی غیر النص الصریح والظاهر یوجب التلاعب بالدین والتخرُّص و....

الجواب: نُسلِّم أنَّ هذا محذور فی حدِّ نفسه، ولا یقبل أحدٌ منّا أنْ یُبنی الدین علی أمور استحسانیّه وحدسیه وذوقیه التلاعب وقیاس ظنی علی أهواء وآراء متکلفه متصنّعه، هذا کُلَّهُ نُسلِّم أنَّه غیر صحیح، إلّا أنَّ هذا المحذور محذوراً یلجئنا إلی حصر الحجیه فقط بالظهور فما هو الدلیل علیه؟.

الطریق لا ینحصر بهذا فإنَّ هناک بعض الطرق خاطئه وأُخری صحیحه فإنَّ المعروف من إنَّ إثبات الشیء لا یستلزم نفی ما عداه.

وبعضهم وللأسف یُسَّری هذا إلی المنهج الفقهی فضلاً عن المنهج التفسیری للقرآن بأنْ یعتمد فقط علی دلاله الآیات والروایات الصریحه علی المطلب بأنَّها الداله علی الحکم الفقهی وغیرها التی فیها خفاء فهی لیست بدلیل لأنَّها تحتاج إلی کلفه ومؤونه زائده...

وخیر شاهد علی ذلک ما قاله صاحب الجواهر محمد حسن الجواهری (قدس سرّه) [لو بُنی الفقه علی الصریح فقط ما قامت للفقه قائمه].

إذنْ علینا أنْ لا نجمد علی القراءه السطحیه للنص فإنَّه یوجد فرق بین لا نتکلف ولا نتخرص ولا نتصنع وهذهِ من صفات سید الأنبیاء (صلی الله علیه و آله) أنَّه (صلی الله علیه و آله) کان من المتکلفین ولاـ یبدأ بشیء من نفسه وإنَّما یُوحی إلیه من ربه، وبین أنْ نجمد علی ظاهر النص ویکون مظهراً ظاهریاً فقط، فإنَّ مثل هذا غیر صحیح کما تقدم من أنَّه لا عمومیه فی الإثبات إلّا بموجب دلیل، کما

لا تعميم فی النفی إلّا بموجب دلیل وإثبات.

الخلاصه: إنَّ نظریه السید المرتضی (قدس سرّه) تنقسم إلی قسمین: -

القسم الأوَّل: حجیه مضیّقه أی الظهور الجلی والواضح والأمر منجز ولیسَ فیه تروی واستمهال، والمراد من الحجیه هنا العقاب الصارم وانضباطٌ حدّی یخرس الألسن... الخ.

القسم الثانی: حجیه موسعه أی الظهور الخفی أی الحجیه موسعه السعه وهی حجه عند السید المرتضی بخلاف غیره الذی نفی الحجیه عن الظهور الخفی وحصرها بالقسم الأوَّل فقط.

ومعنی الحجیه الموسّعه: هی التی فیها تروّی واستمهال وتدبر وتأمل کما فی الظهور الخفی.

وهذا السر الذی شرحه أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی اعتماد القرآن الکریم وشریعه سید المرسلین للتعریض من أنَّ التعریض: - حجیه معها مُهله وتروی ورأفه بالعباد لئلا یُعاجلوا بالعقاب.

ولا یوجد تنافی بین وجود المهله وبین کونها حجه ودلیل فإنَّ الکثیر وللأسف یظن وجود تنافی بینهما - أی بین دلیل الحجیه وبین وجود المهله والتروی وأنَّه مع وجود المهله فی الدلیل لا یصلح الدلیل للحجیه.

وعلیه فلا توجد ملازمه بین کون هذا دلیلاً وکونه صارماً أی لو کان هناک دلیلاً لکان هناک قطعاً - لا کما توهمه البعض من وجود الملازمه بینهما وهو غیر صحیح، والصحیح ما أشار إلیه أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی کلماته إلی فلسفه الحجیه وأنَّ القطع والحجیه علی قسمین: - قطعٌ موسع، وقطع مضیق.

وأنَّ الحجيه الموسعه: - هى نظام تعليمى تربوى ناجحٌ ونافعٌ وفيه مهله وتروى ورفق وأنَّ الله تعالى رفيق بالعباد ويحب الرفق فى الأمور كلها.

والشاهد على ذلك ما قاله الإمام (عليه السلام): - ما وضع اللين على شىء إلّا زانه وما وضعت الشده والحده على شىء إلّا شانه.

ص:٣٨۶

هل الظهور صفه ثابته للألفاظ

أو صفه لإدراک الإنسان ؟

وقبل الخوض عن الظهور وأقسامه، يُثار هذا التساؤل هو أنَّ الظهور ظهورٌ نسبى بأنْ يكون الظهور ظهوراً عند شخص وواضح وجلى، وعند شخص آخر ليسَ بظاهر وغير واضح، أو أنَّ الظهور صفه إطلاقيه؟

وتتجلى مسأله الظهورات النسبيه عند الفقهاء والمفسرين و... الخ فإنَّ الفقهاء خاصه لديهم دائره ظهورات تختلف عن دائره ظهورات غيرهم، فمثلاً ـ لو قرأ الفقيه نصاً فقهياً معيناً فإنَّه سوف يلتفت إلى مفادات هذا النص الدينى ما لا يلتفت إليها غيره من الفقهاء وغيرهم، وهذا معناه أنَّ الظهور ظهورٌ نسبى يختلف من شخص إلى شخص آخر وهو ظهور خفىٌّ ويكون حجةً ويستطيع الفقيه أنْ يستنبط من هذا الظهور الخفى حكماً شرعياً قدْ يُفتى أو يحتاط على أثره إذا ولَّد له هذا الظهور الخفى اطمئناناً لهذا الحكم فإنَّه سوف يكون حجه عليه وعلى من اتبعه فيما بينه وبين ربه.

ولذا ترى بعض الفقهاء يستغرب ويتعجب من حكم بعض الفقهاء وأنه كيف استظهر هذا المعنى الخفى غير الظاهر وأنه لا يلتفت إليه إلّا الأوحدى منهم وأنه يحتاج إلى التفات وانتباه شديدين.

ومن خلال هذا يتبين أنَّ الظهور نسبىٌّ وليسَ صفه اطلاقيه.

هناك إشكال أو تساؤل أثارته بعض المدارس الإسلاميه على مدرسه

أهل البيت (عليهم السلام) وحاصله: -

إنكم تعتقدون بأنَّ الإمامه من أهم أركان الفروع فهى أهم من الصلاه و الصوم والحج والزكاه و... الخ فكيف لا تكون بيّنه وواضحه كوضوح وبيّنه بقيه أركان فروع الدين الأُخرى.

الجواب: أجاب السيد المرتضى علم الهدى (رحمه الله) وهو أحد علمائنا الأبرار أنَّ الظهور ظهوران: ظهور جلى وظهور خفى، وأدله إمامه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) وأئمه أهل البيت (عليهم السلام) من قسم الظهور الخفى وإنَّ هناك أدلَّه يقينيه قطعيه على إمامه على (عليه السلام) ووصايته، فهو حجه ولا يستلزم تكفير بعض المذاهب الإسلاميه(١) ؛ لأنَّ ضابط الكفر عندنا هو إنكار وجحود ما كان ظهوره جليّاً فى الآيات القرآنيه، وكذا السنه النبويه.

أمَّا إذا كان ظهوره من قسم الظهور الخفى فلا يوجب ولا يستلزم تكفير كافه المسلمين وإخراجهم عن ظاهر الإسلام، وإنَّما ذلك يوجب سلب الإيمان عنهم لا سلب الإسلام وإنَّما بقاؤهم على نعت الإسلام ولو بحسب ظاهر الإسلام باعتبار أنَّ المسلمين فاتحون للبلاد الأُخرى غير الإسلاميه وجعلها بلاد مسلمه واتساع رقعه الإسلام، وعليه فلهم حرمه من تشهد الشهادتين حرم دمه وماله وعرضه وأهله على حاله.

إلّا أنَّ الإيمان مطلب آخر وحقيقه أُخرى قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ٢. غير ظاهر وحقيقه

١- (١) كتاب الأمالى للسيد المرتضى.

الإسلام.

إشكال: لماذا لمْ تحكموا بكفر أو ارتداد من ينكر إمامه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) ووصايته إذا كان عندكم أدلَّه يقينيه قطعيه على إمامته (عليه السلام)؟

الجواب: ليسَ كُلّ ما هو يقينى وقطعى وأنكره الطرف الآخر نُحكم بكفره وارتداده ومروقه عن الدين، بلْ هناك شرط آخر كون المنكر والجاحد بأمر يقينى وقطعى وجلى مصرَّح به آنذاك يحكم بكفره، وعليه يكون الحكم بالكفر والارتداد فرع كون الدليل قطعياً ويقينياً مصرح به وإلّا بأنْ كان المنكر منكر لأمر خفى وإنْ كان قطعياً ويقينياً فإنَّه لا يترتب على ذلك جحوده وإنكاره لا يترتب عليه الكفر هذا هو منهاج أهل البيت (عليهم السلام) سواء على صعيد تفسير القرآن أو سواء على صعيد الفقه السياسى أو الاجتماعى أو... الخ.

وهذا للأسف ما لا يستطيع أنْ يفهمه أصحاب المذاهب الإسلاميه الأُخرى فى نظام التعايش الإسلامى على صعيد فكرى أو على صعيد حقوقى أو مدين وحرمه الأموال والدماء والنفوس و... الخ.

وعليه يكون الفرق بين التصريح أى الظهور الجلى وبين التعريض أى الظهور الخفى أنَّه فى التعريض لا يكون الجاحد والمنكر مارقاً بحسب الظاهر فإنَّه يُمهل ويُعطى فرصه أكثر بخلاف التصريح.

إذنْ دلائل إمامه أهل البيت (عليهم السلام) هى من قسم الظهور وهى حجةٌ وإنْ كان هذا الظهور خفياً، فإنَّه يتراكم من القطع واليقين وينجلى هذا الظهور الخفى بذوى البصيره، ويُعذر فيه من ضعف عن الأبصار والبصيره

ولا يُعدُّ جحوداً حينئذٍ.

وعليه فالسيد المرتضى (قدس سرّه) حلَّ هذهِ المشكله العويصه من خلال قسم الظهور الخفى وليسَ من قسم تأويل وأنه حجةٌ وإنْ غفل عنها فئام الناس، وكون الظهور خفياً لا ينافى أنَّه يقينى وقطعى.

إذنْ الحجه عند السيد المرتضى لا تقتصر على الصريح بلْ تعم غير الصريح.

ونذكر بعض المؤيدات لما ذكره السيد المرتضى من أنَّ الظهور الخفى حجه وليسَ من قسم التأويل، وهى: -

أولاً: ما اعتاده الناقد الأدبى - كاتب أو شاعر - من زمن الجاهليه وأيام سوق عكاظ وما كان يجرى بين الشعراء والأدباء فى المسابقات الأدبيه ويتبارون ويتسابقون ويقف الشاعر أو الكاتب ويتفطن نكاتاً لا يلتفت إليها زميله ومسابقه ويصل إلى نتائج نثريه أو شعريه تعتبر أبلغ وأفصح من بقيه المقطوعات، إلى زمن الإسلام إلى يومنا الحاضر، فإنَّ كُلّ ما يستظهره الناقد الأدبى يُدرج فى قسم الظهورات وإنْ كان لمْ يلتفت إليها إلّا الأوحدى من الناس ورُتبت عليها الآثار.

ومن خلال هذا كُلَّهُ يفرق ويظهر أنَّ ميزان حجيه الظهور ليسَ تحكيم العرف اللغوى أو بروز هذا المعنى لدى جل أو نصف أو أقل أهل اللغه بلْ الميزان شىء آخر سيتضح خلال البحوث الآتيه إنْ شاء الله تعالى.

ثانياً: - ما يذكره جمله من محققى علم الأصول: بأنَّ أدلَّه الاستصحاب شامله لاستصحاب العدم الأزلى إلّا أنهم يذكرون أنَّ العرف لا يفهمها

ولا يستطيع أنَّ يدرك أنَّ عموم الاستصحاب شامل لاستصحاب العدم الأزلى، فعدم الجزم بشمول أدلَّه الاستصحاب لاستصحاب العدم الأزلى لا إشكاليه فى ماهيه الاستصحاب، بلْ هو على وتيره باقى الاستصحابات الأُخرى، ولكنْ شمول أدلَّه الاستصحاب لمثل هذا الاستصحاب الخفى صعب على البعض وخفى عنهم.

ولذلك يتصور بعضهم أنَّ روايات أهل البيت (عليهم السلام) وكلامهم يجب أنْ يفهمه عامه الناس، أمَّا إذا فُسِّر بمعانى قواعديه تحليليه صناعيه غامضه غائره فإنَّ مثل هذا ليسَ بظهور حجه.

وهكذا نلاحظ بعض حالات الظهور جليه المعنى فى زمانٍ معين من آيات وروايات ولكنْ يأتى بعد ذلك الزمان المعين جيلٌ يكون عندهم هذا الظهور الجلى خفياً.

وبالتالى يُشكل غموض المعنى المُستظهرعلامه عند هؤلاء على خطأ هذا الاستظهار.

إشكال: إذا كانت أدلَّه إمامه أهل البيت (عليهم السلام) أو أدلَّه الحقائق فى القرآن بنحو التعريض لا التصريح، ومن المعلوم أنَّ التعريض فيه خفاء، وعليه يلزم محذور أنَّه أىُّ حجيه فى التعريض والخفاء وعدم التصريح؟

وهذا أمرٌ بالغ الخطوره فلابدَّ من الالتفات إلى رفعه وجوابه.

الجواب: لابدَّ أنْ نلتفت جميعاً – العامه والخاصه – من الفرق الإسلاميه إلى أنَّ الحجيه ليست مقصوره على التصريح والنص الصريح، كلا، وإنَّما الحجيه عامه وشامله لكل درجات الظهور وإنْ لمْ تكن

صريحه، ومن الخطوره بمكان فى منهج المعرفه أنْ نحصر معرفه الدين والتفسير والحجيه بالصريح فقط أو النصوصيه فإنَّ هذا منهج خطرٌ جداً.

وهذا يشبه إلى حدٍّ ما حبس بعض الفقهاء مسالكهم الرجاليه، وكذا المفسرين بالتفسير المأثور بالاعتماد على الخبر الصحيح وطرح الخبر الموثق والخبر الحسن والمستفيض و... وقدْ يتشكل من الضعيف خبر مستفيض أو متواتر ويمكن بالتالى ترتيب الأثر عليه، بخلاف ما لو حبسنا وضيقنا دائره الاعتبار والحجيه على الخبر الصحيح فسوف نقع فى ضيق.

كذلك فى المقام فإنَّ حبس وقصر الجيه على دلاله الظهور فقط أيضاً فيه من اللوازم والتداعيات الخاطئه والخطيره.

ولذا وللأسف نجد الكثير من الماديين أو العلمانيين أو المنتفعين أو المتعلمين أو الحداثويين أو السلفيه أو الوهابيه أو ما شابه ذلك من المدارس الفكريه رفعوا شعاراً:

[عدم الاستجابه للغير إلّا إذا كان عند الطرف الآخر دليل قطعى يقينى فأنَّ ذاك تناقشه إنْ كان هناك مجال للمناقشه وإلّا فلا].

إلّا أنَّه سوف يتسجل عليهم إشكال لا يستطيعون دفعه والتخلص منه، وحاصله: كيف تستحلون وتعذرون أنفسكم فى بناء منهاجكم ومساركم على الظن بينما تطالبون الآخرين بأنَّه لابدَّ أنْ يكون عنده دليل قطعى يقينى، علماً أنَّ الذى يرفع مثل هكذا شعار المفروض أوَّل من يلتزم به ويطبقه هم حملته ورافعوه.

نعم، نُسلِّم أنَّ اليقين هو أصلٌ ومن الأساسيات ولابدَّ منه أمَّا أنْ

نطالب بأنْ يكون هذا اليقين هو أصلٌ فى كُلّ صغيره وكبيره فإنَّ هذا غير صحيح.

الجواب: ما رفعوه ليسَ صحيحاً بلْ هو متعذر فى الحياه الأرضيه وحياه البشر وأوَّل من تخلى عنه هم حملته والذين رفعوه، ذكرنا أنَّ اليقين نُسلِّم به كأصل أمَّا أنَّه أصل فى كُلّ التفاصيل فليس بصحيح، بلْ هم أنفسهم الذين رفعوه شعاراً غير قادرين على ذلك، وإنَّما يكفى الظن فى التفاصيل والعمل بالظن بمواصفاته وشروطه الصحيحه والتامه المستنده إلى اليقين.

ص:٣٩٣

حجیه الدلاله فی اللغه العربیه

اشاره

قبل الخوض فی مبحث نظام الاستعمال اللفظی فی القرآن والسنه، وأنه قائمٌ علی التعریض لابدَّ من الخوض مفصلاً فی أنَّ حجیه الدلاله فی اللغه العربیه وفی القرآن ومن السنه هل تقتصر علی درجه الظهور الجلی أم الظهور الخفی أم علی ما هو الأعم من ذلک؟

ولتحریر البحث لابدَّ من الالتفات إلی أمور أهمها:

الوضوح والخفاء أمران نسبیان:

هناک سؤالاً یدور فی الأذهان أنَّه: لماذا یُقال: هناک أمور نسبیه وأمور مطلقه عامه؟

توضیحه: لابدَّ من إلفات نظر الباحث المتتبع الکریم أنَّه لیسَ المدعی فی المقام أنَّ کُلّ ظهور هو ظهور نسبی، وأنَّ کُلّ خفاء وبطون هو خفاء وبطون نسبی وإنَّما بعض الظهور نسبی وبعضه ظهور مطلق، وکذا الخفاء.

وهذا الأمر لیسَ مختصاً بنظام استعمال دلاله الألفاظ فی القرآن، وإنَّما حتَّی فی نظام استعمال المعانی فی القرآن الذی هو معانی عقلیه بحته أو غیر عقلیه وأمثله ذلک کثیره.

منها: مسأله اشتغال الإنسان کثیراً بعلم من العلوم فإنَّه سوف تصبح کثیر من الأمور المجهوله لدیه سابقاً معلومه وبدیهیه بالنسبه إلیه، ونظریه فی نفس الوقت لشخص آخر لمْ یشتغل بهذا العلم... وعلی مثل هذا قس

البواقی(۱).

وبالتالی: حصیله البدیهیات کلما ازدادت رقعتها ازدادت قوه حدس الإنسان وفهمه للأمور النظریه یصبح أکثر فأکثر.

الخلاصه: إنَّ الظهور والخفاء أمورٌ نسبیه وصفات بلحاظ الإدراک لقوی إدراکیه، ولیست حقائق علمیه.

وأنَّ المنضبط فی الحقائق العینیه فی استنطاق الدلالات الدینیه هو أنها یجب أنَّ ترسو ویوصل منها إلی نتیجه وحجه یمکن ترتیب الأثر علیها ضمن قواعد وضوابط معینه:

المهم هو الوصول إلی هکذا نتیجه مهمه وحجه حتَّی علی ضوئها یمکن حل وجواب کثیر من الشبهات والإشکالات الموجهه علی منهج التأویل والخفاء وأنه لیسَ بحجه وأنه لمْ یکنْ موجَّهاً إلی عموم أذهان الناس وأنه منهج مُبطن لا تُراعی فیه الحقیقه، وحل مثل هکذا إشکالات والإجابه عنها ذلک بسبب أنَّ الخفاء والوضوح لیسَ میزان الصحه فی الدلاله والانضباط ما لمْ یکنْ منضبطاً تحت ضابطه ومیزان مُعین.

۱- (۱) توجد أمثله ذکرها الأستاذ وأکتفینا بذکر واحد منها.

التوريه

من أقسام التعريض التوريه: هو أنَّ يذكر المتكلم لفظاً مُفرداً له معنيان أحدهما قريب غير مقصود ودلاله اللفظ عليه ظاهره، والآخر بعيد مقصود، ودلاله اللفظ عليه خفيّه، فيتوهم السامع أنَّ المتكلم يريد المعنى القريب، وإنَّما هو يريد المعنى البعيد بقرينه نشير إليه لا يكشفها إلّا الفطن(۱).

إذنْ التوريه عن الشيء بالشيء هو أحد أقسام الدلاله وللأسف إلى الآن علماء البلاغه لم يبسطوا ويفتقوا هذهِ المباحث وكيف تستثمر وإنَّما باقيه على طبيعتها الأوليه، وإنَّما يذكرها علماء البلاغه والبيان بشكل وصوره خاطفه وسريعه.

وعليه إذا كان المتخصص من النخب وهم علماء البلاغه والأدب واللغه لمْ يستوعبوها ولم يقفوا على تفاصيلها فكيف بباقي النخب الأُخرى أنَّ يعلموها ويستثمروا من آلياتها وهي سلسله مترامیه الأطراف والدلالات.

وبعباره أُخرى: إلى الآن علماء البلاغه المتخصصين تنظيراً لمْ يقفوا على كُلّ التفاصيل فضلاً عن التمثيل والإجراء على صعيد الدلاله القرآنيه.

۱- (۱) المعجم الشامل، ج ۲، ص ۱۱۶.

البيان تعليم إلهى فطرى للبشر

وردت كلمه البيـان فى سـوره الرحمن اَلرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسـانَ عَلَّمَهُ الْبَيـانَ١. أحـد الأـمور التى يفتخر الله عز وجل بها كمعجزه قرآنيه هو سوره الرحمن التى تسمى بعروس القرآن(١) ولامناسب لها أنْ تكشف عن الحقيقه التكوينيه؛ ولذا ابتدأ باسم من أسـماء الله تعـالى الجمـاليه وهو الرحمن وأوّل النعم التى يَمُنَّ الله تعالى به على خلقه هى نعمه البيان وأنها تعليم فطرى لـدُنى إلهى، وهذا البيان يُعبِّر عن الإنسان بأنَّه حيوان ناطق أى أنَّ النطق والبيان معلم خاص ومميز لإنسان عن غيره.

ولاـ زال علماء اللغه – فى أى لغه من لغات العالم – إلى يومنا هـذا لاسـيما العربيه التى هى معجزه اللغات بحسب البحوث الغربيه الاستراتيجيه الحديثه الدوليه أنَّ اللغه العربيه تشـكل أعظم لغه علميه تناسب دقه العلوم وتطورها وفى المقابل أثبتت هذهِ الدراسه والتقرير فشـل اللغه الانكليزيه وأنها لغه لا توافق الانضـباط فى البحث العلمى على قـدم وساق يبتكر كل من البحوث اللغويه علماً تخصصياً جديداً فى علم اللغه إلى أنَّ توسعت إلى ما شاء الله من العلوم فى اللغه.

إذنْ عالم اللغه عالمٌ عظيم له تأثير على خلق الإنسان الـذى علّمه البارى البيان، ومن الواضـح أنَّ هذهِ القواعد التى تسـتكشف فى علوم اللغه

١- (٢) والتعبير عنهـا بعروس القرآن معناه أنَّ هـذهِ السوره المباركه مزدانه بزينه آلاء الرحمن وآلاء الخلقه الإلهيه والفعل الإلهى فكلّها مباهات بأنواع أشعه عظمه الجمال الإلهى.

ليست وليده الساعه وإنَّما هى قواعد كانت موجوده ولكنَّها مجهوله عند البشر ومغفول عنها، ولا يعنى جهل البشر الذين زُوِّدوا من قبل الرب تعالى بالبيان واللغه أنَّ هذا الأمر التكوينى نظام مهول وفق قواعد ومعادلات معقده جداً، وإنَّما هذا بنفسه برهانٌ على أنَّ علم الدلالات الخفيه والنظام الصوتى من علوم اللغه وأنَّ علم الدلالات هو بحث واستنتاج وفق أسس علميه متعاقبه ومترامیه علمها من علم وجهلها من جهل لا أنها تكلف واصطناع بلْ هو اكتشافٌ لحقائق موجوده تنكشف للبعض وتُحجب عن البعض الآخر لا أنها غير موجوده.

وعليه فباب التعريض بابٌ واسعٌ، وأنَّ ما أنجزه علماء اللغه العربيه من علماء لغه ونحو وصرف واشتقاق وبلاغه وباقى العلوم الأُخرى كعلم الفقه والأصول والتفسير والمنطق فى مباحث الألفاظ، هم جميعاً مشكورون على ما بذلوه من جهود مضنيه وجزاؤهم على الله تعالى إذا كان الهدف هو الله تعالى، ويكفينا فى ذلك قوله تعالى اَلرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ١.

ومعنى تعليم البيان: - إنَّ البيان من المعاجز أو النعم الإلهيه العظيمه التى يردُفها الله تعالى فى سباق منه تعالى على الإنسان بأصل خلقته بمنّه عظيمه وهى تعليم القرآن للإنسان علّمه البيان.

إذنْ علم البيان واللغه علم بمعنى إبداعٌ إلهى، فالله تعالى علَّم الإنسان البيان، والبيان عباره عن منظومه عظيمه التى عجز البشر وإلى يومنا هذا من أنْ يكشف سِرَّ إعجازها؛ ولذا البشريه الآن حتَّى الغرب فى صدد أنَّه - البيان - ظاهره تكوينيه إعجازيه فلسفيه لذا يعبرون عنها بفلسفه الألسنيات أى الجانب التكوينى والغيبى وأسرار وقضايا وهو الصحيح.

تلخيص لنتائج القاعده الأولى

من قواعد نظام الاستعمال اللفظى

هناك عدَّه نتائج انتهينا إليها فى القاعده الأُولى – التأويل والظاهر – من قواعد نظام الاستعمال اللفظى، ونلخصها بنقاط: –

النقطه الأُولى: خلصنا إلى تعريف جديد للظهور يشمل التأويل.

بيانه: من خلال البحوث المتقدمه يمكن أنْ نستفيد هذهِ النتيجه وهى أنَّ الظهور على قسمين: –

ظهور بالمعنى الخاص: وهو الظهور المتعارف لدى عموم الأذهان وما يتبادر من دلاله الدليل ومدلوله وما شابه.

ظهور بالمعنى الأعم: وهو أوسع من الأوَّل ويراد منه أى مدلول يصل إليه القارئ الكريم المتدبر فى النصوص الدينيه – القرآنيه والروائيه وغيرهما – ولو بعد التروى والتأمل والمهم أنْ يصل إلى هذا المعنى العام من خلال نظام موازين قواعد الأدب وعلوم اللغه مع الاستعانه بقرائن أُخرى ولو كانت خفيه وسواء وصل من خلال تلك القرائن إلى طبقه من المعانى أم طبقات، وكلما ازداد خفاءاً كلما ازداد توغلاً أكثر فى التأويل ومع كُلّ ذلك فهو يندرج فى الظهور وذلك لأجل أنَّه وصل إلى رفع ذلك الخفاء والإبهام والإجمال بسبب وعن طريق استعمال قواعد وموازين منضبطه فى علوم اللغه والأدب والبلاغه... الخ فتوصل إلى تلك النتيجه الخفيه واستظهرها وإنْ خفيت على الجميع.

ص:۴۰۱

النقطه الثانيه: منهجنا فى حجيه التأويل وأنه جزء من حجيه الظهور هو أنَّ التأويل الخاضع لموازين وقواعد علوم اللغه والبلاغه والأدب و.. فمثل هذا التأويل حجه لأنَّ طبق موازين ودلالات لا أنَّه تأويل على طبق الهوى أو ما يعبر عنه التفسير بالرأى فإنَّ مثل هذا التأويل ليسَ بحجه فإنَّه منهج عبثى فالإشكالات والطعون إنْ كانت فهى على الثانى لا الأوَّل.

تنبيه: التأويل الحجه يوصل إليه بالموازين فى جمله علوم كالبلاغه والأدب والصرف و... الخ إلّا أنَّه القدره على استكشاف معانى خفيه لدلالات مترامیه الأطراف والغور إلى الأعمال والخروج بنتائج منضبطه هنا تختلف قدره المعصوم عن قدره علماء الاختصاص عن المجتهدين والفقهاء، فالمعصوم يستطيع أنْ يصل بترامى موازين الدلاله وقواعد علوم الأدب إلى كافه تفاصيل الدين والشريعه ويحيط ويُلم بها بما زوّده الله تعالى من العلم اللدنى فيصل إلى كُلّ تلك التفاصيل من خلال موازين الدلاله، لما نصَّ على ذلك القرآن وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ١. أى تأويل آيات القرآن هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم أى فى صدور الذين أوتوا العلم اللدنى من الله.

بخلاف غير المعصوم فإنَّه لا يصل إلّا إلى حد محدود تتظافر عليه جهود علماء الأمه جيلاً بعد جيل لتصل إلى منازل لمْ تكن علماء الأمه قدْ وصلوا إليها هذا بالنسبه إلى سائر العلماء والمجتهدين أو الفقهاء ذوى الاختصاص فى العلوم الدينيه.

هذا مضافاً إلى أنَّ المعصوم ليسَ عنده آيات متشابهات وإنَّما كُلّ

الآيات بينات وهى محكمه عند المعصوم متشابهه عند غيره.

فالمعصوم ليست فقط المعانى الخفيه ظاهره لديه وبعمقها العميق والإحاطه بها، بلْ هى بيّنه لديه ولذلك وَرَدَ فى زياره أمير المؤمنين (عليه السلام) وباقى المعصومين (عليهم السلام) «أشهد أنَّك كنت على بينه من ربك».

بتقريب: إنَّ الأمور بينه لديه لا أنَّها ظهرت أو لاحت وتوضحت بدرجه متبدهه بلْ أنَّ الأمور بينه لديه من أوَّل الأمر، والمعصوم عنده الأمر بيّن وبديهى وليسَ فقط يعلمه بلْ يعلمه ويعلم أصله ومآله ومنشأهُ ومرجعه وباطنه بخلاف غير المعصوم الذى يعلم بالشىء من خلال القواعد ولكنْ لا يعلم منشا أصله ومآله ومرجعه فحيئنذ لا يكون لديه الأمرُ بيّناً وإنَّما يعلمون ظاهراً من الحياه الدنيا.

وأحد معانى البيِّن هو مايُجمع فيه بين ما يغيب وما يظهر أى الجمع بين عالم الشهاده والغيب، يعنى الشهاده للآخرين، والغيب غيب عن الآخرين، فالمعصوم عالم بعالم الشهاده الذى استبان له، بلْ المعصوم بيِّن له كُلّ طبقات القرآن النازله هى آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم.

إذنْ المعصوم له اقدره ن العاليه على التنقل من طبقه الدلاله إلى طبقه أُخرى والوقوف على حلقات الوصل بين الشبكات المترامیه واللامتناهيه.

كما فى الروايه عن الإمام الباقر (عليه السلام) فى تفسير سوره التوحيد: [... لو شئتُ لاستخرجت الدين كُلَّهُ من لفظ الصمد](١).

بتقريب: - إنَّ المعصوم له القدره على استخراج واستنباط أحكام

١- (١) الروايه فى تفسير البرهان / هاشم البحرانى - وتفسير نور الثقلين للحويزى.

الـدین والشـریعه من لفظه واحده ومن الواضح أنَّ قدره المعصوم لمْ تنحصـر بالاسـتنباط للآیه [ولو ردوه إلی الرسول وإلی أولی الأمر منهم لعلمه الذین یستنبطون منهم][(۱)] یعنی الراسخون فی العلم أی الذین فی قلوبهم القرآن آیات بینات.

۱- (۱) سوره النساء: الآیه ۸۳.

الفصل الخامس: القاعده الثانيه – قاعده الالتفات

اشاره

ص:۴۰۵

قاعد الالتفات

١ - مقدمه وتشتمل على:

*تعريف الالتفات لغه.

*تعريف الالتفات اصطلاحاً.

*تعريف الالتفات عند الجمور.

بيان أقسام الالتفات.

٢ - سبب عدم تركيز أغلب المفسرين على قاعده الالتفات.

٣ - الضوابط التطبيقيه لقاعده الالتفات:

*الفصل والوصل.

*التقديم والتأخير.

*التجريد.

*الابتداء والانتهاء.

*السؤال والجواب.

*منه آيات بعضها فى سوره وتمام الآيه فى آيه أو سوره أُخرى.

٤ - الهجره والنصره فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام.

- السرد القصصى القرآنى.

- فائده حول علم نظم المعلومات.

- الجرى والتطبيق وضابطه.

٥ - الآيات والروايات لا يقتصر فيها على الجانب التطبيقى.

ص:٤٠٧

۶ – وحده السیاق وما یترتب علیها من آثار سلبیه.

۷ – النسبیه فی القرآن وعند الحداثیین.

۸ – الإعجاز البلاغی فی القرآن الکریم.

۹ – روایه الإمام الباقر علیه السلام کمدرک لقاعده الالتفات.

۱۰ – قاعده الالتفات ومعرفه تکثر بطون القرآن وظهوره.

۱۱ – المعالجات البیانیه فی روایات أهل البیت علیهم السلام لسطح ظاهر ألفاظ القرآن الکریم.

۱۲ – الفرق بین المعلم الإلهی ومقام الآمریه والأولویه.

ص:۴۰۸

قاعده الالتفات

مقدمه:

القاعده الثانیه من قواعد الاستعمال اللفظی والتی ترتبط بنظام التعریض، ولا نرید الدخول فی تفاصیل هذهِ القاعده البلاغیه المهمه ألا ـ وهی قاعده الالتفات من أجلّ علوم البلاغه وهو أمیرُ جنودها والواسطه فی قلائدها وعقودها، وإنَّما نذکرها لأجل التأکیدعلی أنَّ نظام التعریض هو الأساس فی النظام الاستعمالی فی القرآن ولا شک إنَّ الالتفات مخصوص بهذه اللغه – أی العربیه – دون غیرها.

الالتفات لغهً: مأخوذ من التفات الإنسان یمیناً وشمالاً، فتاره یُقبلُ بوجهه وتاره کذا، وثالثه کذا، أو هو الانصراف والتفت إلیَّ التفاتاً أی انصرف بوجهه نحوی(۱).

واصطلاحاً: والالتفات فی علم المعانی من علوم البلاغه، ذکر البلاغیون له معنیین:

المعنی الأوَّل: أنْ یلتفت وینتقل المتکلم – سواء کان شاعراً أو راویاً أو أدیباً أو... الخ من معنی إلی آخر حین یُعرض له ثم یعدل إلی الأوَّل.

المعنی الثانی: أنْ ینتقل المتکلم من ضمیر إلی ضمیر کقوله تعالی: حَتّی إِذا کُنْتُمْ فِی الْفُلْکِ وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَهٍ۲. فانتقل الباری عز اسمه من

۱- (۱) مجمع البحرین، ماده (لفت).

ضمير الخطاب كنتم - خطاب المتكلمين إلى الغائبين -

وعند الجمهور: الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثه - أعنى التكلم والخطاب والغيبه - بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، بشرط أنْ يكون التعبير الثانى على خلاف مقتضى الظاهر، ويكون مقتضى الظاهر سوق الكلام أنْ يُعبَّر عنه بغير هذا الطريق، وهذا واضح؛ لأنَّ الالتفات هو انتقال الكلام من أسلوب التكلم والخطاب والغيبه إلى أسلوب آخر غير ما يترقبه المخاطب ليفيده تطرأهً لنشاطه وإيقاظاً فى إصغائه، فلو لم يعتبر هذا القيد لدخل فى هذا التفسير أشياء ليست من الالتفات:

منها: أنا زيدٌ، وأنت عمر، ونحن رجال وأنتم رجال، ويا زيد قم ويا رجلاً له بصر، خذ بيدى... الخ مما عُبِّر به عن معنى واحد تاره بضمير المتكلم أو المخاطب وتاره بالاسم الظاهر أو ضمير الغائب(١).

وقال السكاكى: الالتفات هو إمَّا ذلك الذى التقدم، أو أنْ يكون مقتضى الظاهر التعبير عنه بطريق منها فعدل الآخر. فالالتفات عند السكاكى أعم، فكل التفات عند الجمهور التفات عنده من غير عكس.

وقال فى المفتاح: والعرب يستكثرون من الالتفات إلى الكلام وإنْ انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل فى القلوب عند السامع وأحسن تطريةً لنشاطه وأملأ باستدرار إصغائه وهم أحرياء بذلك، أليس قرى الأضياف سجيتهم، ونحر العشار للضيف دبأهم وهجيراهم؟ لا مزقت أيدى الأدوار لهم أديماً ولا أباحت لهم حريماً، أفتراهم يحسنون قرى

١- (١) المطول فى شرح تلخيص المفتاح ص ٢٨٦.

الأشباح فيخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد، فإنَّ الكلام المفيد عند الإنسان - لكن بالمعنى لا بالصوره - أشهى غذاءً لروحه وأطيب قرى لها.

وأقسام الالتفات ستهٌ، حاصل ضرب ثلاثه (التكلم والخطاب والغيبه) فى اثنين لأنَّ كلاً من الطرق الثلاثه ينقل إلى الآخرين:

القسم الأوَّل: الالتفات من الغيبه إلى الخطاب - كقوله تعالى: اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ١ إلى قوله إِيّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيّاكَ نَسْتَعِينُ ٢ فالتفت من الغيبه إلى الخطاب - وإنْ كان التعبير العدول من أسلوب فى الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأوَّل أفضل وأولى الأسلوب من الأوَّل - الالتفات من الغيبه إلى الخطاب - فالأوَّل خاص والثانى يعم سائر الالتفات كلَّها(١).

النكته فيه: - إنَّ العبد إذا ذكر الحقيقه بالحمد عن قلب حاضر، ثم ذكر صفاته التى كل صفه منها تبعث على شده الإقبال.

القسم الثانى: الالتفات من الخطاب إلى الغَيبه وهو عكس الأوَّل، ومثاله قوله تعالى: حَتّى إِذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَهٍ ٣. والأصل (بكم) ونكته العدول عن خطابهم إلى حكايه حالهم لغيرهم هو التعجب من كفرهم وفعلهم، واستدعاء الإنكار منهم عليهم، فلو استمر تعالى على خطابهم لفاتت هذهِ الفائده، وقيل فيها غير ذلك.

١- (٣) الطراز للسيد يحيى العلوى اليمنى ص ٢٦٥.

القسم الثالث: الالتفات من الغيبه إلى التكلم، كقوله تعالى: وَ اللّهُ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلی بَلَدٍ مَیِّتٍ۱. والأصل فساقه، وقال الزمخشری، وفائدته (الالتفات) فی هذهِ الآیه وأمثالها: - التنبیه علی التخصیص بالقدره وأنَّ أمر الریاح لایدخل تحت قدره أحد.

القسم الرابع: الالتفات من التكلم إلى الغيبه - وهو عكس ما قبله - ومثاله قوله تعالى: إِنِّی رَسُولُ اللّهِ إِلَیْکُمْ جَمِیعاً۲. إلى قوله تعالى فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ. والأصل (بی) فعدل الحق تعالى عنه لنكتتين: -

الأولى: دفع التهمه عن نفسه بالمعصیه.

الثانیه: تنبیهمم علی استحقاقه الاتّباع بما اتصف به الصفات المذکوره والخصائص المتلوّه.

القسم الخامس: الالتفات من الخطاب إلى التكلم ولم يقع فى القرآن، وإنْ قال السيوطى فى الاتقان مثَّل له بعضهم بقوله تعالى: فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ۳. إلى قوله تعالى: إِنّا آمَنّا بِرَبِّنا۴. إلّا أنَّ هذا لا يصح كمثال للالتفات لأنَّ شرطه الالتفات أنْ يكون المراد به واحداً.

القسم السادس: الالتفات من التكلم إلى الخطاب وهو عكس الذى قبله - كقوله تعالى: وَ ما لِیَ لا أَعْبُدُ الَّذِی فَطَرَنِی وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ۵. والأصل (إليه أرجع) فالعدول من التكلم إلى الخطاب، نكتته أنَّه أخرج الكلام فى

معرض منا صحته لنفسه، وهو يريد نصح قومه تلطُفاً وإعلاماً أنَّه يريد لهم ما يريد لنفسه، ثم التفت إليهم لكونه فى مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله(۱).

وأقول: بعد عرض كلمات الأعلام وبيان أقسام الالتفات، فإنَّ المتحصل منها:

إنَّ الالتفات هو انتقال المتكلم بتوجيه خطابه مع أكثر من مخاطب، فيتكلم مع المخاطب الأوَّل ولم يستتم كلامه بعدُ فيحوِّل كلامه وخطابه إلى طرف ثانٍ، وقبل أنْ يستمم كلامه مع الثانى يرجع إلى الأوَّل أو ينتقل إلى ثالث وهكذا.

وقدْ وَرَدَ التأكيد والاهتمام بهذه القاعده البلاغيه الصعبه والمهمه - الالتفات - فى كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) وباقى الأئمه (عليهم السلام) إلّا أنَّ هذهِ القاعده يغفل عنها أغلب المفسرين وللأسف، وهذا هو أحد أسباب إخفاقهم من الوصول إلى مراد الآيات والسور، فالالتفات معناه كما تقدم أنَّه فى سياق آيه واحده بدايتها المتكلم طرف والمخاطب طرف آخر ثم يتبدل إلى متكلم ثانٍ وربما مخاطب ثالث أو رابع أو المتكلم نفسه يتبدل وكذا المخاطب أو أحدهما يختلف أو كلاهما فى وسط الآيه أو فى ذيلها كذلك ولربما هناك أكثر من ثلاث مقاطع فى الآيه الواحده.

ويحسب المُفَسِّر وحده السياق فى الآيه فضلاً عمّا بين الآيات أمراً متبعاً وغالباً عند أكثر المفسرين وهذا هو موطن الإخفاق فى تفسير كلام الله، كما يبين ذلك أئمه أهل البيت (عليهم السلام) أنَّ آيات القرآن الكريم فيها سبكٌ بنمط وشاكله خاصه وفى

۱- (۱) أنوار الربيع لابن معصوم، ج ۱، ص ۳۶۲.

الحقيقه سبك القرآن بهذه الشاكله خاصه وفى الحقيقه سبك القرآن بهذه الشاكله فيه حكم ومغزى وقواعد عظيمه: -

منهـا: مـا تعرضت لبيـان سوره يوسف (عليه السـلام) من قصه يوسف ومـا جرى عليه مع أخوته فإنَّهـا لمْ تتعرض إلى بيـان دقائق مقـاطع حيـاه يعقوب والنبى يوسف وأخوته، وإنَّمـا اقتصـر القرآن الكريم على بيـان لقطات مصـيريه انعطافيه خطيره وحساسه فى مسلسل حياه النبى يوسف (عليه السلام) والنبى يعقوب والأنبياء عموماً والأمم السابقه بشكل منسبك وببلاغه إعجازيه.

وهذا هو فرق تاريخ القرآن الكريم عن تاريخ كتب التأريخ للشعوب والأمم والحضارات فإنَّ الفرق بينها شاسع.

فـإنَّ المؤرخ فى كتب التأريـخ يتعرض إلى ذكر الهامش والمتن والأشـياء التى قـدْ لا يكترث بها والتى يكترث بها وسواء بشـكل مبعثر أم منتظم و... الخ.

أمَّا القرآن الكريم فحاشاه من أنْ يكون كتاباً تأريخياً قصصياً يدغدغ المخيله وحس الشاعريه أو حس الثمر فى الإنسان و... كلا، وإنَّما القرآن كتاب الذكر وإنماء لتنميه الإنسان فإنَّه يتعرض فقط إلى اللقطات الحساسه فى تأريخ الأمم، فمثلاً لا يتعرض القرآن الكريم إلى كُلّ أهل الفساد، وإنَّما يقتصر على ذكر أهل المخاطب الخطيره من أهل الفساد.

وهكذا عندما كتب التأريخ عن الفراعنه وأقسامهم وما يتعلق بشؤونهم فإنَّهم بسـطوا الكلام حول ذلك بشـكل تفصـيلى مُمِلٌّ و... بينمـا القرآن اقتصـر على بيـان بنود معينه مفصـليه حساسه وخطره فى حياتهم تشـكل خطراً على المجتمع عالجها وذكرها وسـلَّط عليها الأضواء.

لـذا يتميز القرآن الكريم فى قصِّ قصـصه بـأنَّه يتتبع الآثـار الخطيره التى لهـا انعطافات مهمه فى الوصول إلى الغايه، ولـذا نلاحظ فجأه انتقال العدسه

القرآنیه من لقطه إلی أخری متسلسله لکنَّ لا یعنی هذا أنَّ المشهد واحدٌ فی هذهِ الآیه الواحده المبارکه وإنْ کان نسق اتصال الآیه أو الآیات واحداً، وإنَّما القرآن ینقل لنا فی الآیه الواحده مشاهدُ لقطات متعدده وهم یحسبون أنهم لا زالوا فی المشهد الأوَّل.

إلّا أنَّه وللأسف أنَّ المفسرین من کلا الطرفین غفلوا عن ملاحظه ارتباط بعض القواعد مع بعضها الآخر، کُلّ ذلک نتیجه الابتعاد عن ملاحظه البیانات العلمیّه الموجوده فی روایات أهل البیت (علیهم السلام).

فمثلاً هناک ارتباط وثیق بین قاعده الالتفات وقاعده أسباب النزول، وإنْ کان البحث عن قاعده أسباب النزول یأتی مفصلاً فی محله إنْ شاء الله، إلّا أنَّه نشیر إلی ذلک من باب بیان ارتباط بعض القواعد مع بعضها الآخر مع بیان نوع العلاقه والصله فمثلاً بعضهم وللأسف لا یتبنی مسأله تعدد أسباب النزول وأنَّ الآیه الواحده لها أسباب مُتعدده، بلْ حتَّی جُمل تلک الآیه أو بحسب کلماتها فإنَّهم لا یبنون علی وجود أکثر من سبب، والحال قدْ یظن بعض المفسرین أو قرّاء القرآن أنَّ سبب نزول هذهِ الآیه هو الواقعه أو الحادثه الفلانیه أو الشخص الفلانی والحال فی بعض الآیات قدْ یکون سبب نزول صور الآیه شخص، ووسطها شخص آخر أو حادثه أُخری، وذیلها فی ثالث، بلْ یمکن أنْ نقول أکثر من هذا بأنْ تکون فقرات الآیه الواحده صدرها فی شخص أو واقعه أو حادثه معینه، ووسطها فی آخر، وذیلها فی ثالث و... الخ.

وعلیه فغفله المفسرین عن الالتفات والتنبیه لمثل هذهِ المطالب العلمیّه المهمه یوقعهم فی أخطاء تفسیریه خطیره.

توضیح ذلک: ما جاء فی سوره الأحزاب یا نِساءَ النَّبِیِّ لَسْتُنَّ کَأَحَدٍ مِنَ

اَلنِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِی فِی قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً... إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً۱.

فنلاحظ أنَّ صدر الآیه کان الکلام فیه موجهاً إلی نساء النبی (صلی الله علیه و آله) - أی یا نساء النبی لا تخرجن من بیوتکن لا لحرب - کحرب الجمل مثلاً التی خرجت فیها زوج النبی (صلی الله علیه و آله) عائشه علی إمام الأصل ووصی رسول الله (صلی الله علیه و آله) - علی بن أبی طالب (علیه السلام) ولا لما شابهها، ثم یحوِّل القرآن الکریم خطابه من نساء النبی (صلی الله علیه و آله) إلی خطاب أهل البیت (علیهم السلام): إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً ولم یقل القرآن الکریم یطهرکن، فنلاحظ الالتفات والانتقال من ضمیر المخاطب وهو جماعه الأناث (کُنَّ) و (بیوتکن) إلی خطاب (لِیُذهب عنکم) فإنَّ مثل هذا نحو التفات.

مورد آخر للالتفات فی القرآن الکریم فی بعض الآیات یخاطب القرآن شخص ذو أوصاف متعدده عکس ما یظنه المفسرون کما فی قوله تعالی: لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِینَ الَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ یَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً وَ یَنْصُرُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِکَ هُمُ الصّادِقُونَ وَ الَّذِینَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِیمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ۲.

وهاتان آیتان محکمتان من محکمات القرآن الکریم، وما بینته فاطمه الزهراء (علیها السلام) فی خطبتها وجدالها مع الخلیفه الأوَّل - أبی بکر - والثانی - عمر بن الخطاب - أَلیس الخمس للمهاجرین والأنصار؟(۱).

۱- (۳) خطبه الزهراء (علیها السلام) مع المهاجرین والأنصار.

قالت:

«إنَّما المهاجرين من هاجر إلى الله تعالى ولنا عتره النبى (صلى الله عليه و آله) والنصره التى عُقِدت فى بيعه العقبه والتى هى نفس نصره النبى (صلى الله عليه و آله) لرب العالمين وبالتالى نصره الله ولرسوله وعتره النبى (صلى الله عليه و آله)، لا من قاطعنا وأدبر عنَّا».

وقوله تعالى: وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ١. شاهدٌ على أنَّ المخاطب بها هو على بن أبى طالب (عليه السلام) بناءً على ما وَردَ فى بيانات وروايات أهل البيت (عليهم السلام) بأنَّه (عليه السلام) أوَّل من هاجر مع النبى (صلى الله عليه و آله) وليسَ المراد من الهجره هى الهجره الجغرافيه التى قد تكون أحد آليات الهجره هو الهجره الجغرافيه والانتقال بالبدن والمال، وإنَّما المراد بالهجره فى محل الكلام هى هجره عقيده فاسده إلى عقيده حقّه وصالحه وهجره نفسانيّه أى هجره نفس رذيليه وجاهليه إلى نفس فضيليه وأعراف وتقاليد وحيانيه سماويه نبويّه مطهّره نوريه سهله وسمحهٌ.

وهناك منطق آخر للهجره فى القرآن: - وهى النصره والأنصار وليسَ المراد منها النصره العكسريه وإلّا لو كان المراد ذلك فقط لكانت فى وقتها قبائل مشركه أو يهوديه تحالفوا مع الرسول (صلى الله عليه و آله) ونصروه عسكرياً إلّا أنَّهم لم يُسموا بالأنصار.

وعليه فيكون المراد من الأنصار هى ديمومه العهود والتعهد والالتزام والثبات لنصره الدين وأهل الدين من النبى (صلى الله عليه و آله) وعترته الطاهره، بخلاف من خذل الله - والعياذ بالله - وخذل الرسول (صلى الله عليه و آله) والعتره الطاهره، فهو لا يستحق وصف النصره والانتصار.

الخلاصه: آیتان من سوره الحشر کان سبب نزولهما والمخاطب بهما واحد.

تلخیص ما تقدَّم: القاعده الثانیه من قواعد نظام الاستعمال اللفظی هی قاعده – الالتفات – وهی من القواعد المهمه التی تجب أنْ تولی عنایه وأهمیّه خاصه؛ لأنَّها من القواعد البلاغیه الصعبه، ولابدَّ أنْ نعترف: –

أولاً: بعجزنا عن الإحاطه بقواعد ومتشعبات قاعده الالتفات؛ لأنَّها من القواعد المتشعبه والمتوسعه دائرتها والمترامیه إلی أطراف بعیده وأفرع وسبل غریبه بالنسبه إلینا وقدره ممارستها إنَّما تکون للحق تعالی رب الکلام الذی عندما یمارسه بممارسهٍ سلیمه تعجز قدره البشر عن السیطره أو التر کیز أو الإحاطه بها.

ثانیاً: إنَّ ما ورد فی بیانات أهل البیت (علیهم السلام) إنَّ الالتفات له أقسام عدیده فی القرآن غالباً ما یتغیر إسناد الجمل باستمرار فقد یتغیر الإسناد من مخاطب إلی آخر، ومن متکلم إلی آخر أو یتغیر أحدهما أو کلاهما، وقد یختلف فی الآیه الواحده بلْ فی الجمله الواحده إذا کان فیها أوصاف وإسنادات متعدده، فضلاً عن السوره والسور بأنْ یکون صدرها فی شیء ووسطها فی شیء آخر، وذیلها فی شیء ثالث.

ثالثاً: إنَّ استعمال مثل هکذا قاعده ونظام فی اللغه العربیه قلیل لصعوبه القدره فی السیطره علی استعماله فمن الصعوبه بمکان أنْ تذکر جمله مبتدأ مثلاً ثم تذکر خبر أوَّل وخبر ثانٍ وخبر ثالث، والحال إنَّک تر ید مبتدأً غیر المبتدأ فی الخبر الثانی، وفی الثالث مبتدأً غیر الأوَّل والثانی وهکذا.

رابعاً: لعلَّ أحد أسباب صعوبه قاعده الالتفات فی القرآن باعتبار أنَّ خطاب القرآن الکریم یتعدد ویتبدل بشکل خفی غیر متنبه إلیه، ولعل هذا

أحـد أهم أسـباب إخفاق المفسـرين من الوصول إلى مراد الآيات والسور وليعلم المفسِّر إنَّ من أوليات تفسـير القرآن الكريم أنَّ يُراعى المُفَسِّر هذهِ القاعده – الالتفات – وإلّا سوف يُشق به مسار التفسير بعيداً جداً عن حقيقه تفسير القرآن.

إذنْ إذا لم نمكث مليّاً فى قاعـده الالتفـات ولم نراعهـا حفيـاً سوف نخفق عن الوصول إلى المطـالب العلميه والنكـات والآيـات القرآنيه، وكـذا فى الروايات بحسب توصـيات أئمه أهل البيت (عليهم السـلام) فى الاهتمام بهـذهِ القاعده فى تفسـير القرآن؛ لأنَّ تفسـير القرآن هو تفسـير لكلام الله وليسَ على حد كلام البشر، وإنْ لم يكن ورد لفظ الالتفات بنفسه فى الآيات والروايات وإنَّما ورد معناه.

إذنْ الالتفـات: هو أنْ يتكلم المتكلم بكلاـم يخـاطب به مخاطباً ثم يلتفت ويوجه خطابه إلى مخاطب آخر ثم إلى ثالث ثم... الخ وهذا معناه أنَّ خطاب المتكلم يكون متوجهاً إلى أكثر من مخاطب فيتكلم مع الطرف الأوَّل ولم يسـتتم كلامه بَعْدُ فيحوِّل كلامه وطابه إلى طرف ثانٍ وقبل أنَّ يسـتمم كلامه مع الثانى يرجع إلى الأوَّل أو ينتقل إلى ثالث وهكـذا، علماً أنَّ المتكلم والحال هذهِ لم يجعل فواصل ومنبهات للانتقال من طرف إلى آخر وإنَّما مسترسلاً بكلامه بنسق واحد، فمن لم يكن له دربه وخبره فى ذلك يحسـبه كلاماً واحـداً ومتكلماً واحـداً ومخاطباً واحـد ولعل الحال ليسَ كـذلك، فلعلَّ المتكلم يُحرِّك خطابه إلى متعددين، فقد يتبدل المخاطَب دون المخاطِب والمتكلم أو بتبديل المخاطِب دون المخاطب (السامع) أو بتبديلها معاً.

ولذا حذَّر أهل البيت (عليهم السلام) من أنْ يعيش القارئ للقرآن فضلاً عن المُفَسِّر

حاله الغفله وعـدم الالتفات إلى تبدل المخاطَب أو المخاطِب أو كليهما. وعدم الالتفات إلى هذهِ التلاوين المتنوعه والعيش حاله العفويه وعدم الالتفات إلى مثل هذهِ النكات فإنَّ لها تأثيرها البالغ الأهميه على معنى الآيات والسور القرآنيه المباركه.

إذنْ قاعـده الالتفات فنٌّ بـديع وعظيم تُمارَس فى تراكيب القرآن الكريم كثيراً حسب كلام أمير المؤمنين (عليه السـلام) مثلاً فى أسـباب النزول فإنَّها مختلفه بلحاظ الآيه الواحـده كما تقـدم، وسـيأتى تفصـيل كل ذلك فى قاعده أسـباب النزول، وإنَّما ذكرت قاعده أسباب النزول كشاهد على قاعده الالتفات.

فقاعده الالتفات تؤثر كثيراً على كثير من الاسـتظهارات التفسـيريه، سواء فى علم الفقه - أى فى مجال الاستنباط - أو فى أى علم آخر من العلوم الدينيه كالعقائد والفقه والتفسير و... الخ بلْ وغير العلوم الدينيه.

سبب عدم تركيز أغلب المفسرين على قاعده الالتفات

أكّدت بعض الروايات وبيّنت أنَّ من الأسباب الكبيره الخطأ المفسرين حيث أنَّهم لا يصلون إلى معرفه كنه كلام الله تعالى؛ ذلك بسبب ابتعادهم عن رعايه المعصوم، ولا يصلون إلى الالتفات إلى ذلك إلّا بالرعايه التعليميه من أئمه أهل البيت (عليهم السلام) إذْ لم يسترشدوا بتعاليمهم (عليهم السلام) ووصاياهم العلميه فإنَّهم سوف يخفقوا فى التنبأ إلى نكات قاعده الالتفات وتلاوينها وتنوعها فى التفاتات القرآن بشكل متكثر إلى ما شاء الله.

ولعلَّ سائل يسأل: لِمَ هذهِ الصعوبه؟

فإنَّه ليسَ من السهل خَلق المُفَسِّر للأحجيه واللغز من القرآن الكريم، وإنَّما هذهِ الشبكيه فى تنويع خطاب القرآن بمثابه سدود فلعلَّ المُفَسِّر المتدبر يصل إلى منطقه السد الأوَّل وحدودها من مخارج الآيات والسور، إلّا أنَّ وصوله إلى منطقه أعمق يحتاج إلى الالتفات إلى وجود سدود أُخرى أعمق، فكيف يتجاوزها إلى ما وراءها.

إذنْ المعنى الأوّلى الذى هو رَحِبٌ وفيه سِعَهٌ فإنَّ بإمكان كل مُفَسِّر الوصول إليه وإنَّما الكلام فيما بعد المعنى الأولى من المعانى العميقه، فهنا يحتاج المُفَسِّر إلى الالتفات ورعايه تعليميه خاصه من قبل المعصوم (عليه السلام) للمنظومه الشبكيه فى الخطاب القرآنى فمثلاً الروايه التى رواها السيد المرتضى (رضى الله) فى كتابه المحكم والمتشابه عن أبى زينب النعمانى فى تفسيره عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يمزج بين حديثه وحديث

جده أمیر المؤمنین (علیه السلام):

«واعلموا رحمکم الله أنَّ من لم یعرف من کتاب الله الناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمحکم والمتشابه والمبهم من القرآن فی ألفاظه المنقطعه والمؤتلفه»(۱).

وحیث اشتملت هذهِ الروایه علی بنود علمیه ضخمه لسنا الآن بصدد بیانها - ستأتی فی بحث المحکم والمتشابه - حفاظاً علی وحده سیاق الکلام وأخذ محل الشاهد منها. إذْ لو قارنا بین الروایات الصادره عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) المتضمنه لبیان المنهج التفسیری بحسب مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) التی صدرت فی القرن الأوَّل والثانی الهجری وما أودع فیها من قواعد أصیله فی منهج التفسیر تعتبر أسس بنیویه شامخه لدی علماء التفسیر عند کافه المسلمین، وهذهِ القواعد التی بیّنتها روایات أئمه أهل البیت (علیهم السلام) لیست مختصه بالتفسیر فقط بلْ تتعدی لمثل الفقه والأصول والحدیث والرجال والعقائد وباقی فنون المعرفه، فی ذکره أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی علم الرجال وفی اختلاف الحدیث.

ما رواه الشیخ الکلینی عن علی بن إبراهیم بن هاشم عن أبیه،، عن حمّاد بن عیسی عن إبراهیم ابن عمر الیمانی عن أبان بن أبی یعیش عن سلیم بن قیس الهلالی، قال: قلت لأمیر المؤمنین (علیه السلام) إنی سمعتُ من سلمان والمقدار وأبی ذر شیئاً من تفسیر القرآن وأحادیث عن نبی الله (صلی الله علیه و آله) غیر ما فی

۱- (۱) السید علی بن الحسین المعروف بالسید المرتضی فی کتبا المتشابه والمحکم فی القرآن یروی عن ابن أبی زینب النعمانی - تلمیذ الکلینی - صاحب کتاب الغیبه وللأسف لم یبق من هذا التفسیر إلّا رساله یسیره رواها السید المرتضی باسم رساله فی المحکم والمتشابه وفیها روایات محدوده إلّا أنها تشتمل علی أصول وقواعد تفسیریه هامه.

أیدی الناس، ثم سمعت منک تصدیق ما سمعت منهم، ورأیت فی أیدی الناس أشیاء کثیره من تفسیر القرآن ومن الأحادیث عن النبی (صلی الله علیه و آله) أنتم تخالفونهم فیها وتزعمون أنَّ ذلک کُلَّهُ باطل، أفتری الناس یکذبون علی رسول الله (صلی الله علیه و آله) متعمدین ویفسرون القرآن بآرائهم؟ قال: فأقبل علیَّ فقال: - قد سألت فافهم الجواب: إنَّ فی أیدی الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وکذباً وناسخاً ومنسوخاً، وعامّاً وخاصّاً، ومحکماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً و... وإنَّما أتاکم الحدیث من أربعه لیسَ لهم خامس رجلٌ منافقٌ یظهر الإمان مُتصنع بالإسلام لا یتأثم ولا یتحرج أنْ یکذب علی رسول الله (صلی الله علیه و آله)... الخ ورجل ثالث سمع من رسو لالله (صلی الله علیه و آله) شیئاً أمر به ثمَّ نهی عنه وهو لا یعلم أو سمعه ینهی... الخ وآخر رابع لم یکذب علی رسول الله (صلی الله علیه و آله) مبغضٌ للکذب خوفاً من الله وتعظیماً لرسول الله (صلی الله علیه و آله)... الخ.

فذکر أمیر المؤمنین (علیه السلام) أسساً بنیویه متشعبه عن بنود قرآنیه من الآیه المبارکه إِنْ جاءَکُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَیَّنُوا أَنْ تُصِیبُوا قَوْماً بِجَهالَهٍ فَتُصْبِحُوا عَلی ما فَعَلْتُمْ نادِمِینَ ۱.

وهکذا فی أسباب النزلو کعلم مستقل وأنَّ أحد أبحاثه التی ستأتی فی محلَّها هو الآیات والسور المکیّه، والمدنیه فإنَّ أساس تفصیله هو من أمیر المؤمنین (علیه السلام) حتّی قال عبدالله ابن عباس «إنَّما أغرف من نمیر أمیر المؤمنین (علیه السلام)».

إذنْ الأسس التی أسسها أئمه أهل البیت (علیهم السلام) هی أسس ثابته وعظیمه وأساسیه عند کافه علماء المسلمین فی کافه العلوم ولا یُنکرها إلّا من لا ینصف نفسه ولا یحترم البحث العلمی وعقله.

وعليه فلو قارنّا بين ما ورد عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) وبين باقى المدارس الإسلاميه الأخرى فى علم الفقه والأصول والعقائد والرجال و... الخ لوجدنا المُفَسِّر يحتاج فقط ما ورد عن أهل البيت (عليهم السلام)؛ لأنَّها مدرسه وحيانيه متصله بالسماء والوحى بخلاف غيرها فإنَّها من صنع البشر فهى تقرُّ بعجزها وضعفها.

ص:۴۲۴

الضوابط التطبيقيه لقاعده الالتفات

هناك عدَّه ضوابط وموارد تطبيقيه لقاعده الالتفات نذكر بعضها على سبيل الاختصارمنها: -

أولاً: الفصل والأصل - المنقطع والمؤلف - فى كلام القرآن، ولهما محلٌّ عظيم فى علم المعانى وواقعان منه فى الرتبه العليا، ونحن نشير إلى زبدٍ منهما مما يتعلّق بغرضنا أمَّا الفصل - أو الانقطاع - فهو عباره عن ترك الواو العاطفه بين الجملتين - وربما أطلق الفصل على توسط الواو بين الجملتين، والأمر فى ذلك قريبٌ بعد الوقوف على حقيقه المعانى.

وهناك مواضع فى القرآن تنقطع وتنتهى عندها سلسله الحوار وتبدأ بحوار وسياق جديد قد يتبدل فيه المتكلم أو المخاطب أو الموضوع أو... الخ.

فمثلاً فى قصه موسى (عليه السلام) مع فرعون - فإنَّ الجمله وارده على تقدير سؤال يقتضيه الحال - قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ ١. فإنما جاءت من غير واو على تقدير سؤال تقديره: فماذا قال فرعون لما دعاه موسى إلى الله تعالى قال فرعون لمّا دعاه موسى إلى الله تعالى قال فرعون وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ ثم قال موسى قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٢.

أمَّا الوصل: - قدْ ياتى اتصال الجمله مع ما بعدها بالواو وقدْ لا يأتى،

أمَّا الاتصال بالواو كما فی قوله تعالی: أَ فَلا یَنْظُرُونَ إِلَی الْإِبِلِ کَیْفَ خُلِقَتْ وَ إِلَی السَّماءِ کَیْفَ رُفِعَتْ۱.

وأمَّا الاتصال من دون الواو کقوله تعالی: وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ وَ بِالْیَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِینَ۲. ثم قال یُخادِعُونَ اللّهَ وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ ما یَخْدَعُونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ۳. فجرد قوله (یخادعون الله) عن الواو إراده الإیضاح ما سلف من قوله: آمَنّا بِاللّهِ وَ بِالْیَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِینَ.

فمثل هکذا مورد لا یمکن الحکم بوحده السیاق التی قد اتخذها بعض المفسرین من الفریقین شعاراً وفی حاله عدم فرز المطالب وتداخلها، ولأجل الخروج من أزمه ومشکله التشخیص بین عناوین الموضوعات بدقه یلجأ المفسرون إلی مسأله وحده السیاق وهذا بالتالی مؤشر العجز عن فهم المنقطع والمؤلف والمنفصل والمتصل فی تراکیب ألفاظ القرآن الکریم.. الخ.

ولذا کان الغرض من ذکر أمیر المؤمنین (علیه السلام)

«... المبهم من القرآن فی ألفاظه المنقطعه والمؤلفه» عن أبی جعفر (علیه السلام)

«إنَّ رجلاً قال له أنت تقول لیسَ شیء من کتاب الله إلّا معروف... إنَّ للقرآن ظاهراً وباطناً، ومعایناً، وناسخاً ومنسوخاً، ومحکماً ومتشابهاً، وسُنناً وأمثالاً وفَصْلاً، ووصلاً، وأحرفاً وتصریفاً، فمن زعم أنَّ الکتاب مبهم فقد هَلَکَ وأَهْلَکَ»(۱) یعنی أنَّ

۱- (۴) الوسائل، ج ۲۷، ص ۱۸۳ ب ۱۳، من أبواب صفات القاضی، ح ۲۲.

هنـاک مواضع قطع ومواضع وصـل فی القرآن الکریم، ویبین علمـاء التجویـد أنَّ هـذهِ الآـیه المبارکه فیها موضع للوصل مثلاً أو للقطع، فیُسال ذلک العالم بالتجوید من أین عرفت أنَّ هذا الموضع موضعُ فصل أو وصل أو موضع قطع أو... الخ؟

فسوف یجیب أنَّه لاـ یعلمه بالـدقه والمتـانه إلّا من یُحیـط ببحور معانی وحقائق القرآن الکریم، ورباط التجویـد اللفظی بالتجوید الترکیـبی، وکیفیه فرز الجمله الموصوله بـالمؤلفه کـل ذلـک أشـار له المعصوم (علیه السـلام)، ومـا هـذا إلّا مشـهد من مشـاهد الالتفات، وبهـذا تبین أنَّ القطع والوصل قاعـده تنـدرج تحت نظام الالتفات فی القرآن الکریم، وتسـمی هـذهِ القاعده فی ألفاظه المنقطعه والمؤلفه، أو تسمی فی بعض الروایات بقاعده «المؤتلف والمختلف فی ألفاظ القرآن».

ثانیاً: التقـدیم والتأخیر: بأنْ یکون حق الکلام أنْ تقـدم هـذهِ العباره وتؤخر تلک لـدواعٍ وأغراض أکثر تأثیراً فی نفس السامع قدْ تکون الـدواعی بلاغیه أو نحویه أو أدبیه أو لغویه أو... الخ أو لغرض أنَّ المُفَسِّر مثلاً إذا بدأ بوحده السیاق ظن أنَّ المتأخر ذکراً هو متأخر معنی والحال أنَّه غیر متأخر مثلاً قدّمه لنکته تعدد اللفظ ومتأخر معنی أو بالعکس.

والتقدیم والتأخیر وإنْ کان قاعده مستقله إلّا أنَّه یمکن جعلها مورداً من موارد قاعده الالتفات.

فالمُفَسِّر إذا حسب أنَّ آیات القرآن فی ترتیب استرسالی صـرحی وانسـیابی واحد فهذه بادره خطأ یقع فیها المُفَسِّر وعلی المُفَسِّر أنْ یعیش الیقظه التامه لمراعات هذهِ الآلیه والتلاوین فی خطاب القرآن الکریم وکذا

الحديث والروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام).

وخير شاهد على التقديم والتأخير: الآيه الناسخه والآيه المنسوخه، فنلاحظ أنَّ عند مفسر علماء الإماميه فى موارد عديده يرون: - أنَّ الآيه الناسخه متقدمه على الآيه المنسوخه ذكراً، مع أنَّ العكس لوكنا نراعى الترتيب الزمنى فالعكس هو الصحيح بأنَّ تكون الآيه الناسخه متأخره زماناً عن الآيه المنسوخه.

إذنْ لعلَّ القرآن الكريم يقدم ذكر الناسخ الذى لعله متأخر زماناً والمنسوخ أُخر ذكره مع أنَّه متقدم زماناً.

وعليه فالمُفَسِّر إذا لمْ يكنْ مستفيقاً من غفله عدم الانتباه والتنبه، وأنَّ هناك قاعده مهمه وهى قاعده التقديم والتأخير فى القرآن، بغض النظر عن مسأله وحده السياق وما يتشبث به المُفَسِّر غير الملتفت والتى تمثل مؤشر العجز عنده، وأنَّ هناك ناسخ متقدم ومنسوخ متأخر لمْ يكنْ عنده توالد استرسالى وامتيازى وإنَّما يصبح العكس، بغض النظر عن مسأله لماذا قُدِّم الناسخ وأخر المنسوخ وإنْ كان الناسخ متأخر عن المنسوخ واقعاً، ولكنْ فى القرآن ترى عكس هذا الترتيب إمَّا بسبب أنَّ طريقه جمع آيات القرآن هى كما عليه الآن أو لدواعٍ أُخر.

إذنْ المُفَسِّر الذى لمْ تكن عنده يقظه عاليه إلى وجود قاعده التأخير والتقديم فى القرآن فسوف تضيع عليه حقيقه المراد فى الآيات، ولذا وَرَدَ فى بعض تعبيراتهم (عليهم السلام) أنَّ المُفَسِّر إذا لمْ يلتفت إلى وجود مثل هذهِ النكات فى القرآن فكيف يدعى التفسير؟

وهكذا أمثله آخرى للتقديم والتأخير نحو:

١ - التقدم بالزمان: - كتقدم الشيخ على الشاب، والأب على الأبن فإنَّ الوالد وحده زمان لمْ يوجد فيه الابن، فهذه المعانى كلها عقليه، فما كان منهما متقدماً على غيره سواء كان التقدم بالعله على المعلول كتقدم الكون على الكائنيه، والعلم عن المعالميه أو التقدم بالذات كتقدم الواحد على الاثنين على معنى أنَّ الوحده لا يمكن تحقق الأثنينيه إلّا بعد سبقها أو التقدم بالشرف كتقدم الأنبياء على الاتباع، والعلماء على الجهال فإنَّه تقدم معقول أو تقدم بالمكان كتقدم الإمام عن المأموم، ونحو من تقدم من يَقرُب إلى الحائط دون من تأخر عنه، فمن يلى الحائط فإنَّه يُقال عنه، - أنَّه سابق على من تأخر عنه أو... الخ فإنَّ من كان متقدماً على غيره فى هذهِ الاعتبارات كان فى العباره كذلك اتباعاً للمعانى بالألفاظ.

فمن التقدم بالزمان: كقوله تعالى: وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَساكِنِهِمْ١.

وهكذا قوله تعالى: وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ٢ فإنَّ الظلمه سابقه على النور؛ لأنَّ الحق أنَّ الظلمه هى عدم النور، وليست أمراً ثبوتياً، ولا شك أنَّ عدم الشىء سابق على وجوده؛ لأنَّ العدم بلا أول والوجود يتلوه، فلهذا كان تقدم الظلم على الأنوار من باب تقدم الأزمنه.

وهكذا القول فى الظلمه المعنويه؛ لأنَّها إذا أريد بها الجهل والكفر فإنَّها تكون سابقه على النور المعنوى وهو العلم والإسلام ويؤيده قوله تعالى: وَ اللّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ٣

فانتفاء العلم ظلمه معنويه مجازيه فهى متقدمه بالزمان على نور الإدراكات الخمسه كلها، وقوله تعالى فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ۱ يريد ظلمه البطن والرَحِم والمشيمه(۱).

۲ - التقدم بالشرف: كقوله تعالى: فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ۳ وقوله وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ۴ فإنَّ الوجه أشرف من اليد، والرأس أفضل من الرجل، ومنه قوله مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ۵ فإنَّ النبى أشرف من الصدّيق، وقوله وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِينَ۶ فإنَّ الشهداء على درجه من غيرهم من أهل الصلاح.

ثالثاً: التجريد: فى أصل اللغه هو: - إزاله الشىء عن غيره فى الاتصال فيقال: جرَّدت السيف عن غمده، وجردت الرجل عن ثيابه إذا أزلتهما عنهما، ومنه قوله (عليه السلام) «لا مدَّ ولا تجريد» يعنى فى حدِّ القذف وحدِّ الشرب، وأراد أنَّ المحدود لا يُمد على الأرض ولا يجرد عن ثيابه.

وأمَّا فى اصطلاح البلاغيين: فهو مقولٌ على إخلاص الخطاب إلى غيرك وأنت تريد به نفسك وقدْ يطلق على أخلاص الخطاب على نفسه خاصه دون غيرها.

وهو من محاسن علوم البيان ولطائفه، وقدْ استعمل على ألسنه الفصحاء

۱- (۲) الطراز يحيى العلوى اليمانى ص ۲۳۰.

كثيراً فصار مقولاً على هذين الوجهين: -

الوجه الأوَّل: التجريـد المحض: - وهو أنْ تأتى بكلام يكون ظاهره خطاباً لغيرك وأنت تريـده خطاباً لنفسك فتكون قـدْ جردت الخطاب عن أنفسك وأخلصته لغيرك فلهذا يكون تجريداً محققاً.

إلامَ يَراكَ المجدُ فى زيِّ شاعر وقدْ نَحَلَتْ شوقاً فروع المنابر

كَتَمْتَ بعيب الشعر حِلماً وحكمةً ببعضهما ينقادُ صعبُ المفاخِرِ

أمَّا وأبيكَ الخير إنَّكَ فارسُ ال - مقال ومُحْبى الدراسات الغوائرِ

وإنَّك أَعْيَيْتَ المسامِعَ والنُهَى بقولك عمّا فى بطون الدفاترِ

فهـذا وما شاكله أحسن ما يوجـد فى التجريـد، ألا تراه فى جميع هذهِ الخطابات ظاهرها يُشـعر بأنَّه يخاطِبُ غيره والغرضُ خطابُ نفسه، وهذا هو السرُّ واللباب فى التجريد.

الوجه الثانى: التجريـد غير المحض: وهو أنْ تجعل الخطاب لنفسك على جهه الخصوص دون غيرها وفى التفرقه بين هذا والأوَّل ظـاهره فإنـك فى الأـوَّل جردت الخطـاب لغيرك وأنت تريـده لنفسـك، فإطلاـق اسم التجريـد عليه ظـاهرٌ، بخلاف الثانى، فإنَّه خطابٌ لنفسك لا غير.

ومثال الثانى ما قاله بعض الشعراء:

أقولُ للنفس تأساءً وتعزيه إحدى يدىَّ أصابتنى ولم تردِ

فهو قدْ خصَّ الخطاب لنفسه، بأنَّ إحدى يديه أصبحت عاطله.

وما قاله الأعشى:

وَدِّع هُرَيرَه إنَّ الركب مُرْتَّحِلُ وهل تطيقُ وداعاً أيُّها الرَّجُلُ

وأيضاً قصر الأعشى الخطاب فى هذا البيت على نفسه دون غيره(۱).

إذنْ التجريد: - هو أنْ ينتزع من أمرٍ ذى صفه آخر مثله، وفائدته المبالغه فى تلك الصفه كقولك: مررتُ بالرجل الكريم والنسمه المباركه، فجردت من الرجل نسمه مباركه فتصفه بالبركه وعطفتها عليه كأنها غيره وهو هو(۲).

أقولُ: - من المعلوم أنَّ النفس الإنسانيه ذو طبقات، وعنوان التجريد وإنْ كان قدْ ذُكر فى علم البلاغه فى الفن الثالث: علم البديع كمحسِّن بديعى ولكنَّه كما تقدم له أصل عقلى من أنَّ الذات الإنسانيه الواحده ذات طبقات وذات قِوى جوهريه متعدده فهى بمثابه جواهر عديده لكل منها طابع خاص ومقتضيات ومتطلبات خاصه متميزه، فمن ثمَّت تعددت شخصيه الإنسان وكأنما إلى أشخاص وحقائق.

ومثال ذلك ما وَرَدَ فى الحديث القدسى المروى عند الفريقين عندما نزل جبرائيل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه و آله) لمنع أبى بكر تبليغ سوره البراءه عن النبى (صلى الله عليه و آله) حيث جاء الخطاب الإلهى لرسول الله (صلى الله عليه و آله) على لسان جبرائيل: يا محمد لا يُبلِّغ عنك إلّا أنت أو رجلٌ منك.

فَفُرض أنَّ هناك مُبلَّغ وهو الرسول (صلى الله عليه و آله) ومبلِّغٌ عنه فى نفس ذات الرسول (صلى الله عليه و آله) وكأنَّما يوجد شخصان وهذا إشارةٌ إلى المقام النورى للنبى (صلى الله عليه و آله) وقلبه المبارك لا يبلِّغ عنه إلّا بدن النبى (صلى الله عليه و آله) وفمهُ المبارك أو شخص أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) فصار كُلّ من نفس أمير المؤمنين (عليه السلام) ونفس النبى (صلى الله عليه و آله) النازله يتلقون من مِعْدِنٍ واحد، وهو قلب ونور النبى، وهذا نمطٌ

۱- (۱) الطراز، ص ۴۳۴.

۲- (۲) خزانه الأديب للحموى.

من التجريد.

وهكذا قوله تعالى: وَ طَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّهِ ١ فإنَّ فاعل (يخصفان) و (طفقا) و (عليهما) هو آدم وحواء هكذا ينبغى لوحده السياق، إلّا أنَّ المراد بالإسناد فى (طفقا يخصفان) يعنى الملكين مع آدم وحوّاء يخصفان على آدم وحواء.

رابعاً: الابتداء والانتهاء: - أيضاً من الأمور التى ينبغى على المُفَسِّر معرفتها هو أنَّه لابدَّ أنْ يعرف متى يبتدأ الحديث فى القرآن عن موضوع معين ومتى ينتهى وإلّا إذا لمْ يعرف المُفَسِّر ابتداء الموضوع فى الآيه وأين انتهائه فإنَّه لمْ يكنْ عنده البحث التفسيرى القرآنى حول موضوع معين منتظماً ومتسلسلاً وإنْ كان فى واقعه متسلسلٌ ومنتظم إلّا أنَّ المُفَسِّر لمْ يعرف ذلك النظام والتسلسل وبالطبع إذا لمْ يراجع المُفَسِّر البيانات العلميه الموجوده فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) فكيف يمكنه حينئذٍ أنَّ ينفرد بجهده المحدود، وهذا ينتهى إلى ما لا تحمد عقباه وينتج نتائج غير متوازنه وغير صحيحه.

خامساً: السؤال والجواب: من الواضح والبهديهى إنَّ السؤال له جوانب وقرائن إلّا أنَّ السؤال ليسَ مرتبطاً بصياغه السؤال وإنَّما مرتبط بصياغات أُخرى، وأنَّ هذا الكلام جواباً عن ذلك السؤال، وهذا معناه أنَّه هنا يوجد وصال لا انقطاع، وعليه فهذا نوع من الالتفات؛ لأنَّ السائل متكلم غير المجيب، والمجيب متكلم آخر غير السائل، والمُفَسِّر إذا لمْ يميز أنَّ هذا سؤال وذاك جواب أو ظن أنَّ المتكلم واحد، وهو وإنْ كان خطاباً واحداً إلّا أنَّ له خطابان خطاب السؤال وخطاب الجواب.

وهناک نماذج وموارد تطبیقیه لقاعده الالتفات فی القرآن الکریم بیَّنهما الإمام غیر ما تقدم مثل المستثنی منه والجار والمجرور والصفه والمؤکد و المُفَسِّر والموصول من الألفاظ والمحمول علی ما قبله وعلی ما بعده و... الخ.

والروایه التی ذکرها أمیر المؤمنین (علیه السلام) وکذا الإمام الصادق (علیه السلام)

«... ومقدم ومؤخر ومنقطع وموقوف ومنقطع غیر موقوف، وحرفٌ مکان حرف ومنه آیات بعضها فی سوره وتمامها فی سوره أخری»(۱).

سادساً: «منه آیات بعضها فی سوره وتمام الآیه فی آیه أو سوره أُخری» وذلک بأنْ یحتمل المُفَسِّر أنَّ هذهِ الآیه فی هذهِ السوره وتمامها فی آیه أو سوره أُخری فإنَّ بعض الآیات صدرها فی آیه أو سوره وتتمتها بآیه أو سوره أُخری، وللأسف هذا الباب لم یفتق بوسع فی القرآن ولعلَّ أکثر المفسرین من الفریقین فی غفله عنه إلّا من ندر.

فمثلاً ما جاء فی سوره الحشر لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِینَ الَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ یَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً وَ یَنْصُرُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِکَ هُمُ الصّادِقُونَ۲ وقوله تعالی: وَ الَّذِینَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِیمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ یُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَیْهِمْ وَ لا یَجِدُونَ فِی صُدُورِهِمْ حاجَهً مِمّا أُوتُوا وَ یُؤْثِرُونَ عَلی أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۳ فإنَّ مثل قوله تعالی وَ لَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ هو تتمه لآیات أُخر فی سوره الدهر بحسب بیانات أهل البیت (علیهم السلام).

۱- (۱) البحار، ج ۸۹.

وهكذا ما جاء فی سوره الأحزاب فی آیه التطهیر یا نِساءَ النَّبِیِّ لَسْتُنَّ کَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَیْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَیَطْمَعَ الَّذِی فِی قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً وَ قَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِیَّهِ الْأُولی وَ أَقِمْنَ الصَّلاهَ وَ آتِینَ الزَّکاهَ وَ أَطِعْنَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً۱.

هاتان الآیتان المبارکتان یمکن أنْ یستفاد منها أکثر من مطلب: -

المطلب الأوَّل: صلوحها شاهد علی الالتفات وعلی المورد الذی نحن فیه من أنَّ صدر الآیه فی مجال وذیلها فی مجال آخر - وهذا من برکات النقاش العلمی الذی حصلت منه یقظه والتفات إلی ما بینه أهل البیت (علیهم السلام) وذلک ببیان: -

الخطاب فی الآیه الأُولی موجّهٌ إلی النساء بقرینه نون الإناث فی قوله تعالی - لستُنَّ، وقَرْن واطعنَ، وتبرجن، وآتین - ثم عدل القرآن خطابه إلی - لیذهب عنکم - فهنا المخاطَب أو المخاطِب تغیر، وسواء تغیّرا کلیاً أو جزئیاً.

وهکذا انتقال الآیه المبارکه من التعبیر [بیوتکن] إلی التعبیر إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ فهناک عبّرت (بیوت) وهنا (بیت).

وعلیه فمثل هذهِ الآیات المبارکه لا مشکله فیها إذْ وقعت محلاً للبحث العلمی

والمجادله فحصلت يقظه والتفات من قبل المفسرين إلى ما ذكره وبيّنه أهل البيت (عليهم السلام).

وإنَّما الكلام فى الآيات الأُخرى التى لمْ تقع موضوعاً للبحث العلمى والمجادله فإنَّ مثل هذهِ الآيات ينبغى الالتفات إليها وإعمال قاعده ونظام الالتفات فيها بموارده المختلفه من التقديم والتأخير، والسرد والقصصى والابتداء والانتهاء و... الخ.

المطلب الثانى: مفاد صدر الآيه الأُولى عدم عصمه ازواج النبى (صلى الله عليه و آله) عن الوقوع فى الخطأ ولذلك حذرهُنَّ ونبهنن من ارتكاب الأخطاء من تبرج أو خروج من البيت أو إتيان الفاحشه وأنَّ من تأتِ الفاحشه منكن يضاعف لها العذاب ضعين.

المطلب الثالث: إنَّ صدر الآيه الأُولى فيه تهديد وتفريع وإنذار وإرهاب ومحاسبه واشتُرط فيها الحذر من إمكانيه صدور الذنب، ومفادها الالتزامى: - أنَّه لا عصمه لأزواج النبى (صلى الله عليه و آله) إلّا بالتقوى، وأنهن: - لستن كأحد النساء ولكنْ مشروط: - أنَّ اتقيتن وبخلافه أى إنْ لمْ تتقين فانت كأحد وكسائر النساء والباقيات أى لا ميزه للزوجيه التى تأخذ شرفُها من النبى (صلى الله عليه و آله).

المطلب الرابع: ذيل الآيه الثانيه إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً فيه بيان للطهاره والعصمه الذاتيه أى إنَّ الرجس لا يذهبكم.

والفرق فى التعبيرين (ليذهب الرجس عنكم) وبين (يُذهبكم) هو أنَّ الإذهاب بمعنى الإبعاد أى إبعاد التعليم القرآنى فإنَّ الرجس لا يُبعدكم بمعنى أنتم لستم بمقبلين على الرجس كى يبعدكم الله عن الرجس وإنَّما الرجس يريد أنْ يقبل عليكم إلّا أنَّ الله تعالى يقيكم ويُبعده عنكم؛ لانكم معدن العصمه والطهاره وهذا دفعٌ ورفعٌ مجملٌ.

وأمَّا البيـان المفصـل فنقول: إنَّ الإبعاد بمعنى أنَّ الرجس يمكن أنْ يأتى إليكم وعليه فلا فرق ما بينكم وهؤلاء فإنكم لا تبعـدون عن الرجس، بـلْ تبعـدون عن الطهـاره والآـيه [ليـذهب عنكم] فإنَّهـا مـورد من موارد التقـديم والتـأخير كـذلك (ليُـذهب عنكم الرجس] والتقديم هنا يفيد الحصـر كما فى قوله تعالى فى سوره يوسف (عليه السـلام): [ليصـرف عنه السوء] بمعنى أنَّ الله تعالى يصـرف السوء عن يوسف (عليه السـلام) ولم يقل ليصرف يوسف عن السوء إذْ لو كان ليصرف يوسف (عليه السلام) عن السوء لكان معناه - والعياذ بالله - أنَّ يوسف مقبل على السوء، والحال جاء التعبير القرآنى بالعكس، وإنَّما لصرف السوء وهو فعل زليخا عن يوسف (عليه السـلام) لاـ أنَّه يصـرف يوسف عن زليخـا فـإنَّ يوسف (عليه السـلام) ليسَ بمقبـل وإنَّما هى - زليخا - المقبله بـدليل ما ذكرته الآيه المباركه قالَتْ ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً... وَ شَـهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ١ فالمقبل هى زليخا وليسَ يوسف النبى (عليه السـلام). ولذا عبَّرَ القرآن [لنصـرف عنه السوء](١) وهذا إشاره لطهـاره يوسف (عليه السـلام) وعصـمته الـذاتيه، بـلْ وعصـمته كحصانه وسـياج وقائى، لم تلبسك الجاهليه من مـدلهمات ثيابها باعتبار أنَّ يوسف (عليه السلام) ليست فيه جاهليه ولا مدلهمات ولم تنجسه الجاهليه بأنجاسها؛ لانه من معدن فطره طاهره.

فائده: من باب الكلام يجر الكلام وإنْ لم يكن موضوع بحثنا وخروجاً عن محل البحث - لكن ما دام تعرضنا فى مبحث الالتفات للآيه المباركه إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً٣ وقع

۱- (۲) سوره يوسف: الآيه ۲۴.

الكلام بين المفسرين وأرباب العلم حول أمرين: -

الأوَّل: هل تدخل فى بيت الرجل زوجاتُه أو لا؟

الثانى: ما المراد من البيت فى الآيه [... أهل البيت] وأى بيت هو؟

أمَّا جواب الشق الأوَّل: فقد أجاب الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) عن سؤال وجهه له معاويه أو أصحاب معاويه بمحضر معاويه(۱) وهو أنَّه إذا كان أهل البيت أولهم النبى (صلى الله عليه و آله) فبيت مَن الذى أولهم النبى (صلى الله عليه و آله)، وإنَّ النبى (صلى الله عليه و آله) له أهل فبيت مَن هذا الذى النبى (صلى الله عليه و آله) أوَّل أهله؟

إذنْ هل يصدق على أهل بيت الرجل أنَّهم أهلُ بيته أو لا؟

والجواب: وإنْ كان عبدالله بن عباس (رضى الله) أجاب بأنَّ زوجه الرجل لا تدخل فى أهل بيته بقرينه أنَّ تلك الزوجه الحنون التى يعيش معها الزوج عمراً من الزمن ومع ذلك يطلقها وتعود أجنبيه لا صله لها بالرجل ولا ببيته - وإنْ كنّا لا نحتاج لمثل هذا الكلام وإنَّما نريد التعرف على أن لأهل البيت معنى آخر أو لا.

وأمَّا جواب الشق الثانى: - أعنى ما المراد من البيت فى الآيه المباركه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت - أيضاً أجاب الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) من أنَّ المراد بالبيت هو المسجد النبوى فيكون التقدير: - [أهل بيت المسجد النبوى]، وأوّل أهله هو سيد الأنبياء مع الأربعه الطاهرين - علىٌّ (عليه السلام) وفاطمه (عليها السلام) والحسن (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) - الخمسه أصحاب الكساء، فسدَّ النبى (صلى الله عليه و آله) جميع الأبواب التى كانت مفتوحه إلى داخل المسجد من باب

۱- (۱) راجع الاحتجاج للطبرسى.

العباس بن عبدالمطلب وباب الحمزه من عبدالمطلب وباب... الخ إلّا باب على (عليه السلام) حتّى قال العباس بن عبدالمطلب للنبى (صلى الله عليه و آله) لِمَ يا رسول الله سَدَدْتَ أبوابنا وأبقيت بابه - أى باب بيت على (عليه السلام)؟ فأجابه النبى (صلى الله عليه و آله) لم أفعله من تلقاء نفسى وإنَّما بأمر من الله تعالى ولا يحلُّ ذلك إلّا لى وله - أى للنبى (صلى الله عليه و آله) ولعلى بن أبى طالب (عليه السلام) وذريتنا.

المراد من البيت هو بيت وعرصه النبى (صلى الله عليه و آله) وروضته من رياض الجنه أولهم الخاتم محمد (صلى الله عليه و آله) وبقيه أصحاب الكساء والخيبرى أى خيبرى الملكوت وهم على وفاطمه والحسن والحسين (عليهم السلام).

ومحل الشاهد: لقاعده الالتفات هو أنَّ الكثير من المفسرين التفت وانساق وحسب صرف التعرف (ال -) عوضاً عن الضمير فى (بيته) إذْ لم يعبر القرآن [... أهل بيته] وإنَّما عبَّرَ [... أهل البيت] فلو كان عبَّر [... أهل بيته] فإنَّ الضمير يعود على النبى (صلى الله عليه و آله)، بينما بلحاظ التعبير [... أهل البيت] وملاحظه سياق التعبير السابق [يا نساء النبى...] قالوا بأنَّ الضمير يعود على النبى (صلى الله عليه و آله) بدليل ولحاظ وحده السياق التى ذكرنا سابقاً أنَّ البيانات الوارده عن أئمه الهدى (عليهم السلام) حذَّرت من خطوره محذور وحده السياق الذى أحد محاذيرها ما نحن فيه بأنَّ فهم المفسرون بالقرينه وحده السياق من التعبير القرآنى الصادر فى صدر الآيه وبين ذيلها فعدّوا الضمير لنكته وحده السياق على النبى (صلى الله عليه و آله)، ولكن الأمر ليسَ كذلك.

إذنْ ليسَ المراد من البيت هو أهل بيت النبى (صلى الله عليه و آله) حتّى تقول الزوجات داخله أو لا، وإنَّما المراد من البيت هو روضه المسجد النبوى ذات الرفعه النوريه المقدسه.

مثال آخر: لمورد أنَّ الآیه بعضها فی سوره وبعضها الآخر فی نفس السوره أو سوره أخری - ما ورد فی سوره الحشر ما أَفاءَ اللّهُ عَلی رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُری فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ...۱.

وقوله تعالی فی نفس سوره الحشر فی آیه أُخری: وَ الَّذِینَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِیمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ یُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَیْهِمْ وَ لا یَجِدُونَ فِی صُدُورِهِمْ حاجَهً مِمّا أُوتُوا وَ یُؤْثِرُونَ عَلی أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۲.

وقوله أیضاً فی سوره الحشر: لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِینَ الَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ یَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً وَ یَنْصُرُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِکَ هُمُ الصّادِقُونَ۳.

وقوله تعالی: وَ الَّذِینَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ یَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِینَ سَبَقُونا بِالْإِیمانِ وَ لا تَجْعَلْ فِی قُلُوبِنا غِلًّا لِلَّذِینَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّکَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ۴.

هذهِ الآیات الأربع من سوره الحشر کأنما تکلمت عن طوائف ثلاث وهم: - المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان نظیر ما وَرَدَ فی سوره التوبه وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِینَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِینَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِیَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها أَبَداً ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ۵.

بینما نشاهد فی بیانات أهل البیت (علیهم السلام): أنَّ المهاجرین والأنصار لیسَ

عنوانان متباينان بالضروره، فإنَّه يد يكون شخص واحد مهاجرٌ وأنصارى عكس ما حَسِبَه كثير من المفسرين بأنَّ خطاب القرآن فى هذا المقطع من الآيه المباركه متعدد ومتنوع والحال أنَّه موحَّد وغير متعدد، وهذا ناشئ عن تخيل وحده السياق فى المقام وليسَ الأمر كذلك.

وتوضيح ذلك: أطلقت كلمه - المهاجرين والأنصار - فى الآيه وهى تدلُّ على الجمع والحال قدْ يكون المراد بها شخص واحد، نظير ما تقدم فى قوله تعالى: إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ١. فإنَّ الخطاب الذى هو موجَّه لجمعٍ يُراد به شخصٌ واحد، وهكذا العكس قدْ يأتى لفظ مفرد ولكنْ يُراد به الجمع عكس ما عليه الشاكله الصوريه فى الألفاظ، وعليه فلابدَّ أنْ يلتفت المُفَسِّر الكريم إلى عدم الاغترار والسير وراء صوره الخطاب؛ لأنَّ عدم الالتفات إلى تشعبات قاعده الالتفات فى القرآن الكريم فإنك سوف تنساق صورياً مع صوره الخطاب الذى يوقعك بهوّه وحده السياق الذى حذَّر منه أهل البيت (عليهم السلام).

واستعمال القرآن لقاعده الالتفات فى هذهِ الآيه المباركه على خلاف الصوره والشاكله الأوليه فى خطاب القرآن الذى تقدَّم.

والسِّرُّ فى ذلك: إنَّ الخطاب متعدد والمخاطب واحد، و المُفَسِّر - إذا لمْ يكنْ ملتفتاً - وبحسب المخاطب أيضاً متعدداً والحال ليسَ كذلك وإنَّما المتعدد هو الخطاب دون المخاطب؛ لأنَّ معنى الهجره والنصره فى القرآن الكريم غير المعنى الذى أسسته المدارس الإسلاميه الأُخرى سواء مدرسه السقيفه أو مدرسه بنى أميه أو بقيه المدارس الإسلاميه.

الهجره والنصره فی مدرسه أهل البیت علیهم السلام

معنی الهجره والنصره الذی بیّنته مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) مدرسه الوحی یختلف عن باقی المدارس الأُخری التی تمسکت بظاهر سطح الألفاظ وبالقشور وترکوا اللبَّ کمدرسه السقیفه ومدرسه بنی أمیه و... الخ.

فإنَّ معنی الهجره فی بیان القرآن الکریم ومدرسه أهل البیت (علیهم السلام) بالتبع المتمثله بأحادیث النبی (صلی الله علیه و آله) والروایات الوارده عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) هوعباره عن: - العزوف عن البُعد عن أحکام الدین ومعارفه، والهجره إلی بیئهٍ سلوکیه أو بیئه ممارسیه أو بیئه أعمال أو بیئه التزام، فإنَّ بیئه غیر الملتزم إذا صار ملتزماً فإنهی قال له هاجر أی هجر ما کان علیه من الجاهلیه برحاب التسیلم والالتزام والتدین، ولذا دائماً القرآن الکریم یؤکِّد علی المهاجره إلی الله ورسوله.

وما جاء فی احتجاج فاطمه الزهراء (علیها السلام) علی أبی بکر وکذا عمر بن الخطاب فی مسجد رسول الله (صلی الله علیه و آله) بعد وفاه رسول الله فیه بیان کاف وافٍ لمعنی الهجره والنصره.

فقدْ روی عن المفضّل بن عمر قال: -

قال مولای جعفر الصادق (علیه السلام) لما ولی أبو بکر بن أبی قحافه... ثم سرد (علیه السلام) منعه فاطمه وعلی وأهل بیته الخمس والفیء وفدکاً و... فقالت (علیهما السلام): - إنَّ المهاجرین برسول الله وأهل بیت رسول الله هاجروا إلی دینه، والأنصار بالإیمان بالله ورسوله ولذی القربی أحسنوا فلا هجره إلّا إلینا، ولا نصره إلّا

لنا، ولا إتباع بإحسان إلّا بنا ومن ارتد عنا فإلى الجاهليه(۱).

ما ذكرته الزهراء (عليها السلام) فى خطبتها من قوله تعالى: ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ۲.

بمعنى أنَّ ما أفاءه الله على رسوله (صلى الله عليه و آله) من الثروات العامّه فهو لنا وولايته بيد عليّ وفاطمه والحسن والحسين (عليهم السلام).

فقال الخليفه الثانى: إذنْ ما المقصود من المهاجرين والأنصار فى الآيه: لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً وَ يَنْصُرُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمّا أُوتُوا وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۳.

وذكرت الزهراء (عليها السلام) ما مضمونه أنَّ المهاجر من هاجر إلينا لا من هجرنا، والأنصار من نصرنا ولم يكن عوناً علينا... الخ.

إذنْ الهجره التى بينها القرآن الكريم وأئمه أهل البيت (عليهم السلام) هى الهجره إلى الله وإلى الرسول ولم يهاجر إلى امرأه جميله يكتسبها أو مال يُصيبه أو... فمثل هذهِ الهجره ليست هجره إلى الله وإلى رسوله.

ولذا كانت هناك نماذج هاجرت مع رسول الله من مكه إلى المدينه وتحملوا ما تحملوا من مصاعب الطريق وفراق الأهل والبلد و... الخ

۱- (۱) الكشكول فى ما جرى على آل الرسول ۲۰۳-۲۰۵؛ وبحار الأنوار ج ۱۹۴/۲۹ ح ۴۰، نقلاً عنه.

ولكن وللأسف لم تكن هجرتهم مبتنيه على نوايا ومقاصد دنيويه بحته كالحصول على المال أو المنصب الدنيوى أو الجاه أو السُمعه أو جاريه يسترقها أو... الخ فالهجره التى يريدها الله ورسوله بأنْ يهجر الإنسان ما كان عليه من سلوك جاهلى ويهاجر إلى التقوى والورع وهذا ما نعبر عنه بالالتزام الدينى، وإنْ لم يهاجر ببدنه جغرافياً وبقى فى بيئته التى كان يعيش فيها إلّا أنَّه انتقل وهاجر بسلوكه وبعقائده ومعارفه من الضلال إلى هدى الهجره كما هو الحال فى الأخوه المستبصرين والذين استبصروا هدى الإيمان وتركوا ما كانوا عليه من ضلاله الانحراف العقائدى والفكرى، وهذا بالتالى يصدق عليه أنَّه هاجر من الضلال إلى الهدايه ولسنا الآن بصدد بيان أنَّه لا هجره بعد الفتح اعتمادُ بعضٍ ربما على الحديث النبوى ويريد أنْ يبين أنَّ معنى الهجره بعد الفتح لا يتحقق و... إنَّما نريد أنْ نبيِّن أنَّ الهجره لم تنقطع ولا نحبس الهجره على ذلك المعنى الضيِّق وهو الهجره بلحاظ الانتقال الجغرافى فقط، وإنَّما نريد أنْ نوضح معنى الهجره وأنَّها ليست الهجره فقط تلك التى هاجرها النبى (صلى الله عليه و آله) من مكه إلى المدينه والانتقال الجغرافى واتساع حدود دوله الرسول (صلى الله عليه و آله) الجغرافيه واتساع رقعه حكومه النظام الإسلامى، وإنَّما الهجره بمعنى أوسع من الانتقال بالبدن من مكان إلى آخر بما لها من معنى مضافاً إلى الانتقال الجغرافى بالبدن كذلك ترك العقائد الفاسده والأفكار المنحرفه واتباع طريق الهدايه وترك الضلاله، فهذا أيضاً نوع من الهجره.

وهكذا مفهوم النصره لله ولرسوله وأهل بيته فهى ليست خاصه بالأنصارى الذى كان يعيش ببقعه جغرافيه محدوده ك - (يثرب)، ولذا قد يخسر الإنسان ويمزج من صلاحيات وامتيازات كان يتمتع بها بسبب اتباع

أهل الضلال والشرک والکفر فیحرم نفسه من ذلک الخیر الوفیر وتلک الهدایه بسبب اختیاره لهؤلاء الضالین.

وعلی أی حال: قال المفسرون أنَّ قوله تعالی: [من قبلهم] فی الآیه قید [للذین تبؤوا الدار] ولیسَ قیداً للإیمان، ومن الواضح أنَّ هذا خلاف نسق الترتیب للآیه المبارکه [یحبون من هاجر إلیهم]، والحال ربما بعضهم یفسر [والذین تبؤوا الدار] بأنَّ هناک قبائل (تبوءوا الدار) أی حلّوا بها کقبیله الأوس والخزرج والساعده و... الخ، أو الآیه تساعد علی العکس بأنَّ الذی تبوَّء هو من انتقل مع النبی (صلی الله علیه و آله) من مکه إلی یثرب لا بالضروره أنْ یقال لمجموعه من القبائل الیمنیه کالأوس والخزرج و... أنها تبوءات الدار وانتقلت إلی یثرب.

وعلیه فهذا تمحل وتکلف فی عود الضمیر فی [من قبلهم] إلی أی فقره من الفقرات السابقه من الآیه أو السوره وهذا بخلاف ما إذا جعلنا هذا التعدد فی العنوان المراد به تعدد فی المخاطب بلْ المخاطب واحد.

ثم قالت الآیه [یحبون من هاجر إلیه] فإنَّ المهاجرین الأوائل یحبون ویحتظنون من هاجر إلیهم فیما بعد، ولذا ورد فی بیانات أهل البیت أنَّ الآیه المبارکه وَ لا یَجِدُونَ فِی صُدُورِهِمْ حاجَهً مِمّا أُوتُوا وَ یُؤْثِرُونَ عَلی أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۱. أنَّها نزلت فی علی بن أبی طالب (علیه السلام) وهو (علیه السلام) من قربی النبی (صلی الله علیه و آله)، بینما لو تتبعنا سیاق الخطاب نجد عود الضمیر علی المهاجرین والأنصار.

بینما حسب قاعده الالتفات والذی أحد ضوابطها: [تفریق المتسق والمتحد وتوحید المختلف] فإنَّه یصبح الخطاب فی الآیه [للفقراء الذین هاجروا] هو أمیر المؤمنین (علیه السلام)؛ لأنَّه أوَّل من هاجر إلی الرسول (صلی الله علیه و آله) وتابعه، وکذلک هو أوَّل من ناصره (صلی الله علیه و آله) وهکذا الحال فی باقی الآیات الأُخری التی یظن أنها فی عموم الصحابه مثل الآیه [السابقون الأولون من المهاجرین والأنصار...](۱) فإنَّ السابق الأوَّل من المهاجرین هو علی بن أبی طالب (علیه السلام)، وسواء قلنا أنَّ حرف الجر فی الآیه [من] بمعنی أوّل من سبق وتجاوز المهاجرین والأنصار فی السبق أو بمعنی (من البیانیه) وهو بیان أنَّ علی بن أبی طالب (علیه السلام) مهاجریٌ وأنصاریٌ، کما کان یقول: عبدالله بن عباس، فإنَّ هذهِ الآیه المبارکه تُناغم ما جاء فی سوره الحشر من قوله تعالی وَ الَّذِینَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ یَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِینَ سَبَقُونا بِالْإِیمانِ۲.

بتقریب: - إنَّ علیَّ بن أبی طالب (علیه السلام) هو السابق للإیمان وأنَّ کُلَّ من سبقه علیٌّ (علیه السلام) بالإیمان فهو مأمور من رب العالمین أنَّ یُحبوا علیاً (علیه السلام) ویوالوه وَ لا تَجْعَلْ فِی قُلُوبِنا غِلًّا لِلَّذِینَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّکَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ۳.

والخلاصه: إنَّه یجب علی کل من هاجر ونصر رسول الله (صلی الله علیه و آله) بعد علی (علیه السلام) أنَّ یُحبِّ علیاً (علیه السلام) ویوالیه ویحرُم علیه أنْ یغل قلبه بالضغن والعداء لعلی بن أبی طالب (علیه السلام)؛ لأنَّ علیاً أوَّل السابقین من المهاجرین والأنصار.

ولذا تعتبر هذهِ الآیات المبارکه من آیات المودّه فی القرآن الکریم

۱- (۱) سوره التوبه: الآیه ۱۰۰.

لأهل البيت (عليهم السلام) ولأمير المؤمنين (عليه السلام) خاصه، وهكذا غيرها كقوله تعالى: لا أَسْئَلُكَمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى ۱.

وعليه فيجب اتباع السابقين بالهجره والنصره بإحسان ومقام الإحسان لا يصل إليه إلّا الأئمه الاثنى عشر (عليهم السلام) للآيه وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِىَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ۲. والذين يتّبع النبى (صلى الله عليه و آله) وعلىّ (عليه السلام) بإحسان هم الأئمه الاثنا عشر فقط لأنّهم الوحيدون الذين يطبقون قواعد الاتباع بإحسان ولذا وَرَدَ فى بيانات أهل البيت (عليهم السلام) فى تفسير الآيه المباركه [والذين اتبعوهم بإحسان] إنَّ أوَّل التابعين هو علىٌّ بن أبى طالب (عليه السلام) والذين اتبعوهم بإحسان هم الأئمه لأحد عشر بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) والتابع لابدَّ وأنْ يكون بدرجه متابعه عاليه وشيعه ولذا وَرَدَ عن الإمام الرضا (عليه السلام): - شيعهُ علىّ: هم الحسن والحسين (عليهما السلام) والتسعه المعصومين من ذريه الحسين (عليهم السلام) فاتبعوا أمير المؤمنين (عليه السلام) ليسَ فقط متابعه فى كُلّ صغيره وكبيره، وإنَّما مضافاً لذلك اتّبعوه بإحسان، ومقام الإحسان مقامٌ متميز إذْ لو استنطقنا القرآن من هم المحسنون لأجاب أنهم فى درجه فوق درجه المصطفين وأهل اليقين، كما دلَّ على ذلك ما وَرَدَ فى سوره يوسف (عليه السلام) وَ لَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ۳.

بتقريب: أنَّ المحسِن معناه من وصل إلى درجه يؤتى علم لدُنى وحكمه لدّنيه.

وعليه فالإحسان من الإخلاص والإيثار والزُهد والعفو عن الناس، ودرجه الإحسان أعلى من درجه المتقين وأهل اليقين كما بيَّن القرآن الكريم فى موارد عديده ملفّات المحسنين وعليه فالإحسان درجه لا يصل إليها كُلّ الصحابه.

وليسَ المقصود من التابعيه فى بيانات أهل البيت (عليهم السلام) فى تفسير الآيه [والذين اتبعوهم بإحسان] بيان التابعيه الزمانيه، وأنَّ من جاء من بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) من الأئمه (عليهم السلام) هم متأخرون زماناً، كلاً، وإنَّما المراد من التابعيه هى الرتبه والآن العقليه الإسلاميه للمفسر وغيره يفسرون التابعين ب -- الجيل الثانى - فى القضيه الزمانيه، إلّا أنَّ هذهِ عناوين مقلوبه فى العقليه الإسلاميه، بينما القرآن الكريم يُريد من هذا المُختلف يريد المؤتلف، وكثيراً ما هو مؤتلف يُراد منه متعدد، وهذا التلوِّن والتنوع فى الخطاب القرآنى الذى قدْ يكون المخاطب متعدد ولعلّه المُفَسِّر يراهم متعددون إلّا أنهم متحدون بينما مُراد القرآن مخاطبون كثيرون أو بالعكس.

والخلاصه من كُلّ هذا هناك موارد تطبيقيه أُخرى يأتى الكلام عنها فى محلّها كمورد القضاء والقدر، والسرد القصصى القرآنى وغيرهما.

والحاصل أنَّ المُفَسِّر إذا لمْ يكنْ ملتفتاً ومتنبهاً لمثل هكذا مطالب وموارد فهذا معناه أنَّه سوف يخفق فى اصطياد مراد الآيه المباركه ويبتعد عنه كُلّ البعد وهذا ما يؤكِّد عليه أهل البيت (عليهم السلام) من أنَّ أحد القواعد المهمه الأوليه الضروريه لمعرفه القرآن الكريم هو عدم الانخداع بتخدير وحده السياق الذى يعتبر من المخدرات المحرّمه على المُفَسِّر الذى قلَّما أو يكاد

ينعـدم أنْ ينجو مفسـر من الاسـتنشاق من هـذهِ المخدرات المزروعه والتى انتشـرت وللأسف علماً أنَّ روايات أهل البيت (عليهم السلام) أكَّدت على خطوره وحده السياق ومردوده السلبى والخطير فى الجانب المعرفى للمُفسِّر وغيره.

ص:۴۵۰

السرد القصصی القرآنی

لعلَّ سائل یسأل ویقول لماذا سُبکت الآیات القرآنیه بهذه الشاکله؟ بعدما کان أکثرُ المفسرین یغفل عن متابعه مبحث الالتفات فی القرآن ویتمسک ویبنی علی وحده السیاق فی الآیات فضلاً عن الآیه الواحده والذی یعتبر هذا موطن الإخفاق فی تفسیر کلام الله کما بیَّن ذلک أهل البیت (علیهم السلام) وحذَّروا من مغبه عدم الالتفات إلیه وتأثیره سلباً علی المعنی.

الجواب: إنَّ سبک القرآن بهذه الشاکله فیه حکمٌ ومغزی مُعیَّن وقواعد عظیمه منها التی تعتبر أحد الموارد التطبیقیه لقاعده الالتفات وهی: -

- السرد القصصی القرآنی - فإنَّ القرآن الکریم وکذا الروایات الوارده عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) عندما تتعرض لسرد قصص الأنبیاء بصوره عامه وأحوال أممهم لا یتعرض فیها عموماً إلی کُلّ صغیره وکبیره ودقائق شؤونهم الحیاتیه، وإنَّما یُتعرض فیها ویتم ترکیز الأضواء ویقتصر علی ذکر اللقطات المصیریه التی تشکل منعطفاً خطیراً وحساساً فی مُسلسل حیاه الأنبیاء (علیهم السلام) ولهذا یفترق السرد القصصی فی القرآن عن سرد التأریخ القصصی - وبینهما بون شاسع - فالقرآن الکریم حاشاه أنْ یکون کتاب تأریخی قصصی یدغدغ ویعیش مع المخیله والحس الشاعری أو حبس الثمر والفکر فی الإنسان کلا وإنَّما القرآن کتاب ذکر وتبیان لکل شیء کما مَرَّ. وما تعنیه کلمه الذکر والبیان فإنَّ أحد معانیها أنَّه کتاب تنمیه وإنماء للإنساء ویتعرض فیه فقط إلی اللقطات الحساسه فی التأریخ من تاریخ الأنبیاء وأممهم، ولذا یتمیز السرد القصصی فی القرآن الذی هو من سرد الله

تعالى لا يُتعرض فيه إلى كُلّ حالات الفساد التى كانت تعيشها أمم الأنبياء وإنَّما يتعرض إلى ذكر المخاطر الخطيره من أهل الفساد.

فمثلاً يذكر القرآن الكريم قصه يوسف وأخوته (عليه السلام) اللقطات المصيريه التى تشكل منعطفاً تأريخياً مهماً فى حياه النبى يعقوب (عليه السلام) وولده يوسف (عليه السلام) وباقى أخوته وكذا باقى الأنبياء.

وهكذا عندما يتكلم القرآن الكريم ويقص لنا حياه بعض الفراعنه فإنَّه يقتصر على بيان بنود معينه بارزه لها أثر خطير على المجتمع.

فيتعرض الكاتب للقصه أو المخرج إلى متن القصه ثم هامشها وكذلك يتعرض إلى ما يُكترث به وما لا يكترث بغض النظر فى بعض الأحيان إلى أنَّ تلك المعلومات مرتبه ومنظمه أو لا ويحاول الكاتب أنْ يعيش فى تصوير قصته التأريخيه مع المخيله والحس الشاعرى و... الخ ومع ذلك قدْ يصل فى بعض الأحيان إلى نقل تقل الوقائع والاحداث بصوره واضحه وقدْ تكون فى بعضها الآخر عليها ضبابيه وهذا بخلاف ما يسرده إلينا القرآن الكريم من قصص كما بيَّنا ذلك قبل قليل.

الخلاصه: بعد هذهِ المقارنه نجد أنَّ السرد القصصى القرآنى يواكب جميع الأزمنه السابقه والحاضره والمستقبليه، ولاحظنا كيف القرآن ينقلك فى آيه واحده إلى عدَّه مشاهد وأحداث، نظير الإخراج الفنى لقصه تأريخيه فنلاحظ الإخراج القديم يحاول الإسهاب فى ذكر المعلومات لأجل أنْ يوصل فكره القصه بعدّه مشاهد ومقاطع، بخلاف الإخراج الفنى الحديث فإنَّه يختصر كُلّ ذلك بخبر فنى واحد مُركَّز مضغوط وهذا ما يُسمى بثوره إنفجار المعلومات وحضاره المعلومات وإذا انفجرت المعلومات

عند البشر فإنَّهم لا يأتون بكل صغيره وكبيره، بلْ يأتون بعمده المعلومات وإيصالها بطرق علميّه فنيه حديثه معاصره فى التعامل مع الحاسبه الالكترونيه والانترنيت والفيس بوك وما علَّم الإنسان ما لمْ يعلم.

ومن الواضح أنَّ هذا الكلام مرتبط بالمنهج المختار عندنا وهو منهج أمومه المحكمات، وهذا يعنى وجود معلومات محوريّه مركزيه تدور عليها سائر المعلومات الأُخرى، وهى عمدتها فإنَّها لا تكترث بنقل كُلّ ما هبَّ ودبَّ من المعلومات.

فائده: لو لاحظنا فى زماننا الحاضر بلْ حتَّى السابق أنَّ ثوره العلم والمعلومات على مختلف الأصعده لوجدنا فى كُلّ علم ما يسمى بعلم نظم المعلومات؛ لأنَّ كُلّ من العلماء عندهم العلم إلّا أنهم لا يمتلكون قدره نظم العلم لتلك المعلومات؛ لذا تراهم لا يستطيعون استثمار ذلك العلم وتلك المعلومات التى عندهم ولكن متى بإمكانهم وباستطاعتهم أنْ يستثمروا تلك المعلومات وذلك العلم؟ ذلك عندما يُكفكفوا ويوظفوا تلك المعلومات فى سلك نظم المعلومات وهذا بالتالى يقودهم إلى الاقتصار على أمهات الحقائق والمعلومات التى لها دور هيمنى ومصيرى فى أى علم من العلوم سواء فى علم الاقتصاد أو الزراعه أو السياسه أو الكيمياء أو الفيزياء أو الاجتماع أو علم النفس أو... الخ.

وبالتالى لابدَّ من وجود علم آخر ناظم لتلك المعلومات فى أى علم من العلوم حتَّى يستثمر بالصوره الصحيحه وتترتب عليه الآثار والنتائج الصحيحه المثمره.

وبالتالى نلاحظ كيف تتطابق هذهِ القاعده اللفظيه – قاعده الالتفات –

مع روح منهج أمومه الولايه على المحكمات فى القرآن أمومه مركزيه بأنَّ يقتصر على المعلومات المركزيه دون المعلومات والأحداث الهامشيه انطلاقاً من قصار كلماتهم (عليهم السلام) [خير الكلام ما قل ودلَّ] أى ما دلَّ من البلاغه فى بلوغ الغايه فى عباره أقصر.

ص:۴۵۴

الجرى والتطبيق

اشاره

وإنْ كنا سنتعرض لضابط الجرى والتطبيق مفصَّلاً فى النظام الثانى - نظام المعانى - إنْ شاء الله تعالى إلّا أنَّ هذهِ الضابطه التى نحن بصددها أحد الموارد التطبيقيه لقاعده الالتفات والذى تعامل بها مفسرى الخاصه منهم السيد العلامه محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه) فى الميزان فضلاً عن غيره فضلاً عن مفسر العامه كذلك تعاملوا مع النصوص الوارده عن أهل البيت (عليهم السلام) أى التفسير بالمأثور من باب الجرى والتطبيق.

ضابط الجرى والتطبيق:

هو تسريه الأحكام التى دلَّت عليها الآيات القرآنيه وكذا النصوص النبويه والولويه الصادره عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) إلى غير زمن نزول الآيه أو صدور الروايه فتطبَّق فى غير زمانها ومكانها إذا كان المورد يحمل الخصوصيات المناسبه لذلك. وسواء كانت الأحكام شرعيه أو لا.

فمثلاً: تحريم القرآن للخمر والسرقه والزنى والكذب و... أو تحذير القرآن من المنافقين فإنَّ هذهِ المحرمات بلْ وحتَّى الواجبات وباقى الأحكام لمْ تكن مختصه بزمان النزول المعاصره للنبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) وهكذا الروايات فى زمان الأئمه (عليهم السلام)؛ لأنَّه من الواضح أنَّ القرآن الكريم وكذا السنه النبويه الشريفه هما مصدران من مصادر هدايه البشر، وليسَا مختصين بزمان نزول الآيه إذا كان المنزل فيه سواء فرد أو مجتمع أو معالجه لحاله عامه أو خاصه متوفره فيه خصوصيات معينه بلْ يمكن أنْ يجرى تطبيقها

فی زمان ومکان آخرَین إذا کانت الخصائص التی نزلت الآیه فیها متوفره، فیتنقح المناط، وإلغاء الخصوصیه یمکن التعدی من زمان النص والمعاصره والمشافهه إلی غیره إذا کان یحمل نفس المواصفات والخصوصیات.

ومن الطبیعی هذا التطبیق لا یتمُّ لمن هبّ ودبَّ وإنَّما لمن کان یتمتع بخصوصیات معینه وقابلیه الإحاطه بمعانی مفردات القرآن ومدی إحاطته بالقواعد والموازین والضوابط البلاغیه والنحویه والتفسیریه و... الخ.

إذنْ معالجات القرآن للأحداث وتصویره للوقائع أو توصیفه لبعض الحالات الاجتماعیه التی کانت سائده سواء علی مستوی الفرد والأسره أو علی مستوی المجتمع سواء کان المجتمع صغیراً أم کبیره، لمْ تکن معالجات القرآن مختصه بذلک الزمان بلْ تتعدی إلی کُلّ زمان ومکان بشرط توفر الخصوصیات التی تعالجها الآیه الکریمه.

ص:۴۵۶

الآيات والروايات لا يقتصر فيها على الجانب التطبيقى فقط

اشاره

الآيات القرآنيه وكذا الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) لمْ تكن ناظره إلى الجانب التطبيقى ومعالجته فحسب وإنَّما تعالج كذلك الصعيد النظرى فى الدرجه الأُولى من قَبْل لا أنَّه تقتصر المعالجه على الجانب التطبيقى العملى فحسب فى مورد خاص ومحدود والذى ينتهى بانتهاء زمنه وأمده، وهذا معناه أنَّ التفسير بالمأثور انتهى أمده؛ لأنَّه تطبيق خاص، وهذا بالتالى إجحافٌ بالفائده العلميه من التراث التفسيرى بالمأثور عن النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام)، كيف والقرآن يقول وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ (۱).

إذْ لا يعقل أنَّ فائده القرآن تكون مختصره على بيان الأحكام ومعالجه بعض الحالات فى زمان معين ومكان خاص وما هذا إلّا إماته للقرآن، ثم أنَّ النبى (صلى الله عليه و آله) يبين موارد معينه لتطبيقات خاصه؟ فإنَّه لا يعقل ذلك وأنَّ التفسير المأثور ينتهى بانتهاء أمده ومناسبته فإنَّه يتنافى مع ثوابت القرآن التى أكَّد عليها بأنَّها كانت ولا تزال وستبقى إلى يوم القيامه لا أنها محدوده بزمن معين.

إذنْ ما ارتكبه وتعاطاه مفسرى المسلمين من الفريقين مع الآيات القرآنيه وأحاديث النبى (صلى الله عليه و آله) وروايات أهل البيت (عليهم السلام) من الضيق العملى وأنه فقط حجيه تعبديه تأويليه مقطعيّه وأنَّها تُبيِّن مصداق تأويلى خفى

۱- (۱) سوره النحل: الآيه ۴۴.

وكأنما تقتصر على بيان هذا الفرد فقط فإنَّه ليسَ بصحيح فمثلما أكَّدت الروايات والأحاديث على الجانب العملى كذلك أكَّدت على الجانب النظرى، لا التركيز على أحدهما دون الآخر وإنَّما أكَّدت عليهما بصوره متوازنه.

ومن خلال هذا كُلَّهُ يُعلم أنَّ قاعده التعريض والالتفات تفتح لنا طريقاً لتصحيح الكثير من القواعد التفسيريه، وهذا يدلِّل على أنَّ قاعده الالتفات قاعده فى أصلها الأصيل لغويه وبلاغيه مُعترف بها، إلّا أنَّ التفطن فى مراعاتها فى موارد عديده من الموارد الصعبه التى عاده يُغفل منها إنْ لمْ نقل بالمره، لذا نلاحظ البيانات الوارده فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) لا ينطلقون فى هذا الأمر من أمور تعبديه بلْ من أمور بينه موجوده فى حاق العلم اللغوى وفى أدب اللغه العربيه ومراعاه هذهِ الدلائل والقواعد ليسَ فى قدره المفسرين بلْ هو فى قدره النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته، ومن ثم يسهل عند غيرهم بالتعليم ببيناتهم وبياناتهم، وبالتالى نخلص إلى هذهِ النتيجه.

أولاً: إنَّ قاعده الالتفات تعطى لنا منظاراً آخر للتفسير بالمأثور بأنَّه ليسَ جرىٌ وتطبيق بالمعنى الذى يذكره المفسرون لنا، وإنَّما هو تفسير بالمأثور فى صدد معالجه البيان التنظيرى على الصعيد النظرى للآيات لا على الصعيد التطبيقى العملى المحدود فحسب.

ثانياً: إنَّ التفسير بالمأثور فى صدد إبراز وإظهار بيانات وبراهين موجوده فى نفس ألفاظ القرآن الكريم إلّا أنَّها خفيت على الآخرين.

ثالثاً: بحث الجرى والتطبيق فى قاعده الالتفات ليسَ تعاطياً ظنياً تعبدياً، وإنَّما تعاطياً علميّاً إيقانياً وإنْ كان هذا اليقين بطن وخفى على

الآخرين إلّا أنَّه ليسَ ظنى ولا تعبدى.

وحينئذٍ يكون هذا البحث استثماراً لجواهر علميه عظيمه فى ظاهر ألفاظ القرآن الكريم وفى البيانات الروائيه المأثوره عن النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته المعصومين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

مدرک مورد الجرى – والتطبيق:

هناک جمله من النصوص الوارده فى المجاميع الحديثيه لا أقل من طرقنا يمكن أنْ تكون هى المدرک لقاده الجرى والتطبيق وإليک بعهضا: –

أولاً: ما رواه العياشى بسنده عن الفضيل بن يسار قال: سألتُ أبا جعفر (عليه السلام) عن هذهِ الروايه: – ما فى القرآن آيه إلّا ولها ظهرٌ وبطن، وما فيه حرفٌ إلّا وله حدٌّ، ولكل حدٍّ مُطَّلع(۱) ما يعنى بقوله: لها ظهرٌ وبطنٌ؟

قال: ظهْره وبطنه تأويلُه، منه ما مضى، ومنه ما لمْ يكنْ بَعْدُ يجرى كما تجرى الشمس والقمر، كلما جاء منه شىء وقع قال الله تعالى وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ نحن نعلمه(۲).

ثانياً: ما رواه العياشى أيضاً بسنده عن عبدالرحيم القصير قال: كنتُ يوماً من الأيام عند أبى جعفر (عليه السلام) فقال: يا عبدالرحيم قلت: لبّيک، قال: قول الله إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ إذْ قال رسولُ الله (صلى الله عليه و آله)

«أنا المنذر وعلى الهادى» فمن الهادى اليوم؟ قال: فسكت طويلاً، ثم رفعتُ رأسى، فقلت

۱- (۱) قيل فى معناه: أى لكل حدٍّ مَصْعَدٌ يُصْعَدُ إليه من معرفه علمه، والمُطّلَع: مكان الاطلاع من موضع عالٍ.

۲- (۲) تفسير العياشى، ج ۱ ص ۸۶، ۵/۳۶.

جعلتُ فداك هی فیکم توارَثونها رَجُلٌ فرجل حتّی انتهت إلیک، فأنت جُعْلتُ فداك الهادی، قال: صدقت یا عبدالرحیم، إنَّ القرآن حیٌّ لا یموت، ولا آیه حیّه لا تموت، والآیه حیّه لا تموت، فلو کانت الآیه إذا نزلت فی الأقوام ماتوا فمات القرآن ولکن هی جاریه فی الباقین کما جرت فی الماضین(۱).

ثالثاً:... عن أبی بصیر قال: قلت لأبی عبدالله (علیه السلام): - إنَّما أنت منذر ولکل قوم هاد، فقال رسول الله (صلی الله علیه و آله) المنذر، وعلی (علیه السلام) الهادی یا أبا محمد هل مِن هادٍ الیوم؟ قلتُ بلی جعلتُ فداك ما زال منکم هادٍ من بعدها حتَّی دُفِعت إلیک، فقال: رحمک الله یا أبا محمد لو کانت إذا نزلت آیه علی رجل ثم مات ذلک الرجل ماتت الآیه مات الکتاب والسنه، ولکنَّه حیٌّ یجری فیمن بقی کما جری فیمن مضی(۲) إلی غیر ذلک من الروایات.

۱- (۱) تفسیر العیاشی، ج ۲، ص ۳۷۹.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۲، ص ۲۷۹ کتاب العلم ح ۴۳.

وحده السياق وما يترتب عليها من آثار سلبيه

اتّباع وحده السياق فى التفسير خاصه وغيره له دواعى سلبيه تؤثر على صحه المعنى وتُفسده فى أكثر الأحيان وهذا الداعى الخطير أكَّدت الروايات على عدم اتباعه والابتعاد عنه كما تقدم.

وسوف نذكر بعض الأمثله على ذلك:

المثال الأوَّل: ما جاء فى سوره عبس عَبَسَ وَ تَوَلّى أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى١ فمن سلبيات التمسُّك بوحده السياق هو أنَّ كثيراً من المفسرين حتّى من مفسرى الخاصه، حَسِبوا أنَّ وحده السياق فى الضمائر والأوصاف واحده والحال أنها متعدده وليست جمله واحده، فإنَّ عَبَس أى بَسَرَ من هو فاعلها ومَن هو فاعل تولّى؟

والخطاب موجّه إلى النبى (صلى الله عليه و آله) وَ ما عَلَيْكَ أَلاّ يَزَّكّى وأنَّ هذهِ التصرفات التى تصرفها هذا الرجل من بنى أميه الذى كان جالساً إلى جنب النبى (صلى الله عليه و آله) ليست تصرفات موافقه للخُلُق الإسلامى بلْ مخالفه له.

ثم تعرضت الآيات التاليه إلى بيان كيفيه تحمل مسؤوليه التبليغ وَ ما عَلَيْكَ أَلاّ يَزَّكّى بأنْ لا تنظر إلى الأغنياء وإنَّما انظر إلى مَن كان صادقاً وجاداً – ولو كان فقيراً – فى الدخول إلى الإسلام وإرشاد وهدايه السماء له.

إذنْ هذهِ الآيات المباركه الخطاب فيها موجّه للنبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) لبيان

کیفیّه التبلیغ ورعایه السماء للبشر.

بینما وحده السیاق والأثر السلبی المترتب علیها تقول: بأنَّ الضمیر واحِدٌ فی الآیات الثلاث وغیرها فی سوره عبس، مما أدّی إلی التباس الأمر علی الکثیر من المفسرین حتّی من مفسری الخاصه، وهذا یؤثر سلباً علی معنی الآیه.

ثم قوله تعالی: فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّی۱ فالضمیر هنا یرجع إلی رجل آخر غیر النبی (صلی الله علیه و آله) مما أدّی ذلک إلی وقوع المُفَسِّر فی اللَبْس والحیره بأنَّه کیف تاره یَسْند القرآنُ الکریم الضمیر إلی النبی (صلی الله علیه و آله) ثم یُعاوِّد ویُسنِد الضمیر المذکر المفرد إلی رجل من بنی أمیّه وعلیه فبسبب وحده السیاق وقع هذا التشابک فی الإسناد للأفعال التی تاره یسند فیها الضمیر إلی النبی (صلی الله علیه و آله) وأُخری إلی غیره، فیشتبه علینا الحل فما هو الجواب؟

الجواب: لحلِّ مثل هکذا مشکله یُرْجَع إلی قاعده ونظام الالتفات، فإنَّ الأفعال التی هی جمله إنشائیه فإنَّ الإسناد للضمائر فیها یکون للنبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) وأمَّا الأفعال التی فیها إخبار عن فعل ماضی حصل إسناده إلی ضمیر فاعل رجلٌ من بنی أمیه، وببرکه قاعده الالتفات انحلت المشکله، وهذا هو أسلوب القرآن الکریم.

واتفاقاً الآن حتّی فی ثقافه اللغه الحواریه للبشر حتّی فی غیر اللغه العربیه بدأت الآن تستخدم نفس هذا الأسلوب والرشاقه التی استخدمها القرآن الکریم فی تفنن الحوار بأنْ یحاور هذا الطرف ثم یحاور الطرف

الآخر ثم الثالث ثم الرابع وهكذا، ومرجع هذا كُلَّهُ إلى التفنن فى الحوار.

هذهِ هى طبيعه الحوار القرآنى أمَّا أنَّه يسترسل ويجعل سياقات القرآن كلّها فى سياق واحد فى الآيه الواحده أو فى الآيات فهذا هو الإخفاق بعينه الذى نبَّه وحَذَّر منه أئمه أهل البيت (عليهم السلام)، وإخفاق المفسرين بسبب أنَّهم يحسبون السياقات المختلفه هى بمثابه السياق الواحد، ووحده السياق هى أكبر آفهٍ وعاهٍ وتُشكِل مانعاً من الوصول إلى حقائق القرآن الكريم.

المثال الثانى: ما وَرَدَ فى سوره النبأ عَمَّ يَتَساءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ اَلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلاّ سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاّ سَيَعْلَمُونَ...١ فإنَّ كثيراً من المفسرين استشهد بهذهِ الآيات المباركه على أنَّ المراد منها هو وصف يوم القيامه بقرينه وحده السياق مع الآيات الأُخرى من سوره النبأ كقوله تعالى: إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً، يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً... إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً، لِلطّاغِينَ مَآباً، لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً...٢.

والحال ليسَ كذلك، فما وَرَدَ فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) وببركه قاعده الالتفات ونكته أنَّ المراد من النبأ العظيم هو يوم القيامه وإراده الإمام الذى نصَّبه الله تعالى إماماً لِيُداری به عباده، ألا وهو أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)، مضافاً إلى وجود التحام وثيق بين مقام الإمامه ومقام الحساب والمعاد؛ لأنَّ أحد تجلى شؤون الإمام فى المعاد كما أجاب عن ذلك الإمام الباقر (عليه السلام) عندما سُئِل عن أدنى درجه لمعرفه الإمام أمير المؤمنين على ابن أبى طالب (عليه السلام) هو أنَّ الفرق أنَّ الإمام (عليه السلام) صاحب أمور

ثلاثه: -

١ - أنَّه مفروض الطاعه.

٢ - صاحب الكرات.

٣ - وأنَّه يُزوِّد أهل الجنان(١) ومن خلال هذا الفرق إنَّ أكبر دور للإمام (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) هو أنَّ يزوِّد أهل الجنان يعنى الولايه التى يحبيها الله تعالى لأمير المؤمنين (عليه السلام) بعد الرسول (صلى الله عليه و آله).

وعلى أى حال هذهِ بعض الشواهد فى الآيه المباركه والسوره ولم يستظهرها حتّى السيد الطباطبائى (قدس سرّه) فى تفسيره الميزان فإنَّه لم يُعمل النظر حقه حينئذٍ، وهناك شواهد وسياقات أُخرى يأتى ذكر بعضها فى محله.

ولذا مع الأسف أنَّ المفسرين حتّى من الخاصه تَقُلُّ جهودهم وعنايتهم ببيانات أهل البيت العلميّه فى ذيل الآيات، كل ذلك بسبب عدم التفاتهم لقاعده الالتفات وعدم تنبههم إلى أنَّ وحده السياق ليست صحيحه، وأنَّ التمسُّك بوحده السياق يُخطِّئ الروايات معنى ومفهوماً، وهذا ما أكَّده الإمام الباقر (عليه السلام) عندما سأله جابر عن شىء فى تفسير القرآن فأجابه ثم سأله ثانيه فأجابه بجواب آخر فقال جابر للإمام: - جعلتُ فداك كُنتَ أجبتَ فى هذهِ المسأله بجواب آخر غير هذا قبل اليوم؟

فقال (عليه السلام) لى: يا جابر إنَّ للقرآن بطناً، وللبطن بطن وظهر، وللظهر ظهرٌ يا جابر، وليسَ شىءٌ أبعدُ من عقول الرجال من تفسير القرآن، إنَّ

١- (١) المصدر وصاحب الكرات أى دوره فى عالم الدين ودوره فى عالم الآخره ودوره فى عالم الرجعه.

الآیه لیکون أوَّلها فی شیء وآخرها فی شیء وهو کلام متصل یتصرف علی وجوه(۱).

فمثلاً ـ ما وَرَدَ فی قضیه النبی داود وسلیمان فی سوره الأنبیاء وَ داوُدَ وَ سُلَیْمانَ إِذْ یَحْکُمانِ فِی الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِیهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ کُنّا لِحُکْمِهِمْ شاهِدِینَ ۲.

هذهِ الآیه المبارکه من الآیات التی فیها أساس معرفی عظیم ألا وهو أنَّ القرآن الکریم بَیَّنَ أنَّ موارد ترک الأولی عند الأنبیاء لیسَ یعنی إنَّ ما ارتکبوه لیسَ بحق - أی باطل - کلا ـ وحاشا أنبیاء الله تعالی من ذلک وإنَّما الآیه فی مقام توضیح أنَّ موارد العتاب الإلهی للأنبیاء وأنَّه لِمَ ارتکبتَ هذا ولو ارتکبت هذا لکان أفضل وأولی ولا ـ یفهم من هذا أنَّ ما ارتکبه أی نبی من الأنبیاء باطل ومعصیه کلا لیسَ هذا هو المراد وإنَّما ما أتی به أنبیاء الله حق ولکنَّ الله تعالی یعاتبه علی ما هو أحق مما أتی به، فمثلاً ـ ما ذکرته الآیه المبارکه وَ کُلًّا آتَیْنا حُکْماً وَ عِلْماً لیسَ معناه أنَّ حکم النبی داوود (علیه السلام) کان باطلاً، ولکن عتاب لما کان هو أحق، وهذا أساس معرفی عظیم.

۱- (۱) المحاسن، ص ۳۰۰ /ح ۵؛ بحار الأنوار، ج ۴۸/۹۲:۹۵؛ تفسیر العیاشی، ج ۱، ص ۸۷، ۸/۳۹.

النسبيه فى القرآن وعند الحداثويين

والنسبيه التى يطرحها القرآن الكريم ليست نسبيّه تشكيكيه كما هو شأن النسبيّه التى يطرحها الحداثويون، فإنَّ النسبيه التى تطرحها مدرسه الألسنيات والحداثويون نسبيه تشكيكيه لكنَّ نسبيه تشكيكيه بين حقيقه وبين حقيه مخلوطه وبالتالى الأمر مخلوط وباطل عندهم.

بخلاف النسبيه التى يطرحها القرآن الكريم فإنَّها نسبيه درجات منها حق ومنها باطل، بلْ حتماً فى الحق درجات، وليسَ معنى الحق فى درجات أنَّ هناك حقاً باطلٌ، كلا وإنَّما هناك حق وأحق وحقاً وما فوقه حقٌ وهذهِ نسبيه بديعه تجنب الإنسان الإفراط والحديّه وتعطى الإنسان سعه صدر المعرفه، فالآيه الكريم وَ داوُدَ وَ سُلَيمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ١ فالآيه ليست فى صدد بيان أنَّ كلاً من داود (عليه السلام) وسليمان (عليه السلام) لم يَبُتا فى الحكم، ولا فى صدد أنَّ حَكَم أحدهما أو كلاهما ثم خطأه الله، فإنَّ داود لم يحكم كى يُخطّأ فَنَزَل نَسخٌ عليه بحكم سليمان.

فمثل هكذا التفاته موجوده فى روايات أهل البيت (عليهم السلام).

ثم قالت الآيه وَ كُنّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ٢ ولم تقل [وكنا لحكمهما شاهدين] فإنَّ الحكم الذى حُكم به ليسَ الحاكم نبى الله داوود أو سليمان (عليه السلام) وإنَّما الذى حَكم هنا هم علماء اليهود الذين كانوا مع النبى

داوود وسليمان وتسرع علماء اليهود فى الحكم فحكموا فقطعوا لا أنَّ النبى داوود (عليه السلام) أو سليمان حكم فقطع.

ولم أرَ مثل هذهِ الالتفاته حتّى فى كتب المتقدمين من مفسرى الخاصه أمثال تفسير مجمع البيان للطبرسى ولا تفسير التبيان للشيخ الطوسى، بلْ حتّى فى كتب التفسير عند المتأخرين أمثال السيد محمد حسين الطباطبائى (قدس سرّه) فى الميزان.

إذنْ الآيه المباركه لو قُرأت فى سياق واحد فإنك سوف تغفل ولا تلفتت إلى المراد الأصلى منها.

ولو رجعنا إلى بيانات وروايات أهل البيت (عليهم السلام) فإنا نجدها تقول: - إنَّ هذا هو ديدن القرآن كُلَّهُ إلّا ما استُثنى فإنَّ الخطاب القرآنى دائماً فى حركه مستمره وعجيبه مع وجود نقطه مركزيه ثابته فيه.

والخلاصه: إنَّ المُفَسِّر إذا استطاع أنْ يلتفت إلى الخطاب القرآنى وإلى هذهِ النكات فإنَّه سيصل باسترشاد وتعليم من البيانات العلميه لأئمه أهل البيت (عليهم السلام) وإلّا فإنَّ الإنسان دائماً يصبح فى حاله إخفاق من دون الرعايه التعليميه من المعصوم (عليه السلام) المستمدَّه من الفيض الإلهى.

المثال الثالث: ما جاء فى سوره الشعراء: وَ إِذْ نادى رَبُّكَ مُوسى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لا يَتَّقُونَ قالَ رَبِّ إِنِّى أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَ يَضِيقُ صَدْرِى وَ لا يَنْطَلِقُ لِسانِى فَأَرْسِلْ إِلى هارُونَ وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ١.

لاحِظ لطافه الحوار الوحيانى بين الله تعالى ونبيه موسى (عليه السلام) وكيفيه

تبدل الخطاب القرآنی بشکل خفی غیر مُلْتَفَتٍ إلیه بالمره، وهنا تکمن الصعوبه أی صعوبه تلوِّن وتنوع وتغیر الخطاب القرآنی بشکل لمْ یکنْ محسوساً، فالمفروض وبحسب وحده السیاق یکون الخطاب موجهاً إلی موسی (علیه السلام)، إلّا أنَّه بالواقع موجهاً إلی کلیهما موسی وهارون (علیهما السلام)، لما صارحت به الآیه المبارکه قالَ کَلّا فَاذْهَبا بِآیاتِنا إِنّا مَعَکُمْ مُسْتَمِعُونَ۱. فإنَّ الفعل (اذهبا) أسند إلی ضمیر التثنیه، هذا معناه أنَّ المخاطب موسی وهارون، وهذا الإسناد فی (معکم) إلی ضمیر الجمع، فانتقل الخطاب من ضمیر التثنیه إلی ضمیر الجمع فدخل مع موسی وهارون المؤمنون التابعون للنبی موسی وهارون من بنی إسرائیل، إذنْ إلی هنا توجد ثلاثه خطابات:

۱ - [کلا) بقوله تعالی: کَلّا فَاذْهَبا بِآیاتِنا إِنّا مَعَکُمْ مُسْتَمِعُونَ.

۲ - [فاذهبا] بقوله تعالی: فَاذْهَبا بِآیاتِنا....

۳ - إِنّا مَعَکُمْ فی قوله تعالی: إِنّا مَعَکُمْ مُسْتَمِعُونَ.

ثم أبدل الخطاب بعد أنْ وجّه إلی المجموع إلی التثنیه - إلی موسی وهارون - فَأْتِیا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِینَ۲.

ومن هنا عرفنا أنَّ أطراف الخطاب متبدله دائماً ولیست ثابه، فلو بنی المُفَسِّر علی أنها ثابته لأخطأ فی التفسیر، فنلاحظ کیف تتبدل أطراف الخطاب، فتاره طرف المتکلم هو الله تعالی والمخاطب موسی وهارون وأتباعهما، وأُخری بالعکس المتکلم هو موسی وهارون (علیه السلام) والمخاطب هم

القوم، وثالثه المتكلم هو فرعون والمخاطب موسى وهارون، وهكذا يتنوع الخطاب القرآنى ويتغير بتعبه المعنى المترتب على ذلك بلحاظ تغير الإسناد.

ثم قالت الآيه أَ لَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً وَ لَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ١.

فالمتكلم هنا صار فرعون وليسَ الله تعالى والمخاطّب موسى (عليه السلام) ثم تحوَّل الخطاب إلى أنَّ المتكلم موسى والمخاطب فرعون قالَ فَعَلْتُها إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضّالِّينَ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْماً وَ جَعَلَنِى مِنَ الْمُرْسَلِينَ٢.

ثم فجأه تبدل الخطاب بين موسى وهارون، فهنا لو تابعنا وحده السياق فإنَّها قدْ تخادِع المُفَسِّر؛ لأنَّها قالت قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ٣ وفاعل (قال) هنا فرعون أى قال فرعون للملأ حوله يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَما ذا تَأْمُرُونَ٤ ، وهنا انتقل الخطاب القرآنى إلى جهه رابعه – غير الله وغير موسى وهارون، وغير المؤمنين برساله موسى وهارون – وهم السحره فَجُمِعَ السَّحَرَهُ لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ٥.

ولعله ينقدح فى ذهنك تساؤلٌ وهو: – إنَّ السحره كيف آمنوا برب العالمين ربِّ موسى وهارون، وكيف تَعرَّفَ السحره على مضمون دعوى موسى وعليه فلابدَّ من وجود مشهد مطوى طواه القرآن.

الجواب: إنَّ السرد القصصی القرآن قطعاً لابدَّ أنْ یکون فیه حذف وطوی لمطالب کثیره حتَّی لو کانت تلک المطالب المطویه مهمه، ویأتی القرآن ویستعرض المنعطفات الواضحه والمهمه فی حیاه الأنبیاء وأممهم، ومن الواضح أنَّه توجد دلاله التزامیه تدل علی أنَّ هناک أمور مطویه کثیره حذفها القرآن واستعرض الأهم منها فالأهم؛ لأنَّه کما ذکرنا قبل قلیل إنَّ طبیعه السرد القصصی فی القرآن لا یستوعب کُلّ الزوایا لأنَّ هذا یحتاج إلی سعه الآلاف من المجلدات.

لذا رکَّز موسی (علیه السلام) علی بیان مفاصل مهمه فَهِم منها السحره تلک الدعوه التی جاء بها موسی من قبیل قوله تعالی: فَوَهَبَ لِی رَبِّی حُکْماً وَ جَعَلَنِی مِنَ الْمُرْسَلِینَ۱ وقوله قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ الْعالَمِینَ قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُمَا إِنْ کُنْتُمْ مُوقِنِینَ قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَ لا تَسْتَمِعُونَ قالَ رَبُّکُمْ وَ رَبُّ آبائِکُمُ الْأَوَّلِینَ۲.

وهناک أمثله کثیره فی هذا المجال أعرضنا عن ذکرها خوف الإطاله.

الخلاصه: إنَّ الکلام کان فی قاعده الالتفات فی النظام الاستعمالی اللفظی فإنَّه رغم سهولته فی النظره الأولیه إلّا أنَّها بالغه الخطوره إلی حدٍّ مترامی جداً والسبب فی ذلک واضح: -

وهو أننا نرید أنْ نستلهم من أی جمله لفظیه نتعاطاها فی القرآن الکریم مفادها الأولی من کونها مبتدأ أو خبر، أوجمله فعلیه أو أسمیه، وما هی أطراف الإسناد وهل هی مفرده أم مرکبه، مضافه أو لا، وهل فیها قیدٌ

أو شرط من المتكلم أو المخاطب وهل الضمير مُصَرَّحٌ به أو مُضمر وما هو مرجعه، فإنّا نريد أنْ نستلهم كُلَّ هذا من عناصرها الأوليه الأساسيه.

وبالتالى إذا كان المتكلم فى الجمله الواحده مفرد أو مثنى أو جمع، وكذا المخاطب فإنَّه بالتالى يؤثر فى مفاد الكلام تماماً.

وعليه فتعتبر قاعده الالتفات من أساسيات تحصيل المعنى الأوّلى لظاهر ألفاظ وجمل وآيات القرآن الكريم.

وبسبب هذهِ الأمور التى ذكرناها وغيرها أكَّد أهل البيت (عليهم السلام) بتعابير مختلفه، وبيّنوا (عليهم السلام) سبب إخفاق المفسرين وإنْ كانوا من العلماء والمحققين، وإخفاق قدره عقل البشر فى الوصول إلى كنه مغزى آيات الذكر الحكيم، وأنه ليسَ شىء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن كما وَرَدَ ذلك فى قول الإمام الصادق (عليه السلام) وسبب عدم معرفه المفسرين وإخفاقهم فى معرفه تغير وتبدل الخطاب القرآنى جمله جمله وكلمه كلمه سواء المتكلم يتغير أو المخاطب أو... الخ وهذا بالتالى سوف يغير المعنى الأوّلى لذا يصعب مراعاته لدى المفسرين وبالتالى الالتفات إلى مثل هذهِ الأمور الدقيقه يحتاج إلى نباهه وقّاده وإلى يقظه وتمسك بمنهج وتعليم ورعايه أئمه أهل البيت (عليهم السلام)، وإنْ كان بعض المفسرين ينظرون إلى قاعده الالتفات أنَّها تأويل وباطن إلّا أنَّه لو دققنا النظر لوجدنا روايات أهل البيت (عليهم السلام) تعالج ظاهر سطح الألفاظ للآيات القرآنيه ومع ذلك هذهِ المعالجه لسطح ظاهر الألفاظ خفيت على الآخرين، ومن ثمَّ تلقاه الآخرون أنَّه تأويلٌ وباطنٌ.

من أحد أبعاد البلاغی فی القرآن هی القدره الفنیه فی القرآن علی ممارسه هذهِ الفنون بدرجه یعجز البشر عن إدراکها فضلاً عن ممارستها قُلْ فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِثْلِهِ۱ و قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً۲.

ولذا یحسب العلماء والمفسرون من الطرفین الکثیر من بیانات أهل البیت (علیهم السلام) الوارده فی تفسیر الآیات أنَّها تأویلات خفیه باطنیه، والحال أنَّها لیست کذلک، وإنَّما هی منهم (علیهم السلام) معالجه لنفس ظاهر القرآن.

ولذا لابدَّ من الإقرار والاعتراف - کما مَرَّ - بأنَّ قاعده الالتفات ذو شعب متشعبه ودائره واسعه مترامیه الأطراف والفروع وفیها سُبُل غریبه بالنسبه لقدره البشر، وقدره ممارستها إنَّما تکون لرب العالمین ربَّ الکلام فإنَّه الوحید تعالی الذی یمارس تلک القاعده بممارسه سلیمه تعجز قدره البشرعن السیطره والترکیز والإحاطه بها.

ولذا فی جمله من الموارد یستعصی ظاهر القرآن علی المفسرین التدقیق فیه فی أمثله متعدده وأبواب مختلفه، فإنَّه یتعصی علیهم معرفه مَن المتکلم ومَن المخاطب وکیفیه الالتفات.

فمثلاً:- قوله تعالی وَ وَجَدَکَ ضَالاًّ فَهَدی۳ ذکر المفسرون من الفریقین وجوه عدیده، فذکر القرطبی أکثر من خمسه عشر وجهاً وقال

كلّها حسان والأعجب منها هو القول الذی نسبه القرطبی لبعض المتکلمین من أنَّ المراد من وَ وَجَدَکَ ضَالاًّ فَهَدی هو أنَّ العرب إذا وجدت شجرةً منفردةً فی فلاه من الأرض لا شجر معها سمّوها ضاله فیُهتدی بها إلی الطریق فقال الله تعالی لنبیه محمد (صلی الله علیه و آله) وَ وَجَدَکَ ضَالاًّ أی لا أحد علی دینک وأنت وحیدٌ ولیسَ معک أحد فهدیتُ بک الخلق إلیَّ(۱).

وذکر السید المرتضی فی تفسیره وجوهاً خمسه خامسها أضعفها وهو غیر معروف أی قراءه الیتم بالضم، وأوّلها: - أنَّه وجدک ضالاً عن النبوه فهداک إلیها أو عن شریعه الإسلام التی نزلت علیه وأمر بتبلیغها إلی الخلق...(۲).

وکذا ذکر الشیخ الطبرسی فی تفسیره مجمع البیان والشیخ الطوسی فی التبیان والسید العلامه محمد حسین الطباطبائی فی المیزان وآخرون وجوهاً عدیده فی تفسیر الآیه المبارکه إلّا أنَّ الذی نرید ذکره کشاهد لما نحن فیه هو أنَّ الآیه المبارکه ذکرت قسماً آخر من أقسام الالتفات وهو: -

ما هو اسم الفاعل أو الصفه المشبهه ل - (ضلل)؟ لعله ینسبق الذهن لأوَّل وهله إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله)، والحال لو دققنا النظر فی لفظه (ضالاً) فإنَّها کلمه مشتقه والمشتق فی اللغه العربیه کما هو معلوم بمنزله الجمله الفعلیه فاسم الفاعل (ضالاً) یعنی (ضلل) ونلاحظ وجود عدَّه أطراف فی الکلمه.

۱ - المسند، ۲ - المسند إلیه. ۳ - ومن هو الضال. ۴ - ومن هو الذی ضلَّ عنه. ۵ - ومن هو الذی ضلَّ إلیه.

ویوجد فی مبحث الصفه فی علم النحو والبلاغه أنَّ الصفه تاره بلحاظ نفس الموصوف أی صفه حال نفس الموصوف، وأُخری بلحاظ

۱- (۱) تفسیر القرطبی، ج ۲۰ ص ۸۹ الجامع لأحکام القرآن.
۲- (۲) تفسیر الشریف المرتضی، ج ۳ /ص ۴۶۶.

حال المتعلق، ودائماً تنسبق الأذهان إلى الصفه بلحاظ نفس الشيء الموصوف، إلّا أنَّه فى الآيه المباركه أنَّ الصفه بلحاظ حال المتعلق وهذا القسم من الصفه فيه الالتفات، وفى نفس الوقت هى جمله واحده فيها مفرده واحده مصرح بها - وهى (ضالاً) فيحصل بها التفات، وكلّ هذا يحتاج إلى تأمل وتدبر.

الخلاصه: إنَّ هذا هو أحد الوجوه فى تفسير الآيه وَ وَجَدَكَ ضَالاًّ عند قومك وهم ضلوا عنك، وهو صفه بلحاظ حال المتعلق، وإنْ كان كثيرٌ من الصفات التى نُسبت إلى الأنبياء فى القرآن الكريم وحَسِبَها الجاهلون أنها وقيعه بهم من قبل القرآن - والعياذ بالله - أو أغواءٌ من القرآن فى الأنبياء والواقع ليسَ كذلك بلْ هى صفات بلحاظ حال المتعلق لا نفس الموصوف.

وهكذا عندما يبين القرآن الكريم لنا كيف نشأت البشريه وتكاثرت عِبر مقاطع خاصه مؤثره فى حياتهم وإلى يومنا الحاضر والمستقبل وأنها كيف تؤثر على البشر، ويريد أنْ يعلِّمنا القرآن الكريم: بأنَّكم أيُّها البشر لستم لوحدكم وبمفردكم تعيشون على وجه كوكب الأرض، وإنَّما هناك كائنات أُخرى تشارككم منها رحمانيه وأُخرى شيطانيه، كل ذلك يعرضه القرآن الكريم لنا عن طريق البث السمائى لهدايه البشر وهذا أشبه ما يكون - لأجل تقريب الفكره - بعرض لفلم سينمائى فكلما كان المخرج له ذكياً وفطناً وملتفتاً فإنَّه لا يُركِّز على كل جوانب الحدث والقصه المهمه فضلاً عن غير المهمه وكل صغيره وكبيره وإنَّما يُركِّز ويوجه عدسه كامرته على اللقطات الحساسه المؤثره فى روح تلك القصه أو الفلم الذى يتعرض له، وينظم كل ذلك ضمن نسق دقيق يوصل إلى الغايه من القصه الروائيه مثلاً أكثر فأكثر.

ومحل الشاهد لقاعده الالتفات: - نلاحظ القرآن الكريم وهو يقص القصه ويركزعلى الجوانب المهمه والخطيره وإذا فجأه عرض للقطه أُخرى ثم يتعرض فجأه للقطه ثانيه وثالثه و... الخ كلّها متسلسله منتظمه مرتبه وفق قواعد وموازين ومع ذلك لا يعنى هذا أنَّ المشهد واحدٌ وإنْ كنت تلاحظ بحسب الظاهر هى آيه واحده إلّا أنَّ القرآن الكريم يعرض فى تلك الآيه الواحده مشاهد متعدده فلا يلتفت إلى تلك المقاطع والمشاهد المتعدده فى الآيه الواحده، بلْ فى الجمله الواحده فضلاً عن السوره والسور إلّا المُفَسِّر الفطن يلتفت إلى تلك الانتقالات المهمه والمشاهد المتعدده فى الآيه الواحده، وبخلاف ذلك فإنَّ المُفَسِّر غير الفطن إذا لم يكن ملتفتاً إلى ذلك فيظن أو يحسب نفسه أنَّه لا زال فى عرض المشهد الأوَّل، وأنَّ كل هذهِ التقلبات هى فى مشهد واحد كلا ليسَ الأمر كذلك.

ومثاله ماتقدم فى الآيه المباركه وَ وَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدى ، ولا يلتفت إلى مثل ذلك من المفسرين إلّا الفطن والملتفت لدقائق الأمور، ومن كانت له رعايه تعليميه خاصه من المعصوم وعلقه مع المعصوم وإلّا من لمْ تكن له عنايه ورعايه تعليميه من المعصوم (عليه السلام) واعتمد على قدراته العقليه فقط فإنَّه تخبط ووقع فى تفسيرات بعيده عن جو الإجابه. هذا بالنسبه إلى سرد القرآن القصصى.

وأمَّا لو قصَّ لنا التأريخ قصةً معينةً فإنَّه يحاول التريكز على كُلّ صغيره وكبيره لأجل إيصال الفكره للمطالع الكريم وتُجمَّع أكبر عدد من المعلومات حول تلك القصه.

روایه عن الإمام الباقر علیه السلام

هناک روایه رواها العیاشی فی تفسیر فی باب تفسیر الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحکم والمتشابه بسنده عن الإمام الباقر (علیه السلام) وهی وإنْ لمْ تُخَصَّص بقاعده الالتفات إلّا أنَّه استظهرنا منها ذلک، والروایه وإنَّ تقدمت إلّا أنَّه نذکرها الآن لبیان بعض ما ستفدنا منها.

وإلیک الروایه: - عن جابر سألت أبا جعفر (علیه السلام) عن شیء من تفسیر القرآن فأجابنی ثم سألته ثانیه فأجابنی بجواب آخر، فقلت: جُعِلت فدک کنتَ أجبتَ فی هذهِ المسأله بجواب غیر هذا قبل الیوم؟

فقال (علیه السلام): - لی یا جابر إنَّ للقرآن بطناً، وللبطن وظهر وللظهر ظهر یا جابر ولیسَ شیء أبعد من عقول الرجال من تفسیر القرآن، إنَّ الآیه لیکون أوَّلها فی شیء وآخرُها فی شیء، وهو کلام متصل یتصرف علی وجوه(۱).

ومحل الشاهد لقاعده الالتفات هو ذیل الروایه قوله

«إنَّ الآیه لیکون أوّلها...» ویستفاد من هذهِ الروایه أنَّ تفسیر کلام الله تعالی هو من أصعب الصعاب ومنشأ الصعوبه یبینه الإمام (علیه السلام) ذلک بسبب الغفله وعدم الإحاطه العلمیه الدقیقه والعمیقه بقاعده الالتفات وتطبیقاتها بحسب ما استظهرناه من کلام الإمام (علیه السلام) وعدم الإحاطه بها هو السبب فی بُعد تفسیر القرآن عن عقول البشر؛ لأنَّ الآیه کما قال الإمام (علیه السلام)

«إنَّ الآیه لیکون أولها فی شیء وآخرها فی شیء وهو کلام متصل یتصرف علی وجوه». یعنی

۱- (۱) تفسیر العیاشی، ج ۱، أبواب مقدمات التفسیر، ص ۸۷، ۸/۳۹.

توحده وحده سیاق وهذا ما یتوهمه الکثیر من المفسرین بأنَّه سرسرح استرسالی یَسرَح غفله البشر بعفویه صریحه بأنَّه شیء متصل إلّا أنَّه لیسَ بشیء واحد وإنَّما هو شیئان، ووحده السیاق ووحده الاتصال لا تعنی وحده المعنی وغیر کاشفه عنها ولا ملازمه بینهما.

وقوله (علیه السلام)

«ویتصرف علی وجوه» وهذا دلیل علی أنَّ الآیه الواحده بلْ الجمله الواحده والمفرده الواحده فضلاً عن السوره والسور لها عدَّه معانی وتتکثر إلی ما شاء الله وتترامی انطلاقاً من تعدد الخطاب القرآنی فإنَّ مثل هذا یوحی غفلةً بوحده الاتصال ولوحده السیاق وأنه خطاب واحد والواقع خلافه وبعباره أُخری أنَّه یمکننا أنْ نستظهر من کلامه (علیه السلام): إنَّ قاعده الالتفات هی مفتاح وباب کبیر لباب التأویل ولمعرفه تعدد وتنوع بطون القرآن وتمیّزها عن ظهورها.

وأیضاً نستظهر ویتبین من کلامه (علیه السلام) أنَّ الخطاب القرآنی یتنوع ویتعدد فقدْ یکون المتکلم متعدد فی آیه واحده، وقدْ یکون المخاطب متعدد، وقدْ یکون أحدهما متعدد دون الآخر أو کلیهما لثالث ورابع وخامس و... الخ.

ومعرفه مثل هذهِ الأمور بالتالی یفتح لنا باباً فی معرفه الدلالات المتعدده وکیفیه الالتفات إلی معرفه الدلالات الخفیّه التی تقدم ذکرها فی القاعده الأُولی - قاعده التعریض - والدلالات الکنائیه التی أکَّدت علیها الروایات الوارده عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام)، وباب مثل هذهِ الدلالات کما مَرَّ هی باب للتأویل، والباب إلی التأویل هو التنبیه إلی قاعده الالتفات التی نحن بصددها التی ذکرت فی علم البلاغه فی علم البدیع، والتنبیه لمثل هذهِ

القاعـده – أی قاعـده الالتفات – وتعـدد الخطاب سوف یفتـح لنا الباب علی مصـراعیه لتعـدد مضامین الخطاب القرآنی فی الآیه الواحده وبالتالی نقف علی دلالات متعدده.

وهکـذا حتجاج الیهود أو الصابئه مع النبی (صـلی الله علیه و آله) عنـدما احتجوا بأنَّ النبی إبراهیم خلیل الله فأقام النبی (صـلی الله علیه و آله) الاحتجاج بأنَّ الخِلَّه لها معنیان:

الأوَّل: أنَّ تأتی بمعنی المحبه والصداقه الوطیده.

الثانی: أنَّ تأتی بمعنی کشف الأسرار باعتبار الخلیل ینفذ فی أسراره إلی خلیله باعتبار الخِلَّه من التخلل والنفوذ والخلال.

وبَیَّن النبی (صلی الله علیه و آله) فی جوابه النتیجه علی کلا المعنیین.

والشاهد: أنَّ النبی (صـلی الله علیه و آله) من خلال کلمه واحده وهی کلمه [الخلیل] تعدد الخطاب القرآنی بأنَّ یمکن أنْ یکون هناک إسـنادین أو أکثر لکلمه واحده وفی کُلّ إسناد له معنی یختلف عن معنی الإسناد الثانی والثالث والرابع و... الخ کما تقدم تقریب ذلک فی الکلمات المشـتقه ووصف الاشـتقاق وتعدد المعنی والإسـنادات فی کلمه واحده کما فی ضارب وقائم وکاتب و... الخ.

ص:۴۷۹

قاعده الالتفات ومعرفه تكثر بطون القرآن وظهوره

ما تقدم فی کلام الإمام الباقر (علیه السلام) فی الروایه السابقه [... وهو کلامٌ متصلٌ یَتصَرف علی وجوه] یمکن استفاده أنَّه (علیه السلام) یُبین خلال کلامه قاعده الالتفات والتنوع فی الخطاب القرآنی ینفتح من هذا باب معرفه تکثر بطون القرآن والمراد بالبَطن - بتحریک الباء والطاء بالفتح - هو شیءٌ کان مخفیاً ثم ظَهَر وتجلی وأنَّ تلک الدلالات الخفیّه علی عقول البشر تبرز وتتجلی من خلال تطبیق، قاعده الالتفات والتفطن والالتفات إلیها وإلّا تبقی کما بقیت تلک الدلالات الخفیّه علی خفائها وبطونها لمن لمْ یلتفت ویستعمل ویطبق قاعده الالتفات التی أکَّد علیها المعصوم (علیه السلام) وإنْ لمْ یکنْ التأکید بلفظ الالتفات.

ومَرَّ سابقاً الکلام حول تأکید الأحادیث النبویه وروایات أهل البیت (علیهم السلام) علی نکته مهمه جداً وهی أنَّ الغوص فی عالم المعانی والدلالات الخفیه ذات الترامی المتعدد الأطراف فی الخطابات القرآنیّه، ولهذا الغوص مفتاح ورأس خیط وحبل ممدود من سماء الخفاء والغیب إلی أرض الظاهر وعالم المشاهده طرف منه عند الناس وطرفٌ منه عند الله.

إلّا أنَّ الکلام فی کیفیه ضمان المفتاح ورأس الخیط کی تنطلق منها إلی سماء الغیب والخفاء علماً أنَّ أهل البیت (علیهم السلام) یؤکدون علی عدم انقطاع الطرق واتصالها بین عالم الدلالات الخفیه المعمقه وبین منصه سطح الظاهر وأنَّه یمکن الاتصال لکنَّ لا یتیسر ذلک لکل البشر وإنَّما للملتفت والمتفطن منهم والذی له علاقه خاصه ومشمول لرعایه المعصوم (علیه السلام) وإلّا فلا.

وإنْ كان كثير من المفسرين يظنون أنَّ الدلالات الخفيه وبطون القرآن هى جواهر خزائنها مقفوله ولا طريق إليها إلّا بقدره معجز وأنَّ هذا صحيح وأنَّه يحتاج إلى قدره المعصوم، غايه الأمر أنَّ المعصوم كالنبى الأكرم محمد (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) عندهم القدره على معرفه واكتشاف الطريق من الظاهر إلى الباطن والانتقال من المعنى الظاهر والجلى إلى تلك المعانى الخفيه لا- أنهم (عليهم السلام) يصنعون الطريق وإنَّما الطريق إلى الله تعالى موجود لا يَعْلَمه إلّا مَن كانت عنده القدره على اكتشاف ومعرفه ذلك.

ومن الواضح أنَّ هكذا قُدُرات لا تتوفر ولا يمتلكها إلّا المعصوم الذى يعلم التأويل أى يعرف الطريق؛ لأنَّ أحد معانى التأويل هو الأوَّل والمآل أى الطريق والسبيل فإنَّ الطريق موجود لا- أنَّ المعصوم يوجده، وعليه أحد معانى وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ- اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ١ أى لا يعلم تأويله ولا يعنى أنَّهم (عليهم السلام) يختلقون الطريق وإنَّما الطريق موجود.

والذى نريد أنْ ننتهى إليه من خلال هذا كُلَّهُ هو تخطئه تلك النظره القديمه القائله: - «بأنَّ المعانى التأويليه الباطنيه فى القرآن لا صله لها بالظاهر ولا صله لها بقواعد علوم اللغه والأدب».

وتقدم أنْ الناقد الأدبى اللوذعى والماهر الفطن يتمكن من فك لغز وإبهام العبارات المجمله والغامضه من خلال الرجوع إلى تفعيل قواعد اللغه والتى تكون أشبه بمباريات النقد الأدبى، فإنَّ ذلك الناقد الذكى يكتشف نكاتاً فى الكلام لا يستطيع غيرُه أنْ يكتشفها لا أنَّه يختلقها وإنَّما

هی موجوده ولکن تحتاج إلی فطنه وقدره علی اکتشافها وهذهِ القدره موجوده عند البشر إلّا أنها لیست علی درجه واحده من القدره فتختلف قدره المعصوم عن غیره.

إذنْ یختلف اکتشاف الدلاله الخفیه فی القرآن الکریم بین أنْ تقول: - الدلاله الخفیه عباره عن دلالات استحسانیه ذوقیّه، وبین أنْ نقول أنها موضوعیه منهجیه وقواعدیه ضمن نظام معین، إنَّما الاختلاف فی القدره علی الاکتشاف لذلک النظام فإنَّ قدرات البشر مختلفه، ویجب أنْ تکون تحت رعایه وإرشاد وکنف تعلیم المعصوم وهو النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) وآله الأطهار علیهم أفضل الصلاه والسلام علیهم أجمعین الذین نصَّبهم الله تعالی وأوَّلهم سید الأنبیاء بدلیل الآیه هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ۱.

المُفَسِّر لأجل أنْ یکتشف هذهِ النکات المهمه فإنَّه یحتاج إلی تعلیم نبوی، ویعلمهم الکتاب والحکمه، والمعلم الأوَّل للکتاب - کما تقدم - بتنصیب من الله تعالی هو سید الأنبیاء. ومن هذا یُعلَم الفرق بین مدرسه الألسنیات أی الحداثویون المبتنیه علی قراءات متشتته ومتراکمه إلّا أنَّه لیس خاضع تحت منهجه المیزان والنظام العلمی، فلذا یکون عُرْضَهَ للوقوع فی الأخطاء بخلاف منهج مدرسه التأویل للقرآن الکریم فی مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) فإنَّ منهاج التأویل فیها منضبط ضمن نظام ومنهج اکتشاف تحت رعایه وتعلیم المعصوم وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ۲.

أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها١.

هاتان الآيتان وغيرهما تشيران إلى أنَّ الطريق مفتوح للذهاب إلى صفوف مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) وما على المتعلم إلّا أنْ يذهب إلى تلك المدرسه ويضع نفسه فى الصف المناسب له من مرحله ابتدائيه أو متوسطه أو ثانويه أو جامعيه... الخ لكى يُتلقى ويُلقَّن التعليم والعلم لأجل أنْ يواكب المسيره العلميه المعاصِرَه، هذا مقصودنا من شمول رعايه المعصوم للمُفَسِّر حتَّى يكون عند المُفَسِّر القابليه والسيطره والإحاطه بتلك النكات العلميه فى الآيات والروايات التى تحتاج إلى مزيد من الالتفات والانتباه ولا يفهم من التعبيرات السابقه أنَّ هناك صنف أوجماعه خاصه من البشر ومن المسلمين يُولِهم المعصوم رعايه خاصه، كلا وإنَّما على الشخص أنْ يذهب وينتمى إلى المدرسه الحقّه مدرسه النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته ويغرف من نمير علومهم - صلوات الله عليهم أجمعين - ولذا وُصِف النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) بأنَّه أوتى جوامع الكلم ويصف كتاب الله بأنَّه حَبْلٌ ممدود من السماء إلى الأرض طرف منه عند الناس وهو الظاهر وطرف منه عند الله، وأحد معانى ذاك الطرف الذى عند الله تعالى هو تَعَدُّد الخطاب القرآنى فإنَّه مفتاح الإنطلاق إلى الباطن وباطن الباطن وهكذا، وكذا الإنطلاق إلى الظاهر وظهر الظاهر وظهر الظهر و... الخ وهذا يعنى عمليه التعدد فى الدلالات ولكنْ لكل دلاله طريقٌ مختص بها أشبه ما يكون بالألياف البصريه والنوريه فى الزجاج والأسلاك.

إنْ قلت: أنَّه بحسب بيانات أهل البيت (عليهم السلام) تدلُّ على أنَّ دلالات

الباطن والظهور يمكن أنْ تنضبط ويُبرْهن بها وذلك بأنْ تأتى لها بشواهد من الظاهر وحينئذٍ يشكل التمسُّك بأنَّ الدلالات الخفيه المبطنه المترامیه فی الإبطان والخفاء أنْ يكون لها شاهداً من الظاهر فإنَّه يلزم محذور عود الباطن والخفی ظاهراً.

قلت: التحوُّل والبروز من الخفاء إلى الجلاء والظهور أمرٌ نسبی يتوقف على قدره الشخص وهی مختلفه، وهذا شبيه بالمعادلات العلميّه فی علم من العلوم كالمعادلات الرياضيه أو الكيماويه أو الفيزياويه أو... الخ فإنَّ المسأله المجهوله قبل الوقوف على طريق الحل فيها تكون غامضه ولغزٌ مُعقَّد، ولكنْ عندما يستطيع عالمٌ من العلماء أو نابغه اكتشاف حلٍّ لذلك المجهول فإنَّه سوف يبينه ويُجلّيه ويبرزه للآخرين بصوره واضحه فيصبح الطريق جلياً، وربما يكون اكتشافه للحل بطريق قصير ومختصر ويسير ولا يكتشفه إلّا البصير فحينئذٍ لا مانع من ذلك.

الخلاصه: إنَّ الإمام الباقر (عليه السلام) بيَّن فی الروايه نظاماً مهماً فی الانطلاق إلى الدلالات الخفيه فی الخطاب من سطح ومنصه الظاهر لا- أنَّ الطريق مقطوع بين الظاهر والباطن وعدم معرفه هذا الاتصال هو سِرُّ انحراف بعض الفرق الإسلاميه سواء الصوفيه منها أو غيرها، بلْ حتَّى أنَّ بعض العرفاء تمسَّكوا بالشجره والقشر والظاهر دون الباطن وتركوا الثمره، ويأتون بشواهد فقط من سطح الظاهر وفی هذا تصريح إلى أنَّ العلقه بين الظاهر والباطن مقطوعه حسب رأيهم - وهذا باطلٌ -

نعم، إذا أردت أنْ تأتى بشاهد من سطح الظاهر لابدَّ أنْ يكون ضمن قواعد منضبطه وبأسلوب علمی وفنی صناعی لا تفسير بالرأی ومخترع،

وهذهِ كلَّها وللأسف تأويلات تُسوَّق على البسطاء والسُّذج تحت عنوان تأويل الشريعه أو تأويل الدين عند غير المعصوم، ونقطع بأنَّ غير المعصوم لا يأتى بشاهدٍ من ظاهر الشريعه وظاهر القرآن وإنَّما خلطٌ عشوائى وتلاعب بالدين، صحيح إنَّه بحسب منهاج مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) باب التفسير التأويلى مفتوح إلّا أنَّه منضبط بشواهد تنطلق من قواعد الظاهر وفى هذا ردٌّ على جماعتين: -

الجماعه الأُولى: التى تتلاعب بالتأويل.

الجماعه الثانيه: التى تخشى من التأويل حذف التلاعب وانمحاء ثوابت الدين.

إذنْ ما دامت الشواهد تنطلق من الظاهر فحينئذٍ لا خوف فى البين على مَن قال بالانقطاع بين الظاهر والباطن.

المعالجات البيانيه فی روايات أهل البيت عليهم السلام

لسطح ظاهر ألفاظ القرآن الكريم

أولاً- من ثمار قاعدتی التعريض والالتفات اللتين بحثنا بعض جوانبهما فی النظام الأوَّل أی النظام اللفظی الاستعمالی: - هو أنَّ المعالجات البيانيه لروايات أئمه أهل البيت (عليهم السلام) تعالج مفاد الآيات من منطقه سطح ظاهر الألفاظ التی خفيت علی أكثر المفسرين إلّا النزر منهم فظنوا فی بعض الآيات أنَّها تأويليه باطنه والواقع ليسَ كذلك، وإنَّما هی آيات تعالج سطح ظاهر ألفاظ القرآن الكريم.

ثانياً: والثمره الأُخری من هذهِ المعالجات البيانيه مضافاً لما تقدَّم: هی أنَّ بيانات أهل البيت (عليهم السلام) سوف تكون كلها بيانات مبرهن مُدَلل عليها بالدلائل ولا تحتاج إلی التعبد حتَّی فی مقام الحجيه التعبديه لأهل البيت (عليهم السلام) وإنْ كان التعليم اللدنی من أهل البيت (عليهم السلام) هو شأن من شؤون الإمامه وأحد مقامات سيد الرسل (صلی الله عليه و آله) ولأنَّ شأن سيد الأنبياء له مقامات عدَّه والأئمه المعصومين (عليهم السلام) من أهل بيت النبی (صلی الله عليه و آله) بعده وبعض تلك المقامات أشارت له الآيه المباركه هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ١ فذكرت عده مقامات: -

مقام التزكيه ومقام التعليم تعليهم الكتاب وتعليمهم الحكمه و... الخ وهذهِ المقامات غير مقام الأمر والنهی.

الفرق بين مقام المعلم الإلهى ومقام الآمريه والأولويه

مقام التعليم من أعظم مقامات سيد الأنبياء، وهكذا الأئمه وأنهم معلمون إلهيون للبشر، ويجب أنْ نتعامل مع تراث السماء وهو القرآن الكريم وتراث النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (صلى الله عليه و آله) فى علم التفسير كمعلم لا أنَّها حجيه تعبديه ظنيّه تنجيز وتعذير وتقدير إذنْ يجب أنْ نتعاطى مع مباحث التفسير للقرآن الكريم المرتبطه بالحجيه كمعلم إلهى.

والمراد بالمعلم الإلهى: - هو ما يُحدِث العلم ويعلّمه فإذا أُحدِث العلم ويعلّمه فإذا أُحدِث العلم أى أوصل للآخرين وبلَّغوهم بحجيه تكوينيه ذاتيه ناجزه الأنصياع والانقياد تلقائياً - لا بالتعبد الظنى - ومن المعلوم أنَّه إذا أحْدِث العلم للآخرلا يحصل انقياد للطرف الآخر.

وعليه فما ورد فى كثير من الروايات التفسيريه للنبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته للقرآن الكريم هى فى الحقيقه بيانات تعليميه أى تُحْدِث وتبرهن بالدليل الذاتى الموجود الذى ينطلق حتّى من سطح ظاهر ألفاظ القرآن، ولذا التعامل مع روايات أهل البيت (عليهم السلام) فى معالجه ظاهر القرآن سوف يكون تعاطياً أعمق مع هذا التراث وأوسع أُفقاً مما لو تعاطينا مع هذهِ الروايات وهذا التراث المأثور فى تفسير القرآن الكريم بشكل حجيه تعبديه ظنيه.

وتقدم أنَّ الحجيه التعبديه على قسمين: -

١ - حجيه تعبديه محضه وبلا دليل.

۲ – حجیه تبعدیه مع الدلیل.

بلْ وحتّی القسم الثانی من الحجیه التعبدیه لا ینفعنا فی المقام بمقدار ما ینفعنا استنطاق المعادله البیانیه البرهانیه التی تعالج سطح ظاهر ألفاظ القرآن، وإنْ کانت هذهِ المعادله البیانیه قد خفیت علی الآخرین.

وعلیه ببرکه استنطاق المعادله البیانیه الوارده فی کلام المعصوم (علیه السلام) سوف نستکشف أمراً مهماً ذو أساس متین وله شُعبٌ وعمود تبتنی علیه دعامات تنفعنا فی آفاق وسیعه لا بخصوص منطقه مقطعیه مکانیه أو زمانیه محدوده، وهذا بالتالی یؤکِّد لنا سعه المعرفه التفسیریه للعلوم والبیانات الموجوده فی القرآن الکریم.

ولذا بیانات أهل البیت (علیهم السلام) فی المعارف والتفسیر مُنطلِقه من دلالات مودعه فی سطح ظاهر القرآن، وللأسف لم یتفطن أکثر المفسرین إلیها لولا تعلیم الراسخین فی العلم بدلیل الآیه المبارکه وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلَّا اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ۱ لأنَّهم راسخون فی الآمریه والولایه وإنَّما راسخون فی العلم.

ولذا تقدم فی المباحث السابقه أنَّ أحد مقامات النبی (صلی الله علیه و آله) وأهل بیته (علیهم السلام) أنَّه معلم إلهی ولیسَ معلم بشری، وأنَّ المعلم الإلهی من قبل الله تعالی هو الرسول الأکرم (صلی الله علیه و آله) ثم سید الأوصیاء ثم أوصیاؤه کما فی الآیه المبارکه بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ۲ ولم یقل تعالی أوتوا الآمریه أو الولایه وإنْ کان مقام الآمریه والولایه موجوداً ومحفوظاً لهم إلّا أنَّ الأهم هو مقام العلم والتعلیم وأنَّه معلم إلهی وأنهم معلمون إلهیون

يعلمون الآخرين الآيات كَفى بِاللّهِ شَـهِيداً بَيْنِى وَ بَيْنَكَمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ۱. إذنْ اتضح الفرق بين مقام المعلم الإلهى وبين مقام الآمريه والولايه بأنَّ مقام الآمريه والولايه ثابته لهم (عليهم السلام) تكويناً.

ص:۴۹۱

الفصل السادس: القاعده الثالثه: إياک أعنی وأسمعی یا جاره

اشاره

ص:۴۹۳

القاعده الثالثه: إياک أعنی واسمعی یا جاره

اشاره

*مضمون القاعده.

*المقارنه بین الالتفات وقاعده إیاک أعنی واسمعی یا جاره.

*الفوائد المترتبه علی قاعده إیاک أعنی.

*أهمیه علوم اللغه والبلاغه والنحو فی قراءه النص الوحیانی.

*الضوابط والنماذج التطبیقیه لقاعده إیاک أعنی وأسمعی یا جاره.

*محکمات القرآن تفسر متشابهات السنه.

*تأکید القرآن علی عاقبه الأمور.

القاعده الثالثه من قواعد الاستعمال اللفظی هی قاعده: إنَّ القرآن نزل بأسلوب: [إیاک أعنی وسمعی یا جاره] کما جاء ذلک فی روایه عبدالله بن بکیر عن أبی عبدالله (علیه السلام)، قال: «نزل القرآن ب - (إیاک أعنی وأسمعی یا جاره)»(۱).

وفی سؤال المأمون للإمام الرضا (علیه السلام) فی مجلس یسأل الإمام (علیه السلام) عن عصمه الأنبیاء، فقال المأمون:... لله دَرّک یا أبا الحسن فأخبرنی عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ «عَفَا اللّهُ عَنْکَ) التوبه/ ۴۳ لِمَ أذنت لهم

؟ قال الرضا (علیه السلام) هذا مما

۱- (۱) تفسیر العیاشی، ج ۱ باب فیما أنزل القرآن، ص ۸۴، ح ۴؛ والکافی ج ۲، ص ۴۶۱؛ وبحار الأنوار، ج ۹۲، ص ۳۸۲ ح ۱۷.

نزل بإياك أعنى واسمعى يا جاره، خاطب الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه وأراد به أمته، وكذلك قوله تعالى لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ الزمر/ ۶۵، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً الإسراء/ ۷۴، قال صدقت يا بن رسول الله»(۱).

۱- (۱) عيون أخبار الرضا، ج ۱، ص ۱۵۴-۱۵۵، باب/ ۱۵، ذكر مجلس آخر للرضا (عليه السلام).

مضمون القاعده

اشاره

هو أنَّ يُوجَّه المتكلم ظاهر خطابه إلى المخاطب ومرادَه الجدى إلى مخاطب آخر. وهو من الأساليب التربويه الرائعه والنافعه التى استعملها العرب وعلى ضوئها استعملها القرآن الكريم فى خطاباته، فلكى لا يوجه البارى خطاباته بصوره مباشره إلى المسلمين أو المؤمنين؛ لأنَّ ذلك فيه نوع من ردَّه الفعل أو التشبيه أو... الخ ولأجل هذا وغيره ورأفةً من البارى تعالى لا يوجِّه الخطاب مباشره للمخاطب المقصود.

وما ورد فى قوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً١ ، وقوله تعالى: وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ٢. من أنَّه مَن هو الموجَّه إليه الخطاب بالظاهر؟.

بتقريب: أنَّ صوره الخطاب القرآنى ظاهراً هى موجّه للنبى (صلى الله عليه و آله) إلّا أنَّ المراد الجدى بحسب بيانات أهل البيت (عليهم السلام) أنَّ الخطاب موجّه إلى أمه النبى (صلى الله عليه و آله) وفى هذا أسلوب تربوى نافع مقتبس من سنن الله فى كيفيه تربيه الله لخلقه، والله ستّار العيوب، يُحِب السَتْر ولا يكشف السِتار، لا يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ٣.

بتقريب: إنَّ الكشف والجهر عن السوء فيه ترويج وتجرأه للسوء

وتترتب عليه مخاطر جسيمه، وهذهِ ليست طريقه نافعه فى التربيه على خلاف استعمال أسلوب التعريض الذى بُعِث به النبى (صلى الله عليه و آله).

تنبيه:

قاعده إيّاك أعنى واسمعى يا جاره - منحدره من قاعده التعريض والأسلوب الكنائى.

ص:۴۹۸

المقارنه بين قاعده الالتفات وقاعده إيّاک أعنى واسمعى يا جاره

الفرق الأوَّل: فى قاعده الالتفات يكون الخطاب فى النظام الاستعمالى والتفهيمى والجدى واحد، ولكنْ المتكلم أو المخاطب يتبدل فى قطعه قطعه من الآيه المباركه، فإنَّه قدْ يكون المتكلم فى صدر الآيه شخص وفى وسطها آخروفى ذيلها ثالث، أو يتغير المخاطِب والمخاطَب من كلا الطرفين أو أحدهما أو... الخ، ولكنْ الخطاب على الصعيد الاستعمالى التفهيمى الجدى واحد.

أمَّا فى قاعده إياک أعنى واسمعى يا جاره يوجد مخاطب صورى ومخاطب جدى فإنَّ الخطاب القرآنى يتلون ويتنوع وبأطوار مختلفه على صعيد المعنى الاستعمالى وعلى صعيدالمعنى التفهيمى، فتوجّه الخطاب من البدايه إلى شخص، بينما على صعيد المراد الجدى يتوجّه الخطاب شخص ثانٍ فحينئذٍ فى هذهِ القاعده صوره الخطاب وصوره المخاطِب لا تعكش صوره المخاطَب الحقيقى ولاـ الخطاب الحقيقى، وإنَّما الخطاب الصورى والمخاطب الصورى فى طرف، والمخاطب والخطاب الحقيقى فى طرف آخر.

وهذا بالتالى فيه نوع ما من الصعوبه.

الفرق الثانى: الالتفات إلى تغير أطراف الخطاب فى قاعده إياكِ أعنى واسمعى يا جاره، أصعب من قاعده الالتفات - وإنْ كان الالتفات كما

تقدم – فيه صعوبه باعتبار أنَّه قدْ تكون الجمله الواحده ذات الكلمات يتبدل فيها الخطاب القرآنى هذا فى قاعده الالتفات.

أمَّا فى قاعده إياك أعنى واسمعى يا جاره فإنَّ الخطاب واحد والمتكلم واحد والمخاطب واحد، وفى نفس هذا الخطاب يتضمن لباس مخاطب آخر، وربما أيضاً لباس متكلم آخر.

وهذهِ الانتقالات بالتالى تشكل صعوبه فى التفنن والانتقال.

الفرق الثالث: قاعـده إياكِ أعنى واسـمعى يا جاره، ليست على وتيره ونوع واحد، وإنَّما فيها أنواع أُخرى، فمثلاً قدْ يكون المعنى الاسـتعمالى المخاطب فيه شـخص والمعنى التفهيمى المخاطب فيه شخص آخر، وقدْ يتطابق المعنى الجدى مع المعنى التفهيمى، وقدْ يتغاير فيصير عدد المخاطبين ثلاثه:

١ – مخاط على مستوى المعنى الاستعمالى يعنى استعمال حقيقى.

٢ – مخاطب على الصعيد التفهيمى.

٣ – مخاطب على الصعد الجدى.

الفوائد المترتبه على قاعده إياک أعنی واسمعی یا جاره

ثالثاً: الحِکَم والفوائد المترتبه علی قاعده [إیَّاک أعنی واسمعی یا جاره].

هناک فوائدٌ جمه لهذهِ القاعده المهمه، وهذا الأسلوب التربوی القرآنی نذکر بعضها: -

الفائـده الأُولی: عـدم إثاره الطرف الآخر؛ لانه عنـد الجهر والکشف عن أفعاله وأقواله وتوجیه الخطاب إلیه مباشـره مما قدْ یؤدی إلی ردّه فعل سلبیّه.

الفائـده الثانیه: التستر الأمنی وعـدم إرباک الوضع الأمنی المسـتقِر والمسـتتب، فإنَّ کثیراً من الأمور التی یریـد الله أنْ یکشف بها أعمال المنافقین والمبیتین شرّاً للدین ویُخَططون لما بعد فتره رسول الله (صلی الله علیه و آله) فإنَّ القرآن یخاطب هؤلاء بهواجس ویحذر مِن أفعالهم، ولکنْ لا بتوجه خطاب مباشِـر إلیهم؛ لأنَّ ذلک سوف یسـتثیرهم وربما یُربکون الوضع الأمنی بأشد فساد مما هم علیه من برنامج، ولربما یستیقظون علی کثیر من الحقائق القرآنیه.

إذنْ قاعـده إیّـاکِ أعنی واسـمعی یـا جاره هی أسـلوب من أسالیب التعریض والکنایه، بلْ والـدلاله الخفیه؛ ولـذا من الغریب أنْ یُطـالب فی دلالاـت القرآن بـأنَّه لماذا لا تکون کلّها صـریحه وجهاراً، إلّا أنَّ ذلک خلاف الحکمه؛ لأنَّ المُفَسِّر إذا کان یبنی فی تفسـیره لآیات القرآن علی الظاهر الجلی فإنَّه حینئـذٍ قـدْ أخفق فی الحصول علی الدلالات وآفاق المدلول للآیه والمفاد القرآنی للتفسیر.

وهـذا مـا أشـار إليه أمير المؤمنين (عليه السـلام) كمـا تقـدَّم سابقاً فى مبحث الـدلالات الخفيّه، مِن أنَّ عمـده دلالات القرآن فى المنطقه الخفيّه لاـ المنطقه الجليّه وسـطح الظـاهر، نعم جزء يسـير من دلالات القرآن فى المنطقه الجليّه وبالجهر والتى ينطلق منها إلى المسـاحه الأكبر واللامتناهيه فى الخفاء؛ لأنَّها جواهر مكنونه والمكنون لابـدَّ أنْ يكون خفياً محفوظاً عن تناول السارقين؛ لأنَّ السرّاق على أصناف: -

١ - صنفٌ يسرق مصير الأمَّه.

٢ - صنف يسرق عقل الأمَّه.

٣ - صنف يسرق عفاف الأمَّه.

٤ - صنف يسرق طهاره الأُمَّه ويُبدلها برذائل وإنجازات لمصلحته الشخصيه ومصلحه حزبه ومكتسبه السياسى واتباعه.

الفائـده الثالثه: تحفظ الأسـرار الجوهريه التى أودعها الله تعالى فى القرآن الكريم من أيدى السُّراق وتلاعبهم بناءً على ما وَرَدَ فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) من أنَّ الجزء الأوفر من دلالات الكريم هى مكنونه ومحفوظه فى الباطن وفى الدلالات الخفيّه حفاظاً عليها مِن أنْ يصادرها ويستثمرها ذو النفوس الضعيفه والسُّراق والمنحرفين فكرياً والذين ليسَ لديهم خلوص الانقياد لرب العالمين، وبعباره أُخرى ابتعاداً عن هؤلاء الذين عندهم تمرُّد على مشروع السماء.

وعليه كلما كان لـدى الإنسان إخلاص لله ونقاء فإنَّه يُفتح له بقدر إخلاصه من أبواب تلك الخزائن، وبالتالى هذهِ سياسهٌ عظيمه من رب

العالمين وبرامج خطيره ومهوله، وفيها علوم ومخططات كبيره لايمكن أنْ تُعْطى للسُّراق وقُطّاع الطريق ولا يطلع أمثال هكذا نماذج متسافله ودانيه على أسرار مكنونات وحيه، وبالتالى فهذا نوع من السياسه التعليميه الأمنيّه فى البرامج والمخططات الإلهيه من قِبل ربِّ العالمين يقى أسرار وحيه عن غرباء مسيره الطهاره والإيمان، وهذا مما أكَّد عليه أهلُ البيت (عليهم السلام) فى المنهج التفسيرى من أنَّ هناك قسماً من حقائق القرآن ليست جليّه، وعليه فليس بإمكانك أيُّها المُفَسِّر أنْ تحصر حقائق القرآن الكريم فى الدلاله الظاهره والجليّه - كما تقدم -.

ومن ضمن تلك الأسرار الجوهريه المكنونه التى أودعها الله تعالى فى القرآن الكريم أنَّه فى لوح محفوظ ومكنون أى مودع فى منطقه الدلاله التعريضيه أو الدلاله الخفيّه، وهو نوع من إقامه الحجه وفيها الحجج العظام لخطورتها وأهميتها أودعت فى الجانب الخفى؛ لأنَّه دائماً الحفظ والكنن يكنْ للأشياء الخطيره فى الجانب الخفى لا الأشياء اليسيره؛ فإنَّ الأشياء اليسيره والواضحه من ظاهر الإسلام تُجْعَل فى منطقه الظاهر والجهار والعلن، أمَّا عمق الإسلام وحقيقه الدين تُجْعل فى المنطقه الخفيه، فمثلاً ظاهر الشهادتين جُعِلَت فى منطقه عَلَن وجهار، أمَّا عمق الشهاده للتوحيد وللنبوه والشهاده الثالثه بالإقرار لأمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) بالولايه الحقّه من بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فتلك تُجْعل فى منطقه خفيّه ومكنونه، عكس ما يجعله المفسرون الآن فى مناهجهم التفسيريه من جعل سطح الظاهر والدلاله الجليّه هى المدار الأعظم والميزان الأكبر.

وكما أشرنا أكثر من مرَّه إلى أنَّه ينبغى الالتفات إلى أنَّ أهل البيت (عليهم السلام)

بحسب بياناتهم التفسيريه لاـ يهمشون الظاهر بالمرَّه؛ وإنَّما يجعلون سطح الظاهر رأس خيط ينطلق منه المُفَسِّر إلى ما وراءه من الباطن الخفى، ولكنْ لا تجعل هذا هو المنتهى، وإنَّما الغايه أهم من البدايه؛ لأنَّ البدايه هى أنْ يُبتدأ بها وتمهيد موطئ للوصول إلى الغايه، وتعتبر البدايه هى العمده فى الوصول إلى الغايه وهى الأعظم، فالبدايه نَقِرُّ ونعترف بأهميتها؛ لأنَّها مفتاح الانطلاق والوصول إلى الغايه، ومَن ينطلق من غير هذا المفتاح فقدْ تخبط وضَلَّ الطريق الصحيح.

هذا مضافاً إلى أنَّ الخطاب قدْ يوجَّه إلى مخاطب فى أصل الوضع اللغوى مثل كاف الخطاب فى نفس تصور الوضع لشخص النظام الاستعمالى، ويمكن لشخص آخر وهو التفهيمى بلْ ولثالثٍ وهو الجدى، بلْ ولرابعٍ وهكذا فإنَّ مثل هذهِ كُلَّها وجوه مستعمله فى ألوان توجيه الخطاب فى اللغه.

لذا فى البيانات الوارده عن أئمه الهُدى (عليهم السلام) [إنَّ الكلام يُتصْرَف إلى سبعين وجه] وليسَ المراد من السبعين الحصر، وإنَّما كنايه عن الكثره ربَّما تصل الكثره إلى ما لاـ تُحْصَى من الوجوه، وفى كُلّ ذلك يقول الإمام (عليه السلام) «فيه للإمام فُسْحَه ومجال» ويستضح هذا أكثر فى القاعده الرابعه اللاحقه إنْ شاء الله تعالى.

أهميه علوم اللغه والبلاغه والنحو فى قراءه النص الوحيانى

تنبيه:

فى قراءه النص الوحيانى - الكتاب أو لحديث نبوى أو عن أحد الأئمه المعصومين (عليهم السلام) - لابدَّ للباحث الكريم لكى يفهم النكات العلميّه والفنيّه وغيرها فى علم اللغه والنحو والبلاغه والصرف و... الخ لابدَّ أنْ يُلِمَّ بما يلى:

أولاً: علوم اللغه فإنَّها من العلوم الأساسيه فى فهم علوم الوحى ولابدَّ من معرفه أنَّ فى اللغه نظام وقواعد يُحَكَّم فيها أصل الوضع اللغوى الذى يُعَبر عنه بالدلاله التصوريه.

ثانياً: قرائن وقواعد الاستعمال فإنَّها تُحَكَّم الدلاله الاستعماليّه.

ثالثاً: القرائن التفهيميه فإنَّها تختلف عن القرائن الاستعماليّه ولها نظام مُعيَّن فمثلاً فى علم البلاغه - قسم علم المعانى - يُبحث فيه عن كيفيه الاستعمال، وفى علم البيان يُبحث عن التفهيم والجد و... الخ.

وغالباً الحَيّز الذى يشغله علم البيان يختلف عن ما يشغله علم المعانى لا فى كل بحوث علم المعانى، وهكذا علم البديع.

إذنْ علم البلاغه بإقسامه الثلاثه - معانى وبيان وبديع - لا يمكن التفريط به وإلّا - أى لو فُرِّط به لا سامح الله - تكون هناك أزمه فى قراءه

النص الدينى بعلم البيان أو المعانى أو البديع وإلّا لا يستطيع علم البلاغه بقسمه الثالث - البديع - لوحده أنْ يرقب بالذات العلاقه بين المدلول التصورى والاستعمالى، وعليه إذا لم يُؤكِّد على دراسه وبحث علم البيان والمعانى من علوم البلاغه فإنَّه يحصل تقصير فى فهم قراءه النص الدينى.

وهكذا تأتى أهميه علوم اللغه ومفرداتها الذى يبحث التصور فى الدلاله التصوريه وتأثير كل علم من علوم اللغه.

وهكذا علم الصرف وما يبحث فيه بلحاظ المفرده الواحده وقوالبها وتشكيلاتها وكيف دورها فى الدلاله التصوريه ثم الدلاله الاستعماليّه.

أيضاً علم النحو على صعيد الاستعمال والتصور فقط، وكذا علم فقه اللغه وعلم الاشتقاق و... الخ.

إذنْ كل علم له موضع معين يختلف عن سائر العلوم الأُخرى.

وعليه فإنَّ مثل علوم اللغه التى تفرعت وتوسَّعت عما كانت عليه أيام سيبويه وأحمد بن الخليل الفراهيدى والكسائى والفرّاء و... الخ فإنَّه اكتُشِفَت قواعد كثيره بعدهم ولم يطلعوا عليها وإنْ كانت أسسها تُستَل وتتشعب عن إشارات موجوده فى بيانات القرآن وأهل البيت (عليهم السلام).

واعترف علماء اللغه بأنَّهم لم يكتشفوا كل قواعد علم اللغه أو علم البلاغه بأقسامها الثلاثه، وعلم الصرف والنحو والاشتقاق و... الخ وأنَّ هناك قواعد استُجدت مِن قرون، وعلى كُلٍّ فلا يتوهم المتوهم: -

إنَّ استعمال هذهِ العلوم فى علم التفسير وغيره من العلوم التى تَسْتَعمِل المعادلات العلميّه والقواعد الصحيحه والنظام المُوَحَّد أنَّها مُجَرَّد

من باب الزخرفه والبهرجه، كلا، وإنَّما لأجل أنْ نصل إلى نتائج صحيحه وطيبه وليسَ فيها ثغرات فلابدَّ من تَفَعَّلها.

إذنْ تطبيق قواعـد علوم اللغه وما يتفرع عنها وما يتعلّق بها وسيع النطاق والقواعـد، ولأجل تفعيله تصبح لـدينا إلى ما شاء الله من القواعـد وما يتفرع عنها، وهكـذا اسـتعمال وتطبيق مسـتفيض فى كلام المعصوم (عليه السـلام)، وهـذا يصـبح بُرهاناً له ويعى عنه الآخرون غير المعصوم، ويكون هـذا بالتالى مصـداقاً لقاعده «إنَّ الكلام والواحد ليتصـرف إلى سـبعين وجهاً» ويكن للإمام (عليه السلام) المَخْلَص من كل وجه، وعليه فإنَّ ما ينتهى إليه الكلام من معادلات تتركب فإنَّها توقفك على أبواب وأنفاق متعدده فى الكلام الواحـد، ولكن هذا المطلب هو لمجرد التصوير وأنَّه أمرٌ نظرى بالنسـبه إلى غير المعصوم تقريباً، أمَّا كتطبيق عملى ووعايه علميّه فإنَّه يصعب على غير المعصوم ذلك.

وعليه قـدْ يلاحـظ المـدلول التصورى للمخـاطب، قـدْ يكون شـخص المـدلول الاسـتعمالى أو شـخص مخاطب آخر، والمـدلول التفهيمى قـدْ يكون لمخاطب ثالث، والمـدلول الجدى قدْ يكون لمخاطب رابع، وأيضاً يوجد وراء المدلول الجدى الأوّلى جدى ثانٍ وثالثٍ و... الخ وننتهى إلى أنَّ الجدى على طبقات، والقاعده التى نحن بصددها [إياكِ أعنى واسمعى يا جاره] هى من طبقه المراد الجدى، ولكن هناك ما هو جدى أخطر.

الفائـده الرابعه: إنَّ قاعـده [إيـاكِ أعنى واسـمعى يـا جاره] توجب اليقظه والالتفات والقيام من السُّبات بشـكل أكثر فأكثرللطرف المعنى به الخطاب وبأسلوب هادئ سليم صائب يوصله إلى حقيقه الأمر التى كان

هو فی غفله وعمایه عنها وما کان لیستیقظ ویُبصر الحقیقه لولا هذا الأسلوب البلاغی الرفیع المستوی؛ لأنَّ التصریح قدْ یوجب غفله لدی الطرف المخاطب استفزازاً نفسی یعمیه أکثر عن الحقیقه، بینما أسلوب قاعده إیاکِ أعنی واسمعی یا جاره هو أحد آلیات التوریه والذی یُعطی إلی الطرف الآخر صحوه انتباه والتفات وقیام من السُّبات أکثر فأکثر، کما فی الآیه المبارکه من سوره الأنبیاء فی قصه النبی إبراهیم (علیه السلام) عندما کسَّرَ أصنامهم فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلاّ کَبِیراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَیْهِ یَرْجِعُونَ قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمِینَ قالُوا سَمِعْنا فَتًی یَذْکُرُهُمْ یُقالُ لَهُ إِبْراهِیمُ قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلی أَعْیُنِ النّاسِ لَعَلَّهُمْ یَشْهَدُونَ قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا یا إِبْراهِیمُ قالَ بَلْ فَعَلَهُ کَبِیرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ کانُوا یَنْطِقُونَ۱.

هذا هو کلامهم فرجعوا إلی وجدانهم وضمیرهم والتفتوا إلی حقیقه الأمر مِن أنَّ الذی فَعَل بهم هذا وکسَّرَ أصناهم لیسَ ظالماً، بلْ نحن الظالمون بعبادتنا لمثل هذهِ الأصنام التی لا تستحق ما یُسند إلیها من الإلوهیّه وبالتالی هذا ظلمٌ لشأن الألوهیه بأنَّ تستند الألوهیه إلی أصنام لیست لها حقوق وشأنیه عظمه کی نقول: مَن اجترأ علیها ظالم، بلْ بالعکس اسنادنا هذا الشأن والمقام الإلهی للأصنام ظلمٌ.

وبالأخیر هم بأنفسهم التفتوا إلی هذهِ الحقیقه.

ص:۵۰۸

الضوابط والنماذج التطبيقيه لقاعده: إياک أعنی واسمعی یا جاره

نذکر خمسه نماذج تطبیقیه لهذه القاعده المبارکه من القرآن الکریم:

النموذج الأوَّل: الآیه المبارکه: وَ مَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِیها وَ غَضِبَ اللّهُ عَلَیْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِیماً۱.

بتقریب: - إنَّ الآیه المبارکه حَرَّمت قتل المؤمن متعمداً، وجزاء القاتل علی هذا الفعل المحرَّم والشنیع ذکرت الآیه أموراً خمسهً: -

۱ - جزاؤه جهنم.

۲ - الخلود فی نار جهنم.

۳ - غضب الله علیه.

۴ - ولعنه الله.

۵ - وأُعدَّ لهم عذاباً عظیماً.

وهناک تساؤلان: -

الأوَّل: لماذا القاتل للنفس المؤمنه مَخَلَّدٌ فی نار جهنم.

الثانی: ما معنی قتل النفس المؤمنه.

أمَّا جواب السؤال الثانی فقدْ أجابت عنه الروایه عن الإمام الصادق (علیه السلام) فی بیان تأویل الآیه المبارکه، [تأویلها الأعظم مَن یُضلها] وذلک ببیان:

بیَّنت الروایات أنَّ القتل علی قسمین: - تاره قتل للبدن، وأُخری قتل

للنفس والتأويل الأعظم لقتل أو إحياء النفس ليسَ المراد منه تعلق النفس بالبدن، بلْ تعلَّق النفس بالعقائد الحقَّه؛ لأنَّ هناک حياه بدنيّه أرضيه هابطه، وهناک حياه أبديّه أخرويه أعلى بمراتب كثيره عن حياه الأرض والدنيا، فإنَّ مثل هذا مُراد جدى وراء مراد جدى لا أنَّه مرادٌ استعمالى وتفهيمى، وإنَّما المراد أنَّ ذلک المعنى لتفسير القتل هو الإضلال مُرادٌ أكثر جديه؛ لأنَّه أعظم صوره من باقى المعانى المراده الأُخرى، ولكنْ بدرجه أقل، وهذا ما سيأتى تحقيقه فى القاعده الرابعه [استعمال اللفظ وإراده أكثر من معنى].

وعليه لو قارنا بين تطبيق اللغويين لهذه القاعده المهمه نجد أنَّهم طبّقوها على مستوى الصعيد التصورى، أو الاستعمالى أو التفهيمى أو استعمال جدى فى موارد محدوده بما يتناسب وسعه أفقهم.

ولكنْ هذا بخلاف ما نجده من تطبيق لهذه القاعده - إيّاک أعنى واسمعى يا جاره - فى بيانات أهل البيت (عليهم السلام)، فإنَّنا سوف نجد لها تطبيقات بشكل أوسع وآفاق متعدده أكثر فأكثر، وتحاول بيانات أهل البيت (عليهم السلام) أنْ تركِّز الأضواء على المراد الجدى الأكثر خطوره وهولاً وعظمه الذى يَعْتنى به المتكلم.

ومن الواضح أنَّ تصور مفهوم معين أراده المتكلم جداً خاصه القصود الربانيه فإنَّها ذو طبقات، وإيّاكَ أنْ تَظُنَّ أنَّها ليست مُرادَه بالإراده الجديه، والإراده الجديه تتصف بوصف الشِّدَّه والضعف، وهذا بابٌ موجودٌ فى علم اللغه والأدب و... إلّا أنَّ أهل الفن - العلماء - يغفلون ذلک، فإنَّ هناک تعريفات دقيقه للمراد الجدى وأنه ذو طبقات فى القرآن الكريم وبيانات أهل البيت (عليهم السلام)، وأنَّ الإراده الجدّيه ذات شدَّه وضعف،

وعليه فلا يظن علماء اللغه أو الأدب أنَّهم يتوسعون ويحيطون فى علومهم مقابل بيانات أهل البيت (عليهم السلام) من أنَّ الإراده التصوريه والتفهيميه والاستعماليه والجديه ذو طبقات من الاستعمال كما سوف يتضح كُلّ ذلك فى القاعده الرابعه - استعمال اللفظ فى أكثر من معنى - إنْ شاء الله تعالى.

النموذج الثانى: قوله تعالى: وَ إِذْ قالَ اللّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِى نَفْسِى وَ لا أَعْلَمُ ما فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاّمُ الْغُيُوبِ، ما قُلْتُ لَهُمْ إِلاّ ما أَمَرْتَنِى بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ رَبِّى وَ رَبَّكُمْ وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمّا تَوَفَّيْتَنِى كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ، إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ١.

ويستشهد بهذهِ الآيات المباركات على قاعده [إياكِ أعنى واسمعى يا جاره] وذلك ببيان:

إنَّ الآيه الأولى فيها خطاب من الله تعالى يشتمل على مساءله ومحاسبه ومداينه نبى الله عيسى (عليه السلام) وإنَّما وجهها إلى عيسى (عليه السلام) بحسب الظاهر والصوره وإلّا فبالواقع هذهِ المسائله والمداينه موجهه إلى أمَّه عيسى (عليه السلام) أى النصارى الذين حَرَّفوا دين الله وشريعه عيسى (عليه السلام) بعده ومن الواضح أنَّ عيسى (عليه السلام) لم يحرِّف الشريفه السماويه التى جاء بها حتّى يقصد بالخطاب القرآنى والمعاتبه والمحاسبه، وإنَّما بواسطته وجّه الله الخطاب إلى قومه لما فى ذلك تأثير أشد على قوم عيسى (عليه السلام)، وفى نفس الوقت ذلك التعامل الربانى فيه نوع من الرأفه بعباده والتدبير والستر واللين، فإنَّ الله تعالى حتّى فى يوم القيامه لا

يخاطب النصارى الذين حَرَّفوا دين الله وشريعه نبى من أنبياء أولو العزم مباشره، وإنَّما يوجه البارى عز أسمه الخطاب إلى عيسى (عليه السلام) وَ إِذْ قالَ اللّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى... واستعماله تعالى لكلمه [ءأنت] فى التعبير لا يُقصد منها حقيقه الكلام لما فيه من حاله الاستصغار باعتبار أنَّه ليسَ من شأن، النبى عيسى (عليه السلام) أنْ يدّعى مثل هذهِ العظمه أى عظمه الألوهيّه، وإنَّما يُقصد صوره الكلام؛ لأنَّ الذات الألوهيه مقام جبروت يُصْغُر المخلوق ويُحقَّر عنه الذى يدعيه، وكأنَّما البارى يتكلم مع عيسى ويقول له: -

أأنت مِن شأنك أنْ تقول: - أتخذونى وأمى إلهين اثنين من دون الله، وصوره هذا الكلام ليست بالسهله مع أنَّ الله تعالى يعلم بأنَّ النبى عيسى (عليه السلام) ليسَ له أى واعز وداعى - والعياذ بالله - لذلك الأمر؛ لأنَّه يؤنبه الآخرون على ذلك، ومع ذلك يسوق البارى الخطاب بهذا النحو وكأن الجمله فيها إسنادٌ [أأقلت للناس -] مع أنَّ الله تعالى يعلم بأنَّ هكذا إسناد إلى نبى الله عيسى (عليه السلام) فى هذهِ الجمله غيرُ صحيح، وذى فِعل أُسنِدَ إلى عيسى (عليه السلام)؟.

إنَّه من أكبر وأعظم الذنوب والكبائر ألا وهو ادّعاء الألوهيه له ولأُمّه (عليهما السلام) فكيف نبى من أنبياء أولى العزم ك - (عيسى (عليه السلام) يرتكب هكذا كبيره - والعياذ بالله، وعليه فتكون هذهِ المسأله محل ريبه وهل النبى عيسى (عليه السلام) مَحَلُّ ريبه - ليوجِّه إليه هكذا سؤال، وأنَّه غير متيقن الطاعه؟.

حاشا أنبياء الله فأنَّهم أعزُّ وأجَلُّ، إذنْ كيف يخاطب الله عيسى (عليه السلام) بهكذا خطاب، وأنَّه بحسب موازين علم البلاغه والبيان فيها تقريع وعتاب وأى عتاب هذا وفيه استصغار واستحقار لمدعى مثل هكذا دعوى

خطیره، ولا أقل ما فی هذا الخطاب صوره لا حقیقه هو الاسترابه التی هی نوع من الهبوط للخط والاعتبار.

وعلیه فلو کانت هناک شکوی أو محاکمه تُرْفع ضد شخص له مقام رفیع وله مکانه فی المجتمع والقلوب فهذا معناه أنَّ هکذا تصرف معه یوجب الزعزعه لشأنه واقتحامه، فهل یا تُرَی یتصور هذا من ربِّ العالمین - والعیاذ بالله - تجاه نبی من أنبیاء أولی العزم، وأنَّ الله تعالی یوم الحشر والنشر وفی المحکمه الإلهیه وأمام الخلائق یفتح ملف النبی عیسی (علیه السلام) الذی هو مخلوقٌ عزیز طاهر مُصطفَی، فالله تعالی أعزُّ وأجلُّ وأکرمُ من أنْ یتهم عیسی (علیه السلام) بأکبر الکبائر وهو ادّعاء الأُلوهیه له ولأمّه والشرک بالله تعالی.

إنَّ مثل هذا الأُسلوب القرآنی یُعْرَف بقاعده [إیّاکِ أعنی واسمعی یا جاره] الذی یعنی أنَّ التقریع والعقاب أصلاً لیسَ یُسند إلی النبی عیسی (علیه السلام) بملاحظه ذیل الحوار الذی دار بین الباری عزَّ اسمه وبین عیسی وَ کُنْتُ عَلَیْهِمْ شَهِیداً ما دُمْتُ فِیهِمْ فَلَمّا تَوَفَّیْتَنِی کُنْتَ أَنْتَ الرَّقِیبَ عَلَیْهِمْ وَ أَنْتَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ۱.

إذنْ محور الکلام حول - الجارَه - وهی أمّه عیسی لا نفس عیسی (علیه السلام) أی مراقباً وراعیاً ومسؤولاً ما دمت فیهم فَلَمّا تَوَفَّیْتَنِی کُنْتَ أَنْتَ الرَّقِیبَ عَلَیْهِمْ.

والخلاصه: أنَّ بوصله الحوار والمحکمه الحقیقیه وصلت إلی أُمَّه عیسی (علیه السلام) لا نفس النبی عیسی (علیه السلام)، ثُمَّ تحوَّل الذی کان مُتهماً صوره إلی شفیع ورکن رکین فی المحکمه الإلهیه وذو نفوذ وشفاعه وصلاحیّه وذو مقام، إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُکَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ بلْ تحوَّل

النبی عیسی (علیه السلام) إلی وثیق صُلْحٍ بین هدایات ربِّ العالمین وأمته (عیسی) وهذا یدلل إلی أنَّ أصل المسائله هی تتجه جداً نحو أُمَّه عیسی (علیه السلام)، وهذا ما یجزم به کافه المفسرین والمسلمین بأنَّ الخطاب الذی دار بین الباری عزَّ اسمه وبین عیسی (علیه السلام) فی القرآن هو خطاب موجَّه إلی أُمته وهم الذین یُحاکَمون ویُدانون.

ولعلَّ یتوجه استفسار حاصله: - ما هو الغرض من صوره هکذا خطاب وبهکذا نمط؟.

الجواب: لأجل أنْ لا یلتبس الأمر علی أمم البشر وأنَّ النبی عیسی (علیه السلام) متواطئ فی الشرک الذی ارتکبه النصاری - والعیاذ بالله - وأنَّهم قالوا إنَّما المسیحُ ابن الله أو أنَّ الإله ثلاثه، إنَّما هو إله واحدٌ.

إذنْ الباری تعالی اتّبع فی حواره مع عیسی (علیه السلام) بیان وخطاب قاعده [إیاکِ أعنی واسمعی یا جاره] لأجل تبرئه ساحه عیسی (علیه السلام) وبیان أنَّ له مقام شفیع وشفاعه ومقام الحمایّه لدین الله من الدَّس والوضع والتحریف وهو النصیر فی الحقیقه.

وبالتالی لا یکون مثل هکذا حوار تقریعاً للنبی عیسی (علیه السلام) وإنَّما یکون إعلاءاً وإعظاماً لمقامه (علیه السلام) وإعطاءه مقام الشفاعه لما ذُکر فی ذیل الآیه إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُکَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ.

وعلیه فإنَّ مثل هکذا ملحمه فی القرآن تعتبر منهجاً لتفسیر أمومه المحکمات والولایه وشاهداً محوریاً ومرکزیاً للمحکم الأمومی لتفسیر سائر الخطابات القرآنیه مع الأنبیاء فتلاحظ المحاسبه والتقریع صوره وأی سؤال وأی تقریع لِیَغْفِرَ لَکَ اللّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ ما تَأَخَّرَ وَ یُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَیْکَ

وَ يَهْدِيَکَ صِراطاً مُسْتَقِيماً١.

وهل النبى يُذنب حتَّى يُغفر له؟ وإنَّما المراد من الخطاب أمته وليسَ شخصه (صلى الله عليه و آله)... الخ وهناك محاسبه بصوره أُخرى ولون وخطاب آخر أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ وتقدم.

وهناك محاسبه بحسب الصوره فقط وبلون ثالث: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ٢. سيّما الموارد التى يكون الفعل فيها مشتركاً بين النبى (صلى الله عليه و آله) وفئات من الأُمَّه، فإنَّ الخطاب وإنْ وُجِّه صورةً إلى نبى من الأنبياء، إلّا أنَّ المراد هو تلك الفئه التى مع ذلك النبى أو الرسول (صلى الله عليه و آله)، فليس المراد نفس النبى (صلى الله عليه و آله) فمثلاً فى سوره عبس وتولى فإنَّ الضمير المستتر (الفاعل) فى عَبَسَ وَ تَوَلّى لا يرجع إلى النبى (صلى الله عليه و آله) كما توهمه بعض بالعوده عليه (صلى الله عليه و آله) وإنَّما يعود الضمير على غير رسول الله (صلى الله عليه و آله) وهو ذلك الرجل وقصته فى أسباب النزول معروفه.

إذنْ خطاب سوره عبس وتولى لو لمْ يُدْرج فى القاعده الأُولى - أى التعريض - ولا القاعده الثانيه - الالتفات - فإنَّه يدرج هنا أى فى القاعده الثالثه [إيّاكِ أعنى واسمعى يا جاره] وإنْ كانت سوره عبس وتولى أقلَّ تقريعاً من أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ فذاك بحثٌ آخر.

الخلاصه: هذهِ الآيات المباركات وغيرها التى يمكن تطبيق قاعده إيّاكِ أعنى واسمعى يا جاره فإنَّها آيات محكمات تدور عليها رُحَى المتشابهات الأُخرى؛ لأنَّ هذا لا يُسنِد فيه مُفسِّرٌ هذا الذنب إلى النبى (صلى الله عليه و آله) فإنَّه مُبرَّء من ذلك الذنب، وإنَّما فسّروه بذنب الأمَّه ببركه شفاعه النبى (صلى الله عليه و آله).

محکمات القرآن تفسر متشابهات السنه

لعلَّه یتبادر إلی الذهن أو ینصرف لأوَّل وهله عند سماع المحکمات إلی أنَّها مختصّه بتفسیر القرآن وآیاته المتشابهه، إلّا أنَّه من خلال البحث یمکن أنْ تکون المحکمات مُفَسِّرَه لمتشابهات السُّنه کذلک أی سنه النبی (صلی الله علیه و آله) وأهل بیته المعصومین (علیهم السلام) سواء کانت السُّنه للنبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) قولیهً أو فعلیه له (صلی الله علیه و آله) أو للأئمه المعصومین (علیهم السلام) من حیث الفعل أی سیرتهم العملیّه من حیث الإمضاء.

إذنْ متشابهات السُّنّه أیضاً تُعْرَض علی محکمات القرآن.

فمثلاً ـ لو لاحظنا مورداً من الموارد کما فی کتاب الرسول الأکرم (صلی الله علیه و آله) لأحد أهل بیته من العتره الطاهره، وفی ذلک الخطاب اشتراک بین الأمَّه وبینه ونفرض ذلک الفرد هو من أحد الأئمه المعصومین (علیهم السلام).

فحینئذٍ نسأل هل أنَّ خطاب وعتاب النبی (صلی الله علیه و آله) مختص بأحد عترته الطاهرین من أصحاب آیه التطهیر، أو هو فی الحقیقه فی باب القاعده التی نحن بصددها - إیّاکَ أعنی واسمعی یا جاره - وهکذا الخطاب الذی خوطبت به فاطمه الزهراء (علیها السلام) بمثل هکذا خطاب هل هو مختص بها (علیها السلام) أم لعموم الأمَّه.

علماً أنَّ النبی (صلی الله علیه و آله) لا یرید أنْ یقول لفاطمه أنتِ غیر مشموله وخارجه عن أهل آیه التطهیر وهی الرکن الرکین من أهل الکساء، ولا یرید کذلک أنْ یَرُدَّ (صلی الله علیه و آله) قولَ الله تعالی فی اصطفائها ولا... الخ وإنَّما هکذا

خطاب هو من باب إياك أعنى واسمعى يا جاره، والخطاب صوره مُوجَّه إليها وإلّا حقيقه ولُبّاً لغيرها وإنَّما أريد أنْ يوصَل الخطاب عن طريقها.

وهكذا خطاب فاطمه الزهراء (عليها السلام) لعلى بن أبى طالب (عليه السلام):

«يا بن أبى طالب اشتملت شمله الجنين وقعدت حجره الظنين، نقضت قادمه الاجدل فخانك ريش الأعزل»(۱).

وهذا الخطاب صدر من الزهراء (عليها السلام) عند رجوعها إلى دارها من ذلك المؤتمر الإسلامى العظيم الذى عقدته الزهراء (عليها السلام) فى المسجد فى جمع من المهاجرين والأنصار، وكان غرض الزهراء (عليها السلام) من هذا الخطاب هو لأجل أنْ تبرئ ساحه أمير المؤمنين على بن أبى طالب من عدم التواطئ فى الاعتداء على حرمه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، وأنه غير راضٍ وغير مُدَاهن فى ذلك - والعياذ بالله - وتعامله (عليه السلام) مع الموقف بحكمه؛ لأنَّ ملابسات الموقف كثيره.

هذا مضافاً إلى أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لو أبدى أى موقف لالتبس الأمر على الأمَّه فى تبرئه ساحه على (عليه السلام)؛ ولأنه كان فى البيت جمهره من المسلمين أمثال: سلمان المحمدى والمقداد والزبير وفضه وأسماء و.. الخ، وهنا أرادت الزهراء (عليها السلام) أنْ تبين أنَّ علياً (عليه السلام) لمْ يُبدِ موقفاً لا لهوان الموقف عنده

۱- (۱) فاطمه من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزوينى، ص ۲۴۵ اشتمل الثوب: إذا أداره على الجسد، والشمله بكسر الشين، هيئه الاشتمال، والشمله بفتح الشين ما يشتمل به والمقصود هنا: مشيمه الجنين وهى محل الولد من الرحم، الحُجره، بضم الحاء: البيت: وبضم الحاء وسكون الجيم ثم الراء: هو المكان الذى يُحتجز فيه، والظنين: المتهم، نقضت: ضد أبرمت، والقادمه: واحده القوادم، وهى مقاديم ريش الطائر، والأجدل: - الصقر، خانك: من الخيانه.

كلاً، وإنَّما الموقف عظيم عند على (عليه السلام) لأنَّ فيه:

هتك لحرمه رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى فاطمه (عليها السلام) وأنَّ الاعتداء على فاطمه (عليها السلام) هو اعتداءٌ على رسول الله (صلى الله عليه و آله)، ولفاطمه موقف عظيم تتزلزل له السماوات، وإنَّما أراد أمير المؤمنين (عليه السلام) بموقفه هذا أنْ يُنبه على أمر عظيم، ألا وهو قضيه محاسبه الأمَّه وتعليم الأمه مَدى فضاعه الخطب الذى حدث وألمَّ بفاطمه (عليها السلام) من قبل ما يدعون أنهم صحابه وأنهم يريدون حفظ بيضه الإسلام ظاهراً.

وهذا الموقف ليسَ فقط جرى بين فاطمه وعلى (عليهما السلام) وإنَّما حدث نظيره فيما جرى بين أمير المؤمنين والحسن (عليهما السلام)، وعلىٌّ يُعاتب الإمام الحسن (عليه السلام).

وهكذا كيف تشهدون بعصمه الحسين (عليه السلام) وأمير المؤمنين (عليه السلام) يحاسب الحسين (عليه السلام) وكيف تشهدون بعصمه الإمام على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، والإمام الحسين (عليه السلام) يُعاتب الإمام زينب العابدين (عليه السلام) وهكذا.

والخلاصه: إنَّ هذا كُلَّهُ من باب [إيّاك أعنى واسمعى يا جاره].

وعليه فمنظومه الدين لا يُقامُ لها وَهَجٌ وُهدَى إلّا بمحوريه ومركزيه المحكمات وإلّا فسوف تلتبس علينا الأمور سواء فى القرآن أو فى السُّنَّه.

ولذا مَن اتّبع المتشابهات فإنَّه يقول بمنهجيه أمومه المحكمات فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وأىُّ فتنه هذهِ؟ سواء كانت فتنه عقائديه أو سياسيّه أو فكريه أو... الخ.

وأمَّا إذا جعلنا من المحكمات أمومه يعنى مركزيه ومحوريه فإننا سوف نَصِل إلى الغايه المنشوده ونهتدى ونُهدى الآخرين إلى طريق الصواب.

فيا أيُّها المسلمون اتبعوا المحكمات وذروا المتشابهات وحوموا حول المحكمات واجعلوها محوراً ومركزاً وقطباً لأعمالكم، وإيّاكم والانزلاق فى المتشابهات، ولذا حَذَّرَ أهلُ البيت (عليهم السلام) من خطوره اتباع المتشابهات وأهميه اتباع منهج أمومه الولايه للمحكمات فضلاً عن المتشابهات، ولا تجعل من المتشابهات محوراً تَضِلُّ وتُضِّل به الآخرين، بلْ اجعل المحكمات محوراً وقطباً فإنَّك تهتدى وتُهْدى الآخرين.

النموذج الثالث: قوله تعالى: فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلاّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمِينَ قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلى أَعْيُنِ النّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ١.

بتقريب: إنَّ إبراهيم (عليه السلام) أخفى ما هو مقصودٌ أصلى وغطّاه بغطاء صورى، وذلك باستعمال جمله خبريه مطابقيه على خلاف المعروف عند أهل البيان واللغه والنحو فالمعروف عند أهل الفن هو تعليق الخبر على قيد يمكن تحققه وتصوره فى المستقبل - بأنْ استعمل النبى إبراهيم (عليه السلام) الجمله الخبريه - قال بلْ فعله كبيرهم، معلقه على شرط قدْ حدث وتحقق فى الزمن الماضى، وهذا ما يُعرَف بالتوريه التى هى تغطيه المقصود بغطاء صورى - كما تقدم.

وأسند إبراهيم (عليه السلام) فعل كسر الأصنام فى الجمله المطابقيه الخبريه إلى كبير الأصنام، وهذا الإسناد بحسب صوره المطلب غير مطابق للواقع، وهذا الإسناد للجمله الخبريه معلق على شرط مستحيل، وهو تعليق

الجمله الخبريه على شرط قدْ مضى فى الزمان السابق.

ولـذا فَهِم قوم إبراهيم (عليه السـلام) بأنَّ المعنى بهذا الخطاب - أى خطاب إيّاك أعنى واسـمعى يا جاره - هم أنفسـهم فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِـهِمْ فَقـالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظّالِمُونَ١ فـإنَّ هـذا الكلام قـدْ صـدر من وجـدانهم وضـميرهم فهو يتكلم (فرجعوا إلى أنفسـهم فقالوا...) فخاطبهم ضـميرهم وأكَّد لهم على أنَّهم ظلموا أنفسـهم وليسَ أحدٌ ظلمهم، وأنَّ هذهِ الأصنام لا تستحق العباده، وإسناد الأُلـوهيه والتـأليه إليهـا ظلم بحق مَن يَعبـد حقيقه لاـ غير وهو الله تعالى، وأنَّ مثل هـذهِ الأصـنام والأوثان ليست لها حقوق وشانيه وعظمه حتّى تستحق أنْ تقول: مَن اجترى على هذهِ الأصنام وكسّرها فهو ظالمٌ كلّا أنها لا تستحق ذلك.

والمهم من كل هـذا أنَّهم تيقظوا وانتبهوا من غفلتهم ببركه خطاب إبراهيم بهذهِ الطريقه البلاغيه، وهشَّم أصـنامهم ليثبت لهم أنها لاـ تملك لنفسـها ولا لغيرها ضـرّاً ولا نفعاً، فلما جاؤها ورؤها مكبوبه مهينه تساؤلوا: قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هـذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ، قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ، فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظّالِمُونَ٢.

وإلى هـذا الموقف كان يجب على الضّـلال أنْ يهتدوا، وأنْ يصـحوا من غفلتهم على ضوء الحقيقه الرائعه، لكن النفوس الملتويه تتقلب فيها مقدمات الحق، فإذا بها تتمخض عن نتيجه أُخرى.

لقد عادوا يقولون لإبراهيم (عليه السلام) إنَّ آلهتنا - كما علمت - لا تنطق

فكيف جرؤت على قداستها؟.

ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ، قالَ: - أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لا يَضُرُّكُمْ، أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ... أَ فَلا تَعْقِلُونَ؟ قالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ.

وجماهير الدهماء من هذا القبيل المتعب، فهم إمَّا أناس لا عقول لهم يعجزون عن إدراك الحق لقصور أذهانهم على نحو ما قال الشاعر:

أقول له عمراً فيسمع خالداً ويقرؤها زيداً ويكتبها بكراً

وإما أناسٌ لهم عقول مدركه ذكيّه، ولكن ليسَ لهم ضمائر حيّه، فهواهم هو الذى يوجه علاقاتهم بالخصوم والأصدقاء، ويُفسِّد أحكامهم على الأشخاص والأشياء..

إذنْ قاعده [إياكِ أعنى واسمعى يا جاره] ذو فوائد متعدده، وهذهِ الآيات المباركه أحد بركاتها وتطبيقاتها، ولذا قالوا: -

[الكنايه أبلغ من التصريح - كما تقدم ذلك فى القاعده الأولى أعنى التعريض - لأنَّها توقِظ المعنى بالخطاب بشكل هادئ وسليم وصائب يوصله إلى حقيقه الأمر التى كان هو فى غفله وعمايه عنها، وما كان ليستيقظ ويُبصر الحقيقه لولا هذا الأسلوب أعنى قاعده [إياكِ أعنى واسمعى يا جاره] ولذا كان هذا الأسلوب أبلغ من التصريح؛ لأنَّ التصريح قدْ يوجب لدى الطرف المخاطب استفزاز نفسى يعميه ويُبْعِدَه عن الحقيقه أكثر، بينما أسلوب قاعده يا جاره، هو أحد آليات التوريه الذى يُعطى إلى الطرف الآخر صحه وانتباه والتفات وقيام من سُبات أكثر فأكثر.

ولذا كان ببركه استعمال إبراهيم (عليه السلام) مع قومه هذا الأسلوب البلاغى المؤثر أى أسلوب التوريه الذى كان يعنى فيه نوع التفات كأنما صوَّر لهم إبراهيم (عليه السلام) صورةً حقيقيه عمّا كانوا يعيشون فيه وما فى ضمائرهم وبالتالى أدّى إلى هذهِ الحقيقه العظيمه وببركتها حصلت لهم وَمْضَه هدايه بأنْ التفتوا إلى خطأ أنفسهم بأنفسهم ببركه هذا الأسلوب الخطابى البلاغى الواضح.

ومثل هذا الأسلوب لا يقتصر عليه فى مثل هذا المورد فحسب، بلْ فى جمله من الموارد بلْ فى كُلّ ناموس عظيم؛ لأنَّ تعاطى ومزاوله الحقيقه واستعمال التصريح بشكل مُعْلَن وظاهر قدْ يقطع الطريق عن الوصول إلى الحقيقه، وأسلوب قاعده [إياكِ أعنى واسمعى يا جاره] التى استعملها القرآن الكريم يشبه التقيه وفلسفتها ليسَت فرار وانحصار وإنَّما تَحرٍّ لمعالجه الموقف بشكل أبلغ وليسَ انهزام عن الميدان.

وكذلك استعمل النبيون هذهِ القاعده فى صوره خطاباتهم مع أقوامهم وليسَ مرادهم ومقصودهم صوره الخطاب، فمثلاً لو لاحظنا المراد الاستعمالى الذى قصده النبى إبراهيم (عليه السلام) فى الآيه المباركه فى توجيه صوره الخطاب إلى قومه عَبَدِه الأصنام وكأنَّما موجَّه إلى الأصنام، وإبراهيم (عليه السلام) يقول لأصحابه وعبيدهم هذهِ الأصنام أسألوهم إنْ كانوا ينطقون، فأراد إبراهيم (عليه السلام) أنْ يُسنِد المراد الاستعمالى والتفهيمى إلى الأصنام كى يُحدِث (عليه السلام) زوبعةً وبلبله فى التفكر، وأمَّا المراد الجدى لإبراهيم (عليه السلام) فلا يرتبط بجمله المبتدأ والخبر ولا الموضوع والمحمول، وإنَّما المراد الجدى هو جمله أُخرى مُقَدَّره فى كلام آخر وغير مُصرَّح بها لا على مستوى المدلول

الاستعمالی ولا التفهیمی.

وعلیه فالمراد الجدی للنبی إبراهیم (علیه السلام) هو فی الحقیقه قولهم فَرَجَعُوا إِلی أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّکُمْ أَنْتُمُ الظّالِمُونَ۱.

والمراد الجدی هو ما توصلنا إلیه قاعده إیاک أعنی واسمعی یا جاره - من أنَّها أیقظتهم ونبهتهم إلی خطأ ما کانوا یعتقدون به فی عبادتهم للأصنام وإعطائهم منصب الألوهیه والتألیه والعبودیه الذی لا یستحقه إلّا الله.

والخلاصه: إنَّ هذهِ الآیه المبارکه لیسَ موضوعها مسأله کسر الأصنام ومن اجتری علی کسرها و... وإنَّما موضوعها مَن هو الإله، ومَن الذی تجب عبادتُه ویستحق العباده وأهلاً لها، هذا هو المراد الجدی لإبراهیم (علیه السلام) فی الآیات المبارکه مع قومه، وهذا المعنی غیر المراد التصوری والاستعمالی والتفهیمی، وهذا هو بالتالی موضوع قاعده [إیاک أعنی واسمعی یا جاره].

ثم قالت الآیه المبارکه ثُمَّ نُکِسُوا عَلی رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ یَنْطِقُونَ.

المراد الجدی لإبراهیم (علیه السلام)؛ أراد أنْ یُبیِّن لهم من خلال أستدراجهم بهذا الأسلوب البیانی البلاغی الرائع هو أنَّ من صفات الإله الذی یستحق العباده والعبودیه هو الذی له القدره علی النطق أو خلق النطق وإیداع قوَّه النطق بأصل فطره الإنسان، ولذا رُسُل الله یوصفون بأنهم الناطقون عن الله تعالی، بینما الذی لیسَ له ناطق أو لایمتلک القدره علی خلق وإیداع

النُطق فليس هو بإله.

ولـذا كـانت أحـد البيانـات التى بينهـا الرسول الأكرم (صـلى الله عليه و آله) وكـذلك أمير المؤمنين (صـلى الله عليه و آله) على ألوهيه الإله هو بعثه لرسله أى رسل الله – فلو كان هناك إله لأتتك رسله.

وعليه يريـد أنْ يقول إبراهيم (عليه السـلام) لقومه لابـدَّ أنْ تكون هذهِ الأصـنام التى تعبدونها يا قوم – أنْ يكون لها آله النطق أو قوّه النطق هذا أولاً.

وثانياً: وأنىء يكون عنهم رسول أو رُسُل ناطقين؟

وعليه، كان جواب قومه إلّا أنَّهم ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ وبتوجيه إبراهيم (عليه السـلام) سؤاله إليهم بـأنَّ النطق أحـد الصـفات التى يجب توفرهـا فى الإله الـذى يُعبـد أو يكون عنه رسل ناطقين، فهم أعادوا بالهبوط وإبراهيم (عليه السـلام) أعاد الصـعود لهم أى أنَّ إبراهيم (عليه السـلام) ارتقى بمطلبه إلى الأفق الفوقى أى أعرضَ عن بحث مَن كسَّرَ الأصـنام، وأخذ بأيدى قومه ووضـعها على موضع البحث الأصـلى والمراد الجدى له، وبوصله الحوار والفكر، وقال لهم أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لا يَضُرُّكُمْ، أُفٍّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ١.

وهنـا نلاحـظ النبى إبراهيم (عليه السـلام) وهو من أنبيـاء أولى العزم تنزَّل وتهبـط إلى العقليه الهـابطه لقومه ولأجـل أنْ ينتشـلهم ويرقى بهم إلى مركز الفكر والبحث والتدبر الأصلى وهو مَن يستحق الألوهيه والعباده.

نعم، صحيح هم أرادوا أنْ يُداينوا إبراهيم (عليه السلام) فى كسر الأصنام ومَن

كسَّرها إلّا أنَّ إبراهيم أثارَ لهم بحث العبوديه لمن؟ والمدانيه لمن؟ ولماذا عبدتم هذهِ الأصنام؟ وكيف تعبدونها؟

هم يعاودون إلى ملف هابط، وإبراهيم (عليه السلام) يأخذ بهم إلى ملف آخر.

القضيه الأصليه شيء وتمركُّز العقول فى شيء آخر وقضيه أُخرى، والانحباس فى مستوى ذلك الجو بعيدٌ عن حقيقه مراد القرآن الكريم.

النموذج الرابع: قوله تعالى: فَلَمّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّى فَلَمّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمّا رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبِّى فَلَمّا أَفَلَ قالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضّالِّينَ فَلَمّا رَأَى الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّى هذا أَكْبَرُ فَلَمّا أَفَلَتْ قالَ يا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ١.

نقل لنا القرآن الكريم ذلك الحوار الذى دار بين النبى إبراهيم (عليه السلام) وعَبَدِه الكواكب والأوثان وصدور هذا الكلام والتساؤل من النبى إبراهيم (عليه السلام) أثار القيل والقال من قبل المفسرين وأنَّه كيف يصدر هكذا كلام من نبى من أنبياء أولى العزم، وهو ليسَ من عادى أفراد البشر، وإنَّما فردٌ يُحتذى به وإنْ كان الكلام صدر منه بحسب الظاهر والصوره.

وكأنما يُذعِن (عليه السلام) أو يُسنِد الألوهيّه والربوبيه إلى غير الله تعالى فكيف يمكننا أنْ نتصوره، وبِمَ تُفَسَّرُ هذهِ الأمور؟

الجواب: هذا البحث من المباحث المتشعبه والطويله ولا نريد الخوض بكل تفاصيله وإنَّما نقتصر على الاستشهاد بالجهه التى ترتبط ببحثنا

وهى - قاعده إياكِ أعنى واسمعى يا جاره - وأنَّ الخطاب صوره لا يطابق المراد الجدى، وإلّا فهنا من الواضح أنَّ المراد الجدى للنبى إبراهيم (عليه السلام) ليسَ الإقرار بربوبيّه الكواكب كالقمر والشمس والنجوم و... الخ. والانتقال من عباده إلى أُخرى ليسَ شيئاً جدياً.

فمثلاً- عندما رأى النبى إبراهيم (عليه السلام) كوكباً فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَـذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِين. وبالأخير، قال (عليه السلام) بَرِىءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ، إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ١ وكأنَّما إبراهيم (عليه السلام) من خلال هذهِ الكلمات التى أطلقها ضمن سلسله يُراد منها مَن هو فاطر السماوات والأرض؟ وهو حَرّىٌ أنْ يُعْبَدَ، وأنَّ معبودنا الأصلى من الأوَّل هو معبودٌ فطرى تنزل وتتجه إليه الفطره لا الشمس ولا القمر ولا سائر الكواكب الأُخرى هى الرَّب فإنَّه محاطٌ وأصغر من السماوات والأرض.

وعليه فإنَّ كلام النبى إبراهيم فى النهايه هو نفسه بيان بأنْ معبوده الأولى الأصلى الذى فطر السموات والأرض، وَصِفَهُ أنَّه تعالى فاطر السموات والأرض هى صفه الإله الذى يعبده إبراهيم (عليه السلام) وهو الأكبر من كل شىء، وأسلوب إبراهيم (عليه السلام) فى البدايه كان خطابه صورى - أى هذا ربى صوره لا حقيقه - وأمَّا الإله الذى فى مكنون فطرتى فغير هذا الخطاب الصورى، وعليه فهذا الخطاب هو صوره إسناد أخبار على نحو المسائله إلّا أنَّ المراد الجدى لإبراهيم هو إسناد إيقاظ لا إسناد مسائله علماً أنَّ إبراهيم (عليه السلام) لم يُفصِح إبراهيم (عليه السلام) لم يُفصِح من البدايه عن إسناد المسائله وإسناد الإيقاظ

مع أنَّه مُرادٌ ومقدر له.

ولكن لأجل أنْ يستدرج الطرف الآخرعلى مراحل ليأخذ إبراهيم (عليه السلام) بيد الطرف الآخر ويوصله إلى الحقيقه.

وهذا فى الحقيقه فيه درسٌ تربوى عظيم أردنا أنْ نسميه حينئذٍ نوع من إياك أعنى واسمعى يا جاره.

ويُعتبر هـذا أحـد الطرق والأنحاء المختلفه لتفسير هـذا الخطاب الصادر من إبراهيم (عليه السـلام)، والأمر المحقق: - بوضوح أنَّ النبى إبراهيم (عليه السـلام) من أوَّل الأـمر ليسَ مراده من عبـاره (هـذا ربى) إخبار ولو لفتره من الفترات بنحو المراد الجـدى ولو صورةً بـأنَّ إبراهيم النـبى (صـلى الله عليه و آله) عَبَـدَ غير الله - والعيـاذ بـالله - فـإنَّه نـبى من أنبيـاء أولى العزم وحاشـاه أنْ يكون كذلك.

وإنَّما كان مراد إبراهيم (عليه السـلام) من هـذا الإسـناد فى الجمله الخبريه (هذا ربى) هو من باب إياك أعنى واسـمعى يا جاره، أى أنَّ هناك ربٌّ مكنون لى تتجه وتتنزل إليه فطرتى وإنى وراءه، ولـذلك هذا التنقل والتبدل فى خطاب إبراهيم (عليه السـلام) يعنى - أنَّ هنـاك أوصـافٌ فى الأصـل أنـا وراءهـا وأنتم تظنـون لأـوَّل وهله أنهـا تنطبـق على هـذا الفرد فـأكون معكم من بـاب المجارات ثُمَّ ينكشف أنَّه ليسَ منطبقه تلك الأوصاف الأصـليه الموجوده عند إبراهيم (عليه السـلام) عليه، ثُمَّ ينتقل ويُطبقه على مصـداق آخر وهـذا التبـدل لشـعارهم معناه أنَّ هناك ميزان ومقياس وتعريف للربّ الـذى يجب أنْ يُعْبَد هو ذاك الذى يَفْحَص ويتحرى عنه الإنسان فى الأصل.

ومن خلال هذا كُلَّهُ يمكننا أنْ نقول: - أنَّه يمكن أنْ نعمم قاعده [إياكِ أعنى واسـمعى يا جاره] من الخطابات القرآنيّه إلى قول المعصوم

وفعله وتقريره؛ ولـذا يُعتـبر مـن الخطـأ الاسـتدلال بالسـيره النبـويه مـن دون أنْ يُعْلَم مغـازى السـيره النبـويه، وعليـه إذا بُنى على الاسـتدلال بظاهر السيره النبويه قولاً أو سيرةً وفعلاً وتقريراً فهو غير صحيح؛ لأنَّه إذا كانت أقوال الأنبياء يمكن أنْ تُخَرَّجَ من باب إيّـاكِ أعنى واسـمعى يـا جاره، فكيف بسـيرتهم وأفعالهم، سـيّما الفعل كما هو المقرر فى علوم متعـدده فأنَّ الفعل حمّال لوجوه متعـدده ومجمله فإنَّ أقوال وأفعال وتقريرات النبى (صـلى الله عليه و آله) والأئمه المعصومين (عليهم السـلام) إذا أردنا أنْ نعرف مغزاها الجدى الحقيقى تحتاج إلى تدبر وتأنى والتفات كبير فكيف بسيرتهم أو بأفعالهم فإنَّها تحمل الكثير من وجوه التفسير فقد يـأتى المعصوم بفعل ولكن مراده الجـدى وغايه حكمته ليسَ هو صوره الفعل وإنَّما مغزاه شـىء آخر، إلّا أنَّ القرآن يحـذرنا من اتّبـاع المتشـابه وكـذا النبى الأكرم (صـلى الله عليه و آله) والأئمه المعصومين يحـذروننا من ذلك ويؤكِّدون علينا اتباع المُحكم، ولـذا المنهـج المختـار أمـومه الولاـيه على المحكمـات فضـلاً عـن المتشابهـات تعنى أنَّه يجـب أنْ تحَّكـم المحكمـات القرآنيه، والمحكمـات فى ألسـنه المعصومين نُحَّكمهـا على متشـابه صور الأفعـال والأـقوال والتقـارير، وهـذهِ ليست فقط فى سـيره الأنبياء والمعصومين (عليهم السلام).

تأكيد القرآن الكريم على عاقبه الأمور

قال تعالى: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ١.

لربَّما يتبادر من ظاهر الآيه ولأوَّل وهله إنَّ الله تعالى يريد بهؤلاء المؤمنين الذين استضعفوا فى الأرض بأنَّه تعالى قدَّر لهم أنْ يُستضعفوا إلّا انه ليسَ الأمر كذلك فإنَّ المراد من هذهِ الصوره للقضاء والقدر التى صورها لنا القرآن ليست هى المراد الجدى وإنَّما المراد الجدى شيء آخر.

هل المقصود من تقرير هذا الاستضعاف هو زرع حاله الانهزام والضعف فى قلوب المؤمنين وأنْ يُديروا الظهر وينهزموا عند المواجهه أم شيء آخر؟

كلا ليسَ ذلك مُراداً، فإنَّ المراد الجدى شيء آخر غير هذا كُلِّهُ ألا وهو وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ.

إذنْ يجب علينا أنْ لا ننساق ولا ننتبه إلى صور الأشياء ونضعف أمامها ونسلم بها كلا، فإنَّ القرآن يؤكِّد دائماً على العاقبه؛ لأنَّ الحقيقه والنطق بالعاقبه وليسَ فى الظاهر والصوره.

ولذا عندما خاطب الشقى عبيدالله بن زياد العقيله زينب (عليه السلام) كيف رأيت صنع الله بأخيك؟ فلو أراد الإنسان غير المتأمَّل أمام صوره القدر

والقضاء الذى رُسِمَ للإمام الحسين (عليه السلام) وأنْ يُقتل بهذهِ الكيفيه، وكذا أخيه أبو الفضل العباس (عليه السلام) وما جرى على العقيله زينب (عليه السلام) والوقوف فى مجلس عبيدالله بن زياد والطاغيه يزيد... الخ فإنَّ غير المتأمل يقول: - هذا غضب الله على أوليائه والحال أنَّه ليسَ بغضب، بلْ لأفعال الله وسننه إراده جديه فوق عالم القضاء والقدر وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ.

وكان جواب العقيله زينب (عليها السلام) بنت على عن بصيره تعتمد على عدم اتباع المتشابه والزيغ، بلْ اعتمدت على اتباع أمومه الولايه للمحكمات فضلاً عن المتشابهات بقولها (عليها السلام):

«أظننت يا يزيد، حين أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء وأصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى، أنَّ بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامه، وأنَّ ذلك لعظم خطرك عنده... الخ».

فانظر إلى عاقبه الأمور، ولا تلحظ صوره القضاء والقدر، ولاحظ لباب الأمر والمراد الجدى فإنَّ رضاه وسخطه لا يكمن فى صوره القضاء والقدر، وإنَّما يكمن رضا الله وسخطه فى عاقبه الأمور.

فمثلاً دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) فى دعاء عرفه:

«وأسألك اللَّهُمَّ حاجتى التى إنْ أعطيتنيها لم يَضُرَّنى ما منعتنى وإنْ منعتنيها لم ينفعنى ما أعطيتنى أسألك فكاك رقبتى من النار لا إله إلّا أنت وحدك لا شريك لك، لك المُلك ولك الحمد وأنت على كل شىء قدير، يا رَبِّ يا رَبِّ».

وفى دعاء له (عليه السلام) فى مورد آخر:

«... فمن زحزح عن النار وأدخل الجنه فقد فاز» والضابطه هى الفوز والنصره فى النهايه والعاقبه؛ ولذا قالوا الأمور بعواقبها وبخواتيمها.

إذنْ ليسَ المقصود فقط سنن الله تعالى، بلْ وسيره النبى (صلى الله عليه و آله) والأئمه المعصومين (عليهم السلام)، وهكذا يُبتلى المؤمن بابتلاءات – والعياذ بالله – إذا ظنَّ السوء بربه إذا لم تكن له بصيره والتى تعنى البصيره هى أنْ تُبصر عاقبه الأمور وهى المراد الجدى وليسَ هذا المراد الجدى هو المراد صورياً وإنَّما حقيقه؛ لذا أكَّد القرآن الكريم على مثل هذهِ الحقيقه وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً١.

بتقريب: أنَّ الإمهال وإنزال العذاب ليسَ هو المراد الجدى، وإنَّما عاقبه الأمور هى المراد الجدى، هذا فى سُنَّه الله تعالى، وهكذا فى سُنَّه وسيره الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) والأئمه المعصومين (عليهم السلام) من قول وفعل وتقرير ونلاحظ الملابسات كيف هى هى التى تدلُّ على المراد الجدى، وأمَّا الأمر الصورى فإنَّه لا يَدُلُّ على المراد الحقيقى كذلك فى قول الله تعالى وفعله وقضائه وقدره.

إذنْ إذا أراد الإنسان الوصول إلى الحقيقه فعليه أنْ لا يحبس التفتيش عن الحقيقه فى صوره وظاهر الخطاب، بلْ لابدَّ من التفتيش عن المراد الجدى.

ومن خلال هذا كُلَّهُ نعرف موقف إبراهيم (عليه السلام) من خلال قوله وأنْ لا نحكم على مراده (عليه السلام) بقوله (هذا ربى) يُشير إلى الزُهره أو كوكب معين.

وعلى أى حال فهذهِ سُنَّه عظيمه أقرَّها الله فى فعل إبراهيم وهو نبى من أنبياء الله العظام، والقرآن الكريم وكذا السُّنَّه الشريفه حَذَّراً من اتِّباع المتشابه، فلا تقول: مثلاً لماذا كان أميرُ المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) موقفه مع معاويه كان كذا ومع المرأه كان كذا ومع فلان كان كذا... الخ، وليكن هذا ما اتخذه أمير المؤمنين من الموقف، إلّا أنَّ حقيقه الأمر وعاقبته لا تُعْرَف

فقط من خلال لفظه صوريه أو نقول لو كان موقف النبى الفلانى من فلان كذا لكان كذا فهذهِ نظره إلى اللفظه والمستوى التصورى، وهذا من الأخطاء الفادحه، وإنَّما لابدَّ من النظر إلى عاقبه هذا الأمر فإنَّه يمثل إراده الحقيقه، ولا يدلُّ هذا على الازدواجيه فى العمل كلا فإنَّ طبيعه الأمور هى هكذا؛ لذا قالت الآيه وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللّهُ وَ اللّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ١.

إذنْ التبديل موجود ومستمر من الله تعالى إلّا أنَّ المراد الجدى والحقيقه شىء آخر وعليه فالقرآن يَذُم أهل البصيره القاصِرَه فَأَمَّا الْإِنْسانُ إِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ، وَ أَمّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهانَنِ٢.

وهاتان الآيتان المباركتان من سوره الفجر تدلان بوضوح على أنَّ الأمور بعواقبها وخواتيمها لا أنَّه لا عاقبه للأمر، وإنْ كان بعض المفسرين يذهب إلى تفسير قوله تعالى: وَ أَمّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهانَنِ بأنَّ الله تعالى إذا ما ابتلى الإنسان وقدَّر عليه رزقه فقد أهانه وفيه هوانه، وأنَّه لا عاقبه للأمر، وهذا إشاره إلى قصر البصيره.

لذا وَرَدَ فى عدَّه روايات تدلُّ على أنَّ الفقراء الصالحين يعلمون فى يوم القيامه مدى حنان الله عليهم، وحب الله لهؤلاء الفقراء الصالحين يوم القيامه لا أنَّه تعالى قدر عليهم رزقهم فى الدنيا، لأجل إذلالهم كلا، وإنَّما حتّى يكونوا مشمولين لحنان ورعايه الله تعالى يوم الدين، إذنْ ليسَ المنظور ظاهر معنى الآيه، وإنَّما المنظور العاقبه وما يختتم للمخلوق.

وعليه إذا قرأنا الآيات المتعدده فى خطاب إبراهيم (عليه السلام) فتكون العاقبه من مجموع الصدر والذيل كمجموعه منظومه فهذا هو معنى الأمومه بمعنى أنَّه يجب أنْ ننظر إلى الأمور كمنظومه مجموعيه لا أنَّه ننظر إليها مبعثره ومشتته، بلْ لابدَّ من أنْ تكون هناك نقطه مركزيه ومحوريه فى المعرفه الدينيه وفى معرفه تفسير القرآن الكريم، وتلك النقطه المركزيه هى محوريه ومركزيه الولايه للمحكمات فضلاً عن المتشابهات، وعلى تلك المحكمات تنتظم المعرفه وصحه حقائق التفسير حتّى فى قضاء الله وقدره.

النموذج الخامس: قوله تعالى: قالَ يَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَ لا بِرَأْسِى إِنِّى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرائِيلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى١.

فى هذهِ الآيه المباركه بَيَّنَ موسى (عليه السلام) عِظَمَ ما اقترفوه بنو إسرائيل بعد النبى موسى (عليه السلام) من طاعتهم للسامرى ومتاركتهم لوصى النبى موسى وهو هارون عندما قال موسى (عليه السلام) لأخيه هارون: اُخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَ أَصْلِحْ وَ لا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ٢.

وهنا موسى (عليه السلام) لم يرقب القول ولا الفعل وهو الآخذ باللحيّه والرأس والجر فإنَّ المراد الجدى من هذا الفعل فيه نوع من التأنيب من نبى الله موسى (عليه السلام) إلى النبى هارون عندما عَبَدَ بنو إسرائيل العجل.

وعليه فإنَّ هذا الفعل من موسى (عليه السلام) لهارون (عليه السلام) ليسَ مغزاه ما هو صورةٌ ظاهِراً فموسى (عليه السلام) يعلم أنَّ النبى هارون كان مُبَرَّءاً عمّا ابتُليت به الأمَّه بعد موسى (عليه السلام) وإنَّما أراد موسى أنْ يُبين مدى فداحه الأمر الذى

ارتكبوه بنو إسرائيل بعبادتهم للعجل، ومُرادُ موسى (عليه السلام) من هذا الكلام نظير ما مَرَّ فى قوله تعالى فى توجيه الله تعالى ظاهر الخطاب إلى عيسى بن مريم، وكان المراد شيئاً آخر أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ١.

وهكذا مراد موسى (عليه السلام) نظير ما تقدم أيضاً من الخطاب الذى وجهته فاطمه الزهراء (عليها السلام) لأمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) ظاهره التأنيب فى الدفاع عنها فى مقام الهجوم على بيتها من قبل أصحاب السقيفه، هذا ما أرادت الزهراء (عليها السلام) أنْ تبينه من خلال توجيه خطاب لأمير المؤمنين (عليه السلام) ظاهره التأنيب وهذا لا يَخِلُّ بعداله وشجاعه وشخصيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام).

وعليه فما جرى من هارون للنبى موسى (عليه السلام) لا ينفى طهاره وعصمه موسى ولا هارون، وإنَّما هو لأجل تبرئه ساحه النبى هارون، ولكى يُبين فداحه الخطب أمام الملأ، ولكى يُبين براءه النبى هارون عن الانحراف الذى اتركبه بنو إسرائيل، وأنَّ المراد الجدى لموسى (عليه السلام) ليسَ على ظاهر خطابه.

إنَّ قلتُ: إنَّ صدور هكذا فعل من نبى يُنافى العصمه ويدلّ على عدمها؟

قلت: مَن قال أنَّ المراد الجدى من هذا الفعل هو صوره الفعل كى تقول أنَّه يدلُّ على عدم العصمه ويُنافيها، كلا، مما تقدم يُعْلَم أنَّ المراد

الجدی مِن ظاهر هذا الفعل شیء آخر ولیسَ هو کما علی صوره لأمر.

نظیر ما مَرَّ فی قوله تعالی فی توجیه الله تعالی ظاهر الخطاب إلی عیسی بن مریم وکان المرادُ شیئاً آخر أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِی وَ أُمِّی إِلهَیْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ۱.

وهکذا مُرادُ موسی (علیه السلام) نظیر ما تقدم أیضاً من الخطاب الذی وجهته فاطمه الزهراء (علیها السلام) لأمیر المؤمنین علی بن أبی طالب (علیه السلام) ظاهره التأنیب فی الدفاع عنها فی مقام الهجوم علی بیتها من قبل أصحاب السقیفه، هذا ما أرادت الزهراء (علیها السلام) أنَّ تبینه من خلال توجیه خطاب لأمیر المؤمنین (علیه السلام) ظاهر التأنیب وهذا لا یَخِلُّ بعداله ولا شجاعه وشخصیه أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب (علیه السلام).

وعلیه فما جری من هارون للنبی موسی (علیه السلام) لا ینفی طهاره وعصمه موسی ولا هارون وإنَّما هو لأجل تبرئه ساحه النبی هارون، ولکی یُبین فداحه الخطب أمام الملأ ولکی یبین براءه النبی هارون عن الانحراف الذی ارتکبه بنو إسرائیل، وأنَّ المراد الجدی لموسی (علیه السلام) لیسَ علی ظاهر خطابه.

إنْ قلت: إنَّ صدور هکذا فعل من بنی یُنافی العصمه ویَدُلُّ علی عدمها؟

قلتُ: مَن قال أنَّ المراد من هذا الفعل هو صوره الفعل کی تقول أنَّه یدلُّ علی عدم الصحه ویُنافیها، کلا، مما تقدم یُعلم المرد الجدی من ظاهر هذا الفعل شیءٌ آخر ولیسَ هو کما علیه صوره الأمر.

الفصل السابع: القاعده الرابعه: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی

اشاره

ص:۵۳۹

قاعده استعمال اللفظ فی أکثرمن معنی

*مقدمه:

*القسم الأوَّل: استعمال اللفظ فی المعنی الواحد.

*أصل بحث قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی فی علم الأصول.

*اقوال ومبانی علماء الأصول فی القاعده المبحوثه.

*اللفظ بحسب الوضع اللغوی یمکن أنْ یکون لفظا واحداً یرتبط بعده معانی أو لا.

*أقسام الدلاله.

*بحث حول القرائن.

*الأدله علی إثبات قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی.

*الشرائط المعتبره فی القاعده المبحوثه.

*شرائط حجیه التفرعات والنتائج المترتبه علی القاعده المبحوثه.

*العلاقه بین منهج أمومه المحکمات والولایه وبین التوحید.

*ادّعاء المنهج السلفی اتباع الروایات الصحیحه.

*علم النقد الأدبی من أهم علوم اللغه.

*ولایه أهل البیت علیهم السلام هی مدار القرآن وباقی الکتب السماویه.

*الضوابط التطبیقیه لقاعده استعمال اللفظ فی أکثر من منعی.

*بحث آخر حول القرائن.

*القسم الثانی: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی.

*الموارد التطبیقیه لقاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی.

*علاقه قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی بالأسماء الإلهیه اللفظیه:

*الطعون الموجّهه إلى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى.

*المراتب المعلومه والبحث العلمى.

*النتيجه النهائيه.

ص:٥٤١

استعمال اللفظ فی أکثر من معنی

مقدمه:

لا ـ زال الکلام فی النظام الأوَّل من الأنظمه الثلاثه التی اخترناها فی منهجه تفسیر أمومه الولایه للمحکمات وأمومتها وولایه أهل البیت (علیهم السلام) وهی نظام الاستعمار اللفظی، ونظام المعانی، ونظام الحقائق - وتقدم الکلام فی القواعد الثلاث من النظام الأوَّل - نظام استعمال الألفاظ - وهی: -

۱ - القاعده الأولی: نظام التعریض.

۲ - القاعده الثانیه: نظام الالتفات.

۳ - القاعده الثالثه: إیاکِ أعنی واسمعی یا جاره.

۴ - القاعه الرابعه: استعمال اللفظ فی أکثر من منعی، وهی محل البحث الآن فعلاً.

وقبل الدخول والخوض فی تفاصیل هذهِ القاعده المهمه والخطیره ذات الذیل العریض الطویل والتی تطرد فی أصل البیان الوحیانی فی أسماء الله وتوحیده، فکیف ما دونه من الاستعمالات الوحیانیه؟

ینبغی الالتفات إلی عِدَّه أمور:

الأمر الأوَّل: نتعرض فی شرح وبیان هذهِ القاعده إلی أنَّ الکلام فیها علی قسمین:

القسم الأوَّل: استعمال اللفظ فی المعنی الواحد. وهو القدر المتیقن

فی مقام الخطاب.

القسم الثانی: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی، بملاحظه القرائن وتلاوینها وهو محل البحث الفعلی والمهم.

الأمر الثانی: الإشاره إلی جمله أمور ترتبط بالبحث عن هذهِ القاعده المهمه من قبیل: -

أولاً: البحث عن هـذهِ القاعده لا یختص بالبحث عن المفردات واللفظه الواحده، وإنَّما یتعدی إلی الهیئات الترکیبیه للجمل التامه والنـاقصه، وهکـذا الترکیب التـام لا یقتصـر فیه علی الترکیب التام بلْ قـدْ تتشـکل ترکیبات تامه تترکب وتترابط فیما بین بعضـها البعض: من جمله الشـرط وجوابها، والإداه الرابطه وعلیه فلابدَّ من الالتفات والتنبه علی أنَّ استعمال اللفظ فی أکثر من معنی لیسَ مـا یوهمه ظاهر عباره هـذهِ القاعـده من انحصار المعنی باللفظ، بلْ یعنی کل دال لفظی سواء کان حرکه إعراب أو هیئه بناءً مادّه لفظیه بـلْ ومن نفس المـادّه اللفظیه تتکوَّن هیئه جمله کـامله أو نـاقصه أو هیئـات أُخری، أو بعباره أُخری الکلام فی دلاله اللفظ علی المعنی علی قسمین:

القسم الأوَّل: استعمال اللفظ فی معنی واحد، وهو ما نحن فیه الآن فعلاً.

القسم الثانی: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی، وسیأتی إنْ شاء الله تعالی.

القسم الأوَّل: استعمال اللفظ فی معنی واحد:

اشاره

إنَّ قاعده اسـتعمال اللفظ فی معنی واحد لا تقتصـر ولا تُحبْس فی معانی قوالب الألفاظ فقط بخصوص علم معین مثلاً کالنحو أو الصرف أو...

الخ بلْ تشمل كافه أنواع قواعدعلوم اللغه كعلم البلاغه بما فيه من علم البيان وعلم المعانى وعلم البديع وعلم الاشتقاق وعلم نحت اللغه وعلم أصل اللغه و... الخ إلى أنْ تكثرت العلوم وتوسَّعت ونمت إلى الآن فقط علوم اللغه رَبَتْ أقسامها على العشر علوم وكل هذهِ العلوم لها قواعد تنطلق من دوال لفظيه، ثم إنَّ كل دال لفظى دلّ لفظى قدْ يكون محسوس وغير مرئى مثل الهيئه وعلى اختلاف الهيئات سواء انفراديه أو تركيبيه، تامه أو ناقصه أو... الخ.

فإنَّ كل هذهِ الدوال اللفظيه يمكن أنْ تستعمل فى أكثر من معنى على ما سيأتى تفصيله وتوضيحه بالأمثله، فمثلاً الضم قدْ يستخدم علامه على الفاعل أو علامه للخبر أو المبتدأ أو الصفه التابعه أو قدْ يستخدم الضم للبناء على الضم وقد... الخ كل ذلك فى آن واحد، وكل واحد من هذهِ الهيئات المختلفه لها معناها الخاص المختلف عن الهيئه الأُخرى.

وعليه إذا بنينا على علم التفسير للقرآن الكريم على هذا الأساس المتين والمتشعب والمتوسع بهذا الوسع، وسُنبين صحه هذا الالتزام والبرهنه على ذلك ببيانات مختلفه، ومثل هذا الالتزام يفترق بهذا الوسع اللامحدود عمن لا يلتزم به، فمثلاً مسار معظم المفسرين كما سيأتى مبنى على أساس أنَّ الآيه الواحده ليسَ لها إلّا ظهور واحد فيجب حينئذٍ أنْ يُقيم المُفَسِّر عمليه الترجيح بين صياغات الظهور المختلفه المتعدده من ناحيه الإعراب بنحو الجمليه الأسميه يختلف عن الإعراب بنحو الجمله الفعليه والإعراب بنحو المفرد من كون هذا فاعل، أو مبتدأ، أو صفه، أو خبر أو... الخ فكل واحد من هذهِ الهيئات المختلفه له معناه المختلف عن الآخر كما تقدم قبل

قليـل باختلاف الهيئات الإعرابيه عن هيئات البناء المختلفه، فإنَّ مثل البناء على الضم له هيئه ومعنى تغاير البناء على الكسـر، وهى تغاير هيئه البناء على السكون بالهيئه والمعنى.

والبنـاء على حركه معنيه بـدوره يغـاير الإـعراب، الـذى معنـاه - أى الإـعراب - بيان معنى زائـد على أصل وضع الألفاظ المفرده اللغويه الذى هو معنى التركيب الزائد.

وهـذا المعنى الإـعرابى له دوره المهم فى معرفه المعنى العـام ومِن ثَمَّ معرفه معنى التفاصـيل، إلّـا أنَّه وللأسف هناك نظره سـلبيّه أُحاديه البُعْد والأفق وهى: أنَّ المفسـرين الذين يعتنون ويبينون إعراب الآيات القرآنيه دائماً ينظرون إلى أنَّ هذهِ الآيه فيها إعراب واحـدٌ صـحيح وباقى الوجوه الإعرابيه الحمّاله لمعنى آخر هى خطأ، وهـذا مما يؤسف له لضـيق النظره السـطحيّه وعدم الغور فى الأعماق.

بخلاـف مثلاً قاعـده [اسـتعمال اللفظ فى أكثر من معنى] فإنَّها تقول إذا كانت كل الأعاريب للجمله الواحـده سواء كان التركيب تاماً ام ناقصاً، صحيحه على ضبط قواعد وموازين فلا مانع من أنْ تكون كُلَّها صحيحه ومُراده سَوِّيه وسديده.

نعم، يبقى أنْ الإـعراب للمفرده أو الجمله له أولويه معينه ويُقـدَّم على غيره لأـرجحيته، أو أنَّ هـذا الوجه الإعرابى ذو وجود مؤثر على المعنى، فـذاك بحث آخر إلّـا أنَّه بالتـالى هـذهِ الوجوه الإعرابيه فى الآيه القرآنيه، أو الجمله التركيبيّه صـحيحهٌ ويُحْتَـجّ بها، وهذا مسار آخر يُعَزِّز استعمال قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى، عليه فمثل هذهِ القاعده يمكن استعمالها

فی علوم شتی متباینه ما دام المجال لهذه الاستعمالات مفتوح، وبالتالی یکون لهذه القاعده المهمه والخطیره تنوِّع بالتطبیق فیمکن استعمال الداله اللفظیه الواحده فی المعانی والدوال اللفظیه المتعدده بتعدد علوم اللغه، بلْ بتعدد قواعد علوم اللغه، فضلاً عن مصادیق قواعد کل قاعده فی علم اللغه فحینئذٍ ینفتح لنا أفق وسیع جداً، ویکون لکل مقطوعه لفظیه من الآیات الکریمه هذهِ الجمله أو هذهِ المقطوعه اللفظیه علی صعید الدلاله التصوریه عِدَّه مفاهیم، وعلی صعید الدلاله الاستعمالیه عِدَّه معانی وترکیبات ومفادات، وعلی صعید الدلاله التفهیمیه عِدَّه معانی وعِدَّه دلالات، وعلی صعید الدلالات الجدیّه فتکون عِدَّه طبقات علی مستوی الصعید الجدی نکتشفها بحدود القدره البشریه.

وعلیه فینبغی للمُفَسِّر أنْ یلتفت حتّی لا یقع فی الخطأ والتخبط والسیر العشوائی، إلی أنَّ الإعراب للآیه الواحده لیسَ هو فقط وجه واحد هو الصحیح، وأمَّا الوجوه الأُخری فهی خطأ، أو فیهامقدار من الصحه إلّا أنَّه قریب، فهذا لا نوافقه.

وبالتالی من الأمور المهمه جداً للمفسر معرفه هذهِ التلاوین ومعرفه نسبتها وعلاقتها مع العلوم الأُخری فهی شبیهه بنسبه الملح فی الماء والطعام.

ثانیاً: إنَّ المراد بقاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی لیسَ هو خصوص الاستعمال فی مرحله الاستعمال والمدلول الاستعمالی، بلْ المراد فی الحقیقه مراتب متعدده من المدالیل والدلالات بدءاً من الصعید التصوری إلی الصعید الاستعمالی والی صعید المعنی التفهیمی والمعنی الجدی، والمعنی الجدی وطبقاته، وبعباره أوضح.

مضمون قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی هو أنَّ أیه داله لفظیه یمکن استعمالها فی أکثر من معنی - واستعمالها فی المعنی الواحد هو القدر المتیقن، فإنَّ الداله اللفظیه تدل علی معنی تصوری، ثم المعنی التصوری یدلُّ علی معنی استعمالی، أی أستعمال معنی فی معنی غایه الأمر المعنی التصوری یُقصد به استعماله فی المعنی الاستعمالی، ثم المعنی الاستعمالی یُقصد به ویُسلک به کسبیل ونافذه إلی المعنی التفهیمی، ثم المعنی التفهیمی یُقصد به ما وراءه أعنی به المعنی الجدی.

وهناک بعض الأمثله التطبیقیه لهذه القاعده ستأتی مُفَصَّله نشیر بإجمال لبعضها: -

من قبیل: ما هو المستعمل فی الشعر الشعبی الدارج المعروف بالأبوذیه، فإنَّ لفظه واحده تنتهی بها الأبیات الثلاثه الأولی بمعانی مختلفه، ونفس الصوت یکون بنبرات مختلفه فی الألفاظ الثلاثه المُوحَّده الماده والمختلفه الهیأه فی بعضها أیضاً یؤدی إلی الاختلاف فی المعنی(۱).

ومن قبیل: الاختلاف الذی یطرأ علی بنیه الکلمه أیضاً یکون استعمال الصوت فی أکثر من معنی وفی أکثر من لفظ. إلی غیر ذلک من الأمثله التی ستأتی فی محلها إنْ شاء الله تعالی.

وهکذا یمکن تطبیق هذهِ القاعده فی مجال عالم الأمن إلی ما شاء الله

۱- (۱) نظیر قول الشاعر فی حق أمیر المؤمنین (علیه السلام):بعد جرح الوصی هیهات ینشال وچن الصَوَّبه یا ریت ینشال (ینشل) وَیَ نعشه العدل للگبر ینشال ویتامَه نظل عگب حامی الحمیّه

وأنَّ كل لفظه تدل على معنى معين خاصه فى القطعات العسكريه والأمنيه والاستخباراتيه و... الخ.

ثالثاً: البحث عن القرينه الواحده والقرائن المتعدده والتناسب بين القرائن لا يختص بالبحث عن لفظه واحِده أو لفظتين أو ثلاثه أو... الخ بلْ كُلُّ علم من العلوم اللغويه والأدبيه فهناك قواعد وآليات لكل علم من العلوم المختلفه كعلم الصرف وعلم النحو وعلم البلاغه وعلم الاشتقاق، والمراد من استعمال تلك الآليات ليست فى معنى واحد، فمثلاً فى علم النحو: -

إعراب الضم يستعمل فى آليات متعدده يستعمل: - فى الفاعل والمبتدأ والخبر، واسم كان، وخبر إنَّ والصفه التابعه و... الخ فهذهِ هيئات مختلفه، وهكذا قاعده تقديم ما من حقه التأخير فإنَّها أحد آليات علم النحو والذى يُفيد معنى الاختصاص مثل [إيّاك نعبد وإيّاك نستعين](١) وله معنى أو معانى أُخرى، ويمكن استعمال نفس هذهِ القاعده - تقديم ما من حقه التأخير - فى علم المعانى ولها معنى آخر، وهكذا يمكن استعمال هذهِ القاعده فى علوم أُخرى ولها معانى شتى.

والخلاصه: فى علوم مختلفه توجد قاعده لها عِدَّه استعمالات فكيف تؤدى الغرض المطلوب، فمثلاً فى علم النحو قدْ تكون قاعده واحده لها عِدَّه أعاريب وتتفرع عنها عِدَّه قواعد فكيف تستخدم وتعطى الغرض المطلوب، إذنْ هذهِ آليات فى علوم اللغه استعملت فى أكثر من معنى،

١- (١) سوره الفاتحه: الآيه ٥.

واستعملت فى الهيئات التامَّه والناقصه و... الخ.

وحينئذٍ سوف نقف على أفق لا محدود، وأنَّ مثل هذا كُلَّهُ يدخل تحت قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى.

ص:٥٥٠

أصل بحث قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى فى علم الأصول

أهميه علم الأصول:

أصل هذهِ القاعده المهمه بُحِثَ فى علم الأصول وانبرى علماء الأصول فى تحقيقها فى قسم مباحث الألفاظ ولا يَخْفَى الصله الوطيده بين بحوث علم أصول الفقه وقواعد تفسير القرآن الكريم؛ وذلك باعتبار أنَّ أصول الفقه كما هو الصحيح ليسَ أصول وقواعد لفقه الفروع فقط، بلْ الصحيح أنَّ علم الأصول هو علم بقواعد مطلق المعرفه ومنها المعارف والعلوم الدينيه أى فقه الدين بأسره من علم آداب الدين وأخلاق الدين وعلم عقائد الدين، وعلم التفسير وعلم السيره وعلم الرجال وعلم الحديث وعلم السُنَّن وعلم فقه اللغه والعرفان، وعلم الكلام و... الخ.

فإنَّ الفهم المتصل والمرتبط بالدين يمنهجه ويمنطقه منهجياً هو قواعد أصول الفقه؛ ولذا من الخطأ الفظيع أنْ نقع فى غفله أنَّ قواعد أصول الفقه فقط هى ذات شأن وصله بالفروع، فإنَّ مثل هكذا تصور خطأ وظلم لعلم الأصول وحَبْس الانتفاع من قواعده وآلياته فقط فى فقه الفروع.

ولذلك نلاحظ أى علم يرتبط بالدين سواء ارتباطاً قوياً وقريباً أو بعيداً وضعيفاً فنلاحظ أنَّ القواعد العامه التى تُذكر فى مقدمته أو لنهايته تضبط وتمنهج لقواعد أصول الفقه، والسبب فى ذلك هو: -

إنَّ أصول الفقه عباره عن أصول وضوابط لفهم وقراءه نص الوحى الإلهى باعتبار أنَّ العلوم الدينيه لا تعتمد على نتاج المصنع والفكر البشرى ولا تنحبس فى أفق النتاج البشرى، بلْ تُحلِّق فى سماء النص الوحيانى الإلهى، ولذلك فى تعبيراتهم يعبرون عن علم أصول الفقه بأنَّه علم نقلى فى حين هو عقلى أيضاً وذلك باعتبار أنَّ المعرفه الدينيه تعتمد على النقل والنص وهما بدورهما يوصلان بالتبع إلى النص الوحيانى، ويعتبر النقل أيضاً قناه وطريق للوصول إلى النص الدينى والنص الوحيانى، وميزان آليات التعاطى مع النص الدينى يحكمه علم أصول الفقه.

الخلاصه: إنَّ علم أصول الفقه ضرورى لمن أراد أنْ يخوض فى علوم شتى كعلم الكلام وعلم الخلاف أى العلم بالمذاهب الإسلاميه، وعلم الأديان وعلم السيره وتاريخ الإسلام، وعلم الرجال وعلم الدرايه وعلم الحديث، فإنَّ علم الأصول يوزِن ويَضْبِط حجيه الحديث من عدمها.

وعلم الأخلاق وعلم العرفان العملى فمن سائر على قواعد وآليات علم الأصول لا يتيه به المسير حتّى يقع فى الانحراف – لا سامح الله – وعلم التفسير لمن أراد أنْ يقرأ النص الربانى بصوره منضبطه و... الخ وعليه بالتالى فإنَّ علم الأصول علم مفيد جداً للمعرفه الدينيه وإيانا أنْ نظن أنَّ أصول الفقه مقصور على استنباط القواعد الفقهيه والعناصر المشتركه بخصوص الفقه فلرب فقيه ليست عنده الرغبه أنْ ينال درجه الاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعيه ليسَ معناه يُحْرَم ويُمنع من ممارسه قواعد الأصول فى علم آخر كعلم الكلام أو التفسير أو العقائد أو علم النفس والأخلاق والآداب، فإنَّ هذا نرفضه أشد الرفض وعلينا أنْ نهتم

بأصول الفقه؛ لأنَّها تمنهج وتوزن القواعِد، وهذا أمر مهم باعتبار أنَّ المعرفه الدينيه تعتمد على الحجيه وعلى دلاله الدليل، ودلاله الدليل والحجيه لا تتمنهج ولا تنضبط إلّا بقواعد أصول الفقه.

هـذا مضافـاً إلى أنَّ أصول الفقه ليسَ فقـط يَعطى الحجيه للـدليل كمـا هو المعروف، بلْ حتّى على مبادئ أُسـس منظومه التقنين والقانون الـدينى الذى هو علم أصول القانون فإنَّ لعلم أصول الفقه الدور الأساسـى والفاعل فى كيفيه تصـنيف وتشـعب القواعد عن بعضها البعض فى الواقع الثبوتى.

علم الأصول بمثابه المقنن للقواعد الفوقيه والأسـس التى تنطلق من قواعد انشـعابيه فضلاً عن البحث فى حجيه الدليل، وهذا نظير مـا نحن فيه من منهـج أمومه المحكمات وأمومه ولايه أهل البيت (عليهم السـلام) لتفسـير القرآن فهو بمثابه النقطه المركزيه التى تتمحور وتنتظم حولهـا محكمـات الكتاب الكريم وما وراء القرآن من سائر سور وآيات القرآن ترتبط بها برباط منتظم لا شـتات ولا تبعثر فيه.

أقوال ومبانی علماء الأصول فی قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی

استعمال اللفظ فی أکثر من معنی علی سبیل الانفراد والاستقلال بأنْ یُراد من اللفظ کل واحد من المعانی، کما لو استُعْمِل فی أحدها مستقلاً فقد اختلف علماء الأصول فی جوازه علی أقوال: -

القول الأوَّل: المنع من استعمال اللفظ فی أکثر من معنی، بمعنی ملاحظته فانیاً فیه، ولعلَّ البعض جعل هذهِ هی عله سریان الحُسْن والقبح من المعنی إلی اللفظ فانیاً فیه، ولیسَ الاستعمال هو مجرد جعل اللفظ علامه علی المعنی ووجهاً وعنواناً له.

إذنْ لا یجوز أنْ نجعل اللفظ عنواناً لمعنیین بلْ لمعنی واحد؛ وذلک لأنَّ جعله عنواناً لمعنی یستتبع ملاحظته فانیاً فیه، فلا یمکن ملاحظته فانیاً فی معنی آخر بإراده أُخری فی استعمال واحد، نعم، یجوز ذلک فی الاستعمالین، فالمستعمل لا یمکن أنْ یلاحظ اللفظ فانیاً فی معنیین علی نحو الاستعمال فی استعمال واحد إلّا مع فرض کون اللاحِظ - کما عَبَّرَ صاحب الکفایه (قدس سرّه) - أحول العینین یری الواحد اثنین(۱) وهذا القول ذهب إلیه جمله من الأصولیین.

ثم أنَّه هل یختلف الحکم بین اللفظ المفرد والمثنی والجمع؟ فإذا ثبت

۱- (۱) المفید فی شرح أصول الفقه، للشیخ المفید/إسماعیل إبراهیم الشهرکانی، ج ۱، ص ۹۲، بتصرف.

المنع عن استعمال اللفظ المفرد فی أکثر من معنی، کذلک یثبت المنع فی المثنی والجمع؛ لأنَّ علامه التثنیه والجمع لا تدلّ إلّا علی مجرد تکرار ما أرید من المفرد، وعلیه فلا یمکن إراده معنیین أو أکثر فی التثنیه والجمع.

وکذا الکلام فی الحکم بین المجاز والحقیقه فإذا ثبت المنع من استعمال اللفظ حقیقه فی أکثر من معنی للعله السابقه ثبت أیضاً لنفس العله المنع عن الاستعمال المجازی مع إراده معنیین علی نحو الاستقلال.

وممن ذهب إلی المنع فی استعمال اللفظ فی أکثر من معنی صاحب المعالم(۱) وذکر فی وجه المنع أنَّ اللفظ وضع للمعنی بقید الوحده، واستعماله فی أکثر من معنی یکون استعمالاً مجازیاً بسبب إلغاء قید وقید الوحده، وقد نوقش فی ذلک ومَن أراد فلیرجع إلی المطولات، وهکذا صاحب القوانین، وما ذکر فی وجه المنع: - إنَّ الوضع حصل فی حال وحده المعنی ولما کانت اللغات توقیفیه لزم الحفاظ عند الاستعمال علی جمیع ما اعتُبر فی الوضع حتّی الظرف والحال التی حصل فیها الوضع، فحینئذٍ یثبت منع وعدم جواز استعمال اللفظ فی أکثر من معنی(۲).

أیضاً أورد علی صاحب القوانین ومَن أراد ذلک فلیراجع المطولات، وإنَّما أعرضنا عن ذکر المناقشات طلباً للاختصار مضافاً إلی أننا لسنا فی مقام مناقشه تلک الأقوال إنَّما موکوله إلی محلها، وممن ذهب إلی هذا القول صاحب الکفایه محمد کاظم الخراسانی والشیخ النائینی فی مقالات الأصول والاصفهانی فی نهایه الدرایه والمحقق أغا ضیاء الدین العراقی و...

۱- (۱) معالم الدین، الشیخ حسن بن الشهید الثانی.

۲- (۲) القوانین

القول الثانی: ذهب جمله من الأصولیین إلی جواز استعمال اللفظ فی أکثر من معنی وقد ذهب إلیه جمله من المتأخرین أمثال السید الخوئی (قدس سرّه) فی محاضرات أصول الفقه ج ۲۰۸/۱ والشیخ الفیاض فی المباحث الأصولیه، ج ۱، ص ۳۲۴ و... الخ.

منهم مَن بنی علی أنَّه لا مانع من جعل لحاظ اللفظ فی الذهن آلیاً أداهً ووسیله لتفهیم معنیین مستقلین إذا کان له علاقه بهما، وهو بهذا اللحاظ فیه یصلح أنْ یکون سبباً لانتقال الذهن إلی کل من المعنیین مستقلاً فی آن واحد.

ومنهم مَنْ بَنی علی أنَّ حقیقه الاستعمال هی جعل اللفظ علامه علی المعنی، فإذا کان شأن اللفظ شأن العلامه فالنظر إلیه استقلالی کالنظر إلی العلامه.

ثم علی القول بجواز استعمال اللفظ فی أکثر من معنی هل یکون هذا الاستعمال علی نحو الحقیقه أو المجاز، فمنهم مَن ذهب إلی الحقیقه وبنی علی أنَّ الألفاظ موضوعه بإزاء المعانی من دون أخذ قید الوحده الذی ذکره صاحبالمعالم (قدس سرّه) فحینئذٍ یکون فی الاستعمال حقیقیاً لا مجازاً(۱).

ومنهم من ذهب إلی المجازیه لمخالفه الوضع بقید الوحده.

القول الثالث: ذهب بعض الأصولیین أنَّه إذا لم یجز استعمال اللفظ فی أکثر من معنی فی المفرد فإنَّه یجوز الاستعمال فی حاله التثنیه والجمع بأنْ یراد من کلمه عینین - مثلاً - فرد من العین الباصره وفرد من العین النابعه، فلفظ

۱- (۱) المباحث الأصولیه، للشیخ الفیاض، ج ۱، ص ۳۱۱.

عين وهو مشترك قدْ استُعمِل فى حاله التثنيه فى معنيين فى الباصره والنابعه، وهذا شأنه فى الإمكان والصحه شأن ما لو أَريد معنى واحد من كلمه عينين، بأنْ يُراد بها فردان من العين الباصره مثلاً فإذا صحَّ هذا صحَّ ذاك بلا فرق، والدليل عليه/ أنَّ التثنيه والجمع فى قوه تكرار الواحد بالعطف فإذا قيل: عينان فكأنما قيل: عين وعين، وإذْ يجوز فى قولك (عين وعين) أنْ تستعمل أحدهما فى الباصره والثانيه فى النابعه فكذلك ينبغى أنْ يجوز فيما هو بقوتها أعنى (عينين) وكذا الحال فى الجمع(١).

إذنْ اختلف الأصوليون فيما بينهم حول استعمال اللفظ فى أكثر من معنى بانه هل يجوز استعمال المشترك اللفظى وضعاً فى عِدَّه معانى أوْ لا؟ أو هو ليسَ بمشترك لفظى، بأنْ وضع اللفظ لمعنى واحد لكنَّه يستعملها فى المعنى الحقيقى والمجازى وبين معانى متكثره من المجازى هل يمكن ذلك أو لا؟

على أقوال فى المسأله: -

منهم مَن قال بالنفى، ومنهم مَن قال بالإثبات، وثالث بالتفصيل، وأنه ممكن فقط على مستوى الإمكان دون الوقوع، أو يقع ولكنْ بقله، بينما رابع قال يقع وبكثره، وخامس قال بالإمكان الذاتى دون الوقوعى ثم الوقوعى ثم لا وقوع فى الجمله لكنَّ وقوع غالبى و... الخ.

١- (١) أصول الفقه، للشيخ المظفر، ج ١، ص ٩٨.

اللفظ بحسب الوضع اللغوى يمكن أنْ يكون لفظاً واحداً يرتبط بعدّه معانى أو لا؟

اشاره

ذكر علماء اللغه والبيان أنَّ الألفاظ فى دلالتها على المعانى لا يخلو حالها فى الدلاله إمَّا حقيقه بلحاظ جهه الوضع، وإمّا مجازاً، وهى على مراتب مختلفه:

منها: مرتبه الألفاظ المتواطئه.

منها: مرتبه الألفاظ المتباينه.

منها: مرتبه الألفاظ المترادفه.

ومنها: مرتبه الألفاظ المشتركه والألفاظ المستغرِقه و... الخ(۱).

وأمَّا بالنسبه إلى استعمال اللفظ الواحد وله ارتباط ودلاله على معانى عِدَّه فقسم من علماء اللغه والأدب العربى قالوا باستحاله المشترك اللفظى، وكذا المشترك اللغوى الذى هو معنى واحد.

فالمشترك اللفظى واللغوى: - هو إطلاق كلمه وحده على عِدَّه معانٍ حقيقيه متعدده غير مجازيه، أو هو اللفظ الذى وُضِعَ عِدَّه مَرَّات لعِدَّه معانى، مثل العين التى هى إداه النظر، عين الماء، والليث ومن معانيها الأسد، واللسِن البليغ ضرْبٌ من العنكبوت، والشده و... الخ.

إذنْ المشترك اللفظى: - هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين

۱- (۱) الطراز، للعلوى اليمنى، ص ۲۷۴.

فأكثر على السواء عند أهل اللغه ومن أمثلته لفظ (الحوب) الذى يُطْلق على أكثر من ثلاثين معنى منها: -

الأثم، الأخت، البنت، الحاجه، المسكنه، الهلاك، الحُزُن، الضرب، الضخم من الجِمال، رقّه فؤاد الأم، زجر الجمل، و... الخ.

وهكذا لفظ (الخال) الذى يُطلق على أخى الأم، وعلى الشامه فى الوجه، والسحاب، والبعير الضخم، والأكمَه الصغيره... الخ.

موقف الباحثين من المشترك اللفظى:

اختلف الباحثون فى مسأله ورود المشترك اللفظى فى اللغه العربيه، إذْ أنكره فريق منهم مؤوِّلاً أمثلته تأويلاً يُخرجها من بابه، كأنَّ يجعل إطلاق اللفظ فى أحد معانيه حقيقه وفى المعانى الأُخرى مجازاً، وفى طليعه هذا الفريق ابن دُرُستويه فى كتابه (شرح الفصيح).

ومقابل هذا الفريق فريق ذهب إلى كثره وروده فأورد له شواهد كثيره لا سبيل إلى الشك فيها، منهم الأصمعى، أبو عبيده و... الخ.

والحق أنَّ الاشتراك اللفظى ظاهره لغويه موجوده فى معظم لغات العالم ومن التعسف إنكار وجودها فى اللغه العربيه، وتأويل جميع أمثلتها تأويلاً يخرجها من هذا الباب.

أسبابه: أعاد الباحثون سبب الاشتراك اللفظى فى اللغه العربيه إلى عوامل عِدَّه منها:

١ - اختلاف اللهجات العربيه القديمه فمعظم ألفاظ المشترك جاء نتيجه اختلاف القبائل فى استعمالها، وعندما وضعت المعاجم ضمَّ أصحابها

المعانى المختلفه للفظ الواحد دون أنْ يعنوا نسبه كُلّ معنى إلى القبيله التى كانت تستعمله.

٢ – التطور الصوتى الـذى يطرأ على بعض أصوات اللفظ الأصـليه من حذف أو زياده أو إبدال فيصـبح هذا اللفظ متحداً مع لفظ آخر يختلـف عنـه فى المـدلول، فقـدْ طرأ مثلاـص على لفظه (النغمه) واحـده (النغم) تطـوِّر صـوتى بإبـدال الغين همزه التقـارب المخرج فقيل (النَّأْمُهُ) بمعنى النغمه، وكذلك بالنسبه إلى (جذوه) و (جثوه) و) الغَشْمُ) و (الغَشْبُ): – التعدى والظلم.

٣ – انتقـال بعض الألفـاظ من معناهـا الأصـلى إلى معانى مجازيه أُخرى لعلاقه ما، ثم الإكثار من اسـتعمالها، حتَّى يصـبح إطلاق اللفظ مجازاً فى قوه استخدامه حقيقه مثل (العين) تطلق على الباصره والجاريه وعلى أفضل الأشياء.

٤ – العوارض التصـريفيه التى تطرأ على لفظين متقاربين فى صـيغه واحـده، فينشأ عنها تعـدد فى معنى هـذهِ الصـيغه مثل (وَجِـدَ) فيقال: – وُجَدَ الشيء وجوداً أو وجداناً إذا عثر عليه، ووجد عليه موجدةً إذا غضب، ووجد به وجداً إذا تفانى فى حبه(١).

المشترک المعنوى:

اللفظان اللذان لهما معنيان ويشتركان فى معنى ثالث.

أو هو اللفظ الذى وضع مَرَّه واحده ولكنَّه يدلُّ على جهه مشتركه

١– (١) المعجم المفصل فى اللغه والأدب، ج ١، ص ١١٨.

بين أمور متعدده.

ومن هنا نستطيع أنْ نقول أنَّ دلاله الألفاظ على معانيها على عِدَّه أصعِدَه: -

الصعيد الأوَّل: انسباق المعنى الوضعى من اللفظه.

الصعيد الثانى: اللفظ مستعمل فى معانى عديده يقصد منه ذلك فهل ممكن ذلك أو لا؟ فحتى لو قلنا بعدم وجود مشترك لفظى إلّا أنَّ هناك نسق علاقه وضعيه حقيقيه مع معنى واحد، ولكنْ له علائق كثيره مع المعنى المجازى.

الصعيد الثالث: قصد المعنى التفهيمى من استعمال اللفظ فى أكثر من معنى وهذا غير المدلول الاستعمالى، فإنَّ المعنى التفهيمى من اللفظ أو الجمله يختلف عن المعنى الاستعمالى، وعليه فهل يمكن للمتكلم أنْ يستعمل المعنى الاستعمالى فى أكثر من معنى تفهيمى أو لا؟

نعم، يمكن وهذا يدلُّ على أنَّ اللفظ الواحده أو الجمله الواحده يمكن أنْ تتشعب أكثر فأكثر؛ لأنَّه فى البدايه يوجد معنى تصورى أولى، ثم إنَّ كُلّ معنى تصورى يرتبط مع معنى استعمالى متصل، ثم كُلّ معنى استعمالى يتصل بمعانى ترتبط بأغصان ثم إنَّ كُلّ غصن يرتبط بأغصان أكثر فرعيّه وهكذا.

فمثلاً نقول: - زيدٌ كثير الرماد فلفظه الرماد استعملت بالرماد وبالكثير، ولكنْ المعنى الذى يُريد أنْ يُفهْمه المتكلم للسامعين هو أنَّ زيداً كريمٌ.

وعليه: لو تمت هـذهِ القاعده تكون مصداقاً لما قال الإمام الصادق (عليه السـلام) قبل أكثر من ثلاثه عشـر قَرْناً ولم تقله المعلقات السـبع ولا سوق عكاظ الأدبى ما مضمونه: - [إنَّ الكلام يتصرف إلى سبعين وجهاً] والمراد بالسبعين كنايه عن الكثره والكاثره لا الحصر.

إذنْ الكلام ليتصـرف إلى سـبعين وجهـاً ليسَ فقـط فى هـذهِ القاعـده وإنَّما حتَّى فى القواعـد الأُخرى التى تقـدمت كقاعـده: - التعريض، والالتفـات، وإيّـاكِ أعنى واسـمعى يـا جاره - كُلُّها تبيان وبرهان لهـذه الحقيقه التى بيَّنها الأئمه (عليهم السـلام) وإلى يومنا هـذا فإنَّ العلماء والفقهاء وكبار المفسـرين و... الخ لا يقدرون على اكتشاف هذهِ الشـبكه العنكبوتيه المنظوميه التى أسّسـها وأرسـى دعائمها الأئمه (عليهم السـلام) وليسَ باسـتطاعتهم الالتفات إلى تلك التشـعبات الدقيقه التى تحتوى عليها تلك الشبكه العظيمه، صـحيحٌ إنَّ قُـدُرات الفقهـاء والمفسـرين محـدوده إلّـا أنَّ واقـع البيـان اللفظى أوسـع أفقـاً من قُـدرات البشـر المحـدوده والمحسوسه بقـدره وجود وهبوط قـدره البشـر، بخلاـف القـدره التى أودعهـا الله تعـالى فى البيان فى اَلرَّحْمنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسانَ، عَلَّمَهُ الْبَيانَ١ والتى لا يسـتطيع أنْ يغور فيها غير المعصوم من البشر إلّا على حساب قواعد منضبطه ومنهجيّه مُحكَّمه ولها أمومه مركزيه ورعـايه مِن قبل أئمه أهل البيت (عليهم السـلام)، فسابقاً كانت المـذاهب الإسـلاميه توجِّه الطعن إلى مـدرسه أهل البيت (عليهم السـلام) بأنَّها مـدرسه تأويليه باطنيه تلاعبيه فى النص الدينى، هكذا كانوا يزعمون إلى قبل خمسـين سـنه، والكتب التى صدرت من رجال الأزهر الشريف فضلاً عن طعن الوهابيّه

والسلفيه فى هذا المجال.

أمَّا الآن وقدْ أصبحت البشريّه فى عصر حضاره ثوره المعلومات فوصلت إلى هذهِ الحقيقه التى نادى بها أئمه أهل البيت (عليهم السلام) قبل أكثر من (١٣) ثلاثه عشر قَرْناً وأكَّدوا عليها من أنَّ اللسان البشرى يتفجر منه قراءات تعدديه والقراءات عصاره متبدهه فى ذهن البشر إلّا أنَّه لمْ يفهمها فى وقتها ولا زال بعضهم لمْ يَفْهم ولم يحاول أنْ يفهم، إلّا أئمه أهل البيت (عليهم السلام) ومَن شُمِلَ لرعايتهم التعليميه، ومن تلك الأمور التى أسسوها هى هذهِ القاعده الضخمه [إنَّ الكلام ليتصرف إلى سبعين وجهاً] وباستطاعه المتكلم أنْ يخرج من كُلّ هذهِ الوجوه والمخارج ليست أحاديه الطريق.

ولذا الإمام الصادق (عليه السلام) فى هذهِ القاعده بَيَّن حقيقه خفيّه على البشر طوال أربعه عشر قَرْناً والآن اكتشفوها ألا وهى التعدديه فى قراءه النص والألسنيات والتى كان يستهزأ بها مِن قِبَل المذاهب الإسلاميّه الأُخرى خاصه أصحاب الفكر السلفى الوهابى ويُعَبِّرون عنها أنَّها تلاعب فى الألفاظ، كيف يكون ذلك.

علماً أنَّ واقع الكلام وطبيعته متفجره الأبعاد مترامیه الأطراف والأركان.

فإنَّ الكلام له مخارج فى أبواب مختلفه، أمَّا أنَّ قدره البشر لا يستطيعون أنْ يُتقنوا إلّا دائره محدوده ضيّقه فذاك بحث آخر، ولا تَحْبِس طبيعه الكلام ومخارجه بهذا الفهم الضيّق والقدره الضيقه، فإنَّ هذا تجنى على طبيعه الكلام وما ينطوى عليه من حقيقه لا يُدركها إلّا خالق البيان

وهو الله تعالى المحيط بكنه الأشياء وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ١ وهم النبى وقربى النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) ومَن شَمِلته رعايتهم يُدْرِك مخارج الكلام بحسب استعداده وصفاء سريرته وتقواه و... الخ.

فإنَّ ذلك كُلَّهُ له الأثر البالغ فى فهم معانى الكلمات، فانظر إلى ما قاله القرآن الكريم وما استعمله من أسلوب رائع وجميل وعالى البيان... بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ٢ فلو رجعنا إلى تفسير الآيه نجد عِدَّه مخارج أمام النبى إبراهيم (عليه السلام) إذْ لمْ يواجههم مباشرةً ويقول لهم هذهِ أصنامٌ عبادتها باطله ولا تنفع وإنَّما استدرجهم بالكلام شيئاً فشيئاً إلى أنْ فعل فِعلاً وَوَجَّه إليهم سؤالاً استشعروا بخطأهم بأنفسهم إذنْ هكذا تلاوين الكلام وأنَّ الكلام ينصرف إلى سبعين وجهاً.

وهكذا الكلام فى قصه النبى يوسف (عليه السلام) أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ٣ أى يا أصحاب الإبل إنَّكم لسارقون، وهذا توكيد لكونهم سارقين فأكَّد يوسف (عليه السلام) بأداه التشبيه والتى تفيد التوكيد [أنَّ] وباللام وعلله الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله «ما سرقوا وما كذب يوسف» وإنَّما عنى سرقه يوسف من أبيه، ولذا قالت الآيه بعد ذلك قالُوا وَ أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ ما ذا تَفْقِدُونَ، قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِكِ وَ لِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ...۴ ولم يقولوا: - سُرِقَ صُوَاع الملك وإنَّما قالوا

«نفقِدُ صُوَاع الملك» أُنظر إلى هذهِ التلاوين والقدره على القوَّه البيانيه والبلاغيه العاليه وامتلاك القدره على صروف البيان للطرف الآخر.

فقصه يوسف (عليه السلام) وفعل أخوته به وسرقته من أبيه حصلت قبل عشرات السنين، فهذهِ التداعيات فى الكلام وتمسكهم بالإطلاق الزمانى والاعتراف بالزمن الحالى وتمسك يوسف (عليه السلام) واعتمد على قرينه تنبهوا لها وعرفوها وهى قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِكِ وَ لِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِكِ وَ لِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ قالُوا تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَ ما كُنّا سارِقِينَ قالُوا فَما جَزاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ١ ثم أخذ يوسف (عليه السلام) يستدرجهم فى الكلام شيئاً فشيئاً قالُوا جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ كَذلِكَ نَجْزِي الظّالِمِينَ٢.

فقال يوسف (عليه السلام) جزاؤه حسب ما جاء فى شريعه النبى يعقوب (عليه السلام) ولم يقل يوسف (عليه السلام) أنا أحكم بهذه القضيه ولا بأى قضيه أُخرى وقعت، وهذا الأسلوب جعل الطرف الآخر المقابل يستفيد أنَّه هو يحكم على نفسه، ومثل هذا ليسَ كيد شيطان وإنَّما تدبير إلهى فعادت المسأله إلى صروف الكلام قالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَ لَمْ يُبْدِها لَهُمْ...٣.

إلفات نظر:

تُجرى الآن بحوث دوليه وعالميه قائمه على قَدَمٍ وساق فى المعاهد التخصصيه حول نصوص القرآن، فالقرآن الكريم فيه أساليب مختلفه: -

منها: أساليب التحقيق الجنائى.

منها: أساليب الاختراق السياسى.

منها: أساليب الاختراق الأمنى. و... الخ.

والسبب فى عكوفهم على مثل هذهِ الدراسات هى امتلاك القرآن الكريم تصاريف البيان وكيفيه توسعها وتسايرها للتطور العصرى فى جميع جوانب الحياه المهمه الخطيره سواء العلميّه منها أو الصناعيّه أو الثقافيه أو السياسيه أو الأمنيّه أو الاقتصاديه أو... الخ.

ص:٥٦٧

أقسام الدلاله

ذكرنا سابقاً أنَّ دلاله الألافظ على معانيها على أصعده ثلاثه:

١ – على مستوى الوضع.

٢ – على مستوى استعمال اللفظ فى معانٍ عديده.

قصد المعنى التفهيمى من استعمال اللفظ فى أكثر من معنى.

ومن الواضع أنَّ اللفظه الواحده لها عِدَّه دلالات كالدلاله الوضعيه والدلاله التصوريه والدلاله التصديقيه والدلاله الجديه والدلاله التفهيميه والدلاله الاستعماليه و... الخ وكل هذهِ الأقسام وغيرها لها التأثير فى فهم المعنى المراد للمتكلم، ولابدَّ من معرفه ضابطه كل دلاله حتّى لا يصبح تشويش وخلط بين معانى الألفاظ ومراد المتكلم، وهى: –

الدلاله التصوريه: وهى انخطار معنى اللفظ فى الذهن بمجرد إطلاق اللفظ، وعُبر عنها بالدلاله التصوريه باعتبار أنَّ اللفظ فى موردها لا يوجب أكثر من تصور معناه فى الذهن عند أطلاقه.

الدلاله التصديقيه: ويُعبَر عنها بالدلاله الجديه وبالدلاله التصديقيه الثانيه، والمقصود من الدلاله التقصديقيه هى ظهور حال المتكلم بأنَّ ما أراد تفهيمه بكلامه مريدٌ له جداً وواقعاً.

وبعباره أُخرى: إنَّ الدلاله التصديقيه الثانيه تعنى الظهور فى التطابق بين الإراده التفهيميه الاستعماليه وبين الإراده الجديّه وأنَّ المتكلم قاصد

الحكايه عن الواقع.

ثم إنَّ الدلاله التصديقيه منوطه بأربعه أمور:

الأوَّل: علم السامع بالوضع وهى الجهه المشتركه بين الدلالات الثلاث.

الثانى: إحراز أنَّ المتكلم عاقل وملتفت وهذهِ هى الجهه المشتركه بين الداله التصديقيه الثانيه والدلاله التفهيميه.

الثالث: أنْ يكون الكلام من سنخ المركبات التامَّه.

الرابع: أنْ لا ينصب المتكلم قرينه مفصله على عدم الإراده الجديه للحكايه عن الواقع، ومع توفر هذهِ الأمور الأربعه ينعقد للكلام ظهور فى الإراده الجديه للحكايه عن الواقع.

الدلاله التصديقيه الأولى: وهى المعبر عنها بالدلاله التفهيميه وعُبِّرَ عنها بالتصديقيه؛ لأنَّها توجب إذعان السامع بإراده المتكلم المعنى من لفظه، وعُبِّرَ عنها بالأولى تمييزاً لها عن الدلاله التصديقيه الثانيه.

الدلاله التفهيميه: والمقصود منها دلاله اللفظ على إراده المتكلم تفهيم معناه من إطلاقه فالدلاله التفهيميه إذنْ تضيف معنى زائداً إلى الدلاله التصوريه وهو الدلاله على إراده المتكلم للمعنى من اللفظ فى حين أنَّ الدلاله التصوريه لا تدل على إراده المتكلم لتفهيم المعنى، ولذا فالدلاله التصوريه تحصل حتّى مع العلم بعدم إراده المتكلم كما لو كان نائماً أو كان من غير العقلاء.

الدلاله الجديّه: وهى الدلاله التصديقيه الثانيه، وهى لا تنعقد إلّا فى الجمل التركيبيه التامّه، وأمَّا الناقصه فلا تكون الدلاله معها دلاله جديه،

بـلْ تتمحض دلالتهـا بالـدلاله التصوريه والاسـتعماليه، فحتى لو كان المتكلم جاداً فى إخطار المعنى وتفهيمه للسامع فإنَّه لا يُقال عن ذلك دلاله جديه.

الـدلاله الاسـتعماليه: وهى الـدلاله التفهيميـه والـتى تعنى ظهـور حـال المتكلـم فى إراده تفهيـم المعنى مـن لفظـه، وعُـبِّرَ عنها بالاستعماليه باعتبار أنها تدلُّ على أنَّ المتكلم استعمل اللفظ لغرض إخطار معناه وتفهيمه(۱).

وبعـد هـذهِ المقـدمه التى ذكرنا فيها أقسام الدلاله تبين الفرق بين دلاله المعنى التفهيمى ودلاله المعنى الجدى، فالمتكلم لو أراد فى مراده الجـدى أنْ يَصِف زيـد بالبخـل يقول: زيـدٌ كثير المراد يعنى يسـتعمل الرمـاد فى الرماد وأراد من كلمه الرماد أنْ يُفهِم كرم زيد ولكن مراده من تفهيم كرم زيد الطعن فيه (زيد) لا المديح، ومراده الجدى هو التعريض والوقيعه بزيد.

فهنـا اختلف المعنى الاسـتعمالى عن المعنى التفهيمى وهمـا اختلفـا عن المعنى الجـدى فينبغى ملاـحظه هـذهِ التلاوين من سـطح اليسطح ومِن أُفقٍ إلى أُفق.

سؤال: هل يمكن أنْ يُراد بالمعنى التفهيمى الواحـد معانٍ جـديّه متعدده، وهنا أصـبحت قاعده اسـتعمال اللفظ فى أكثر من معنى فى مرحله أُخرى غير مرحله العلاقه بين المعنى التفهيمى والمعنى الجدى فإنَّ هذا شيءٌ آخر.

الجواب: المعنى الجـدى على طبقات، فالمثال المتقـدم فى وصف زيـد بالبخل وأنَّ المتكلم أراد الطعن بزيـد لأجل بخله، إلّا أنَّه ليسَ المراد من

۱- (۱) المُعجم الشامل، ج ۱، ص ۳۷۱، ۳۷۲.

طعن المتكلم فی زيـد ببخله هو طعن ببخل زيـد المراد يمكن أنْ يكون المتكلم أراد تكـذيب زيـد فی دعواه وهـذا مراد جـدی آخر، فليس المراد هو الطعن بالبخل وإنَّما شـیء آخر، أو يمكن أنْ يكون المراد من وصف زيـد بالبخل لأجله وقايته من الضـرر الـذی يريد أنْ يوقعه به شـخص آخر أراد أنْ ينتهك زيد مثلاً، فحينئذٍ نلاحظ أنَّ المراد الجدی قدْ تغيَّر فيقول لك الطرف لماذا ترمی زيداً بالبخل وعليك أنْ ترضيه وهكذا.

إذنْ نلاحظ الانتقالات من معنی جدی إلی آخر واختلف التصوری عن الاستعمالی عن التفهيمی.

وعليه فاسـتعمال اللفظ فی أكثر من معنی له أكثر من معنی واحـد، يعنی لها معنی لمدلول التصوری الذی يتكثر فی الاسـتعمالی، أو الاسـتعمالی يتكثر فی التفهيمی فحينئذٍ تكون عندنا عِدَّه مداليل استعماليه، ثم إنَّ لكل مدلول استعمالی إذا كان متكثر أو كان أُحـادی المـدلول الاسـتعمالی المعنی فإنَّ الاسـتعمالی يكون له عِـدَّه مـداليل أو معانی تفهيميه ثم المعانی أو المـداليل التفهيميه يكون له عِدَّه معانی أو مداليل جديه سواء كان مدلول تفهيمی واحد أو متكثر.

ثم المعنی الجدی له معانٍ متكثره، فالمعنی الجدی الأوَّل له عِدَّه مداليل جديَّه، وهكذا المعنی الجدی الثانی أيضاً له عِدَّه مداليل جديه متكثره فی الطبقه الثانيه بلْ وفی الطبقات الأُخری التاليه، وهكذا.

وحينئذٍ ينبغی الالتفات إلی أنَّ هذا كُلَّهُ علی مسـتوی التصور فيجب علينا أنْ نَلُّمَ بكامل تصوره، وبعد ذلك ندخل إنْ شاء الله فی تفاصيله وأدلته وآثاره.

وعليه ينغبى الإلمام بآليات الصعيد الأوَّل وهى: -

أولاً: وضع الألفاظ للدلاله التصوريه الذى هو مشترك لفظى.

ثانياً: ما هى آليات الدلاله على الكثره فى المعنى التصورى؟ فلابدَّ من تعيينها.

الجواب: أنَّه فى اللفظ الواحد مع وجود إوضاع منصوص عليها من قبل اللغويين فهذهِ هى آليات المعنى للمدلول التصورى.

ص:٥٧٣

بحث حول القرائن

اشاره

إنَّ نفس القرائن لو دققنا النظر فيها لها معنى تصورى أيضاً، فإنَّ نفس القرينه لو خُلِّيت تظهر ولها ظهور معين ولها معنى تصورى بغض النظر عن ذى القرينه أو انضمامها إلى ذى القرينه أو انضمامها إلى قرائن أُخرى.

إذنْ نفس القرينه لها مدلول وضعى فى نفسها بغض النظر عن انضمامها لذى القرينه أو انضمامها إلى قرائن أُخرى.

وبعباره أوضح: إنَّ القرينه إذا انضمت إلى ذى القرينه أعطت معنى من المعانى سواء كان معنى مجازياً أو غيره، وهذا معنى صحيح نسلمه، إلّا أنَّ الذى نُريد أنْ نُبينه ومحل الشاهد من [استعمال اللفظ فى أكثر من معنى] هو أنَّه لو أخذنا القرينه منفرده بغض النظر عن انضمامها إلى اللفظ الآخر وهو ذى القرينه مثلاً أو انضمامها إلى القرائن الأُخرى فربما تكون المحصله لها شاكله أُخرى مع العلم أنَّ نفس القرينه هى هى نفسها لها وضع لغوى وضعى ومدلول تصورى، والقرينه بما هى سواء كانت استعماليه أو تفهيميّه أو جديه أو... الخ لها مدلولها الوضعى والتصورى.

تنبيه:

فى بحث القرينه سواء كانت القرينه واحده أو مجموعه قرائن فإنَّ التناسب فيما بينها لا ينحصر بخصوص لفظه واحده أو لفظتين أو ثلاث، بلْ يشمل كل علمٍ من علوم اللغه والعلوم الأدبيّه العربيه كعلم النحو

والصرف والبيان والاشتقاق و... الخ فإنَّ كل علم من هذهِ العلوم وغيرها له آليات خاصه به مَن طبّقها حصل على النتائج المطلوبه وعثر على الدقائق والنكات العلميه لذلك الفن.

إذنْ هـذهِ وغيرها كُلَّها أمثله لتلون وتكثر الكلام، فالمراد من استعمال تلك الآليه ليست فى معنى واحد، فمثلاً: إعراب الضم فى علم النحو، أو تقـديم ما من حقه التأخير سواء فى النحو أو البلاغه والبيان أو التغير الحاصل فى بنيه الكلمه فى علم الصـرف أو... الـخ فإنَّ هـذهِ آليات فى علوم اللغه يمكن استعمالها فى أكثر من معنى فيمكن استعمالها فى الهيئات التامه والناقصه والمركبات و... الـخ وحينئـذٍ سوف نلتفت إلى أننـا وقفنـا وانفتحنـا على أُفِق لا محـدود وفيها آليات وقواعـد ودوال لا تُحْصَى فمثلاً فى علم النحو قدْ تكون فى الجمله الواحده عِدَّه أعاريب وعِدَّه قواعد واشتقاقات وهيئات مختلفه فكيف تُسْتَخدَم؟

هـذا وغيره كُلَّهُ دليـل على جواز استعمال اللفظه الواحـده فى أكثر من معنى فـإنَّه يجوز أنْ نسـتعمل كل لفظه أو هيئه أو داله أو حركه فى أكثر من معنى.

وعليه لو أردنا استقصاء المناسبات بين هذهِ الدوال مع تعدد محتملات المعانى فيها فحينئذٍ سوف نقف على كنز كبير من الدوال اللفظيه.

ولرب سائل يسأل: كيف نجعل معنى تصورى لقرائن المدلول الجدى والتفهيمى؟

الجواب: إنَّما صار المعنى التصورى حتّى للمـدلول الجدى والتفهيمى وذلك لو أخذناالمثال الذى تقدم وهو: - زيدٌ كثير الرماد، فإنَّ المدلول

الاستعمالی لکثره الرماد المراد منه بیان وإثبات صفه أو حاله الکرم لزید - والتعبیر بالصفه کنایه عن ثبوت هذهِ الصفه، والحاله کنایه عن عدم ثوبتها - وربما یکون المراد الجدی من تفهیم کرم زید هو بخل زید أی الطعن والوقیعه به، فإنَّک تصف زیداً بصفه الکرم من باب وصف الأشیاء بأضدادها، نعم أنت قلت زید کثیر الرماد ولازمه إثبات الکرم لزید إلّا أنَّ المتکلم یرید أنْ یثبت صفه البخل لزید. وهنا قدْ تغایر المدلول الجدی عن التفهیمی عن الاستعمالی.

وعلیه کیف یکون لقرینه المراد الجدی یعنی - بخل زید - معنی تصوری،؟

من الواضح أنَّ نفس القرینه لها مدلول تصوری وبسبب هذا المدلول التصوری إذا انضمنت إلی مدلول استعمالی بلفظه أُخری أو مدلول تفهیمی بلفظه اخری نستنتج من المجموع معنی جدی معین أو معنی تفهیمی معین، یعنی إنَّ القرینه التی هی تکون قرینه قرینیتها بمدلولها التصوری الذی ینضم إلی مدول تصوری بلفظه أُخری سوف یعطینا معنی استعمالی معین، أو انضمام المعنی التصوری لهذه القرینه أی هذهِ اللفظه الثانیه تنضم إلی المعنی التفهیمی بلفظه فیعطینا معنی استعمالی، معنی تفهیمی آخر یعطینا معنی جدی آخر وهکذا.

لأجل أنْ یتمُّ نصاب کیان القرینه لابدَّ فی القرینه من الضمیمه اللفظیه وهی اللفظ الثانی لابدَّ وأنْ یُحَرِرَ ویُنقِح مدلوله التصوری الوضعی وإلّا لا یتمُّ نصاب کیان القرینه.

وهل انتهت المراحل والطبقات بهذا البیان؟ کلا لیست مرحله

المدلول التصورى والاستعمالى والتفهيمى والجدى ليسَ فقط فى ذى القرينه بلْ هى أيضاً بنفس المنوال تبحث حتّى فى القرينه يعنى ربما قرينه من القرائن لا يكون مدلولها التصورى قرينه ومدلولها الاستعمالى قرينه فى اللفظه الثانيه، وأيضاً هذهِ القرينه التى فى اللفظه الثانيه ربما يكون مدلولها الاستعمالى قرينه وربما يكون مدلولها التفهيمى قرينه، وربما يكون مدلولها الجدى قرينه.

هذا إذا كان الحال يقف عند قرينه واحده ولفظه ثانيه فما بالك إذا تعددت القرائن والألفاظ أى أنَّ هذهِ اللفظه الأولى يرتبط معها الفاظ متعدده فتعال واحسب حينئذٍ نسب المعادلات والمداليل التصوريه والاستعماليه والتفهيميه والجديه و... الخ وكل قرينه بأى درجه من معناها تدخل وتشارك فى إيصال المعنى وتوضيحه.

وعليه فعالم القرائن نسيج متشعب إلى ما شاء الله تعالى، وما ذكره علماء النحو والصرف والبلاغه كنموذج وليسَ حصراً استقصائياً وإلّا إذا أراد الباحث والمُفَسِّر الملتفت أنْ يتشعب ويبحث ويُدقق يرى أنْ واقع حال الكلام ذو شبكه آفاقيه وسيعه المدى، يبقى الاستنتاج الصحيح راجع إلى أعمال مهاره المُفَسِّر والباحث فى هذا الجانب.

هذا كُلَّهُ ولا زال الكلام فى القسم الأوَّل من أقسام دلاله اللفظ على المعنى وهو: - استعمال اللفظ فى المعنى الواحد - لأنَّه هناك شبكه مترامیه الأطراف ومتعاقبه ومتمدده إلى آفاق وسيعه بسحب التقيد الحركى لقواعد البلاغه والنحو والصرف واللغه، حتّى لو أردنا أنْ نتحرك تحركاً جمودياً نرى أنْ لها تطبيقات مترامیه متلاحقه ومتناسجه ومتناسبه إلى آفاق وسيعه

جداً ولها نوافذ عديده، وهذا المقدار فى توسع وأنَّ الكلام ليتصرف على وجوه للمتكلم من كل منها المتكلم الماهر والملتفت يستطيع الخروج وكل هذهِ التخاريج ينفذ على بعضها البعض.

لو أردنا أنْ نرتب برنامجاً لموسوعه فى الأدب العربى بعد استخراج قواعد عديده: -

منها: النحو والصرف والبلاغه واللغه والعروض والاشتقاق وفقه اللغه وهناك قواعد عديده إلى ما شاء الله يعجز الحاسوب الآلى عن عدَّها وإحصائها هذا كُلَّهُ فى استعمال اللفظ فى معنى واحد وهذهِ الاحتمالات غير المتوقّفه عند حدٍّ معين فما بالك فى استعمال اللفظ فى أكثر من معنى. فإنَّ القاعده سوف تتسع وتتعدد وتتكثر، وهذا كُلَّهُ قبل الدخول فى بيان وذكر أدله القاعده وتلمس شواهدها.

الخلاصه: إنَّ الكلام ليسَ فقط فى استعمال لفظه واحده أو آحاد الألفاظ، فتاره عندنا استعمال لفظه القرينه وهو غير ذيلها فإذا وجدت عِدَّه قرائن منضم بعهضا إلى الآخر استعمال وليسَ كلامنا فى هذا فقط بلْ الكلام فى استعمال هيئه الجمل والهيئات التامه للجمل بلْ الهيئات الناقصه للجمل مثل جمله المضاف والمضاف إليه، وإنْ كانت هيئه هيئه ناقصه مع ذلك يدخل فى محل الكلام وغيره من الهيئات الناقصه، وكذا الكلام يقع ويشمل الجمله الخبريه وإنْ كانت تستعمل هذهِ الجمله فى الإخبار والإنشاء معاً فى استعمال واحد.

والكلام فى استعمال اللفظ فى أكثر من معنى لا يقتصر على اللفظ أيضاً وإنَّما يندرج فيه استعمال الهيئه التى هى ليست شيئاً ملفوظاً بذاتها

بالتبع.

الخلاـصه: كما مَرَّ أنَّه لا يقتصـر فى قاعـده اسـتعمال اللفظ فى أكثر من معنى على فقط الجمله التامه والجمله الناقصه ولا يختص بلفظه أو لفظتين أو ألفـاظ مُعينه كلاـ بلْ المراد حتّى الهيئات والتركيب ولا يقتصـر فى التركيب على التركيب الناقص فحسب بلْ التركيب التام والناقص بلْ يتعـدى إلى عِدَّه تركيبات تامه تتراكب وتترابط فيما بين بعضـها والبعض الآخر كترابط جواب الشـرط مع جمله الشرط والأداه التى تربط بينهما. وكذا هيئه المشتق المراد بها صفه مشبهه أو المراد بها صفه المبالغه أو المراد بها مصدر مشترك فى الهيئه مثـل (مَفْعَـل) فإنَّهـا صالحه لأنْ تكون هيئه مصـدر، ممكن هيئه صـفه مشـبهه، صـيغه مبالغه، تصـريف المكان وتصـريف الزمـان علمـاً أنَّهـا لفظه واحـده وهيئه اشـتقاقيه واحـده صـالحه للاسـتعمال فى أكثر من معنى فلو جمعنـا الاحتمالاـت المتصوره فى المقـام لاـ يسـتطيع أحـد أنْ يقول أنَّها تقف عنـد عـدد مُعيّن؛ ولـذا عنـدما قال المعصوم لا يعرف القرآن ومخارج كلماته الحمّاله لوجوه إلّا مَن خُوطب به فهذا يشـير إلى أنَّ هناك برنامج إلهى فيه دفأ صورى مبهج وفيه أسـرار إلهيه لا يسـتطيع عادى الناس أنْ يكتشفها وإنْ استطاع أنْ يكتشف الشىء البسيط منها.

فتعـال وانظر الفرق بين حركه الإعراب وبين المعنى الوضـعى للفظه وبين التركيب الناقص وتركيب التام وبين القرائن كم احتمال فيها؟ فإنَّ نسـبه الاحتمال فى الرياضـيات تستخرج من جمله واحده مئات الآلاف من الاحتمالات إنْ لم نكن مبالغين، فإنَّ الكلام ليتصرف على وجوه إلى سبعين وجه كنايه عن الكثره الكاثره وعليه فألفاظ أدله أى مسأله علميه سواء

فى علم التفسير أو أى علم آخر الفائده من هذهِ الأدله ليسَ إثبات للمسأله فقط وتطبيق لها فى فائده معينه فقط وإنَّما تفيد تصور عن المسأله بشكل أوسع أفقاً فنتخيل أنَّ التصور أثمن من التصديق وإنْ كان التصديق نعم الثمره ولكن أى تصديق أفضل من التصور فالتصديق الذى يوصلنا إلى التصوِّر البيِّن هو أحكم إحكاماً وثباتاً من التصديق المبهم.

إذنْ الأدلَّه التى ينظر إليها فى دور تبيانى ستكون أكثر كفاءه من تلك الأدله التى ينظر إليها إلى أنَّها لها دور إسفافى إذعانى مجملٌ مبهمٌ.

ص:٥٨١

الأدله على إثبات قاعده

استعمال اللفظ فى أكثر من معنى

الدليل الأوَّل: أحد الأدله على صعيد الإمكان العقلى هو: قُدره المتكلم والسامع إذا افترضنا فى أصل فرض محل البحث: - باعتبار أنَّ الكلام له دوال عديده وهذهِ الدوال يمكن أنْ يكون لها رباط مع دلالات عديده كثيره فحينئذٍ تقول: - لا مانع من أنْ تستعمل هذهِ الدلالات للدلاله على معانى عديده واستثمار طاقات الدوال سواء دوال لفظيه أو داله إعراب أو داله اشتقاق أو... الخ.

اعتُرض عليه: حاول البعض إثاره مانع عن طريق تصوير رأى ثبوتى، وحاصله: -

إنَّ اللفظ مرآهٌ والمرآه لا يمكن أنْ تستوعب عِدَّه صور، حتّى أنَّ بعض الذين قالوا بالامتناع - أى امتناع دلاله اللفظه الواحده على أكثر من معنى - يجب أنْ يكون المدعى لذلك سليم العقل وإلّا لا يمكن أنْ يُبصر باللفظ عِدَّه معانى فكيف يمكن ذلك؟.

الجواب: إنَّ مراحل دلاله اللفظ على أكثر من معنى ابتداءاً من الدلاله التصوريه كما الدلاله التفهيميه إلى التصديقيه إلى الجديه... الخ أشبه ما تكون بشاشه عرض تلفزيونى التى تُقَطعُ الشاشه الواحده إلى صورتين أو أربعه أو سته أو ثمان أو... الخ عن مناطق مستقله مختلفه عن بعض البعض تماماً، وهذهِ الصور مُقطعه ومندمجه ومُدمجه وممزوجه لا مانع من

ذلك، هذا مضافاً إلى أنَّه مَن قال: - إلى أنَّه لابدَّ أنْ تكون شاشه تلفزيونيه مرآةً تستوعب المعنى بكله فإنَّ ذلك ليسَ بالضروره فإنَّ ذلك ممكن وليسَ فيه أى استحاله، وهناك أمثله أُخرى.

وهكذا بالنسبه للانتقال من تصور إلى تصور ثانٍ وثالثٍ ورابعٍ وخامس و... الخ ونفس هذا التصور ليسَ اعتباطاً وإنَّما فيه مسؤوليه لأنك فى انتقالك من تصور إلى آخر لابدَّ أنْ تكونه ملتفتاً إلى الاختلاف فى الاستعمال وخطابك لجهات عديده، وهذا يتطلب منك أنْ تُحشِّد عِدَّه معانى استعماليه هى تفترق فى نفسها عن بعضها البعض الآخر، ولا مانع فى أنْ تلتقى فى زمان واحد، أو انتقالات الذهن فى المعانى التفهيميه المتكثره بعضها مع البعض الآخر فى زمن قصير جداً يكون التعامل مع أجزاء الثانيه أو الثالثه أو الرابعه و... الخ وهكذا بعض الصور الفوتوغرفيه هى صورٌ مُدمجه فى صوره واحده بلا فاصل أو لون أو... الخ وتزاحم صور مستقله عن بعضها البعض بحيث تستطيع أنْ ترتبها على ذى الصوره، فتستطيع أنْ تُفرِز الصوره الأصليه ومِن ثَمَّ تُفَرِّع عنها صور متعدده إلى ما لا نهايه مع اختلاف الألوان.

إذنْ اختلاف الترتيب متصور فى عالم الماده.

وعليه فتصور ألوان عديده فى مسأله تصور معانى مستقله عديده متغيره عن بعضها البعض ليسَ على وتيره واحده.

ملخص الدليل الأوَّل: إنَّ الإمكانيه موجوده فى أنْ تكون هناك دوال متفرعه عن داله واحده، وهذهِ الدوال لها ارتباط مع تلك كل ذلك ممكن بالإمكان العقلى، وما أثير من إشكالات لعلَّ بعضها لفظى كُلَّها مدفوعه

بالحس التصورى.

إذنْ المسأله بحسب عالم الإمكان ممكنه ولا مشكله فيها.

الدليل الثانى: عالم الوقوع دليل على استعمال اللفظ فى أكثر من معنى، بدءاً بالمحاورات البيانيه بين الطرفين وتلاوين الكلام، إلى باب ما يُضرب به المثل، وباب الألغاز والأحجيه فلو أراد المتكلم أنْ يختبر السامعين والمخاطبين فيأتى متعمداً بألفاظ متشابهه ويوهم معانيها لدى السامعين بصوره مشتبهه ويريد المتكلم من السامعين التسابق والتبادر إلى إدراك النتيجه كى يصل السامع إلى الحقيقه ويكون المخاطب على صعيد المعنى الاستعمالى والتصورى والتفهيمى حاصلاً - المخاطب - على أكبر عدد معين من المعانى، فمثلاً على صعيد المراد الجدى المتوخّد مراد ومطلوب فى باب الألغاز، بخلافه على صعيد المراد التصورى والاستعمالى والتفهيمى فهى متكثره ويحاول المتكلم أنْ يوجد ويوقع فى ذهن السامع عدّه مفاهيم تفهيميه وعدّه معانى تفهيميه وعدّه معانى استعماليه وعدّه معانى تصوريه كى يرتبك على السامع الواقع فى المعنى الجدى، ومن الخطأ والاشتباه إبراز المتكلم تفهيم السامع بلحاظ ومن صلب إراده يوجب ويُفهم السامع عدّه مفاهيم.

المراد الجدى واحد وأمَّا المعنى الاستعمالى فهو كثير فهذا واقع بعد إمكانه.

وتعالوا بنا إلى ما هو أكثر وقوعاً. وذلك فى مثل باب التوريه وباب الكنايات ومع الأسف أنَّ الذى يستخدم هذين البابين البلاغيين البيانيين لم يُراع العطايا السريّه سواء على كل طبقات البشر من شرائح مختلفه وكل

شريحه أو كـل فرد له أسـلوبه الخـاص فى إخفـاء الـدلاله فتكون إخفاء الـدلاله بأشـكال وأساليب مختلفه وهو ما يُعبر عنه بالعلم الأمنى فى فن التحاور والحوار الكلامى وهو - العلم الأمنى - علم قائم برأسه يُـدرس فى الأكاديميات فى مثل علم الإعلام وعلم السياسيه وعلوم متعـدده استراتيجيه فـإنَّ العلم الأـمنى يُبحث فيه كيفيه التوصـل إلى حزام أمنى من خلالـ نفس الحوار الكلامى بحيث لو اطلع أحـدٌ على هـذهِ الرساله أو الكتاب التى كتبها صاحبُ الفكره الأمنيه المعينه والـذى يريد بها أمر معين لا يطلع عليه غيره أو يَطلَّع عليه شـخص أو مخاطب به فئه دون فئه... ولو اطلَّع الغير لا يلتفت إلى المراد الأصلى لصاحب الكتاب وكأنَّ فيه من الكنايات والألغاز والأحجيات ما شاء الله فحينئـذٍ إذا كان أى ذلك الغير طرفاً فى قضـيه وجاءه كتاب بهكذا مواصـفات فإنَّه حتّى لو يُمهره أو يوقعه أى يُمضـيه فـإنَّه سوف ينطلى عليه ذلـك الحزام الأـمنى الـذى اسـتعمله صـاحب الكتاب وغلَّف كتابته بنكت علميه وفنيه وصـناعيه ربمـا لاـ يلتفت إليهـا حتّى لو كـان المخاطب منتبهاً ويقظاً إلّا مَن عصـمه الله مثلاً كما فى الآيه المباركه فى كلاـم إبراهيم قالُوا مَنْ فَعَلَ هـذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمِينَ١ ثم قـالت الآـيه قالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هـذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ * قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ٢.

بتقريب: تقـدم أنَّهم قالوا مَن الـذى صـنع هذا الصـنيع بأربابنا فإنَّه ظالم لنفسه لأنَّه سـيُقتل وظالم لنا ولأصـنامنا - ومَن اسـتفهاميه، وقيل (موصوله) والترجيح للاستفهام، وعندما سئل إبراهيم (عليه السلام) هل أنت كسرت أصنامنا

يا إبراهيم (عليه السلام) فعلَّق إبراهيم (عليه السلام) فعله بالأصنام على نطق عظيمها فى نظرهم، والذى كان قد أبقى عليه وبذلك أعجزهم وبكّتهم لأنَّ الجمادات لا تنطق ولا تجيب، وأراد إبراهيم (عليه السلام) أنْ يوصلهم إلى هذا الجواب ويشعرهم بخطأهم مع احتراز أمنى فى كلامهم وأنء لا يكتشفوا أنَّه (عليه السلام) هو الذى كسر الاصنام وأراد أنْ يُفهمهم أنَّه مَن كان هذا شأنه بحيث لا يسمع خطاباً ولا يعقل ولا يجيب جواباً بلْ لا يقدر على شىء، فكيف يجوز أنْ يكون ربّاً ويحتل هذهِ المرتبه من الألوهيه؟ وكيف يجوز للإنسان الذى هو أشرف المخلوقات أنْ يخضع له ويتذلل، وأمَّا فى حاله ادعائهم أنَّ الأصنام تنطق وتُجيب فسوف يفضحهم واقعاً ويكذبهم حالها حين يسألونها فلا ترد، ولذا لم يجدوا بُداً من الاعتراف بالحقيقه إضافه إلى ضلالهم وقلّه عقلهم(۱).

ولذا دور أغلب الكنايات فى المعنى التصورى والمعنى الاستعمالى دور فاعل ومهم جداً ومن هنا ينشأ سؤال: -

ما هو الفرق بين الكنايه والمجاز فى علم البيان من علم البلاغه؟

الجواب: إنَّ الفرق الفاصل بينهما - بعد وضوح أنَّ باب الكنايه أوسع من باب المجاز - أنَّه فى باب الكنايه يمكن أنْ يتأتى المعنى الحقيقى والمعنى غير الحقيقى فى استعمال لفظ واحد. وإنْ كان البلاغيون احتملوا ذلك إلّا أنَّ المسأله ليست احتماليه فقط بلْ هى واقعه بأنْ يستعمل اللفظ فى المعنى الحقيقى ويستعمل كذلك فى معنى آخر بخلاف المجاز: - استعمال الشىء فى غير ما وضع له.

۱- (۱) تفسير إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، الشيخ محمد رضا السبزوارى النجفى.

ثم أنَّ الكنايه على أقسام: - كنايه على صعيد استعمالى، وعلى صعيد تفهيمى، و... فضلاً عن ترامى الكنايات معناه تعدد أصل باب الكنايه، لأنَّ الكنايه معناها: [تغطيه شىء بشىء وكنّاه معناه أخفاه]: - التعدديه لابدَّ أنْ تكون مطلوبه ولكن المتكلم قدْ يقع فى جمهره تراكم عدّه احتمالات ومعانى، فكلما كشف المتكلم استاراً وجدوراً واللباس المتعدد يقى كتاب آخر ذو جدر حصينه هذا فى باب الكنايه.

ص:۵۸۸

الشرائط المعتبره فی قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی

اشاره

لأجل الاستفاده من هذهِ القاعده هناک جمله من الشروط المعتبره فیها: -

الشرط الأوَّل: جریان قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی فی أغلب العلوم إذا بُلوِّرت هذهِ القاعده سواء فی علم النحو أو الصرف أو الاشتقاق أو البلاغه أو الأصول أو التفسیر أو الفقه أو الحدیث أو الرجال أو الکلام أو المعارف والفنون بصوره عامّه.

إذنْ شرط هذهِ القاعده الأساس والمهم هو أنْ تکون هذهِ القاعده علی الموازین والقواعد الصحیحه فی کل علم بحسب أبوابه التی یمکن الدخول إلیها والخوض بها مهما أمکن.

والمهم أنْ تطبق هذهِ القاعده علی وفق قواعد وضوابط معترف بها فی العلوم اللغویه ولا کلام لنا فی تطبیق وجریان القواعد الاتفاقیه بین العلوم کعلوم اللغه وعلوم الأدب وإنَّما الکلام کل الکلام فی تطبیق هذهِ القاعده فی القواعد الخلافیه التی تصبح وفاقیه ببرکه هذا التطبیق الواسع لهذه القاعده.

فمثلاً بحسب قواعد علم العَرُوض أو علم الصوت أو علم الاشتقاق إنَّ هذا الصوت مثلاً یمکن حَمْلُه أو انطباقه علی عِدَّه ألفاظ وکُلُّ قواعد تلک الألفاظ منضبطه فهنا یؤخذ بتلک القواعد فی تطبیق القاعده

التی هی محل کلامنا، أو هـذهِ اللفظه المعینه وضـعت لعـده معانی یؤخـذ بها ولیست هناک قرینه صارفه عن أحـد هذهِ المعانی، فـإنَّ کـل من تلـک المعـانی متـأتیه ویؤخـذ بهـا سواء فی قواعـد علم النحو وکیفیه الإعراب وترکیب الجمله، أو فی قواعـد علم الصـرف أو علم البلاغه أو بـاقی العلوم الأُخری، رُغم أنَّ قواعـدها مختلفه ومتعـدده ومع ذلـک یؤخـذ بهـا ولها موارد وضوابط تطبیقیه مـا ذاک إلّا لأجل أنَّ البحث فی هـذهِ القاعـده - أعنی اسـتعمال اللفظ فی أکثر من معنی - مبتنٍ علی أساسِ عـدم امتناع إراده المتعـدد فی عرض واحـد بـدءاً من المعنی والمـدلول التصوری إلی الاسـتعمالی إلی التفهیمی فی لسان واحد، والبناء علی هـذهِ القاعـده یُحدِث فجوهً لیسَ فقط بین المسار الموجود علیه المفسـرین وبین منهج أمومه المحکمات فحسب، بلْ یوجد فجوه بین البناء والمسار الـذی علیه منهـج کافه العلوم الإسـلامیه، لأنَّ تلک المناهـج قائمه علی لغه أُحادیه المعنی ووحدانیه المراد فی لسان واحد ما عکس ما هو المختار من المنهج التفسیری لأمومه الولایه للمحکمات فضلاً عن المتشابهات.

ولا یخفی أهمیه علم التفسیر واعتباره هو المصـدر لعلوم إسـلامیه عدیـده فی المعرفه الـدینیه فالبحث فی هـذا المنهج التفسـیری للقرآن وهو منهـج أمومه الولایه للمحکمـات فضـلاً عن المتشابهات قائمٌ فی علم الکلام والفقه وآیات الأحکام، وعلم الأخلاق فی الآداب والسُنن الإلهیه وفی علوم إسـلامیه متعدده تسـتقی من القرآن منبعاً تفسـیریاً، ویأتی ما تقدم ذکره من أنَّ هذا التفسـیر الـذی یُسـتقی من الآیات والسور علی رأی باقی المناهج التفسـیریه لابدَّ أنْ یکون المعنی أُحادیاً خلاف منهج أمومه الولایه علی المحکمات فضلاً عن المتشابهات من أنْ یُستقی علوم عدیده کالنحو

والصرف والبلاغه والاشتقاق واللغه والعَروض و... الخ من تفسير الآيات المباركه إلّا أنَّه ضمن الضوابط التى تقدمت، وكماتقدم، من أنَّ المراد من الوحده فى منهج أمومه المحكمات ليست وحده المعنى أو الموضوع وإنَّما وحده نظام وتفاعل وانسجام بين المعانى.

نتائج القاعده على ضوء الشرط الأوَّل:

النتيجه الأولى: تنبيه هام

من خلال دراسه وبحث قاعده - استعمال اللفظ فى أكثر من معنى - اتضح أنَّ بعض العلوم مثلاً- كعلم النحو فإنَّ علماء النحو وللأسف تبيَّن أنَّهم لم يخوضوا فى هذا الباب بالشكل الذى يُعطى للقاعده حقّها، عكس ما نشاهده من دلائل فى منهج تفسير أمومه الولايه للمحكمات فضلاً عن المتشابهات فإنَّها مُشيَّده وقائمه على قدم وساق فى تفصيل واستعمال هذهِ القاعده بأوسع وأعمق معانيها، فمثلاً يستعمل منهج أمومه الولايه على المحكمات مشتقةً ما فى لفظه معينه يستخدمها كمصدر ميمى أو مصدر صناعى أو اسم مكان أو اسم زمان أو اسم آله أو صفه مشبهه أو... الخ ويحاول منهج أمومه الولايه للمحكمات فضلاً عن المتشابهات تفعيل أكبر عدد من الاحتمالات التى تسع تحملها هذهِ اللفظه وهذهِ الصيغه.

وهكذا ينجر الكلام إلى علم الفقه وتفعيل هذهِ القاعده فى مباحث الألفاظ خاصه وكذا مبحث الأوامر والنواهى و... الخ فمثلاً لفظه واحده مثل [تطوف] جمله فعليه تدل على الإخبار، ونفس الجمله يمكن تضمينها معنى الأمر فتصبح داله على الأمر والإلزام ما عدا الشيخ أحمد النراقى (قدس سرّه)

صاحب مستند الشيعه الذى لا يذهب إلى استفاده اللزوم من الجمله الخبريه خلافاً لأكثر الفقهاء فحينئذٍ قدْ تكون جمله معينه سبكها جمله فعليه تعطى الخبريه معنى، وسبكها جمله أسميه تعطى معنى آخر.

النتيجه الثانيه:

وهكذا فى مباحث علم النحو فى مبحث تقديم ما من حقّه التأخير يفيد الاختصاص مثلاً فله معنى ونفس اللفظه إذا أخرتها فأدت معنى آخر كما فى [نعبدك] فالكاف مفعول به، وإذا قدمتها انفصلت وصارت [إياك نعبد] فصار معناه شىء آخر وهو الحصر أى حصر وقصر العبوديه لله تعالى.

وهكذا علم البيان يمكن أنْ تكون من جمله واحده صوره كنائيه أو صوره مجازيه أو مجاز تمثيلى أو مجاز استعارى... الخ.

وهكذا يمكن أنْ تكون هذهِ الجمله يستفاد منها استعاره تفهيميه أو تخييليه أو تمثيليه أو... الخ فيمكن أنْ يستفاد منها استعارات متعدده ذات وجوه مع ضم قرائن مختلفه تتلائم والمعنى المراد فى مختلف هذهِ التلاوين، وهكذا الآيات القرآنيه فأنَّها حمّاله لوجوه، وهذا التوسِّع فى هذهِ القاعده أى استعمال اللفظه الواحده فى أكثر من معنى بعد البناء على تشييدها وبناءها فحينئذٍ تكون لكل مقطوعه لفظيه من الآيات الكريمه أو هذهِ المقطوعه اللفظيه على صعيد الدلاله التصوريه عدّه مفاهيم وعلى صعيد الدلاله الاستعماليه عدّه معانى وتركيبات ومفادات، وعلى صعيد الدلاله التفهيميه عدّه معانى وعدّه دلالات، وكذا على صعيد الدلاله الجديه أيضاً عدّه معانى وطبقات نكتشفها بحدود القدره البشريه، ويمكن اعتبار هذا كنتيجه ثانيه

مستفاده من هذهِ القاعده.

والخلاصه من كل هذا فإنَّ النتائج المترتبه على هذهِ القاعده على ضوء الشرط الأوَّل:

النتيجه الأولى: إنَّ قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى منفتحه على أفق وسيع جداً فيه درجات وتفرعات إلى ما شاء الله.

النتيجه الثانيه: إنَّ كل هذهِ التفرعات والطبقات والنتائج للدلاله تكون حجه ولكن حجه بالشرائط الثلاثه الآتيه.

إذنْ هذهِ نتيجه الشرط الأوَّل لهذه القاعده المباركه ولأجل الاستفاده منها ولا ندعى أنَّه لا يرد عليها أىُّ سهم من سهام الاعتراضات، وإنَّما مهما أمكن أنْ نقلل ذلك بالبيان المتقدم وتطبيق هذهِ القاعده على ضوء منهج تفسير أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات فإنَّه يُقلِّل من المخاطر التى تهدد الحقيقه وهذا المنهج يستطيع أنْ ينفتح على الحقيقه بأوسع ما يمكن خلافاً للمناهج التفسيريه الأُخرى التى هى نافذه ضيقه تفتح الأواب بقدر الوسع البشرى.

شرائط حجيه التفرعات والنتائج

المترتبه على قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى

بعدما تقدم الشرط الأوَّل والنتائج المترتبه عليه، أيضاً هناك شرائط ثلاثه لأجل حجيه كل تلك الطبقات والتفرعات والنتائج المترتبه على هذهِ القاعده وهى:

الشرط الأوَّل: تقدم أنَّ هذا البناء للظهور مبنى على ميزان صحيح فى قواعد العلوم العربيه - يعنى موازين وأدله ولو مأثوره عن العرب على خلاف القياس كما يقولون - فى أى علم من العلوم، وكذا تقدم أنَّ باب استعمال اللفظ فى أكثر من معنى فى منهج تفسير أمومه الولايه على المحكمات مفتوحٌ على مصراعيه ولكن بشروط: بأنْ يكون حسب القواعد والموازين العلميّه الصحيحه وليسَ منهجنا فى تفسير أمومه الولايه لمحكمات الكتاب فضلاً عن متشابهاته كباقى التفاسير الأُخرى بأنْ يأخذ تفسير الآيه من بُعد أحادى النقل كالبعد الأدبى أو اللغوى أو النحوى، وينقل فيه المُفَسِّر بلا قيدٍ أو ضابطه إلّا الضابطه التى أشرنا إليها وهى أنَّ هذا من قواعد الأدب اللغوى أو النحوى أو البلاغى أو الصرفى أو الاشتقاقى أو... الخ.

الشرط الثانى: أنْ لا يُفند هذا الاحتمال الذى يُحتمله فى الآيه المباركه دال لفظى آخر، بأنْ يقطع الطريق أمام نفوذ هذا الاحتمال، وإنْ كان هو على الموازين إلّا أنَّه لا ينسجم مع مجموعه الدوال فى الجمله الواحده أو فى

الآیه الواحده بأنْ ینسجم فی أبعاض الآیه أو أبعاض السوره، فإذا حدَثَ هکذا تنافی أو تهافت عند احتمال هکذا محتمل فی استعمال اللفظه الواحده فآنذاک نرفع الید عن هکذا احتمال، مع بقاء الهیمنه والحاکمیه للولایه علی محکمات القرآن فضلاً عن متشابهاته باعتبار المحکمات کما تقدم لها طبقات وبالتالی فإنَّ استعمال اللفظ فی أکثر من معنی صحیحٌ وأنَّه باب مفتوح إلّا أنَّه یجب أنْ یصح هذا الاستعمال - کما مَرَّ - وفق موازین علوم اللغه مع لابدَّیه الانسجام مع الآیه.

وخلاصه الشرط الثانی تبتنی علی الترکیز علی أنْ لا یکون هناک تضارب فی المعنی المستفاد من تطبیق الآیه القرآنیه عند تطبیق قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی، وإذا وُجِدَ تضارب نتیجه التطبیق لهذه القاعده فهذا دلیل واضح علی عدم إراده کل المعانی، وإنَّما بعضها الذی ینسجم ویتوافق مع دلاله اللفظه الواحده؛ لأنَّ القرآن الکریم لیسَ بین آیاته تضارب لأنَّه وحی منزل من الواحد الأحد.

نعم، هناک وحده لآیات وسور القرآن الکریم فی منهج أمومه الولایه علی المحکمات إلّا أنَّ معنی الوحده لیست الواحدیه والأحدیه، بلْ المراد من الوحده فی منهج أمومه الولایه للمحکمات فضلاً عن المتشابهات هی الانسجام والتناسق المنظومی فی نظام هیکله الأمومه المرکزیه.

أمَّا أنَّ بعض المناهج التفسیریه الأُخری عندها معنی آخر للوحده التی یریدها الله تعالی فی القرآن الکریم فذاک بحث آخر، بأنْ یُراد من الوحده وحده المعنی ووحده الموضوع فی التفسیر الموضوعی بخلاف معنی الوحده فی منهج أمومه المحکمات فإنَّه لیسَ المراد من الوحده وحده

معنى فحسب أو وحده نسق أو وحده هدف أو وحده مسار أو وحده أعلى وأوسع وأخطر أُفُقاً فهى أعقد من وحده المعنى ووحده الموضوع فى التفسير الموضوعى، وهذا نظير ما يُعبر عنه فى علم الفلك عن وجود وحده فى المنظومه الشمسيه فليس المقصود بها وحده معنى أو وحده موضوع أو وحده وجود أو... الخ وإنَّما المراد من الوحده هى تناسق وانسجام وتفاعل أى تأثر وارتباط بين المنظومات الشمسيه ووحده مجرّات.

وعليه فالفرق شاسع بين المنهجين منهج أمومه المحكمات المدار عنده على وحده المحور ووحده المركز وليسَ فقط عباره عن منظومه وسلسله مترابطه فإنَّ هذا لوحده لا يكفل وحده المنظومه والنظام، وبالتالى فإنَّ وحده المركز أيضاً لابدَّ منها؛ لأنَّها هى التى توجِد تماسك فى الأطراف وعليه فإنَّ وحده المنظومه هى بوحده المركز والمحور.

إذنْ وحده النظام أيضاً تحتاج إلى نظام يُوِّحدها ويُنظمها، وإنْ كانت وحده النظام تختلف عن وحده المعنى ووحده الموضوع، والنظام الذى يوجد وحده النظام هو المركز ومِن ثم الولايه أى ولايه الله وولايه الرسول (صلى الله عليه و آله) فإنَّ ولايه الرسول (صلى الله عليه و آله) الناظم لها هو ولايه الله تعالى، والناظم لولايه الأئمه الأثنى عشر (عليهم السلام) هو ولايه الله تعالى وولايه الرسول (صلى الله عليه و آله)، والناظم للمحكمات ومحورها الموحِّد لها هى ولايه الله والرسول والعتره الطاهره، ثم إنَّ المحكمات كما تقدم على شكل طبقات وكل طبقه أعلى ناظمه للطبقه التى تحتها وهكذا.

الشرط الثالث: أنْ لا يُخالِف هذا الاحتمال فى قاعده استعمال اللفظ

فی أکثر من معنی محور مرکزیه أمومه الولایه للمحکات فی القرآن، فضلاً عن المتشابهات، وعلیه فلابدَّ من الوفاق مع المحکمات وولایه التوحید - التی سیأتی التعرض إلیها قریباً إنْ شاء الله تعالی، التی ترسم وحده نسق مظومه الدین وهی ولایه الله وولایه الرسول وأهل بیته (علیهم السلام) أو قل بعباره أُخری.

مع ملاحظه تلوِّن الخطاب القرآنی هذا أیضاً لابدَّ من الالتفات إلیه وعدم الغفله عنه وإلّا فوحده السیاق التی حَذَّرنا منها سابقاً ولا نُحکِّمها؛ لأنَّها قدْ تکون هی عائق عن فَهْم التفسیر القرآنی وغالب السیاقات فی القرآن مختلفه حتماً فی الآیه الواحده، بلْ فی الجمله الواحده، ومقصودنا من وحده النتیجه، یعنی هناک مفرده محکمه فی الآیه أو فی الجمله أو فی السوره یجب أنْ تُراعی.

ومعنی مراعات محکمات القرآن یعنی لا یمکن أنْ نسبک ونستفید ظهور معین ولو کان علی وفق قواعد اللغه العربیه، إلّا أنَّه یُنافی ویُصادِم محکم آخر، أو یُنافی مخصص، وهذا معناه إننا لا یمکننا أنْ نستفید العام کمراد جدّی مع وجود دلیل مخصص لأنَّ العام لا یقوی فی الحُجیه أمام الخاص، وکذا الدلیل اللفظی المفسِّر الحاکم مُقدَّم المُفَسَّر المحکوم، والمقید مقدَّم علی المطلق، والناسخ مقدم علی المنسوخ و... الخ.

إذنْ لابدَّ من مراعات محکمات القرآن الکریم الذی یعنی مُراعاه محوریه المحکمات، فإنَّ منهج أمومه الولایه علی المحکمات یُضفی بتلاوینه علی قواعد وأصول التفسیر اللفظیه، وهذا ما نستکشفه من خلال عرض الآیات والروایات، کما تقدم روایه الإمام الصادق (علیه السلام)

«إنَّ الله جعل ولایتنا

أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكتب عليها يستديرُ محكمُ القرآن، وبها نوَّهت الكتب ويستبين الإيمان»(۱).

الشرط الرابع: إنَّ الضوابط فی علوم اللغه والعلوم الأُخری التی يُستعان بها كلما كانت مُبدَّهه ومبرهنه ومبينه كان الاستنتاج الاستظهاری المتعدد والمتكثر أكثر بياناً وأكثر بداهه وصواباً، ولا يخفی أنَّ فی العلوم سواء اللغويه المختلفه من الأوضاع من علم النحو والصرف وعلم البلاغه والبيان والمعانی والبديع والاشتقاق وعلم فقه اللغه ونحت اللغه، والعروض و... الخ فقسم من قواعد هذهِ العلوم متسالم عليه بحيث استنزف جُهداً علمياً كبيراً بحيث أوصل هذهِ المسائل والقواعد إلی درجه الضرورات العلميه بمعنی أنَّها بُيِّنت وبُدِهت بشكل برهانی، وليسَ من الضروری أنْ يكون برهانياً أو بديهياً، فإنَّه قدْ يكون نظری بأنْ استُدِلَّ عليه ولكن الاستدلال عليه لا زال فی منطقه النظری، وبالدقه إذا ركّزنا بشكل أكبر وأدق نلاحظ أنَّ البديهيات تبدا من نقطه مركزيه فی أی علم من العلوم، وأنَّ هذهِ البديهيات هی أيضاً علی طبقات ودرجات متفاوته فيما بينها وليست علی مرتبه واحده.

فلو أخذنا قاعده من بين قواعد علم النحو فنلاحظها أبيَن من غيرها بلحاظ طبقتها، وربما توجد قاعده أبين منها فی مصاف الرعيل الأوَّل من القواعد الضروريه المبدهه والمبينه فی علم النحو، وربما تأتی طبقه ثانيه وثالثه و... الخ من القواعد بحيث نفس علماء النحو إذا تضارب تطبيق القواعد عندهم فإنَّهم يرجحون القواعد المبدهه علی غيرها لانها أكثر

۱- (۱) تفسير العياشی، ج ۱، ص ۷۸، ح ۸.

وتديه وبنيويه.

إذنْ نفس هـذهِ البـديهيات لها درجات إلى أنْ تصل إلى آخر محيط البـديهيات، ثم تبـدأ منطقه النظريات، والنظريات أيضاً على طبقات، فهناك طبقه من النظريه ملاصـقه بالبديهيات أى تعيش فى ضواحى مدينه البديهيات وهى بحكم البديهيات ولكن كلما ابتعـدت أكثر شـيئاً فشـيئاً عن منطقه البـديهيات فسوف تتوغـل فى صـحراء وبرِّ النظريـات أكثر فأكثر وتـدخل مفاوز قـدْ يتيه فيها الإنسان كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرانَ لَهُ أَصْحابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى١.

لأنَّ الخوض فى عالم النظريه خوضٌ فى ظلمات وبحر لُجى لأنَّها توجـد وتولِد عند مَن يخوض بها بلا سـلاح علمى فإنَّ الخوض فيها يولـد له شـبهات فكريه لا سامـح الله قـدْ يُسـبب عنده اضـطراب وتيه، وقد يَضِل الطريق بالأخير ويصـبح سـجين وحبيس فى الصحارى والمفاوز.

وعليه فـالولوج فى العلوم النظريه يزيـد الإنسان ظلمه، هـذا فى سائر البشـر اعتماداً على معلوماتهم من دون أنْ ينيروا عقولَهم بنور هدى المعصوم وهم النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) والأئمه المعصومين (عليهم السلام).

ومن الواضح أنَّ الوصول إلى النتيجه والهدف عن طريق مساحه البديهيات اسـتثمارٌ للباين وللقواعد أكثر فأكثر من سلوك طريق النظريات ومفاوزها وصـحاريها المخفيه المظلمه، وإنْ كُنَّا لا ننكر مسأله الوصول إلى النتيجه عن طريق البحث فيها بعد أنْ يُطوى بك بحوث فكريه ومتاهات

وسلسله من الإشكالات والمحاذير من الدور والتسلسل وما شاكلهما إلّا أنك تبقى مُهددٌ - من الوصول إلى النتيجه والغايه والهدف فإنَّه قدْ تصِل وقد لا تصل، هذا بلحاظ سلوك طريق النظريات، فإنَّ الفيلسوف أو العارف أو المُفَسِّر أو... الخ ليسَ عنده القدره على أنْ يوصلك إلى الطريق النيّر المختصر الواضح البديهى وإنَّما غايه ما يوسعه وبذله لأقصى طاقه جُهده هو أنْ يوصلك إلى طيق ضيِّق ويسلك بك الطريق الطويل لا المختصر المستقيم، وهذا فيه تكلُّف وعناء، وقد تحصل للباحث أثناء هكذا بحث فى النظريات تقلبات ومشاكل وتغييرات قدْ تؤدى به إلى ما لا تُحمَد عُقباه.

وإذا أردتَ أنْ لا تقَع بكل هذا فعليك أنْ تسلك وتتبع طريق المعصوم (عليه السلام) فإنَّه يأخذ بيدك إلى الطريق المختصر الواضح البديهى فإنَّهم (عليهم السلام) كالنجوم الزاهره لأهل الأرض يقتدون بهم

«إنَّ مثل أهل بيتى كسفينه نوح مَن ركب بها نجى ومَن تخلف عنها هلك»(۱) فإنَّ الاقتداء بهم والاهتداء بنور علمهم يأخذ بأيدنا إلى مرفأ وبرّ النجاه من الأمور النظريه والمتاهات التى ما أنْ زلَّ قليلاً فكر الإنسان فإنَّه سوف يقع فى وادٍ سحيق وفى صحراء لا علامه فيها ليهتدى بها لأجل الوصول إلى طريق يخلصه من تلك المتاهات نظير المعادلات الرياضيه فإنَّ فيها مجهول فيختلف الباحثون فى علم الرياضيات فى الوصول إلى معرفه تلك المجهولات فباحِثٌ يعطى الحل والوصول إلى النتيجه بعشر أو تسع أو ثمان خطوات مثلاً، وإذا أخطأ فى مرحله من تلك المراحل أو الخطوات هوى من أعلى قمه لاجبل إلى

۱- (۱) الفوائد الطوسيه، الحر العاملى، ص ۲۶۵.

أسفل وادى سحيق وتختلط عليه النتيجه تماماً، بخلاف عالِم آخر فى علم الرياضيات يعطيك حلّ تلك المعادله الرياضيه بخطوه أو خطوتين بديهيتين سهلتين.

لكن بعد مرور أجيال من البشر يُعطى هذا الباحث النابغه فى اختصاصه الحلّ بكل سهولةٍ واختصار وبداهه.

والخلاصه: إنَّ المعلومات لها مراتب مبدهه ولها مراتب نظريه وعليه فالخوض فى الأمر النظرى فيه مخاطر، فإذا توغل فى النظريه يبتعد عن الحقيقه ويقع فى متاهات بخلاف ما إذا استند فى الحل إلى البديهيات أو ما يقرب منها، فإنَّ نتيجته يكون فيها إحكام واتقان وباين وتبيان ونور، هذا هو الفرق بين الأمر النظرى والبديهى.

كذلك الأمر بلحاظ الشرط الرابع فى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى فإنَّه إذا اعتمدنا على قواعد مبدهه فى علوم اللغه صار الاستظهار مُبَدَه ومبين وأنَّ تعدد وتكثر، وكذلك المعنى الجدى، لأنَّه تقدم أنَّ المعنى الجدى على مراتب تعتمد على العلوم الأُخرى، فمثلاً ـ فى العلوم سواء التجريبيه أو القانونيه أو الفلكيه أو الطبيعيه أو الروحيّه أو علوم ما وراء الأثير... الخ إذا اعتمد فى تلك العلوم على قواعد مبدهه صار البيان فيها بديهى استظهارى، وكذا الاستنباط بديهى.

وهكذا يصير البيان بديهى واسترسالى إذا اعتُمدَ فى هذهِ العلوم وغيرها على معانى نظريه قريبه من البديهيات أيضاً يكون هناك استرسال وسلاسه ونوريه، بخلاف ما إذا اعتُمد على معانى وقواعد نظريه متوغله فى النظريه والإبهام، ودائماً هكذا قواعد متوغله فى النظريه مختلفٌ فيها

وعاده يكون فيها لغطٌ بين النقض والإبراهم والاستنتاج وحينئذٍ تكون النتيجه نظريه والنظرى يصبح ظنى، ومن الواضح أنَّ المعلومه النظريه وإنْ كانت تستند إلى دلائل فى الصوره البرهانيه، لكن هى فى الحقيقه تبقى نظريه.

وحتّى فى التحقيقات الأخيره سواء فى علم الفلسفه أو الأصول وصلت إلى نتيجه وهى: -

إنَّ البراهين النظريه صورتها براهين ويقين نظرى، ولكن واقعه يبقى كلما توغلت فى النظريه فإنَّ واقعه ظنٌ بصوره اليقين.

إذنْ استظهار التفسيرات المتعدده للآيه الواحده إنْ اعتمد فيها المُفَسِّر على قواعد مُبدَّهه فى العلوم سواء اللغويه أو غيرها صار ذلك التفسير برهانى يقينى بيِّن بالمعنى الأخص أو بالمعنى الأعم، أمَّا إذا توغل الباحث فى الاعتماد على القواعد النظريه أصبح مريد ذلك التفسير.

ص:٦٠٣

العلاقه بين منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت عليهم السلام وبين التوحيد

من المطالب اللطيفه والمهمه التى تتفرع عن معنى الوحده المراده فى منهج أمومه المحكمات - تقدم - أنَّ المراد منها هى: - وحدَهٌ منظوميه وانسجام وتفاعل وربط منظومى بين معانى دوال الألفاظ، وليسَ المراد من معنى الوحده هو وحده المعنى فحسب أو وحده الموضوع فحسب، بلْ المراد وحده منظومه التى هى أعلى وأوسع وأخطر أفقاً.

فالتوحيد لله تعالى مثلاً لا يسعه اسمٌ من الأسماء الإلهيه، وليسَ اسم واحد ووحده اسم ومعنى، وإنَّما أجاب القرآن الكريم عن ذلك، وأنَّ المراد بالوحده هو قُلِ ادْعُوا اللّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى١. هى وحده أسماء متعدده ووحده نظام إلهى ربوبى فكيف بالمعانى؟ وأى معنى يحتوى ويسع ربُّ العالمين الخالق للمعانى، فالله تعالى يخلق المعانى وهو حاوٍ للمعانى لا أنَّ المعانى تحويه، انظر أيُّها الباحث الكريم إلى هذا التجلى الترحيمى فى منهج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات فى القرآن الكريم قيِّمُ نهج الترحيم ووحدته وحده نظام.

وهذا يعتبر أحد البراهين على هيمنه هذا المنهج التفسيرى المختار من بين باقى المناهج التفسيريه الأُخرى، كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) وكذا باقى الأئمه (عليهم السلام) ما معناه [إنَّ سبب خطأ فَهْم البشر للقرآن هو أنَّهم يقايسون

كلام الله بكلامهم]. وردَ عن الصادق (عليه السلام) وهذا دليل واضح على أنَّ كلام البارى سبحانه لا يشبه كلام الخلق كما لا تشبه أفعاله أفعالهم، ولهذه العله وأشباهها لا يبلغ أحدٌ كنه معنى حقيقه تفسير كتاب الله تعالى إلّا بنبيّه وأوصياؤه(۱).

فإنَّ وحده المعنى ووحده الفعل عند الله تعالى ليست كمعنى وحده الفعل عند البشر، فالبشر مخلوق ضيق محدود عنده وحده موضوعيه، لذلك لمْ تكن فى البيان وحده موضوعيّه بمعنى الانسجام والتفاعل والارتباط لذا يتشكك ويتهدد عنده المسار ويتبعثر ويصيِّر الأمر فوضى عكس ما عند البارى تعالى إذْ لا يتصور فى حقه هذا القصور - والعياذ بالله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - بلْ عنده تعالى وحده نظام، والاستعمال لابدَّ له من نظام، ولا يفهم من ذلك أنَّ المراد بالميزان هو وحده المعنى ووحده الموضوع، فإنَّ الأمر ليسَ كذلك كما بيَّنا.

وهكذا فى تعبيرات المعصوم

«جعل الله ولايتنا نظاماً للمله» و

«نظاماً للدين».. الخ أى نظاماً لوحده الدين الإسلامى الحنيف.

وهل مُراد المعصوم (عليه السلام) من معنى الوحده التى أكَّد عليها هى وحده معنى أم وحده موضوع أو وحده وجود وموجود؟

الجواب: ليسَ مراده ما ذُكر وإنَّما إلى ما شاء الله من المعانى والأبواب، فهناك باب التوحيد وما يتفرع عنها، وباب النبوّه وما يتفرع عنها وباب الإمامه والولايه، وباب الفروع من باب الصوم والصلاه والحج والزكاه و

۱- (۱) الوسائل، الحر العاملى، ج ۲۷، ص ۱۸۳؛ كتاب القضاء، أبواب صفات القاضى، ب ۱۳، ح ۲۲.

... الخ وباب الجهاد وباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر و... الخ.

وعليه فوحده الدين وحده نظام ولذلك تفسير القواعد اللفظيه فى القرآن الكريم على ضوء منهج أمومه الولايه على محكمات القرآن إذا أعطيناها لوناً على وفق منهج الأمومه، كيف تعطى معانى عميقه وهذهِ القاعده يشيدها نفس صاحب التفسير الموضوعى أو صاحب تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير أسباب النزول أو المنهج التنزيلى إلّا أنَّ هؤلاء يفسرونها ويستعملونها بشكل متوسط وهابط.

بخلاف منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات الذى يعنى المحور المركزى الذى تدور حوله رحى أبواب الدين وفصوله، فإنَّ هذا المنهج يعطى لهذه القواعد اللفظيه معانى وألوان أُخرى أوسع أفقاً وشاسعه المدى.

وعليه فلابدَّ من وجود نظام استعمال لفظى رغم تشعب فقراته وموضوعاته ومعانيه إلّا أنَّه ليسَ هناك خلطاً وهو جائيه، وإنَّما هناك وحده بالمعنى الذى ذكرناه آنفاً ووحده نظام وعدم وجود تعارض وتدافع يضرب القرآن بعضه ببعض.

إذنْ هناك فرقٌ كبير بين وحده النظام ووحده المعنى ووحده الموضوع والخلاف بين منهج أمومه الولايه على المحكمات وباقى المناهج الأُخرى فى معنى الوحده فى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى، فإنَّ مقصود منهج أمومه الولايه من الوحده فى الاستعمال هو وحده النظام والمنظومه لا بوحده المعنى ووحده الموضوع، ووحده النظام تتكفلها قواعد صحيحه فى العلوم ويتكفلها عدم التضارب والتناقض بين القواعد،

بخلاف المناهج التفسيريه الأخرى فإنَّها تقصد من الوحده أحاديه المعنى وأحاديه الموضوع وهذا معنى ضيِّق تترتب عليه آثار سلبيه نتيجتها تضارب القواعد مع بعضها البعض.

وعلى أى حال فإنَّ حجر أساس افتراق منهجنا - أمومه الولايه - على باقى المناهج الأُخرى بأنَّ منهجنا يَرَى أنَّ الشتات والتدافع ليسَ فى تكثر المعانى وتعددها فى جمله واحده وآيه واحده مفرده واحده و... الخ، وإنَّما يرى الشتات وفرقه الأُمَّه والبشريه بلْ فرقه الخلائق هى بسبب عدم التمسُّك بالولايه فإنَّها تتشتت إذا لم تتمسك بالولايه والمحكمات، فإنَّ الرجوع إلى المتشابهات والتمسك بها يوقع بالهلكه، فالعلامّه الطباطبائى (قدس سرّه) مثلاً فى منهجه التفسيرى أى تفسير القرآن بالقرآن يذكر سبب المتشابهات بسبب النزعه المادّيه إذْ لو يتجرد الإنسان عن الأمور الماديّه لذهبت عنه المتشابهات.

إلّا أنَّ سبب التشابه بالآيات على المسلك المختار حسب منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فى القرآن فضلاً عن المتشابهات، ليسَ فقط هو التشابه فى استحصال المعنى وإنَّما التشابه فى الآيات سببه كما بينه القرآن الكريم من عدم رجوع المتشابهات إلى محوريه المحكمات، وإنْ كان بعض المفسرين لن يستلهم معناها والمتشابهات.

وذكر أنَّ سبب التشابه فى الآيات هو بسبب تغير الظروف التأريخيه التى تمرُّ على اللغه باعتبار أنَّ اللغه لها عمر وتاريخ ولها أجيال، وبالواقع ليسَ هذا هو سبب التشابه.

فالقرآن الكريم يستلهم التشابه حتّى عند أبناء الصدر الأوَّل وهم

أبناء اللغه وعندهم سبب للتشابه يأتى بحثه فى محله.

ونتعرض للتشابه فى المقام وسببه بمقدار ماله صله ببحث استعمال اللفظ فى أكثر من معنى.

إذنْ القرآن الكريم عندما يصف الآيات المحكمه بأنَّها أمُّ لا- يعنى أنَّ نعت المحكمات بالأحكام وأنها أمُّ فقط كلا، وإنَّما لها دور وشأن وهو كونها أمُّ يعنى محور ومركزيه فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ١. ومن البديهى اتباع المتشابه من دون محوريه المركز زيغٌ ولو كان المتبع آيه متشابهه من كتاب الله مع ذلك القرآن يصِف هذهِ الآيه بأنَّها ليست هُدَى بلْ زيغٌ وضلال ويُحذِّر القرآن الكريم المسلمين والمؤمنين من اتّباع الآيات المتشابهه بالانفكاك عن اتّباع المحكم فإنَّ مثل هذا زيغٌ ومنكم إذا كان اتّباع ما يرتسم لدى الإنسان أنَّه حُجّه من الحجج من دون مركزيه الحجه الأكبر وهى ولايه العتره الطاهره فإنَّه دون اتّباع ذلك زيغ، نعم، الآيه حُجَّه ولكن الآيه المحكمه أكبر حجيه.

ص:٦٠٩

ادّعاء المنهج السلفی اتّباعه الروایات الصحیحه

اشاره

یدّعی المنهج السلفی أنَّه یسیر وراء الروایات الصحیحه، إلّا أنَّه لا یَعْرِض ذلک السیر علی مرکزیه ومیزان المحکمات ونظرهُ للدین نظرهً منظومیّه واحده، ولأجل ذلک یکون سَیْرُه باطلاً، وإنْ کان یُفرَض أنَّ الذی رسمه له اتباع الآیه شکل ونحو من أنحاء الحُجیه، وعلیه فاتباع المنهج السلفی لها من دون أنْ یکون علی وفق مرکزیه الحجه الأکبر وإنَّما علی وفق الحجه الأصغر یکون ذلک الاتِّباع موجباً للبطلان.

ومن هذا یُعْلَم أنَّ منظومه الحجج علی وفق منهج أمومه المحکمات - عباره عن مترابطه فی عمود محوری وفی ظل هذا العموم المحوری نجد هویّه بقیّه الطبقات من الحجیه، وإلّا تضیع هویتها من دون هذا المحور ومن دون هذهِ الحقیقه المرکزیه.

والخلاصه: إنَّ التشابه فی تفسیر القرآن سببه عدم جعل المحکمات والولایه محوراً، وعلیه فتکثر المعانی لا یوجب تشتت وتدافع ووقوع فی الأخطاء علی وفق منهج أمومه ولایه أهل البیت علی المحکمات فی القرآن فضلاً عن المتشابهات، وإنَّما الذی یوجب الوقوع فی الأخطاء فی تفسیر الآیات واستحصال معانیها هو عدم جعل المحکمات میزاناً ومحوراً لمراقبه کل آیه آیه وجمله وجمله وعدم ربط کل آیه بأصول العقائد.

رأی الشیخ الکبیر جعفر کاشف الغطاء (قدس سرّه):

اشاره

لَنِعم ما ذکره الشیخ الکبیر جعفر کاشف الغطاء (قدس سرّه) فی بدایه کتابه

ص:۶۱۱

منهاج الرشاد فی الرد علی الوهابیّه، بأنْ قال: -

إنَّه باستطاعه الفقیه إذا لم یُعْمِل القواعدِ والموازین الصحیحه من مرکزیه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات فی القرآن فضلاً عن المتشابهات، أنْ یُشکل - لا- سامح الله - فقهاً منسوخاً عن جاده الشرع؛ لأنَّ بعض الوهابیه جمع فتوی بعض المذاهب الإسلامیه وعندما تنظر وتأمل بها تأسف علی تفکیرهم وأنهم کیف جعلوا وصوّروا الفقه بصوره هابطه ونظر إلی الدین من زاویه ضیّقه وحبسوا أفق الدین الواسع ضمن نظرتهم الحبوسیّه الضیّقه، وهکذا القانونی إذا أراد التلاعب بالقانون الإسلامی، إلّا أنَّ نظره هؤلاء قصیره الأمد؛ لأنهم یتخیلون أنَّهم إذا فعلوا هکذا فإنَّ بناءهم هذا سوف یؤثر ویُزعزع استقرار قانون الدین الوحیانی القوی، ولا یعلمون أنَّ الحافظ لذلک هو الله تعالی: إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ۱. حافظون له من ید أو عقل یرید إیقاع النقیصه والتحریف فیه، وکذا الحافظ بعد الله تعالی هو النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) فإنَّه (صلی الله علیه و آله) الوحده الناظمه للأخلاق فضلاً عن الفقه وغیره، ورُبما البعض یبتز هذهِ المکارم والأخلاق الفاضله لمآرب خفیّه، وهکذا عتره النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) الأئمه الطاهرون (علیهم السلام) هم الحفظه للقرآن.

ومن الواضح أنَّ الحافظ لمکارم الأخلاق هو نظامٌ أعلی منها وهو العقائد الصحیحه الحقّه والتوحید الصحیح؛ لأنَّه ربما إنسان أو نظام سیاسی مُعیَّن أو منظمه دولیّه تُظهر أخلاق معسوله لکنَّ وللأسف وراءها تدبیرات کیدیه سفّاکه لدماء البشر، فیثبت فشل ذلک النظام أو المجتمع أو الدوله؛ لأنَّ

هذهِ الفضائل التى حملتها لمْ تمارسها كشعارات أو كبنود تطبيقيه لأجل الإيمان بعقيده معيّنه والتخلص من براثن النفس والذات والأنانيه إلى ساحه صفاء التوحيد.

ومن هنا يظره دور وأهميه التركيز على رفع شعار حقيقه المعتقد لا حريّه وجهالات المعتقد؛ لأنَّ رفع شعار دجل حريه المعتقد يؤدى به إلى الوقوع فى جهالات وظلامات، وباستطاعته آنذاك أنْ يؤمن بجهالات ويعبد الشيطان وبالتالى يُسوِّغ له شُرْب دم البشر وممارسه أنواع الرذائل بلا محذور، وعليه فإنَّ مثل هكذا أمور ليست حريّه وإنَّما تصبح لا حريه، وبالتالى تدع إلى الفرعونيه وربكم الأعلى والأنانيه والانفلات وأنَّ للإنسان أنْ يفعل ما يفعل ويدعى ما يدعى ويرسم لنفسه ما يشاء من منهاج، وهذا بالتالى يُنهى المجتمعات البشريه التى انتهجت بنهجه، كُلّ ذلك تحت غطاء حريّه المعتقد والاعتقاد والانعزال عن قانون الشريعه وما تركه للبشر فى تنظيم حياتهم.

وإنَّما الذى ينفع ويُنقِذ ويُقدِّم خدمه للإنسان وينتشله من الإيمان بالجهالات وعباده الشيطان هو إنقاذ الإنسانيه بالعقائد الحقَّه التى تعنى الحقيقه لا الزيف وهى وحده منظوميّه ناظمه، فمثلاً ناظم الفقه بمكارم الأخلاق، وناظم وحده مكارم الأخلاق بالعقائد الحقَّه التى هى حقيقه العقائد.

ولذا نلاحظ كثير من الشعوب وإلى يومنا هذا تعيش تحت وطأه وظلمانيّه وجهاله رفع شعارات خاليه عن المحتوى الحق من حرمه المعتقد أو التقدميّه أو... الخ كُلّ ذلك بسبب ابتعادهم عن نور وهُدَى معرفه العقائد الحقّه إلى يومنا هذا فبعضهم تعبد الكواكب والآخر الأنهار وثالث الأشجار ورابع الحيوانات وخامس و... الخ وعليه فالظلمانيه والسوداويه التى يعيشها

هؤلاء بسبب الابتعاد عن المعتقد الحق الصحيح.

النتيجه: أنَّ كُلّ تشابه يمكن دفعه بالمحكمات التى تمنع من التشتت، والتناقض والتدافع، والواقى من كُلّ ذلك الانحراف هو التمسُّك بالمحكمات وتقدم الضابط فى المحكمات هو وحده النظام والهدف والمحور إمامتنا نظاماً للمّله وولايتنا أماناً من الفرقه والتشتت، وليسَ ضابط المحكمات هو وحده الموضوع أو وحده المعنى.

وبهذا يتميز منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) بأنْ له طابعاً عقائدياً عظيماً فى تفسير القرآن، وله الدور الأكبر فى تطبيق حقيقه الدين وبوحده الفكر والمعتقد، بخلاف البعض الذى يرفع شعار الوحده والتقريب السياسى أو الأخلاقى والتعايش المدنى وهذا لا مانع منه إلّا أنَّه يقف على أرضيه هشه بخلاف ما إذا آمن بمنهج وحده الفكر والمعتقد فإنَّها بُنيه رصينه فحينئذٍ لا تضارب سياسى ولا تضارب وقتى تعايُشى.

وما دام وحده المعتقد هى التى تجمع فحينئذٍ بقيّه الفروقات سوف تُمسح وتذاب بخلاف ما إذا كان البناء على عقائد مختلفه فحينئذٍ يصير البناء على أرضيه رخوه وتصدعها بأى وقت ممكن، عكس ما إذا كان البناء على وحده حقه وأصليه فى المعتقد، وأنَّ إمامتنا وولايتنا أمان من الفرقه ونظاماً للملّه ومن كُلّ هذا يتضح: -

أنَّ منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على محكمات القرآن فضلًا عن متشابهاته ليسَ فقط منهج تفسيرى للقرآن، وإنَّما بيانٌ لمسار منهج الفكر الدينى بشكل رائع على مستوى الفكر السياسى للأمه وفى إقامه العلاقات الدوليه حتّى بين أبناء البشر فى المجتمعات البشريه، لا أنَّ منهج أمومه المحكمات منهج تفسيرى فنى فقط نمارسه فى علم تخصصى يسمى القرآن،

وإنَّما الأمر أعظم وأكبر وأنه كلما استطعت أنْ تجد وحده عاليه ونظام مركزى أكثر أصاله كلما آمنت ورسّخت العقائد والمعتقد الحق أكثر وتجلّت أكثر.

مضافاً إلى أنَّ منهـج أمومه الولايه على المحكمات هو منهج للأمان من التناقض والتعارض فى الفقه والعقائد والتفسير، و... وأنه يعطى فكراً جديداً للأمه، وعليه فيكون ساحل الأمم والولايه على المحكمات ساحلاً للأمان بمحور آخر وهو مودتنا أمانٌ من الفرقه؛ لأنَّ هذهِ الموده تذوب فيها الذاتيات الفرعونيه النفسيه وبالتالى يحصل أمانٌ.

ونتيجه استتباع أمومه الولايه على المحكمات يُذهب طغيان البشر وعدوانيته الغاشمه.. إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى١ وتذوب فيمن ذاب فى الله تعالى.

تنبيه:

أيُّها المُفَسِّر فى غير منهج أمومه الولايه على المحكمات لا تخف مِن تكثر المعنى للآيه الواحده وتقول أنَّه تلاعب فى القرآن، كلا ثم كلا إنَّما يحصل التلاعب فى القرآن إذا تركت نظام الوحده والمركزيه والمحوريه للولايه والمحكمات فإنَّه آنذاك يحصل تلاعب وذهبت الفروع وتشتت، وعليه يكون منهجنا المختار منهج عظيم ليسَ على صعيد فكرى ولا على صعيد استنطاق واستظهار نظم آيات الكتاب فى التفسير فحسب؛ إنَّما هو بامومه الولايه على المحكمات فى القرآن فضلاً عن المتشابهات وليسَ بوحده المعنى والوحده والموضوع.

الثمره المترتبه على استعمال الوحده بمعنى وحده النظام والمنظومه

إنَّ التزام المنهج التفسيرى لأمومه الولايه على المحكمات فى القرآن فضلاً عن المتشابهات، فى تفسير معنى الوحده بأنْ يفترض أنَّ القرآن مبنى عظيم له أبواب ونوافذ متعدده وهى بدورها تدلُّ على أبواب ونوافذ متعدده، وهكذا بنحو شبكى منظومى مترابط ومتداخل ينفتح بعضها على البعض الآخر، فإنَّ منهج أمومه الولايه على المحكمات يلتزم ويُؤَّمِن عدم الافتراق والتبعثر ببركه قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى، وتفسيره لمعنى الوحده بوحده النظام والمنظومه وافتراقه عن باقى المناهج التفسريه الأُخر التى فَسَّرت معنى الوحده بمعنى وحده المعنى ووحده الموضوع، وهذا موجب للافتراق والتباين والتباعد بين المسارين بشكل كبير جداً، وله ثمرات تطبيقيه محسوسه لمثل هذا الفارق المهم، وأحد أهم تلك الثمار هى: -

إنَّ الداله اللفظيه الواحده فى الآيه الواحده يمكن أنْ تنطبق على معانى متعدده ووجوه محتمله متعدده حسب قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى بعد إمكانها ووقوعها، فحينئذٍ يقع هذا التساؤل:

لماذا تُرجَّح أحد المعانى ويُفنَّد الباقى، وقدْ حصل هذا من علماء كبار ومتضلعين فى علوم شتى كالبلاغه والنحو والصرف واللغه و... الخ، أمثال العلامه الزمخشرى لأجل أنَّ هذا الوجه المُرجَّح يوافق القواعد، وأمَّا

المعانی والاحتمالات الأخری فَتُفنَّد لأجل مخالفتها القواعد.

وهذا لا اعتراض علیه من قبل منهج أمومه الولایه علی محکمات القرآن فضلاً عن متشابهاته.

وأُخری یکون التفنید لباقی المعانی الأُخری لا لأجل أنَّها مخالفه لقواعد وموازین الفن، بلْ هی علی ضوابط وموازین الفن ومع ذلک تفند فما هو السبب؟ وهذهِ هی نقطه افتراق منهج أمومه الولایه علی المحکمات عن باقی المناهج التفسیریه الأُخری.

الجواب: کأنَّما هناک فرضیه استباقیه مأخوذه بشکل مطوی وهی ماده النزاع بین المنهج المختار أمومه الولایه وبین المناهج الأُخری وهذهِ الفرضیه هی: -

فی المناهج التفسیریه الأُخری غیر منهج أمومه المحکمات هناک أمرٌ کأنّما مُسَلَّمٌ ومُبده ومفروغ عنه وهو:

لا- یمکن أنْ یکون کُلّ من المعنی التصوری والاستعمالی التفهیمی والجدی النهائی معنی متعدداً فی عرض واحد، وهکذا لا یمکن أنْ تکون الألفاظ والأصوات ذات معانی متعدده، أو لا یمکن أنْ یُراد بالصوت ألفاظ متعدده.

ولربَّما ادّعت باقی المناهج التفسیریه الأُخری غیر منهج أمومه الولایه علی المحکمات أنَّ السبب فی ترجیحهم معنی واحد دون باقی المعانی الأُخری هو لأجل التعارض بین معانی اللفظه الواحده.

إلّا أنَّه فی مقام جوابهم: - إنَّ دعواکم أنَّ السبب فی ذلک هو أنَّ اللفظ

لا يمكن أنْ يُستعمل فى أكثر منمعنى فهذا غير صحيح؛ لأنَّه ممكن وواقع ووقوعاً كثيراً، نعم البشر ليسَ بقدرته أنْ يحيط بتلك المعانى المتعدده فى اللفظه الواحده بسبب عجزه ومحدوديته؛ لأنَّه بشرٌ فذاك بحث آخر، ولا يسرى هذا المعنى والعجز إلى البارى تنزه عن ذلك وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهل يُعقل أنَّ الموجِد والخالق للكلام لا يعلم بدروب الكلام ومساراته وتصاريفه ويُلقى الكلام على عواهنه، أو يُلقيه بطبيعته المنفتحه المرسله لأفق وسيع من الأصعده والمجالات على مادته الخامه المتبعه لهذه الآفاق، فهل يُعقل ذلك؟ ومع ذلك لا يَنصِب قرينه على إراده أحدها أو تعيين أحدها وهو فى مقام البيان، ما لكم كيف تحكمون.

وعليه: - فالبارى تعالى إذا كان مقصوده من المفردات اللفظيه للآيه القرآنيه المباركه أو السوره معنى معين دون غيره فلماذا لمْ يُنصِّب قرينه على إرادته وهو فى مقام البين وأنَّ المراد مثلاً المعنى الفلانى أو خصوص هذا الوجه الإعرابى دون ذاك أو مُراده أكثر من معنى من هذهِ الداله اللفظيه الواحده وكانت تلك الداله اللفظيه لها القابليّه والسِّعه على استيعاب معانى متعدده والدلاله عليها وحينئذٍ لا مانع منه إذْ ليسَ بين هذهِ المحتملات والمعانى تضاربٌ؛ لأنَّها على وفق القواعد والموازين، والقرآن لا يضربُ بعضه بعضاً.

وبعد هذا البحث الموسَّع فى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى تبيَّن: - أنَّه إذا لمْ يكنْ هناك تنافٍ وتناقض بين المعانى المتعدده المراده من اللفظه الواحده فى هذهِ القاعده فحينئذٍ لا نرفع اليد عنها، ولا داعى لترجيح بعض المعانى على الآخر ونحصر المراد فى أحدها دون المعانى الباقيه

المحتمله فی هذهِ الداله اللفظیه ما دام لا تضارب ولا تناقض بین هذهِ المعانی.

فهذه هی جهه افتراق منهج التفسیر القرآنی أمومه الولایه علی المحکمات عن باقی المناهج التفسیریه الأُخری.

ص:۶۲۰

طرزُ آخر من الاستدلال على قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی:

من الواضح إنَّ قدره أغلب متکلمی البشر هی محدوده فی الالتفات إلی تصاریف وتلاوین وتغیرات الکلام؛ لأنَّ الکلام کما وَرَدَ عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) لیتصرف إلی سبعین وجهاً - کما مَرَّ - والسبعین هنا مأخوذه کنایه عن الکثره والمثالیّه والطریقیه لا الحصر والموضوعیّه، لا أنَّ الداله اللفظیه الواحده لها معنی واحد، وإنَّما یمکن بلْ وقع فی استعمالات القرآن الکریم والعرب إطلاق اللفظه الواحده وإراده معانی متعدده.

ومن المعلوم قدیماً أنَّ الکلام آلهٌ إعلامیّه وحواریّه تفاهمیّه جبّاره أنعمها الله تعالی علی البشر وتباهی بها الرحمن اَلرَّحْمنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسانَ، عَلَّمَهُ الْبَیانَ۱.

واستفاده أفراد البشر من البیان کُلٌّ بحسب قدرته، ولذلک کلما یصیر الإنسانُ بلیغاً فی النطق وذرب اللسان تصبح عنده قدره علی استثمار الکلام أکثر فأکثر، إلّا أنَّه وللأسف غالب سائر أفراد البشر عندهم قدرات محدوده لاستثمار هذهِ الآله الإعلامیّه التفاهمیّه التحاوریه.

وهذا نظیر الأجهزه الالکترونیه الفنیه الحدیثه المُعقَّده والمزوده بأحدث القطع الألکترونیه الحدیثه ومهیئه لإجراء عملیات حسابیه وهندسیه و... کبیره جداً، إلّا أنَّ بعض مقتنی هکذا أجهزه یستعملها

بمقدار قضاء حاجته المحدوده منها، ولا يعنى هذا بالتالى أنَّ الجهاز فقط يستعمل فى هذهِ الأمور المعينه المحدوده التى احتاجها بعض الأفراد، بلْ الجهاز مُعدٌّ لأكبر من ذلك وكُلٌّ يستفيد منه قدر معلوماته التى تتناسب والجهاز.

كذلك الكلام والبيان فيه من القُدرات والآليات لاستثمار وإيصال المعانى والدلاله إلى ما شاء الله من المعانى والاستعمالات، وكُلَّما كان الإنسانُ بليغاً كُلَّما كانت فرصه استثمار الكلام أكثر فأكثر، فكيف بخالق الكلام ويعى أنَّ هذهِ المقطوعه والمادّه الكلاميّه كم تتحمل من إجراء قواعد ومسائل وتصاريف وتغيير فإنَّه يمكن أنْ يجرى عليها كل ذلك، ومع ذلك وضع هذهِ الماده الخام التى من الممكن أنْ تتشكل بإشكال عديده وكثيره ولم يجعلها مُحْدَثه هذهِ الماده الكلاميه فى شاكله خاصه دون أُخرى، بلْ جعلها منفتحه على أشكال عديده ومتكثره.

ولرب سائل يسأل: أَوَليس هذا إغراءٌ بالجهل منه تعالى؟

الجواب: نعم يكون إغراءً بالجهل لو خُلِّينا نحن وقدره البشر المحدوده والمولى قدْ تركهم ولم يُبين لهم ذلك - وحاشاه تعالى من ذلك - إلّا أنَّه تعالى جعل ضوابطاً مُتعدده منها: -

الضابط الأوَّل: إنَّ المولى جلَّ وعلا - جعل تلك الضوابط والقواعد بلسانٍ عربى مبين، أى حكماً عربياً يحكم هذا الحوار وهذا الخطاب الإلهى.

الضابط الثانى: تقول: بلسان عربى مبين لعلكم تعقلون وتفهمون فهو اللسان العربى الذى فيه القواعد فى العلوم اللغويه المنتشره والمتعدده، وأنَّ هذهِ المقطوعه الكلاميّه الوحيانيه من القرآن الكريم فيها القابليه لأنْ

تنطبق علیها وتتصادق وتتناسب مع قواعد عدیده فی علوم عدیده لغویه عَلِمَ الله بلها قطعاً وأرادها.

لقائل أنْ یقول: إذا کانت هـذهِ المتکثره والمتعـدده من اللفظه الواحـده مُراده للباری، فلماذا لم یُنصِب قرینه علی خلافها، هل إنَّه ممتنع اسـتعمال اللفـظ فی أکثر من معنی؟ علمـاً أنَّه تقـدم بـأنَّه ممکن وواقع بکثره، وعلیه إذا کان البشـر ذو قـدره محـدوده وقد استعمال إراده المعنی المتعدد من لفظه واحده فکیف یرتکب البشر هذهِ المخالفه لموجد البیان تعالی؟

الجواب: ورد فی بعض روایـات أهـل البیت (علیهم السـلام) بیان سـبب عجز البشـر عن تفسـیر کلام الله تعالی مبنی علی خطأ قدْ تبنّاه البشـر وأساس هذا الخطأ هو: - أنْ یَقیس ویُقارن البشرُ کلامه مع کلام الله تعالی، صحیح هناک نقطه اشتراک بین کلام الله تعالی وبین کلام البشر، ألا وهی اللغه العربی، واللغه البشریه، إلّا أنَّه هناک جانب افتراق وهو: -

إنَّ هـذهِ اللغه العربیه إنْ کـان المسـتخدم لها هو البشـر فقـدره اسـتثماره محـدوده وإنْ کان الخالق للبشـر فقـدرته للاسـتثمار غیر محدوده، قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی۱.

إذنْ هذا هو السبب تقریباً فی عدم قدره البشر علی تفسیر کلام الله، ولذا وَرَدَ فی بعض الروایات عن جابر قال: - أبو عبدالله (علیه السـلام)... ولیس شیءٌ أبعد من عقول الرجال منه، إنَّ الآیه لینزل أوّلها فی شیء وأوسطها فی شیء، وآخرها فی شیء وهو کلام مُتصرِّف علی وجوه(۱) والشاهد: - أنَّ المراد بالأبعدیه والبُعْدیه فی قوله (علیه السلام) هو فی کیفیه ومقدار استخدام اللغه

۱- (۲) تفسیر العیاشی، ج ۱، ص ۸۶، باب تفسیر الناسخ والمنسوخ ح ۲.

العربیه عند الله تعالی لیسَ کبقیه البشر فإنَّه فی البشر محدود وعند الله تعالی غیر محدود.

هذا مضافاً إلی ما وَرَدَ عن النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله)

«... وبعضکم ألحن بحجته من بعض...»(۱).

بتقریب: إنَّ هُنا متخاصمین بینهما نزاع، أحدهما قوی البیان ولقوه بیانه - وإنْ کان هو مُنْکِراً إلّا أنَّه بسبب ذرابه لسانه یظهر وکأنَّه هو المدّعی والطرف الآخر الذی هو المدعی حقیقه وواقعاً ولکنْ بسبب عدم امتلاکه للبیان القوی والظاهر ولضعفه ومماشاته لصاحب البیان القوی یظهر وکأنّه هو المنکِر أی لا یتهِم الآخر صاحب التهمه ویحتاج إلی دلیل، لذا أکَّد النبی (صلی الله علیه و آله) - بعضکم ألحن فی حجته من بعض.

ولذلک نلاحظ بعض البشر نتیجه امتلاکه القدره العالیه فی البیان یکون بمقدوره تجمیل القبیح الجمیل - والعیاذ بالله - بأنْ یُسلِّط کلامه وبیانه علی جهه ویغفلک عن الزوایا الأُخری، وعلیه فمثل هذا له القدره علی البیان ویستخدم أکبرْ حصه ممکنه من دروب الکلام بخلاف الطرف الآخر الذی لیسَ بمقدوره استثمار ذلک.

ومن خلال هذا یُعلَم أنَّ قُدُرات البشر وقابلیّاتهم لاستثمار البیان فیما بینهم مختلفه.

۱- (۱) التهذیب ج ۶ ص ۲۲۹؛ الوسائل ج ۲۷ ص ۲۳۲ ب ۲ من أبواب کیفیه الحکم ح ۱.

علم النقد الأدبى من أهم علوم اللغه

إنَّ أحـد أهم علوم اللغه هو علم النقـد الأدبى الـذى يمارس ويُجرى فى الجاهليه أيام سوق عكاظ الـذى كان يُعْقَد فى مِنى أيام موسم الحـج فيجتمع أيـام الموسم الشـعراء والأدبـاء وأصـحاب المقطوعـات النـثريه إلى أصـحاب المعلقـات السـبعه وأشـعارهم، ويتبارون فى ذلك باستعراض قصائدهم ومقطوعاتهم النثريه و... الخ.

ويفترق الناقد الأدبى عن الشاعر والأديب الموهوب: -

بأنَّ الناقد الأدبى يمتلك القدره العاليه على التحليل والتأمل فى المقطوعات النثريه والشعريه ويُعيِّن مواطن الضعف وينقدها.

أمَّا الأديب: - فليس عنـده القـدره الكـافيه على التحليـل والتأمـل، وإنَّمـا عنـده علم ارتكـازى إجمـالى فى اللاشـعور واللاـوعى ويمتلـك قـدره قويّه للاسـتثمار شبيه: - سـيبويه فـإنَّه من أبنـاء غير اللغه العربيه - أى مِن أبنـاء الأعـاجم - فهو ليسَ بأديب وإنَّما يمتلك القدره العاليه على التحليل العالى يفوق بها الكثير، فمثلاً نلاحظ كثير من النحاه وأكثر علماء الصرف عندهم قدره تحليل وهم ليسوا بأدبـاء وقليـل منهم أدبـاء، وإنْ كـان من العصوبه بمكان أنْ يجمع الشـخص بين الموهبتين، فمثلاً الزمخشـرى ليسَ له ذلك الباع فى العروض الأدبيه وغيرها إلّا أنَّه يمتلك قوّه تحليل عاليه بأنَّ يحلل الكلام ويعمل منهجاً تحليلياً فى الكلام بحيث لمْ يلتفت إليه المتكلم تفصيلاً، فلو عُرض هذا التحليل من قبل الناقد الأدبى إلى المتكلم لتفاجئ

بـذلك ويقول المتكلم أنا لمْ أقصـد ذلك وإنْ كان ليسَ من نيّاته قصـد ذلك تفصـيلاً إلّا أنَّه اسـتثمر اللاشـعور واسـتثمر الطاقه اللغويه الأدبيه فى هذهِ المعانى.

وهـذا نظير مـا يُعْرَف اليوم بعلم النفس اللسـانى أى من اللسـان يكتشف خبايـا مطويات وأسـرار نفس المتكلم من دون أنْ يشـعر المتكلم به والمتكلم لا يريد أنْ يبوح بإسراره ومعلوماته، ولكنْ هذا المحلل النفسانى عبر تحليل مؤديات الكلام يستطيع الوصول إلى ذلك وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ١ فكان المنافقون يأتون إلى رسول الله (صـلى الله عليه و آله) ويقولون له كلاماً يكشف عن كُلّ مخططاتهم المطويّه والسـريّه، والنبى (صـلى الله عليه و آله) من خلال كلامهم يعلمهم أنفسـهم من حيث لا يشـعرون وإنْ لمْ يكونوا قاصدين لذلك، ويمكن الكلام أنْ يُجذر مداليل ومداليل إلى ما شاء الله.

وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين (عليه السلام)

«المرء مخبوء تحت طى لسانه لا طيلسانه»(١).

والمتكلم من خلال كلامه وبيانه فتح خطاً إلى أعماق الإنسان، وهذهِ اكتُشـفت مؤخراً عِلماً أنْ سـيد الأوصـياء على بن أبى طالب (عليه السـلام) قالها قبل أربعه عشـر قرناً، وكشف (عليه السـلام) أسـرار علوم النفس بمقولته هذهِ، وكشف أسـرار البحث الأمنى، وكشف عن علوم الأمن الإستراتيجيه، وعلم الإعلام المخابراتى والاسـتخباراتى و... الخ كلها اعتمدت على: - المرء مخبوء تحت طى لسانه لا طيلسانه.

١- (٢) الأمالى للشيخ الصدوق ص ٥٣١؛ وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) للصدوق ج ٢، ص ٧٨.

وهكذاما ذكره الفقهاء من أنَّ إقرار العقلاء على أنفسهم حجه وجائز وإنْ كانت عمليه المداليل قدْ تجاوزت الإرادات التفصيليه، فهذا المُقِر قدْ اعترف على نفسه إلّا أنَّه توجد لوازم لهذا القرار كإقامه الحدِّ مع أنَّه يريد أنْ يخفيها أو لا يلتزم بها، وعليه فاللسان مفتاح خزائن، والبحوث العلميه الحديثه تعتبر العلوم الألستيّه اعتباراً، مهماً.

كل هذا يستعرضه منهج أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهه، وهذا منهجٌ عريقٌ أسس له أهل البيت (عليهم السلام) وكان يُطعن عليه، بأنَّ هذا تخليط وتخليق وتأويل وبطون وخبط و... الخ ونراه اليوم وبعد أنْ تعمَّقت البحوث العلميه وتطورت واكتُشفت تلك الحقيقه التى أشار لها النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) قبل أربعه عشر قَرْناً من خلال علوم الألسنيات وهو ما يعبرون عنه بالمصطلح العلمى بالانتربولوجى.

الشرط الثانی:

(۱)

إنَّ أهل البیت (علیهم السلام) هم مدار القرآن وباقی الکتب السماویه النازله أجمع، وبولایتهم (علیهم السلام) تُدار محکمات الکتاب العزیز وبها نزلت جمیع الکتب.

وهذا یعنی أنَّه لیسَ باستطاعه البشر أنْ یحصل علی منهاج قویمٌ وسدید صائب فی تفسیر القرآن الکریم ما لمْ تُجعل ولایه الله وولایه الرسول (صلی الله علیه و آله) وولایه أهل البیت (علیهم السلام) المحور المرکزی فی منظومه معارف وأحکام وبیانات القرآن الکریم، وبعد هذا المحور المرکزی تأتی محکمات القرآن ولها طبقات، ثم بعد ذلک تأتی وحده نسق الآیه والسوره، وتقدم مراراً أنْ منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات فی منهج التفسیر المختار دأب وحافظ علی أنْ لا یقصی ولا یُفنِّد المناهج التفسیریه الأُخری، وإنَّما یضع لکل منهج من المناهج التفسیریه الأُخری موقعاً محدوداً بحسب شأن وقُدره ذلک المنهج.

ومنهج أمومه الولایه علی المحکمات هو المنظم والمهیمن والحاکم علی باقی المناهج التفسیریه سواء المنهج التفسیری الموضوعی أو التجزیئی أو أسابب النزول أو التفسیر بحسب علوم اللغه أو بحسب البعد العقلی أو

۱- (۱) تقدم الشرط الأوَّل من الشرائط المعتبره فی استعمال اللفظ فی أکثر من معنی، ص ۲۸.

... الخ فإنَّ منهج أمومه الولايه لا يُشطب أى منهج تفسيرى من هذهِ المناهج التفسيريه فهو المصحح والمرشد لها.

ومن هـذا يُعْرَف: - إنَّ الغرض من تأكيد القرآن على اتّباع المحكمات والنهى عن اتّباع المتشابهات لأنَّ اتّباع المتشابه يؤدى إلى الشـتات والتشـتت والانـحراف والتمسـك ببعض والإيمان به دون البعض الآخر أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ١ فإنَّ الإيمان بالبعض والمغفل عن الإيمان بالبقيه هـذا ضـلال وليسَ هـدايه، ولـذلك لابـدَّ من منظومه، ولذا نلاحظ التفاسـير الخاطئه والمنحرفه أو المـذاهب الاعتقـاديه الخـاطئه التى نشـأت فى فرق المسـلمين سـببها كان هو عـدم مراعاه منهـج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السـلام) ولو روعيت لما وقع هذا الاشـتباه والتشابه وتعدد الفِرَق، وهذا يعتبر شـرط أساسـى من شـرائط اسـتعمال اللفظ فى أكثر من معنى، ولكن بشـرط وهو عدم التصادم مع احتمالات أُخرى فى آيات وسور أُخرى وبالتالى لابدَّ من ملاـحظه ومُراعـاه وتفعيل الشـروط المتقـدمه فى حجيه قاعـده اسـتعمال اللفظ فى أكثر من معنى، فإنَّ منهـج أمومه الولايه لأجل اسـتثمار هـذهِ القاعـده المهمه يُفَعِّلهـا بخلاـف المناهـج الأُخرى فإنَّها تُفعل وتُراعى بعض الشـروط التى ذكرناها سابقاً فى حجيه قاعـده اسـتعمال اللفـظ فى أكثر من معنى فمثلاً القائل بالتفسـير الموضوعى غايه ما يلاحظه ويرعاه تكرر هـذا العنوان كموضوعه واحده فى سائر الآيات والسور، والأمر أعظم عند صاحب التفسير التجزيئى فإنَّه يلاحظ فقط المقطع الذى هو فيه، وهكذا صاحب تفسير أسباب النزول يلاحظ سبب النزول فقط

کی یعطی ویعکس سبب النزول. وهکذا صاحب التفسیر الأدبی یلاحظ الأمور الأدبیه التی تخصّه، وهکذا کل مفسر یلاحظ ویراعی ما یخصّ موضوع تفسیره وحدوده إلّا تفسیر منهج أمومه ولایه أهل البیت (علیهم السلام) علی المحکمات فضلاً عن المتشابهات.

وللأسف حتّی مناهج التفسیر العقلی والعرفانی والإشاری واللطائفی و... الخ لاتقیم وزناً ولا أهمیه ولا خطوره للآیات المحکمات فإنَّها لم تُراع التناسب العلمی للمحکمات وأنَّ المحکمات هی ذات طبقات.

وتمثل المحکمات بمثابه قواعد دستوریه هی التی تهیمن علی القواعد التی دونها، ولا یشترط فی المحکمات أنْ تکون ذا موضوع مشترک أو نفس العنوان الموضوعی فیما بینها فی نفس اللحظه، ومع ذلک یجب علی المُفَسِّر أنْ یُراعی کیفیه اتصال وارتباط المحکمات بهذا الموضوع الذی هو بحسب العنوان اللفظی أجنبی عن المحکمات.

الخلاصه: إنَّ الأمر المهم الذی نرید أنْ نلفت أنظار الباحثین إلیه هو أنَّه لا نطالب بوحده الموضوع فی المحکمات التی یتذرع بها الباحثون دائماً ویقولون بعدم وجودها بین المحکمات، بلْ نُطالب بشیء أعمق من وحده الموضوع وهو الوحده والهیمنه المرکزیه التی هی أعظم من وحده الموضوع.

فإذا لاحظنا الشرائط المتقدمه وبالأخص الشرط الثالث وهو عدم مخالفه قاعده استعمال اللفظ لأکثر من معنی لمنهج أمومه ولایه أهل البیت علی المحکمات.

وهذا الشرط یصب اهتمامه علی إعطاء الدور الرئیسی والهیمنه والحاکمیه والأمومه للمحکمات علی غیرها فی قواعد التفسیر بخلاف باقی

المناهج التفسيريه الأخرى فإنَّ أصحابها كصاحب التفسير النحوى أو الصرفى أو البلاغى أو صاحب منهج تفسير القرآن فى القرآن أو صاحب التفسير الموضوعى، فليس عندهم بالضروره مراعاه جانب الهيمنه المركزيه كما فى أمومه المحكمات.

ما هو الأثر المترتب على تماميه الشرط الثالث:

إنَّ الأثر المهم الذى ينتج ويترتب على تماميه الشرط الثالث - عدم منافاه قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى لمنهج أمومه الولايه على المحكمات - هو حجيه كُلّ هذهِ الدلالات تصوراً أو استعمالاً أو تفهيماً أو جداً وهذهِ نقطه افتراق منهج أمومه الولايه على المحكمات عن باقى المناهج التفسيريه الأُخرى جميعاً عدا بعض المناهج التفسيريه كالتفسير التأويلى أو الإشارى أو اللطائفى، وهذا ما سنتعرض له فى النظام الثانى أى بحث النظام المعنوى لتفسير القرآن الكريم ضمن منهج أمومه الولايه على المحكمات التى لا تقول بحجيه كُلّ الدلالات إلّا الدلاله الجديه مثلاً أو التفهيميه كما سيأتى تفصيل كُلّ ذلك فى محله إنْ شاء الله تعالى.

ص:۶۳۲

الضوابط التطبيقيه لقاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى

لأجل أنْ تكون الأمثله التى نسوقها لتوضيح هذهِ القاعده المهمه وهى استعمال اللفظ فى أكثر من معنى محسوسه لنا بشكل أكثر، لابدَّ من ملاحظه وتتبع سير الانتقال فى الداله اللفظيه من خطوه إلى أُخرى لاحقه حتَّى يصل الخطاب إلى السامع بالشكل الذى يريده المتكلم وهى: -

المرحله الأُولى: ذكرنا سابقاً أنَّ كُلّ مرحله من مراحل الدلاله لها آلياتها، فالداله اللفظيه على صعيد التصور لها آلياتها الخاصه بها غير آليات الدلاله الاستعماليه غير آليات الدلاله الجديه... الخ.

فمثلاً- ألفاظ معينه لها أصوات ربما تستعمل فى ألفاظ متعدده تتشابه وتتشاكل وتتجانس صوتياً - كما فى اللفظه الأخيره فى الشعر الشعبى الدارج الأبوذيه - أو مثل قيل يا أسما أين صبرى.

آليات الأصوات سواء أصوات الألفاظ الأصليه أو غير الأصليه أى الحركات الإعرابيه المعبر عنها بانها نصف لفظ مثل الضمه التى هى نصف صوت الواو والفتحه نصف صوت الألف وهكذا يرسمون المد مثلاً بأنَّه كم يعادل من الألف، والكسره نصف صوت ياء مُصغَّره كما فى علم التجويد وعلم الصرف.

المرحله الثانيه: تصور العلاقه بين اللفظ والمعنى يعنى الأوضاع اللغويه آلياً، والانتقال فى هذهِ المرحله من الصوت إلى اللفظ، ومن اللفظ

إلى المعنى بعد أنْ تجاوزنا فى المرحله الأولى عالم اللفظ والصوت إلى عالم ما بين اللفظ والمعنى أى المعنى التصورى والأوضاع اللغويه وآليات الألفاظ.

المرحله الثالثه: العلاقه بين المعنى التصورى والمعنى الاستعمالى، وآليات هذهِ المرحله عباره عن مجموع الألفاظ والقرائن الاستعماليّه.

المرحله الرابعه: مرحله القرائن التفهيميه، سواء أكانت لفظيةً أو حاليةً أو لُبيّةً أو... الخ وقدْ خاض علماء البلاغه والأصول تفاصيل أصناف القرائن الاستعماليه التى ترتبط باستعمال اللفظ كقرينه المجاز وغيرها مما يرتبط بالقرائن الاستعماليه، وهكذا قرائن الكنايه فإنَّها قرائنٌ مرتبطه بطبقه القرائن التفهيميه والتى تعنى تحديد بالمعنى التفهيمى، وكذا الدلالات الالتزاميّه هى قرائن ترتبط بطبيعه القرائن التفهيميه وليست بالقرائن الاستعماليه.

المرحله الخامسه: مرحله طبقه القرائن الجديّه والتى ترتبط بمحصله الحكم، ففى كُلّ مفادٍ لفظى هناك حكم سواء قضيه إنشائيه أو إخباريه فإنَّه هناك حكم أى محمول وهناك موضوع وما شابه ذلك ما يرتبط بشؤون وميول الحكم يُقال له قرائن ترتبط بمقدمات الحكمه أى مرتبطه بقرائن الجد.

وهناك مرحله سادسه وسابعه وثامنه و... إلى أنْ يعلم الله حدودها هى فى الحقيقه تعدد مراحل المعنى الحدى وللمعنى الجدى آليات.

والخلاصه: إنَّ لكلِّ طبقه أومرحله من آليات الدلاله قواعد أو قرائن منضبطه بالعلوم المختلفه لكى لا يتشوش نسق الدلاله ونسق المدلول لدينا، ولابدَّ من ضبط أنَّ كُلّ علم يختص باى مرحله وبأى طبقه من قرائن

الـدلاله حتَّى فى علـوم اللغه، فـإنَّه علـوم اللغه - كمـا تقـدم - متعـدده من علوم الأـدب العربى، أو علوم الأـدب اللغوى، وأصـل المعـاجم اللغويه الـذى هو علم المفردات فـإنَّه يختص بمرحله الـدلاله الوضـعيه التصوريه، وعلم العروض يختص بمـا قبـل ذلك الذى هو علم الأصوات وكيفيه انسجام علم الأصوات مع موادّ الألفاظ.

ص:٦٣٥

بحث آخر حول القرآن

إنَّ فرض وبحث عمليه القرائن أمرٌ بـالغُ الأـهميه، وقـدْ ذكر علماء البلاغه إنَّ الـدلاله التصوريه وعالم الارتباط بالألفاظ التصوريه مما يُبحث فى علم البديع بالذات، وهكذا يأخذ علم البديع شيئاً من مرحله الاستعمال.

وأمَّا الدلاله الاستعماليه وشىء من الدلاله التفهيميه فيُبحث فى علم المعانى.

وأمَّا الدلاله الجديه وشىء من التفهيميه فتُبحث ويُعتنى بشأنها فى علم البيان.

والخلاصه: إنَّ علوم البلاغه الأساسيّه هى:

١ – علم البيان: يرتبط بالتفهيمى والجدى.

علم المعانى: – يرتبط بالمعنى الاستعمالى وشىء من حافه التفهيم.

٣ – علم البديع: – ما يرتبط بالألفاظ والمحسنات اللفظيه، أى مرحله الدلاله الاستعماليه والأوضاع اللفظيه بالمعنى التصورى.

وأمَّا مـا يرتبـط بقرائن الحكمه والعلوم الأُـخرى التى تبحث عن مسائـل وأمور مُتعـدده فى علم النفس وعلم الاقتصـاد وعلم الفقه وعلم المصـرف والمـال، وعلم الفلـك وعلم العقائـد... الـخ والقرائن التى تـأتى من العلوم الأُـخرى فالغـالبيّه العظمى منهـا ترتبط بمرحله المراد الجدى على طبقات.

ومن الخطأ أنْ يُقال:

إنَّ تفسير الشريعه وتفسير النص الدينى يكفى فيه علوم اللغه فقط يكفى فيه فقط علوم اللغه، علماً أنَّ علوم اللغه فقط توصلك إلى المعنى التفهيمى دون المعنى الجدى، وطبقات المراد الجدى يجب أنْ تتكفلها علوم أُخرى.

ولذا ينبغى للفقيه المُفَسِّر إذا أراد أنْ يتناول موضوع اقتصادى ومعالجه أمر اقتصادى كتحريم الربا فى القرآن الكريم والسنه أو تحريم استقضاء الأجره من الفواحش أو القمار أو أكل المال بالباطل أو... الخ فعلى المُفَسِّر أو الفقيه أو الباحث أنْ لا يقتصر ولا يكتفى فقط بالعلوم اللغويه، بلْ يستعين بمفردات تلك العلوم والاطّلاع على المناهج المقرَّره فى تلك العلوم والتعامل بمصطلحات بما يتلائم وعلوم الدين.

ونودُّ الفات النظر إلى أنَّ الأزمات السرطانيه فى الاقتصاد البشرى جيلًا بعد جيل تدور وتلف وترجع إلى الغدد السرطانيه التى وضع القرآن يده عليها وحرّمتها ونهى عنها أمثال: -

١ - الربا.

٢ - القمار.

٣ - أكل المال بالباطل.

٤ - غسيل الأموال وتمويهات بالباطل ليسَ لها أى حقيقه.

٥ - حرمه أكل الميته... الخ.

إذنْ القرآن الكريم وضع يده على غدد سرطانيه فى باب الاقتصاد أو

باب الأطعمه والأشربه أو النظام الغذائى البشرى، مهما حاول البشر أنْ يُقنِّعها بمختلف الأقنعه ويبدل ألفاظها جيلًا بعد جيل ترجع إلى الماهيه والحقيقه، فالربا مهما قُنِّع أو بُدِل لفظه أو صورته أو... فهو يجر إلى مفسده وكذا الفواحش بطريقه أُخرى الخداع المعاملى بطريقه أُخرى وبأسماء جديده فإنَّ المسمى واحد يعتمد على قرائن ترتبط بعالم المال والنقد أو عالم الصرف والمصرف ولا نريد من الفقيه أنْ يتخصص بعالم المال والمصرف وإنَّما لا أقل يستعين بقواعده؟ لِمَ ذلك؟

لأنَّ تلك القواعد ترتبط بالمعنى الجدى، كذلك الفقيه إذا أراد أنْ يُحرر وينظر بشكل عميق ومتين فى بحوث علم الاقتصاد فلا تكفيه المعالجه بعلوم اللغه وإنَّما علوم اللغه توصلك إلى المعنى التفهيمى وأقصى ما توصلك إليه هو المعنى الجدى الإجمالى أمَّا طبقات المعنى الجدى التفصيليه لا يمكن معالجتها بالفقه أو علوم اللغه فقط وإنَّما لابدَّ من الرجوع إلى القواعد والقرائن المرتبطه بتلك العلوم الأُخرى مثل علم الاقتصاد وعلم الفلك وعلم الفيزياء والكيمياء و... الخ.

الخلاصه: أنَّ العلوم الأُخرى قواعدها وبراهينها ودوافعها ترتبط بالمعنى الجدى وليسَ للمفسر أو الفقيه أو المتكلم أو أى أحد أنْ يقرأ النص الدينى بمعزل ومنأى عن القواعد المسلمه والبديهيه فى العلوم الأُخرى لا القواعد النظريه لأنَّ القواعد النظريه لمْ تصبح لحد الآن حقائق وإذا لمْ تصبح حقائق فلا يمكن الاعتماد عليها أو هناك آراء فرضيه وليست نظريه، ومن المعلوم أنَّ الفرضيه أسبق من النظريه فى العلوم ثم بعد النظريه حقيقه.

القواعد البديهيه والمسلمه فى العلوم هى فقط التى يعتمد عليها وأمَّا الفرضيه أو النظريه فلا يمكن الاعتماد عليها.

وعليه فالقواعد المبدهه فى العلوم الأُخرى هى قرائن الجد وحينئذٍ تكون هذهِ توسعه لأقسام القرائن.

ص:٦٣٩

القسم الثانی: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی

اشاره

تقدم الکلام فی استعمال اللفظ معنی واحد، والآن نحاول الخوض فی القسم الثانی وهو استعمال اللفظ بأکثر من معنی بعرضه العریض، وإنْ کان الأنسُ بهذه القاعده الخطیره والمهمه والوسیعه أمرٌ غریبٌ عند علماء البشر أجمع، نعم ممارستها بشکل محمود موجودٌ فی کُلّ أفق البشر، کما مَرَّ التنبیه علیه من بعض أدلَّه القسم الأوَّل فی الحواریات الإنسانیه أو الحواریات فی اللغه العربیه فإنَّه موجود فیها استعمال اللفظ فی أکثر من معنی.

والکلام فی هذا القسم الثانی بلحاظ علم التفسیر للقرآن الکریم، نرید أنْ نلفت نظر الأخوه الباحثین ونتنبَّه إلی أنَّ هذهِ القاعده بأفقها الوسیع جداً لمْ تدشن وتطبق بهذه الموسوعیه الکبیره فی أی منهج تفسیری ولا فی أی علم من العلوم إلّا فی منهج تفسیر أمومه ولایه المحکمات وأهل البیت (علیهم السلام) والذی لمْ یفتأ الآخرون یُسجلون طعناً علی هذا المنهج منذ القرن الأوَّل للإسلام إلی فتره متأخِّره جداً إلّا أنَّه هناک الآن فی العصر الحدیث صحوه علمیه اعترفت بأنَّ هذا المنهج هو منهج جدیر وحقیقی وکفوء لاسیما بعد انفتاح مبحث ومنهج تعدد القراءات للنص الدینی وفلسفه الألسنیات عند الشرق والغرب وتعددیه وهرمونطیقیا وبرمجه مهوله لانه یُبَرْمج فیها لعوالِم من البرمجه التی تباهی بها القرآن الکریم وجعلها من عظائم إحسانه علی عباده وهی لغه البیان اَلرَّحْمنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسانَ،

عَلَّمَهُ الْبَيانَ ١.

الألسنيات الحديثه وفلسفتها فبها جوانب إيجابيّه جديره وفيها جدارات أنجزت وكانت فى السابق علوم اللغه فى لغات البشر وعلوم الأدب العربى فى غفله عنها ويعدونها طعن على مدرسه، ومنهاج أهل البيت (عليهم السلام)، والآن أصبحت وإنْ لم يُصرِّحوا - الطرف الآخر - ولم يعترفوا بذلك إلّا أنَّها حقيقه والحقيقه لا تحتاج إلى اعتراف فتلك الطعون التى كانوا يطعنون بها على منهج مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) أصبحت الآن تعتبر معاجز علميّه لأهل البيت (عليهم السلام) لذلك يعبرون عنها البرمجه اللغويه ومن الواضح أنَّ اللغه فيها برامج مهوله.

وعليه فالبرمجه اللغويه ليسَ أمرها باليسير، والذى نريد الوصول إليه من خلال هذا كُلَّهُ هو: -

إنَّ قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى لها طبقات ولها زوايا وجهات متعدده، وعليه فكيف تُطبَّق فكره هذهِ القاعده بمنهاجها الوسيع فى منهاج أهل البيت (عليهم السلام)، والبيان المذكور فى القرآن الكريم مثل قوله تعالى: قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّى٢ الذى هو كنايه عن اللامحدوديه واللاتناهى، بلْ فوق ذلك، وكذا البرهان المذكور فى القرآن الكريم وفى أحاديث النبى (صلى الله عليه و آله) وعترته (عليهم السلام) أنَّه ما دامت قواعد اللغه والبيان كُلَّها متأتيّه ومنطبقه وقابله للانطباق على مواردها فتكون كُلَّها مُرّاده فى مختلف العلوم من النحو والصرف والعَروض وعلم القراءات والصوت، وأنَّ قواعد هذا الصوت يمكن أنْ تُضبط على قراءتين

أو ثلاثه أو أربعه أو... الخ.

وأحد تفسيرت تبيان تعدد القراءات بهذا المعنى فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) هو: -

أنَّ وجوه القرآن لا بمعنى اختلاف لهجات العرب وإنْ كان هـذا هو المعروف من علم القراءات، إلّا أنَّ منهـج أهل البيت (عليهم السـلام) لا يُشـيد به بـذات الحـد، وإنَّما يُشـيد منهاج أهل البيت (عليهم السـلام) إلى منهـج تعدد القراءات العصـرى يعنى وجوه القرآن بأنَّ اللفظه الواحده لها صوتاً ولها استعمالاً ولها تفهيماً ولها جدّاً و... الخ.

نعم وَرَدَ فى روايات أئمه أهل البيت (عليهم السلام) إنَّ تعدد القراءات بهذا المعنى هى تعدد وجوه للقرآن.

والنقطه الجوهريه التى يتميز بهـا منهـج أمومه ولاـيه أهل البيت (عليهم السـلام) على المحكمات فضـلاً عن المتشابهات عن باقى المناهـج التفسـيريه الأُخرى هو أنَّ منهـج أمومه الولايه يبنى على عـدم وحدانيه المعنى من اللفظه الوحده، وهذهِ هى بدايه افتراق مسار الطريق مع باقى المناهج التفسيريه الأُخرى سواءً منهج المتكلمين أو الفقهاء التى تبنى على وحدانيه المعنى بالجمله.

إذنْ السُـبل عند أهل البيت (عليهم السـلام) متعدده وإنْ كان الصـراط واحداً ومسـتقيماً لكنَّ السُـبل إلى الله وإلى ذلك الصـراط متعددةٌ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً١.

إلّا أنَّه ومن المؤسِف جداً بعضهم ينظر إلى كلام الله تعالى نظرةً

حبوسيّةً ضيقةً ويعتبر هذا من الأخطاء الفاحشه؛ لأنَّ الكلام صادرٌ من ربِّ العالمين وأُفُقُه يختلف عن أفق البشر، وعليه تكون جميع هذهِ الجهات المختلفه المتعدده كُلُّها مُراده، ولو لمْ يُرد الله تعالى جميع هذهِ المعانى المختلفه لحَجب باباً عن باب، وعليه فما دام الكلام الإلهى فى القرآن منفتح على جهات عديده كلها تكون مراده ولا مانع منه فى بيانات أهل البيت (عليهم السلام) كمنهاج شرايع تبتدأ بهذا الطريق، فإنَّ للكلام طُرقاً متعدده فما دام لمْ تخرج عن قاعد وموازين المنهاج المقرر فى مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) فإنَّه لا- مانع منه وحاله حال القواعد النحويّه إذْ يمكن أنْ تعرب بوجوه متعدده لا- تخرج عن الضوابط والقواعد النحويه وكلها صحيحه بالشروط الثلاثه التى تقدَّمت.

والنتيجه: إنَّ انضباط القواعد ليست عشوائيه وإنَّما منضبطه ورصينه وموزونه بموازين إلّا أنَّه لماذا تُترك هذهِ الموازين، ولذا يختلف منهج أمومه ولايه أهل البيت (عليهم السلام) على المحكمات فضلاً عن المتشابهات فى القرآن الكريم عن باقى المناهج التفسيريه الأُخرى كمنهج الحداثويات والألسنيات ومنهج القراءات المتعدده فى أنَّه فى منهج امومه الولايه إذا تعدد الموازين لا يوجب هذا التعدد تضارب بينها، بخلاف المناهج الأُخرى لاتى يحصل عندها تضارب بين الموازين بسبب اشتراطها المُسبق أنَّ المعنى واحد وأُحادى الأفق وضيّق، بخلاف منهج أمومه الولايه التى تستند إلى قوله تعالى: قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّى١.

وحينئذٍ لا- مانع من تعدد القواعد الصرفيه والنحويه والبلاغيه و... الخ إذا لم تتعارض موادّها مع محكمات القرآن ولا بأس بها لأنَّها قواعد وحقائق علميّه.

المواد التطبیقیه لقاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی

اشاره

إنَّ قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی ذات معنی وسیع جدّاً، ویُمکننا أنْ نطبقها علی منهاج أُمومه الولایه علی المحکمات فی القرآن فضلاً عن المتشابهات، ونذکر لها عِدَّه أمثله وموارد تطبیقیه.

المورد الأوَّل: حدیث النبی (صلی الله علیه و آله)

«أوتیت جوامع الکَلم»(۱).

بتقریب: - إنَّ الکلمه التی یُبدیها رسول الله (صلی الله علیه و آله) تشتمل علی منظومات بیانیه إلی ما شاء الله، إلّا أنها تحتاج إلی مُفَسِّر إلهی منتخب من قبل الله تعالی حتّی یُفسِّر هذهِ الکلمه التی أطلقها رسول الله (صلی الله علیه و آله)؛ لأنَّ الرسول (صلی الله علیه و آله) لم یُأتَ جامع أو مجموعه من الکلم وإنَّما أوتی جوامع الکلم، والجوامع جنس الکلم، ولذا نلاحظ أیَّ حدیث نبوی یصدر عنه (صلی الله علیه و آله) له ما شاء الله من التفاسیر، وتنبثق منه قواعد عدیده بمثابه أسس تنطلق منها تلک القواعد والضوابط.

المورد الثانی: قوله (صلی الله علیه و آله)

«إنَّما الأعمالُ بالنیات»(۲) هذا الحدیث الشریف رغم وجازه کلماته إلّا أنَّه بعض المحققین استقصی معانی هذا الحدیث الشریف الذی قدْ بُیِّن فی کلمات أهل البیت (علیهم السلام)، ثم علماء المسلمین إلی ما یقرب من أربعین

۱- (۱) الخصال للصدوق، وکذا الآمالی للصدوق.

۲- (۲) دعائم الإسلام للقاضی النعمان المغربی، ج ۱، ص ۳، وتهذیب الأحکام للشیخ الطوسی، ج ۴، ح ۱۸۶ ص ۵۱۹.

معنی متباین، وکل هذهِ المعانی قواعد أساسیّه فی العلوم المهمه.

ویتشـمل هذا الحدیث الشـریف علی بیان معانی علوم عدیده وأسس وقواعد علوم فتقت من هذهِ القاعده النبویه الشریفه تتضمن مفاتیح لأبواب علوم أساسیه مختلفه یحتاج إلیها الباحث، وهذا معناه أنَّ عالم المعانی أعظم عالم مجرد وأعظم من عالم الأبدان.

هذا بلحاظ حدیث النبی (صـلی الله علیه و آله) فکیف بکلام الله تعالی الذی هو خالق وجاعل ومُعْطی جوامع الکلم للنبی (صـلی الله علیه و آله) التی هی أسـماء إلهیه أعظم من جوامع الکلم لذا کان وصف القرآن لنفسه عظیماً قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی (۱) ؛ ولذلک ورد عن الإمام الصادق (علیه السـلام) فی روایه أبی بصـیر قلت للصادق (علیه السلام) قوله

قُل لَّوْ کَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا، قال (علیه السلام): أخبرک أنَّ کلام الله لیسَ له آخر ولا غایه ولا ینقطع أبداً](۲).

المورد الثـالث: هنـاک جمـل کـثیره من کلمـات النـبی (صـلی الله علیه و آله) الموجزه النـافعه نـذکر بعضـها من دون تعلیق طلباً للاختصار.

۱ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«من تفاقر افتقر»(۳).

۲ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«أفضلکم إیماناً أحسنکم أخلاقاً»(۴).

۳ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«حُسن البشر یُذهِب بالسخیمه»(۵).

۱- (۱) سوره الکهف: الآیه ۱۰۹.

۲- (۲) تفسیر البرهان، ج ۳، ص ۶۸۹.

۳- (۳) تحف العقول، ص ۴۱.

۴- (۴) المصدر السابق، ص ۴۵.

۵- (۵) المصدر السابق، ص ۴۵.

۴ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«صِلوا أرحامکم ولو بالسلام»(۱).

۵ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«ما آمن بالقرآن مَن استحَلَّ حرامه»(۲).

۶ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«خیرٌ من الخیر مُعطیه، وشرٌّ من الشر فاعله»(۳).

۷ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«خیر من العمل أدومه وإنْ قلَّ»(۴).

۸ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«حُبُّ الدنیا أصل کل معصیّه»(۵).

۹ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«لا یرد القدر إلّا الدعاء»(۶).

۱۰ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«خیر الزاد التقوی»(۷).

۱۱ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«رأس الحکمه مخافه الله»(۸).

۱۲ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«السفر قطعه من العذاب»(۹).

۱۳ – قوله (صلی الله علیه و آله):

«ادفعوا البلاء بالدعاء»(۱۰).

المورد الرابع: ما ورد فی کلمات أمیر المؤمنین (علیه السلام) المختصره والنافعه.

ص:۶۴۷

۱- (۱) المصدر السابق، ص ۵۷.

۲- (۲) المصدر السابق، ص ۵۵.

۳- (۳) المصدر السابق، ص ۵۷.

۴- (۴) مجموعه ورّام ج ۲، ص ۱۲۲.

۵- (۵) المصدر السابق.

۶- (۶) عیون أخبار الرضا ج ۲، ص ۷۴.

۷- (۷) کنز الفوائد ج ۱، ص ۲۱۶.

۸- (۸) المصدر السابق.

۹- (۹) عیون أخبار الرضا، ج ۲، ص ۷۴.

۱۰- (۱۰) الفقیه، ج ۴، ص ۳۸۰.

١ – قوله (عليه السلام):

«لا غنى مثل العقل، ولا فقر أشد من الجهل»(١).

٢ – قوله (عليه السلام):

«قيمه كلُ امرىء ما يُحسِن»(٢).

٣ – قوله (عليه السلام):

«إذا تمَّ العقل نقص الكلام»(٣).

٤ – قوله (عليه السلام):

«آله الرئاسه سعه الصدر»(٤).

٥ – قوله (عليه السلام):

«الإعجاب يمنع الازدياد»(٥).

٦ – قوله (عليه السلام):

«الطمع رقٌّ مُؤبد»(٦).

٧ – قوله (عليه السلام):

«كم أكله منعت أكلات»(٧).

٨ – قوله (عليه السلام):

«القناعه مالٌ لا ينفذ»(٨).

٩ – قوله (عليه السلام):

«الناس أعداء ما جهلوا»(٩).

١٠ – قوله (عليه السلام):

«الشكر زياده»(١٠).

۱۱ – قوله (علیه السلام):

«الصمتُ وقارٌ»(۱۱).

ص:۶۴۸

۱- (۱) تحف العقول، ص ۲۰۱.

۲- (۲) تحف العقول، ص ۲۰۱.

۳- (۳) نهج البلاغ، ۵۲۶.

۴- (۴) تحف العقول، ص ۲۲۴.

۵- (۵) نهج البلاغه، ص ۴۹۴.

۶- (۶) المصدر السابق.

۷- (۷) المصدر السابق، ص ۵۴۸.

۸- (۸) المصدر السابق، ص ۵۰۷.

۹- (۹) المصدر السابق، ص ۵۲۵.

۱۰- (۱۰) غرر الحکم، ص ۳۷۸.

۱۱- (۱۱) المصدر السابق، ص ۲۱۶.

۱۲ – قوله (علیه السلام):

«العاقل مَن وعظته التجارب»(۱).

۱۳ – قوله (علیه السلام):

«الفقر یُخرس الفطن عن حجته»(۲).

۱۴ – قوله (علیه السلام):

«کل داء یداوی إلّا سوء الخُلُق»(۳).

۱۵ – قوله (علیه السلام):

«کل شیء یُمَلُّ ما خلا طرائف الحِکَم»(۴).

۱۶ – قوله (علیه السلام):

«کثره المعارِف محنه، وخلطه الناس فتنه»(۵).

۱۷ – قوله (علیه السلام):

«ما تکبَّر إلّا وضیع»(۶).

۱۸ – قوله (علیه السلام):

«ما تواضع إلّا رفیع»(۷).

المورد الخامس: ینقل الکشی ما ورد عن الإمام الباقر (علیه السلام): إنَّ الإمام الباقر (علیه السلام) کتب رساله فیها نون أو جیم ونُقلت هذهِ الرساله إلی جابر بن یزید الجعفی وغیره، وبعد ما عرضت علیه وعلی باقی أصحاب الإمام فکل واحد منهم فهم منها معنی من هذا الحرف أو الکلمه، فمثلاً ـ جابر بن یزید الجعفی فهم من هذهِ الکلمه أنَّه یمثل بالجنون حتّی تبتعد عنک عین الأعداء کی لا تغتالک ید بنی العباس، وآخر فهم منهم معنی آخر وهکذا و... الخ].

المورد السادس: ما فی الشعر الشعبی الدارج المعروف ب – (الأبوذیه)

۱– (۱) المصدر السابق، ص ۴۴۴.

۲- (۲) المصدر السابق، ص ۳۶۵.

۳- (۳) السابق، ص ۲۶۴.

۴- (۴) المصدر السابق، ص ۵۸.

۵- (۵) السابق، ص ۳۱۹.

۶- (۶) غرر الحكم، ص ۳۱۰.

۷- (۷) غرر الحكم، ص ۲۴۹.

فإنَّ لفظه واحده تنتهى بها الأبيات الثلاثه الأولى بمعانى مختلفه، ونفس الصوت يكون بنبرات مختلفه فى الألفاظ الثلاثه الموحده الماده والمختلفه الهيأه فى بعضها أيضاً هذا يؤدى إلى اختلاف المعنى(١).

المورد السابع: وهكذا فى علم التصريف، فمثلاً: الفعل: - وقى - يوقى يقى - قِ، فهنا استعمل الصوت فى أكثر من لفظ فضلاً عن اختلاف المعنى.

إلى غير ذلك من الموارد التطبيقيه الأُخرى للقاعده تدلُّ على إمكانها فضلاً عن وقوعها إذنْ استعمال اللفظه الواحده فى عِدَّه معانى وهيئات ممكنه وواقعه وهى تأتى بحسب تخصيص أهل اللغه، وعليه فيكون باب هذهِ القاعده وسيع جداً فى مختلف المجالات والعلوم والفنون سواء اللغويه أو النحويه أو الصرفيه أو على مستوى علوم الفقه والأصول والعقائد والتفسير أو العلوم الأمنيه والاستخباراتيه أو... الخ وهكذا أشرنا سابقاً إلى أنَّ: - كثره سعه أفق الاستعمال الصوتى، يفتح بابها على علم الاشتقاق المعهود من صيغه اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر وصيغه الفعل واسمه والاسم... الخ، وأقسام الاشتقاق الثلاثه الكبير والمتوسط والصغير(٢) ومن الواضح أنَّ علم الاشتقاق من العلوم المهمه جداً وليسَ

١- (١) كما فى قول شاعرهم:بعد جرح الوصى هيهات ينشالوچن الصوَّبه يا ريت ينشال (ينشل) وَىَ نعش العدل للگبر ينشالويتامه نظل عگب حامى الحميّه

٢- (٢) الاشتقاق: هو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنىً وتركيباً، ومغايرتهما فى الصيغه، نحو اشتقاق كلمه (كاتب) من (كَتَبَ)، و (مطبعه) من (طبع) و... الخ وأمَّا أصل الاشتقاق: - فقد اختلف البصريون والكوفيون حول أصل الاشتقاق، فقال البصريون: إنَّ الأصل هو المصدر، وذهب الكوفيون إلى أنَّ الفعل هو الأصل ولكل حُجيه - مَن أراد فليراجع المطولات - وينقسم الاشتقاق إلى: -أولاً- الاشتقاق الأصغر: هو تقليب تصاريف الكلمه، حتّى يرجع منها إلى صيغه هى أصل الصيغ كلها دلاله اطراداً أو حروفاً غالباً ك - (ضَرَبَ) فإنَّه دال على مطلق الضرب فقط، أمَّا ضارب، ومضروب، ويضرب، وإضرب، فكلها أكثر دلاله وأكثر حروفاً، و (ضَرَبَ) الماضى مساوٍ حروفاً وأكثر دلاله وكلها مشتركه فى الماده (ض - ر - ب) وفى هيئه تركيبها. ثانياً: الاشتقاق الأكبر: هو أنْ تجد بين كلمتين فأكثر تماثلاً فى الحروف واختلافاً فى ترتيبها يتقدم بعضها على البعض الآخر من دون زياده أو نقص فيها مع الاتحاد فى المعنى نحو: مَدَّ ومَطَّ، وأنفق وأنقذ، وقصَّ وقَصَمَ، أو أنْ تعمد إلى كلمه فتشتق منها كلمه فأكثر بتقديم بعض الحروف على بعض من دون زياده أو نقص مع الاتحاد فى المعنى كالضبِّ (الشيلان) والبض، كالجَبِّ والجبب وهو على أى حال تكلف كبير [المعجم الشامل، ص ۴۳، ج ٢.

فی لغه العرب فحسب، بلْ حتَّی عند البشریه فی لغات أخری لسانیه.

إذنْ استعمال اللفظ فی أکثر من معنی له عدَّه زوایا حتَّی زاویه استعمال الأصوات فی أکثر من لفظٍ.

المورد الثامن: هناک روایه نقلها الشیخ الطوسی فی الاحتجاج: فی احتجاج النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) مع الیهود والنصاری وهیک قوله (صلی الله علیه و آله) مع الیهود: «إنْ کان إبراهیم خلیله فأنا حبیبه محمد...»(۱).

بتقریب: أنَّ النبی (صلی الله علیه و آله) قَبِلَ للخصم أنْ یستدلوا بقولهم [لأنَّ الله اتخذه خلیلا](۲).

وإنَّ إبراهیم خلیل الله وأنَّ نعت (خلیل) استعمل فی أکثر من معنی.

۱- (۱) الاحتجاج، ص ۵۸.

۲- (۲) المصدر السابق.

وهكذا احتجاجه (صلى الله عليه و آله) مع النصارى واليهود من جانب آخر، بأنَّه: لماذا تقولون عزيرٌ بن الله، وعيسى بن الله.

بتقريب: أنَّ البنوّه تحمل معانى باطله فى الاعتقاد بالتوحيد، وأنَّ معنى يلد ويولد أى أنَّ الله تعالى يتبعض ويتجزأ ويتآكل وهذا شأن الفقير وليسَ من شأن الغنى التركب والتبعض والتآكل فكيف تقولون أنَّ الله غنى و... الخ.

أجابهم النبى (صلى الله عليه و آله): عن ذلك كما هو مفصل فى الاحتجاج مَن أراد فليراجع احتاج النبى (صلى الله عليه و آله) مع اليهود والنصارى.

ثم قالوا للنبى (صلى الله عليه و آله): تقرُّ بأنَّ إبراهيم خليل الله كما جاء فى القرآن وأنَّ إبراهيم (عليه السلام) هو خليل الله، وأنَّ مفرده (خليل) وحيانيه بمعنى التكريم، لا أنَّ الله تعالى له كفواً أحد وند يم، فقالوا للنبى الأكرمه فكما أنَّ إبراهيم خليل الله إذنْ عزير بن الله وما المانع فى ذلك؟

أجابهم النبى (صلى الله عليه و آله): إنَّ موسى (عليه السلام) عند اليهود أعظم من عزير، فلماذا أصبح عزير بن الله، ولم يصبح موسى بن الله، فاجعلوه عم الله، أو جَدُّ الله فأجابهم النبى (صلى الله عليه و آله) كما فى الاحتجاج بمزيد من النقوض، وأنَّ المراد من كلمه الخليل والخُلّه - مضمومه الخاء ومكسورها تأتى بمعنيين فى اللغه: - وهنا محل الشاهد من قول الرسول (صلى الله عليه و آله) فى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى فإنَّ الخليل تأتى إمَّا: -

١ - بمعنى الفقر والفاقه.

٢ - أو بمعنى الصديق والوفى باعتبار أنَّ الصديق الوفى هو الذى يطلّع على أسرار خليله، والله تعالى أعْلَمَ إبراهيم (عليه السلام) بأسرار التوحيد

والمعارف والدين فهو خليل بهذا المعنى.

إذنْ إبراهيم صدِّيق وصديق بأنَّ يعلم من أسرار الله شيئاً فسُمى بالخليل، والخليل بمعنى الخُلّه بضم الخاء.

وعليه ف - (خُلّه) بضم الخاء و (خِلّه) بكسرها هما هيئتان ولفظتان وليسا لفظةً واحده، إلّا أنَّ الواقع الصوتى للفظه (خليل) يمكن أنْ يؤخذ من هذهِ الماده أو تلك، وعليه يكون استعمال الصوت فى لفظتين، وليسَ فقط استعمال اللفظ الواحد فى معنيين، ومع ذلك جارى النبى (صلى الله عليه و آله) اليهود والنصارى بأنَّ هذا الصوت للفظتين وللمعنيين كلاهما صحيح سواء كان بمعنى الفقر أو الخُلّه وكلا المعنيين مراد للنبى (صلى الله عليه و آله) وهو معنى مستقيم، وهذا إقرار من النبى (صلى الله عليه و آله) للطرف الآخر بأنَّ من حقهم أنْ يحتجوا إمَّا بهذا المعنى أو ذاك أو بكليهما كُلّ ذلك صحيحٌ ويتحاجون به عند ربهم.

ومن هذا يتفرع مطلبٌ عقائدى يُرسِّخ عبوديه إبراهيم (عليه السلام) لله تعالى والنبى (صلى الله عليه و آله) عندما قبل بهذين المعنيين للخِله - أى تعدد المعنى للفظه الواحده، وكانت منضبطه تحت قواعد وموازين البيان فإنَّه يصح إراده كُلّ المعانى ما لمْ يَذُدك عنه ساطع البرهان، وإنْ لمْ تكن قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى وارده فى بيان الوحى، ولم يعترض النبى (صلى الله عليه و آله) عليها ولم يقل أنَّه يلزم من استعمالها كما فى معنيى (الخُله) المضاده لتوحيد الله، إنَّما هو بهذه القاعده لا يُجانب ولا يبتعد معنى الخليل عن عبوديه إبراهيم (عليه السلام) لله تعالى.

إذنْ هذا احتجاج بالقاعده واستعمالها من قبل النبى (صلى الله عليه و آله) بحق وجادلهم بالتى هى أحسن وليست هى جدال بالأمور التمويهيه والباطله لا سامح الله.

مضافاً إلى أنَّ وصف النبى إبراهيم (عليه السلام) بالخليل والصدِّيق من ان

الخِلـه وهی الفقر والانقطـاع والاحتیـاج إلی الله تعـالی فـإنَّ هـذا الوصـف فیـه تکریس ودعم لعبـودیه إبراهیم (علیه السـلام) فی توحیده لله تعالی.

وهکـذا وصف الصـدِّیق والصـدیق بضم خاء الخُله، من أنَّ معنی الصدیق هو مَن وقف علی خصوصـیات صدیقه لدرجه لا یَطَّلع علیها غیرهن وهذا أیضاً لا یُنافی العبودیه لله وتوحیده.

إذنْ إذا سامـح ذلک الاسـتعمال عنـد النبی الأکرم (صـلی الله علیه و آله) فهذا معناه أنَّه هناک تسـمیه شـرعیّه ووحیانیه یُرادُ منها معنیین، علمـاً أنَّ التسـمیات الإلـهیه المشـتقه من الأسـماء الإلـهیه، وأنَّ نفس الأسـماء الإلهیّه أعظم من القرآن لأنَّها مصـدر نزول القرآن.

وعلیه إذا کان الحال فی التسمیات للأنبیاء المشتقه من أسماء الله الحال فیها بحسب البُعد التکوینی أنَّه (صلی الله علیه و آله) یُبین هـذا الاسـتعمال البیانی المتعـدد والمنفتـح علی طرق متعـدده حاکیه عن أنَّ التکوین علی أنماط متعدده، وهذا ممّا یدعم ویُدَلِّل علی استعمال قاعده اللفظ فی أکثر من معنی.

المورد التـاسع: لفـظ الجلالـه [الله] تعـالی اسم بـاری الوجود وأصـله [إلاـه] فـدخلته أل فحـذفت الهمزه تخفیفاً، والأُلاهه والألهیّه والأُلُوهه والألوهیّه والألهانیه بمعنی واحد(۱).

ولیسَ (الله) من الأسـماء التی یجوز منها اشـتقاق فعل، کما یجوز فی الرحمن الرحیم(۲) ثم أنَّه هنـاک بحث هل أنَّ لفظ الجلاله مشتق من الوله أو التأله أو... الخ وعلیه فهناک عدَّه معانی لماده لفظه (الله) کلَّها تناسب

۱- (۱) أقرب الموارد ماده [أله] ص ۶۶ ج ۱.

۲- (۲) کتاب العین للفراهیدی، ص ۳۴.

وتناغم الكمال الاحدى وهذا معناه أنَّه يراد من لفظ الله معانى متعدده والجامع لهذه المعانى هو لفظ (الله) تعالى وهو مراد على صعيد الواقع.

المورد العاشر: أسماء الله الحُسنى، لو سبرنا بيانات النبى (صلى الله عليه و آله) وبيانات أهل البيت (عليهم السلام) فى معانى أسماء الله الحسنى سنجد أنَّ تلك البيانات مُقامه معتمده على استعمال اللفظ فى أكثر من معنى، وأنه كاشف عن أنَّ تلك الأسماء جامع لمعانى كماليّه متعدده وليسَ معنى واحد، وهذا جانب مهم جداً فإنَّ الأسماء الإلهيه متعقدات ومع ذلك نلاحظ أنَّها مبنيّه على هذهِ القاعده المهمه أى قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى.

أهميه القاعده:

تتميز هذهِ القاعده المهمه والخطيره من بين القواعد الغويه والبلاغيه واللفظيه و... الخ بأنَّها مستعمله فى أصل البيان الوحيانى فى أسماء الله وتوحيده وتستعمل فى ذلك باطّراد، فكيف فيما دونه من الاستعمالات الوحيانيه؟

ص:۶۵۵

علاقه القاعده: استعمال اللفظ فی أکثر من معنی بالأسماء الإلهیه اللفظیه

لا یخفی علی أهل البصیره والاختصاص أنَّ أصل هذهِ القاعده المبارکه – استعمال اللفظ فی أکثر من معنی – لها أصل فی البیان الوحیانی فی أسماء الله وتوحیده وهی مطرده هناک فکیف ما دون الاستعمالات الوحیانیه؟ کما مَرَّ.

وکما لا یخفی أنَّ هذهِ الأسماء اللفظیه والبیان اللفظی هی لیست أسماء إلهیه؛ لأنَّ لفظه صوت الله، أو صوت الرحمن، أو هذهِ الأمواج الصوتیه للرحمن أو للرحیم أو... الخ فإنَّ هذه أسماء الله الحسنی، والموج الصوتی دالٌّ وکاشف عن معنی، والمعنی کاشف عن حقائق تکوینیه، وتلک الحقائق التکوینیه هی الأسماء وهی السِّمَه والعلامه، وعندما یُقال: الاسم الأعظم: – لیسَ صوتاً، وإنْ کان هناک صوتاً دالاً علیه.

إذنْ لیسَ الصوت لوحده هو الذی تنشق به الأرض ویُعرَج به إلی السماء وتنفتح به مغالق أبواب الأرض وتفتح به أبواب السماء، وإنَّما الصوت: – دال ونداء لتلک الحقیقه التکوینیه المهوله والعظیمه.

علماً أنَّه فی بحث الأسماء توجد لنفس الأسماء مراتب وطبقات فهناک اسم عظیم واسم أعظم واسم أعظم أعظم أعظم، واسم اعظم عظیم و... الخ وهذهِ المراتب من الأسماء تعنی الحقائق التکوینیه، أیضاً نفس الحقائق هی علی طبقات تتلو بعضها البعض.

وعليه فهذه الأصوات ليست هى أسماء إلهيه، وإنَّما الأسماء الإلهيه التى ليسَ لها اسم قبل اللغه العربيه أى قبل خلق البشر والدنيا والسموات والأرض فإنَّه ما كانت لها أسماء صوتيه أصلاً قبل خلق الدنيا، وعليه فهل يُعقل أنَّه ليسَ لله الأسماء قبل عالم الخلقه؟ يعنى لمْ يكنْ هو الله؟ كلا- فإنَّ الأسماء الإلهيه قبل خلق الخلائق هى حقائق تكوينيه وآيات كبرى إلهيه مملوكه له تعالى غايه الأمر عندما تقول: -

هنا أسماء لفظيه فإنَّها تستعمل كاشفه عن تلك الأسماء التكوينيه والحقائق الكبرى، وهنا يكمن محل الشاهد من استعمال اللفظ فى أكثر من معنى بأنْ هذا اللفظ وضع للإشاره إلى أكثر من معنى، ويشير إلى أكثر من حقيقه وكثره المعانى تشير إلى كمالات مجتمعه فى حقيقه واحده.

وعليه لو كانت اللغه اللفظيه غير وافيه بالإيصال إلى المعانى والمعانى موصله إلى الحقائق لما استعملها الوحى، ومن المعلوم أنَّ الوحى الإلهى لا يستعمل إلّا الألفاظ التى توصل إلى الطريق لا التى تغويه الطريق، وببيان بيِّن ونورٍ يوصل إلى المعنى المراد.

إذنْ هذهِ اللغه بما لها من طبيعه متنوعه متشكله فهى موصله، وإلّا لو كان تنوعها وتشكلها وتعددها وتكثرها فى الدلاله وفى الأداء إلى المعانى غير سليم لما استعملها الشارع وهو القائل وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ حُكْماً عَرَبِيًّا١ و وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ آياتٍ بَيِّناتٍ وَ أَنَّ اللّهَ يَهْدِى مَنْ يُرِيدُ٢ فهو بالتالى مُبيِّن للطريق وليسَ بمجمل ومبهم، وإذا كان مبين للطريق - لا متشابه ومجمل - هو

طبیعه لهذا اللسان العربی المُبیِّن لقواعد اللغه المُبینه وقواعد اللغه الإنسانیه وأنَّها منفتحه علی تعدد الاستعمال وتعدد المعانی، وسمّاه الباری حکماً عربیاً؛ لأنَّ فیه إحکام واتقان لا انفلات فیه.

إذنْ اللغه العربیه هی اللغه التی یتعامل بها الوحی بین الخالق والمخلوق اَلرَّحْمنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسانَ، عَلَّمَهُ الْبَیانَ فالبیان لغه التخاطب بین الباری والبشر وإذا لم تکن هذهِ اللغه وهذا البیان فیه اتقان وإحکام فلِمَ سُمیت اللغه العربیه عربیه؟ سُمیت لأنَّ فیها إظهار وإعراب وبیان وإفصاح عمّا تقتضیه الفطره وهی ولایه الله ورسوله وأهل بیت الرسول صلوات الله علیهم أجمعین.

والخلاصه: العربی فی الفطره هو المؤمن أی بفطرته یُعرب عما هو إیمان بالله ورسوله وأهل بیت الرسول (صلی الله علیه و آله) فیکون مُعرباً عن مقتضیات الفطره، أی فطره الله التی فطر الله الناسَ علیها جمیعاً لا تبدیل لخلق الله، بخلاف الأعجمی فی الفطره هو الضال ببلاغته.

ومن الواضح اللغه العربیه بطبیعتها لغهٌ منفتحه علی معانی متعدده وهذهِ المعانی المتعدده توصل إلی حقائق متعدده ولذلک استخدمها الباری تعالی لأجل أنَّ فیها بیانٌ وإحکام للقرآن.

ومن خلال هذا کُلَّهُ اتضح أنَّ هذهِ الأسماء الإلهیه هی بنفسها عقائد ومعتقدات وحیانیه، وهی أصول الوحی الإلهی وأصول القرآن، کذلک الحال فی محکمات القرآن وهی أصول القرآن وهی أسماء الله تعالی وتعتبر طبقه من الطبقات العالیّه لمحکمات القرآن.

إذنْ إذا کانت محکمات القرآن مبنیه علی استعمال اللفظ فی أکثر من

معنى فكيف بما دونها من استعمالات القرآن وهى بنفسها معتقدات.

والذى نريد أنْ ننتهى إليه هو: -

إنَّه إذا حاوَرَك محاورٌ أو باحث أو منقب عن اسم إلهى من أسماء الله أو اسم نبوى من الأسماء بأنَّه يدلُّ على عِدَّه معانى، وكل هذهِ المعانى محتمله ومُراده، فحينئذٍ عليك أنْ لا تعترض عليه وتقول المراد هو معنى أحادى فقط، بلْ المراد معنى متكثر على الضوابط ولا يتدافع هذا المعنى مع القواعد الأُخرى.

نعم، يبقى من حقك أنْ تقول لأجل دفع ورفع الالتباس والاشتباه لابدَّ من إبراز قرينه أنَّ المراد فى هذا المقام هذا المعنى، وفى ذاك المقام المعنى الآخر وفى الثالث ثالث وهكذا، ومثل هذا بحث صغروى، وأنَّ المهم هو البحث الكبروى، وهو: - أنَّه لا مانع من استعمال اللفظ فى أكثر من معنى وأنَّه ممكن وواقع بكثره فى كلام العرب والقرآن الذى نزل بلغه العرب، وكل تلك المعانى على القواعد والموازين الصحيحه ولا يلزم من إراده أكثر من معنى تهافت أو تدافع بين معانى الألفاظ.

الطعون الموجهه إلى قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی

هناک بعض من طعن بقاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی من جهات:

الطعن الأوَّل أو الجهه الأُولی: بعض الباحثین یخلط فی الطعن علی هذهِ القاعده المهمه والخطیره ویطعن علی استعمال هذهِ القاعده: - بأنَّه یلزم من ذلک إبهام المعانی وتکون المعانی ظُلامیه والأمر مجملاً عند استعمال اللفظ فی أکثر من معنی.

ویردّه:

أولاً: إنَّ هذا الإشکال إنَّما یرد لو اعتمد المُفَسِّر فی قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی علی القرائن والضوابط والقواعد النظریه.

أمَّا إذا اعتمد علی القواعد المبدهه والمدلل علیها فی العلوم اللغویه أو العلوم الأُخری فسوف تکون تفاسیره المتعدده طبق قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی وتکون کل تلک النتائج التفسیریه مبدهه ومُبینه.

ثانیاً: تقدم فی الشرط الرابع من شرائط الاستفاده من قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی أنَّ استعمال القواعد المبدهه یکون أکثر استثماراً للبیان ولهذه القاعده فیما لواستعملت القواعد النظریه، وهذا لیسَ بمقدور الجمیع وإنَّما یحتاج إلی قدره عالیه کقدره المعصوم من النبی (صلی الله علیه و آله) والأئمه (علیهم السلام)؛ لأنَّه من یعلم بهذه القواعد المبدهه یستطیع أنْ یزیل المتشابه

ویجعلوه فی إحکام أی فیه بداهه وإتقان بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ۱ فکله عند المعصوم (علیه السلام) بیِّن لأنَّه یمتلک وعنده القدره فی نطاق البدیهیات یفتح لک أسرار القرآن الکریم، وهی: - من الواضح قدره أُخری: - الأنبیاء والأئمه (علیهم السلام) والوحی والأوصیاء یوصلک إلی المطلوب بأقصر طریق وبطریق آمن وأمان ونیِّر وبیّن وسهل یسیر.

ثالثاً: بعض الباحثین لعله عنده علم بالأسرار ولکن لا یستطیع فتحها فی البدیهیات فهو مضطر إلی أنْ یفتحها بعله ومعلول وصادر أول وبسیط الحقیقه ویستعمل هذهِ الاصطلاحات العقلیه التی کلها هی عباره عن رکام من المشاغبات العلمیه.

وعلیه ما تقدم فی الشرط الرابع فی قاعده استعمال اللفظ فی أکثر من معنی توجد توصیه أکیده من المعصوم (علیه السلام) للمفسر بخصوص هذهِ القاعده الخطیره والمهمه لأجل أنْ لا یتیه الباحث الکریم ویدخل فی المتاهات المظلمه للأمور النظریه ویقع فی شباک وشراک التفسیر بالرأی والتلاعب فی تفسیر القرآن فإنَّه حسب وصیه المعصوم (علیه السلام) إنَّه یجب علی المُفَسِّر أنْ یعتمد علی القواعد المُبدهه أو القریبه من البدیهیه فی العلوم فحینئذٍ یأمن المُفَسِّر من الزلل والخطأ، ومن الواضح أنَّ المفسرین یختلفون فی قدراتهم فیما بینهم فضلاً عن افتراق قدراتهم مع النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) والعتره الطاهره.

المراتب المعلومه والبحث العلمى

اشاره

إنَّ الفرق بين التخيل العلمى والفرضيه، والنظريه العلميّه، والحقيقه العلميّه، يكمل فى تعريف كُلّ واحده منها: -

الفرضيه العلميه (التخيل العلمى): -

إنَّ التخيل العلمى عباره عن مجرد مقوله ذات احتمال ضئيل جداً لا يُعتنى به فى الوهله الأُولى قدْ يُحكم عليه بأنَّه خُرافه، ومنشأه منفتح على كُلّ قالٍ وقيل سواء كان حكايه قصصيه، أو أسطوره زمانيه، أو تصور تخيلى شعرى أو غير ذلك.

فإنَّ كُلّ تصور مهما تضاءلت نسبه مطابقته للواقع قدْ يصل البشر يوماً ما فى البحث العلمى إلى كونه حقيقه تنبع منها حقائق أُخرى مذهله، فمن ثم أخذ البحث العلمى العصرى الحديث على عاتقه الاعتناء بكل شارده ووراده مهما شُخِّصت واستُهزأ بها، فإنَّ متابعه البحث العلمى للتصورات الخياليه رُبما قادت إلى فتح أصعب العُقد فى المباحث العلميّه، فمثلاً- إطلاق المركبه الفضائيه إلى الفضاء قدْ كتب طريقتها الهندسيه كاتبٌ قصصى مسرحى فتصورها أنَّها من قبيل دوائر حلزونيه تتسع شيئاً فشيء إلى أنْ تتجه إلى الجهه المُراده، وهذهِ المخيَّله لدى هذا الكاتب القصصى تلقّفها الباحثون فيما بعد كفرضيه ثم بالمتابعه العلميّه تطورت النظريه العلميّه، ثم اكتشف البحث العلمى أنَّها حقيقه.

وعلى ضوءها تُطلق المركبات الفضائيه حالياً، فمن ثَمَّ أخذ العقل

البشرى الحديث يُثمِّن كُلّ مقوله ومقاله لربما يستخرج منها يوماً كنوزاً من الحقيقه وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم اَلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ١ أى يستمعون جنس القول وكلّ القول، فإنَّ (ال -) فى القول جنسيةٌ.

إلّا أنَّه من الضرورى حين التقييم والاعتناء بكل احتمال ومقال ومتابعه وتحرى مدى صحته لابدَّ بالضروره من التمييز بين الحقائق العلميه والنظريه التى لمْ تبلغ الحقيقه.

وكذلك التمييز بين النظريه العلميه والفرضيه، وبين الفرضيه والخيال العلمى، فكم من نظريه علميه تتلقاها الأذهان أنَّها بمثابه حقيقه علميّه، بلْ ينطوى ذلك حتَّى على أهل الاختصاص والمعنيين بذلك التخصص فضلاً عن غيرهم من أهل النخب.

كما قدْ يقع الالتباس كثيراً بين النظريه العلميه والفرضيه.

فإنَّ النظريه العلميّه هى المقاله والمعلومه التى توفرت لها بعض الشواهد ولم تبلغ بها درجه البرهان.

بخلاف الفرضيه: - فإنَّها مجرد ذات معطيات ضئيله لمْ تبلغ بها درجه المؤشرات والدلائل، كما أنَّه يقع اللبس والالتباس بين الخيال والمخيله العلميّه والفرضيه أو النظريه العلميه والحقيقه.

وهذهِ هى العمايه فى البحث العلمى أو التفكير البشرى، ولكنْ هذا المحذور الإفراطى لا يقودنا إلى التفريط ببقيه الأقسام الثلاثه الأخيره أعنى

الفرضيه والنظريه والحقيقه، كما أنَّه لا إفراط ولا تفريط.

فمثلاً فى علم الفيزياء بحثوا: أنَّ الذرَّه تشتمل على على نيترون والكترون وبروتون، وهناك ضجّه إعلاميّ (صلى الله عليه و آله) وصخب علمى فى علم الفيزياء استنزف الكثير من الجهود إلّا أنَّه لا يخرج ذلك عن أنَّه مجرد فرضيه واحتمال، وإلى اليوم ما استطاع الباحثون إثبات هذا البحث نظرياً، وأنَّه مجرد افتراض، وليسَ له حقيقه علميه، وإنْ كانت محاولات بُذِلت من لَدُن الباحثين على جعل هذهِ الفرضيّه نظريّه، وفى نفس الوقت البعض منهم لا زال يعتبرها مجرد فرضيه واحتمال لا واقع ولا حقيقه علميّه لها، بلْ هناك نظريات معاكسه تماماً، لما كان عليه الباحثون من أنَّ الذرَّه تشتمل على النيترون والبروتون والالكترون، وإنه ليسَ فيها هذهِ وإنَّما تحتوى على شيء آخر.

انظُر أيُّها الباحث الكريم: إنَّ علم الفيزياء من العلوم التجريبيه ومع ذلك يحصل خلط عند نفس الباحثين وأهل الاختصاص فى علم الفيزياء بين الفرضيه والنظريه والحقيقه.

وإلى اليوم لا زال هناك خلط عند بعض الأخوه المثقفين أو الحداثويين بين الفرضيات ويجعلون الفرضيه ويتخذون منها منصّه إشكال على الشريعه ويحاول توجيه الطعن إليها، علماً أنَّ المقنن للشريعه هو الوحى والسماء، ومع ذلك يحاول أمثال هؤلاء الذين لمْ تتضح لديهم الصوره أنْ يشكلوا على الشريعه بأمور فرضيه، واحتماليه فضلاً عن عدم كونها حقيقه أو نظريه، وإنَّما مجرد احتمال وفرض.

تنبيه: علينا أنْ نلتفت إلى وجود اللغط والخداع العلمى الذى ينطلى

على كثير من الباحثين وأهل الاختصاص فضلاًعن غيرهم، فرُبما يُسَوَّق خدُاع علمى أو أكذوبه إلى المجتمع ويحاولون تأطيرها بإطار نظريه أو حقيقه، كما فى مسأله الصعود إلى القمر الذى حصل حوله لغطٌ كثير بين المراكز العلميّه فى الدول الكبرى، وهو لمْ يتجاوز الغلاف الجوى، وهكذا فى مسأله الذرّه وانقسامها و... الخ.

والمهم الذى نريد الوصول إليه هو: - لا يمكن الاعتماد على فرضيه فى تفسير كتاب الله إذا كانت النتائج العلميه هى لا زالت على مستوى الفرضيه أى صرف احتمال، فإنَّ الاعتماد عليها فى تفسير القرآن الكريم يصبح اعتماداً على أمور غير متينه ووثيقه.

نعم، لا- بأس بأداء الفكره كاحتمال، أمَّا اعتمادها كظهور متين بنيوى ويُرتب عليها أمور متلاحقه وبشكل متسلسل وحقائق وهى لا زالت فرضيه وحينئذٍ يكون مثل هكذا اعتماد غير رصين وقويم.

إذنْ استعمال قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من من معنى يعتمد على القرائن والضوابط والقواعد المبدهه والموضَّحه والمتعدده فى علوم اللغه أو علوم أُخرى على صعيد المراد الجدى أو التفهيمى لاسيما فى مقام تفسير الكتاب العزيز وهو مقام خطيرعلى جميع أنواع التفاسير سواء التفسير الموضوعى، أو تفسير القرآن بالقرآن أو التفهيمى أو التجزيئى أو... الخ وخاصه تفسير منهج أمومه المحكمات وولايه أهل البيت (عليهم السلام) الذى يتوخى الدقه والتحليل العميق استناداً واعتماداً على ما وَرَدَ عن أئمه الهُدى (عليهم السلام).

أمَّا الاعتماد على القرائن التى هى الآن متزلزله ومتردد الأمر فيها

فمن الصعوبه الاعتماد عليها؛ لأنَّها تؤدى إلى نتائج سلبيه غير طيبه وغير مُرضيه، بلْ حتَّى لو كانت لتلك القرائن المتزلزله درجه النظريه لا الفرضيه.

النظريه العلميه: وهو الاستدلال على الفرضيه ببعض الأدلَّه التى هى الآن ليسَ محكمه ومتقنه ومن الممكن أنْ يقع فيها نقضٌ وإبرامٌ.

وعليه فالاعتماد على مثل هكذا أمرٌ ليسَ محكمٌ ومُتقن وهكذا نتيجه بشكل جزمى وحاسم أيضاً غير صحيح، وإنَّما يمكن الاعتماد عليها فى مستوى إبداء الاحتمال فإنَّ الفرع لا يزيد على الأصل.

فإذا كانت المقدمه التى يُستند إليها هى نظريه فكيف تنتج منها نتيجه تفسيريه متولده منها جزميّه؟ فإنَّه بالتالى حقيقه الأمر النظرى وإنْ كان صوره مُبرهن عليه أو يقين أو... الخ كما حُقِق فى البحوث الأخيره سواء من العلوم المختلفه والفلسفات القديمه أو المناهج العلميه المختلفه، فإنَّ الأمور النظريه مهما استند فيها إلى براهين فتبقى نظريهُ، وإذا كانت نظريه هذا معناه إنَّ احتمال الخطا والصواب فيها متأتٍ.

وأمَّا الحقيقه العلميه وهو تبده الأمور النظريه بشكل حقيقى لا تبده مُزوَّر أو بداهه بشكل مُزوّق فأنَّ مثل هذا خداع فكرى؛ لأنَّه قدْ يكرر ويكرس الكلام أوا لفكرعلى أمر هو ليسَ ببديهى ولا يعتمد على أدلَّه بديهيه فهذا لا يكون حقيقه، نعم الذى يعتمد على أدلَّه بديهيه قريبه فلربما فى بادئ الأمر هذا النظر برهن عليه بأدله نظريه ولكنْ شيئاً فشيئاً اكتشفت له أدلَّه بديهيه فحينئذٍ يصبح مُبدّه وله حقيقه.

المبدّه ليسَ فقط بمعنى الوضوح المبده وإنَّما المقصود منه (المبده) أى

ما يستند إلى مقدمات بديهيه ومن الواضح أنَّه فى كُلّ علم من العلوم سواء العلوم التجريبيه البشريه أو العلوم الدينيه أو العلوم اللغويه أو... الخ فهناك مساحه من المسائل والقواعد أصبحت واضحه بيِّنه مبدهه ومتسالم عليها بلْ ضروريه فحينئذٍ لا بأس بالاعتمال عليها؛ لأنَّها أصبحت متينه بحدود ما هى ضروريه وبديهيه.

وعليه فإنَّ الشرط الرابع لقاعده استعمال فى أكثر من معنى يغلق الباب عن التلاعب فى التفسير.

الطعن الثانى: يلزم من استعمال اللفظ فى أكثر من معنى محذور انفتاح التفسير للآيه الواحد والسوره الواحده على عدَّه تفسيرات متضاربه ومتناقضه ومتواضعه وتخيّليّه.

الجواب: هذا الإشكال نابع من عدم التفطن إلى شرائط إجراء هذهِ القاعده فإنَّه إذا اتقنا شرائط هذهِ القاعده بشكل متين ورصين فإنَّ مثل هذا الإشكال وغيره من المحاذير التى يتخوف منها الكثير مندفعه.

فإذا ادعى أنَّه يلزم من تطبيق قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى يلزم محذور الهلوسه والتلاعب و... فإنَّ مثل هذا مندفعٌ؛ لأنَّه الدلالات فى الاستعمالات المختلفه تستند إلى ضوابط وقرائن وقواعد صحيحه ولو من علوم مختلفه، مضافاً إلى ما ذكرناه فى شرائط تطبيق القاعده المذكوره أنْ لا يكون هناك تناقض داخلى فى الآيه أو السوره ولا تضارب بين الآيه أو السوره والمحكمات.

وأمَّا أنَّ تطبيق القاعده: يلزم منه محذور إيجاد فقه جديد أو عقائد جديده و... الخ.

ص:۶۶۸

فإنَّ مثل هكـذا محاذير تنـدفع باعتبار أنَّه لابـدَّ من عرضـها على المحكمات وعلى الولايه وعلى الأصول الثابته فى العقيده، وعليه بعد هذا كُلَّهُ كيف يلزم منه فقه جديد أو شريعه جديده أو عقائد جديده وهذا ليسَ بصحيح.

الطعن الثالث: إذا طبقتم قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى ربما فى المستقبل يأتى العلم ويُثبت لنا خطأ هذهِ التفسيرات.

الجواب: يتمُّ هذا الطعن فيما إذا اعتُمد على أمور فرضيه أو نظريه فإنَّ مثل هذهِ الامور قابله للخطأ والصواب ويأتى زمان فيكشف العلم عن خطأها إلّا أنَّ دفع هذا الإشكال بالاعتماد على الأمور المبدّهه ولا يمكن ربط مصير القرآن بظنون البشر.

الطعن الرابع:

باستعمال هذهِ القاعده/ استعمال اللفظ فى أكثر من معنى يلزم منها محذور تجميل الدين وتبديعه بالشكل الذى يتناسب ومواكبه العصر فنشاهد أتباع الديانه هم يُجمِّلون ويُحسنون وجه الدين جيلاً بعد جيل وإلّا فدينهم ليسَ فيه قدره مواكبه عصريه، وهذا معناه أنَّ علماء الدين هم الذين يشكلون طينه القرآن والدين حسب أشكال مرغوبه فى كُلّ حقبه ويسوّقونه ويُروّجونه وإلّا فهو بنفسه ليسَ بهذا الجمال البديع.

الجواب: هذا الطعن أو الإشكال مبنى على الغفله والتسامح عن أمر حساس وخطر للغايه مهم جداً فى حقائق الدين وفى حقائق القرآن وهو أنَّ الأمور الضروريه فى الدين أو القرآن وهى المحكمات ونسبتها من القرآن بشكل محكم وقطعى ولا كلام لنا فى ذلك، وإنَّما الكلام فى الأمور النظريه

التى نسبتها إلى القرآن نسبه نظريه استظهاريه... الخ.

استظهاريه واستظهارنا لها من القرآن بشكل نظرى لا بشكل يقينى وعليه فكيف نُحمِّل القرآن مسؤوليه هكذا أمور نظريه، هذا إذا كان فيها عامل تغير وتبدل فهمنا للقرآن تغير لا أنَّ القرآن فى نفسه تبدل وعليه إذا حمَّلنا القرآن مسؤوليه هكذا أمور نظريه التى لا تنتج النتيجه البديهيه القطعيه ولا يُزاد الفرع على الأصل، فإنَّه ياتى المستشكل ويقول أنتم تجملون القرآن وتحسنونه بواسطه استعمال قواعد فنيه وتطبيقها عليه وإلّا لو خلينا نحن ونفس القرآن فإنَّه ليسَ فيه القابليه على أنْ يواكب العلوم العصريه الحديثه العلميه والفنيه و... الخ.

لأجل أنْ نقطع دابر هكذا إشكال وطعن نقول: -

إنَّ التفسير الرصين لسور وآيات القرآن الكريم والذى لا تأتى عليه هكذا طعون وإشكالات مهما أمكن هو أنْ يكون المُفَسِّر فى تفسيره يعتمد على البديهيات والحقائق المبدهه، وأمَّا تفسير المُفَسِّر المفرد إذا اعتمد على النظريات ووصل إلى نتيجه نظريه وكشف العلم فيما بعد خطأها فينبغى الالتفات إلى أنَّ هذا الخطأ ليسَ فى القرآن وإنَّما خطأ المُفَسِّر للقرآن أو للدين بأنْ اعتمد على مقدمات غير بديهيه كالاعتماد على الامور الفرضيه أو النظريه واعتبرها المُفَسِّر حقيقه ورتب عليها آثاراً وأراد أنْ يستخرج من القرآن أو من الدين رؤىً ومواقف وأطروحات عبر هذهِ الآليه الخاطئه.

وعليه فالخطأ صار ليسَ فى حقائق الدين ومتنه وحقائق القرآن ومتنه، وإنَّما حصل الخطأ فى نفس الآليّه فإذا كانت الآله والآليّه مشوشه وعاطله ومعطوبه فالعطب فى الآله فى المرآه التى تعكس لك الصور الفرضيه

والاحتماليه والنظريه تعكسها أنَّها صور حقائق القرآن وحقائق الدين.

يجب أنْ نميز ما هو من القرآن والدين بنحو الضروره والحقائق المبدهه وبين ما ينسب إلى القرآن والدين ولكنْ ليسَ بنسبه قطعيه ضروريه أى بنسبه نظريه.

وعليه يكون ما ينسب إلى القرآن والدين بنحو النظريه أو الفرضيه قابل للخطأ والصواب فحينئذٍ النسبه إلى القرآن قدْ تكون صائبه وقدْ تكون خاطئه وعليه إذا كان هناك خطأ فلا يُنسب الخطأ إلى القرآن والدين وإنَّما كُلَّهُ صواب وحقائق ومطابقه للواقع كيف وهو من رب الأرباب رب العالمين وكيف يحتمل الخطأ والخطأ يحتمل نسبه الجهل لرب العالمين والله منزه عن الخطأ وتعالى الله من ذلك علواً كبيراً ولا يمكن ذلك عقلاً ولا برهاناً ولا وجداناً.

الخطأ فى النسبه، وهذا نظير الخطأ الذى يجىء من قبل الرواه لا من المعصوم (عليه السلام) وعليه لا يُنحمِّل الوحى سلبيات قنوات النقل والعلم النقلى فالآفه فى النقل لا فى الوحى، وعليه الخطأ فى النقل لا علاقه له بالوحى.

إذنْ إذا كان النقل ضرورياً وقطعياً ومُبدَّهاً فإنّه نستكشف منه الوحى، وأمَّا إذا كان النقل ظنياً أو نظرياً ظنياً قدْ يُخْطىء وقدْ يُصيب فى نسبته إلى الوحى، وهذا أمر آخر، فإنَّ الخطأ فى النسبه والنقل لا الوحى.

النتيجه النهائيه:

إنَّ قاعده استعمال اللفظ فى أكثر من معنى إذا طُبِّقت مع مراعاه الشرائط الأربعه المتقدمه لاسيما الشرط الرابع وهو تبديه القرائن والضوابط

التى يعتمـد عليها المُفَسِّر فى تفسـير القرآن، فإنَّها سـتكون متينه ورصـينه ثابته وغير متزلزله ولا يطرأ عليها التغير والتبدل مع تطور ونضوج العلوم ومواكبه العصر كُلّ هذا لا يؤثرعليها، بلْ تتوسع وتتعمق.

بخلاف ما اعتمد المُفَسِّر فى تفسير القرآن أو الدين على أمر نظريه أو فرضيه، فإنَّ الفرع لا يزيد على الأصل إذا اعتمد الفرع على أمور فرضيه، وأنَّ النتيجه ستكون أكثر إبهاماً فى النظريه وستكون النتيجه أضعف فى فرض الاحتمال من النتيجه النظريه.

ص:۶۷۲

الفصل الثامن

اشاره

ویشتمل علی بیان ضوابط منهجیه فی أمور: -

*الأمر الأوَّل: ارتباط القواعد المبحوثه فی الأنظمه الثلاثه بمنهج أمومه ولایه أهل البیت علیهم السلام علی المحکمات فضلاً عن المتشابهات.

*الأمر الثانی: امتیاز وحده النظام فی منهج أمومه الولایه علی المحکمات.

*الأمر الثالث: الدلیل علی إمکان تکرار استعمال القاعده الواحده فی الأنظمه الثلاثه.

*الأمر الرابع: الدلیل علی العموم. وفیه ذکر لأدله ثلاثه.

*الأمر الخامس: التسلسل الهرمی لقواعد الأنظمه الثلاث، والحاکم هو النظام الثالث - نظام الحقائق.

*الأمر السادس: علم النبره الصوتیه - النظام الصوتی الإعجازی فی الکلام.

*الامر السابع: إنّه هو إلا ذکرٌ وقرآن مبین.

*الأمر الثامن: خروج الوزن الصوتی للقرآن عن أوزان الشعر.

الأمر التاسع: خطاب القرآن عامٌّ.

الأمر الأول: ارتباط القواعد المبحوثه فی الأنظمه الثلاثه بمنهج أمومه ولایه أهل البیت علیهم السلام علی المحکمات

هناک سؤالٌ ما فتأنا نطرحه علی أنفسنا فی کُلّ قاعده من القواعد التی بحثناها فی النظام الأوَّل: النظام الاستعمالی اللفظی، ما هی علاقه قواعـد هذا النظام الأوَّل بالقواعد التی سـتأتی فی النظامین اللاحقین - إنْ شاء الله تعالی - أی نظام المعانی، ونظام الحقائق فی منهج أمومه الولایه علی المحکمات فضلاً عن المتشابهات؟

الجواب: لعـلَّ من أبرز خصـائص منهـج أمومه الولاـیه والمحکمـات الـتی تمیزه عن بـاقی المناهـج التفسـیریه الأُـخری هو: - أنَّ القاعده التفسـیریه الواحده أو الأصل التفسیری الواحد له القدره علی بیان وجه ارتباط القاعده الواحده بأکثر من نظام، فقدْ تکون القاعده لها معنی وقالب علی مستوی النظام الاستعمالی اللفظی، ومعنی آخر فی نظام عالَم المعانی، وثالث فی نظام الحقائق.

وعلیه فیکون للقاعـده الواحـده طبقه صاعـده أُخری غیر تلـک النـازله هی طبقه النظام الاسـتعمالی اللفظی للقرآن، وتلک الطبقه الصاعِده هی طبقه ترکیب منظومه المعانی، ونفس هذهِ القاعده لها بُعد ثالث فی نظام حقائق القرآن.

ثُمَّ إنَّ کُلّ قاعده اعتمدنا علیها فی قواعد التفسیر للقرآن الکریم -

التى هى أصل منهجه وقولبه تلك القواعد - كانت تختلف من منهج تفسيرى إلى آخر باختلاف المناهج التفسريه.

فمثلاً لو سُئِل صاحب التفسير الموضوعى: - هل يوجد ارتباط بين قواعد منهج التفسير الموضوعى أو لا؟

أجاب: نعم يوجد ارتباط بمقدار وحده الموضوع لا أكثر، فإنْ كانت هناك وحده فى الموضوع بين قاعدتين أو أكثر فيوجد ارتباط بهذا المقدار لا أكثر؛ لأنَّ طبيعه المنهج التفسيرى الذى يختار مُفَسِّر القرآن للتفسير الموضوعى هى هكذا.

وهكذا صاحب تفسير القرآن بالقرآن لو طُرِح عليه السؤال السابق.

أيضاً لأجاب: بأنَّ هذهِ القاعِدَه لو بُيِّنَتْ بمورد قرآنى آخر بنفس عناوينها أو ما يرتبط بها فإنَّه يوجد ارتباط وإلّا فلا، وهكذا فى أصحاب المناهج التفسيريه الأُخرى.

الجواب: إنَّ قوالب وأُطُر قواعد التفسير تُؤَطَّر وتُسْبَك تلقائياً وتُضْفى بظلالها على قواعد المنهج التفسيرى الذى يختاره المُفَسِّر.

وعليه فمنهج أمومه الولايه يلحظ فيه وحده النظام بين موضوعات مختلفه، أى وحده منظومه فيها أعمده ومحاور بحيث ترسم لنا شكلاً بهذا النمط من منهج الأمومه للولايه على المحكمات، ومثل هكذا تفسير يكون له تلقائياً طبقات فالطبقه العُليا هى الحقائق، والطبقات المتوسطه هى المعانى، والطبقات السفليّه هى التنزيل والألفاظ.

مضافاً إلى أنَّ منهج أمومه الولايه على المحكمات لتفسير القرآن الذى

يتميز بوجود وحده نظام فقط أى وحده وترادف وجودى تكوينى، سواء وجد الترادف اللفظى أو العقلى أو لا.

ويكفينا فى منهج أمومه الولايه على المحكمات وحده الترادف الوجودى التكوينى الذى يعنى وحده ونسبه وجوديه ونظام وجودى موحَّد، وإنْ كانت هذهِ الحلقات لها قواعد متباينه فى سطح الظاهر إلّا أنَّ بينها أبواباً ونوافذاً وجسوراً رابطه فيما بينها، فإنَّ اكتشفناها فبها ونعمت، وإلّا فلا زلنا فى أوَّل الطريق، ولذلك دائماً يتكرر علينا تلقائياً.

إنَّ كُلّ قاعده تنقح للقاعده الأُخرى وتوطىء لها وتفسرها، فمثلاً قاعده: «إنَّ القرآن فيه [تبيان لكل شىء]» ترتبط بقاعده إعجاز القرآن، وارتباط هاتين القاعدتين بقاعده أُخرى وهى قاعِدَه: - أنَّ القرآن له سطح وظاهر.

وبالدقه يمكننا أنْ نقول: - إنَّ كُلّ قاعده مستعمله فى تفسير منهج امومه الولايه على المحكمات هى مرتبطه بجميع القواعد بحسب منهج الأمومه والمحكمات فإنَّ محكات القرآن هى المحور والقطب الذى تؤُم الولايه، فتكون الولايه أمٌّ لمحكمات القرآن، كما أنَّ محكمات القرآن أمٌّ لمتشابهات القرآن.

أيضاً الذى يميِّز هذا المنهج المختار وهو منهج أمومه الولايه على المحكمات هو أنَّه لا يُفنِد المناهج التفسيريه الأُخرى بلْ يُقرِّها ويُبين ضرورتها، إلّا أنَّه فى نفس الوقت يُبين محدوديتها وأنَّها ليست هى المهيمنه، وإنَّما المنهج التفسيرى المُهيمن والناظم هو منهج أمومه الولايه على المحكمات - كما مَرَّ - ولعلَّ السرَّ فى عدم تقبل واستعياب باقى المناهج

التفسيريه الأخر لمنهج أمومه المحكمات وأنه يسبب لها الفوضى والتشويش لأنَّ تلك المناهج التفسيريه الأخرى غير منهج الأمومه لمْ تلتفت إلى وحده النظام، ومغايره منهج الأمومه والولايه لبناء منهج وحده الموضوع.

ووحده النظام ومركزيّته فى منهج الأمومه أصعب من وحده الموضوع، ومن وحده المعنى فى باقى المناهج التفسيريه الأُخرى.

ص:٦٧٨

الأمر الثانی: امتیاز وحده النظام فی منهج أمومه الولایه علی المحکمات

أحد أهم العلامات المميزه لوحده النظام فی الوجود هو التأثیر والتأثر، فکلّ طرفٍ یؤثر ویتأثر وتتفاعل الاطراف مع بعضها، وهذا یدلِّل علی صعوبه منهج أمومه الولایه والمحکمات وانه لیسَ بالسهل الغور فیه بمعنی الإحاطه - فضلاً عن العمق والتعمُّق الذی هو الدخول فی التفاصیل وتفاصیل التفاصیل دون الإتکاء علی الأرکان والمحاور والمفاصل الأساسیه وهو (التعمُّق) منهی عنه - فإنَّه من الصعوبه بمکان انفتاح قاعده واحده علی الأنظمه الثلاثه وتتبعها القواعد الأُخری، فالصعوبه تکمن فی اکتشاف هذهِ الوحده بین القواعد فی الانظمه الثلاثه وحینئذٍ یُلْقی بکاهل ثقلها وجهدها علی عاتق المُفَسِّر فإنَّ انتهج المُفَسِّر نظام امومه الولایه والمحکمات فسوف لا یواجه تلک الصعوبه الکبیره إنْ اتبع الضوابط والموازین الصحیحه المتبعه لکل قاعده ونظام - بعون الله تعالی -.

وعلیه منهج أمومه الولایه والمحکمات هو المنهج الوحید الذی یؤمِّن أنَّ للقرآن وحده هویه دون باقی المناهج التفسیریه فإنَّ القرآن الکریم له هویه واحده وهو أنَّه قرآن وإنْ کان له سور وآیات، وهذا یدلُّ علی أنَّ هناک ارتباطاً بین القواعد وأصول التفسیر بین بعضها مع البعض الآخر، وأنَّ لکل أصل وقاعده تفسیریه وجود علی صعید اللفظ وعلی صعید المعنی وعلی صعید الحقائق.

ص:۶۷۹

إنْ قلت: حتَّى أسباب النزول لها مستوى على صعيد الأنظمه الثلاثه:

قلت: نعم فإنَّ قاعده أسباب النزول - كما سيتم بحثها فى موضعها - لها منهج تفسيرى خاص بها على صعيد نظام الاستعمال اللفظى فى القرآن وأنه ما هو سبب نزول هذهِ الآيه وما هو موضوعها الذى نزلت فيه فى الصلاه أو الخمس أو الزكاه أو الصوم أو المعاملات... الخ وعليه يكون سبب النزول قرينه مؤثره فى استظهار الآيه.

وهكذا يمكن تفسير قاعده أسباب النزول على مستوى نظام المعنى وأنَّ هناك روايات بيَّنت أنَّ القرآن يجرى مجرى الشمس والقمر، والليل والنهار، كما وَرَدَ ذلك فى روايه الفُضيل بن يسار، قال: - سألتُ أبا جعفر (عليه السلام) عن هذهِ الروايه: ما فى القرآن آيه إلّا ولها ظَهْرٌ وبطن وما فيه حرف إلّا وله حَدٌّ، ولكلِّ حَدٍّ مُطلَّع، ما يعنى بقوله: لها ظهرٌ وبَطنٌ؟

قال ظَهرُه، وبطنه تأويلُه منه ما مضى، ومنه ما لمْ يكنْ بَعْدُ يجرى كما تجرى الشمس والقمر، كلما جاء منه شىءٌ وقع قال الله تعالى وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ نحن نَعْلَمُه(١) وغيرها.

وعليه فالقالب العام الكلى لمعانى القرآن له تطبيقات نزوليه على كل أُمَّهٍ من الأُمم، وأشارت إلى ذلك بيانات أهل البيت (عليهم السلام)، وأنَّ كل واحد من البشر بهذا المعنى مُسمَّى فى القرآن، فإنَّ القرآن فيه قانون كل زمان، وفيه بيان أحوال وأوضاع الطغاه والمتمردين وغيرهم من فرعون ونمرود كل زمان.

۱- (۱) بصائر الدرجات، ج ۲، ص ۲۲۳؛ بحار الأنوار، ج ۹۲، ص ۹۴، ح ۴۷؛ تفسير العياشى، ج ۱، ص ۸۶، ح ۵.

فإنَّ المسح لظواهر البشر وهويّاتهم فی القرآن الکریم ینطبق فی کل زمان علی کل فرد فرد، وهذا أحد معانی أنَّ القرآن یجری مجری الشمس والقمر واللیل والنهار. ونفس هذا المعنی یمکن تطبیقه علی قاعده أسباب النزول علی مستوی نظام الحقائق وأنَّ القرآن لا ـ زال ینزل کل عام، وتحصیل مثل هکذا مطلب لیسَ بالسهل علی باقی المناهج التفسیریه الأُخری غیر منهج أمومه الولایه علی المحکمات فضلاً عن المتشابهات.

فمثلاً ـ قوله تعالی تَنَزَّلُ الْمَلائِکَهُ وَ الرُّوحُ۱ أی لا ـ زال القرآن فیه تنزل کقوله تعالی: فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ۲ ومعنی یُفرق أی فیها استمرار، أو قوله تعالی یُنَزِّلُ الْمَلائِکَهَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلی مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ۳ أو قوله تعالی: اَلَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولئِکَ یُؤْمِنُونَ بِهِ۴ ولیسَ المراد من التلاوه، التلاوه الصوتیه وإنَّما المراد أنَّ بقدره المعصوم (علیه السلام) أنْ یُنزل کل آیهٍ فی موردها فی کل زمان بتنزیل وحیانی إلهی، فتکون الآیه الآن تنزل، والقرآن فی کل سنه ینزل، وسیأتی مفصلاً فی بحث أسباب النزول إلی أنَّ الآیه الواحده قدْ تنزل عِدَّه مرات فی زمن رسول الله مُحمَّد (صلی الله علیه و آله)، ویبقی التساؤل فی معنی النزول هو أنَّه کیف تنزل نفس الآیه عِدَّه مرات علماً أنَّ ألفاظ الآیه الواحده تنزلت علی رسول الله (صلی الله علیه و آله)، فکیف تنزل نفس الآیه بواسطه جبرائیل من الله علی رسول الله (صلی الله علیه و آله) فی مورد آخر بنفس الآیه، فهذا هو معنی النزول.

ومعنى النزول هو أنْ يأتى بأمر إلهى بهذهِ الآيه بأنْ تُطَبَّق فى هذا المورد هذا فى التنزل الأوَّل، وعليه فما معنى التنزل الثانى؟.

الجواب: نفس معنى التنزّل الأوَّل، والتزم به جمله من الأعلام كالمجلسى (قدس سرّه) من علمائنا وغيره، وبعض علماء العامه، فمثلاً أحد أسباب تسميه سوره الحمد بسوره المثانى - وليسَ المراد من المثانى مثنى مثنى أى مرتين - هو أنَّ المراد من المثانى أى ما ليسَ بواحد أى أنها تنزّلت عِدَّه مرّات بنفس ألفاظها ومعانيها.

وعليه فما هو وجه الحكمه من ذلك؟

تقدَّم أنَّ القرآن فيه تشريعات وفيه سلطه قضائيه، وأنَّ الحاكم الأوَّل هو الله تعالى والذى يُطبِّق هذا التشريع الإلهى بعد الله تعالى هو رسول الله (صلى الله عليه و آله) فيكون التطبيق تاره إلهى وأُخرى بشرى.

ومن خلال الآيات القرآنيه المتقدمه فإنَّها دَلَّت على الاستمرار بالنزول الذى هو أحد معانى النظام الثالث وهو معانى الحقائق لقاعده أسباب النزول.

وعليه فإنَّ أسباب النزول معناها وجود حاكميه أولى وهى لله تعالى فى دوله الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمه (عليهم السلام) فإنَّ حاكميه الله تعالى هى فى كل زمان ومكان إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ١ وحكم رسول الله (صلى الله عليه و آله) كحم الله تعالى ولكنه (صلى الله عليه و آله) يحكم بعنوان خليفه الله تعالى فى أرضه، وهذا هو معنى التنزيل.

إذنْ الله تعالى يُطبِّق الآيات أى يُنزلها، والحاكم الثانى بعد الله تعالى هو رسول الله (صلى الله عليه و آله)، ثمَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم باقى الأئمه (عليهم السلام) - وحينئذٍ يكون التنزيل له جانب فى نظام المعانى وكذلك فى نظام الحقائق وسيأتى الكلام حوله مفصلاً فى محله إنْ شاء الله تعالى.

الخلاصه: إنَّ انفتاح القاعده الواحده على الأنظمه الثلاث والقواعد الأُخرى تتبعه صعب وليسَ بالسهل؛ لأنَّه يصبح موضوعاً شائكاً متداخلاً يحتاج إلى بذل مزيد الوقت والجهد فى بيان خيوط الارتباط وكيفيتها.

ص:۶۸۳

الأمر الثالث: الدليل على إمكان تكرار استعمال القاعده الواحده فى الانظمه الثلاثه

تقـدَّم أنَّ مِن أهم مميزات وخصائص وتـداعيات تأثير منهـج أمومه الولايه والمحكمات على باقى المناهج التفسيريه الأُخرى هو أنَّ منهـج الأـمومه والولاـيه فيه ثلاثه أنظمه؛ النظام الاسـتعمالى اللفظى، والنظام المعنوى، والنظام الحقائقى، وبيان ارتباط القواعد فيما بينها، أمَّا أنَّ المُفَسِّر استطاع أنْ يكتشف أو لا فذاك بحث آخر ترجع إلى رصيد معلومات وتراكم خبراته العلميه.

وعليه فما دام توجـد هناك وحـده مشتركه بين الأنظمه فى كل قاعده قاعده فإنَّ الكل سوف يَؤُم وإلى مركز واحد وإنْ لم تكن تلـك الوحـده وحـده موضوع ولاـ وحـده معنى، ولاـ يلزم من تطبيق القاعـده الواحـده فى الأـنظمه الثلاـثه أى تهافت وتنافى فى المعنى.

الأمر الرابع: الدليل على العموم

الدليل الأوَّل: أمَّا بالنسبه إلى النظام الأوَّل: – وهو الاستعمال اللفظى فهو عربى مبينٌ فغير مختص بتطبيق قاعده.

الدليل الثانى: نظام المعانى فإنَّه ليسَ له اختصاص بالعربى وإنَّما يشمل

غیر العربی، بلْ له نظام إنسانی مشترک بلْ لیسَ منحصراً بلون إنسانی ولغه إنسانیه خاصه، ونظام عالم المعانی لیسَ مقتصراً علی عالم الإنسان وإنَّما یشمل عوالم أُخری کعالم الجن وعالم الملائکه وعوالم الحیوان کما فی الهدهد والنمله... الخ، فإنَّها تدرک بعض المعانی من مخلوقات عالم الأرواح.

وهکذا النظام الثالث حقائق القرآن فهو کعالم المعانی عام لکل المخلوقات.

الدلیل الثالث: عموم الخطاب القرآنی لغیر الثقلین، وإنْ کان هناک بعض المفسرین لعله اشتبه علیه الأمر وتوهم أنَّ الخطابُ القرآنی مختص ببعض الخلائق، والحال أنَّ الخطابات القرآنیه تعمُّ جمیع الخلائق.

نعم، الخطاب باللغه العربیه یختصّ بالإنس والجن والملائکه، أمَّا الخطاب بالمعانی أو الحقائق فهذهِ درجه من درجات الخطاب القرآنی فهی لیست مختصه بالثقلین، وأنَّ الدین یعم کافه أنحاء المخلوقات.

هذا مضافاً إلی أنَّ الدین لیسَ خاصاً بنشأه دار الدنیا أو خاصٌّ بنشأه البرزخ أو نشأه الآخره، وإنَّما الدین یعم کل النشآت ویمثِّل العلاقه الخالده بین الخالق والمخلوق سوءا کانت العلاقه تکوینیه أم لا.

لا کما توهّمه العلمانیون مِن أنَّ الدین الذی بَرزَ به النبی الأکرم (صلی الله علیه و آله) مُختَصٌّ بقرون معینه فی الأرض.

وعلیه فالدین غیر الشریعه فإنَّ الدین کأرکان وعقائد عامٌّ لکل النشآت ولا یختص بنشاه دون أُخری، کما وأنَّه لیسَ مختصاً بالثقلین وإنَّما یشمل کل عوالم الخِلْقه وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ۱ و إِنَّ

اَلدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلامُ۱ و وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ۲ و إِنْ کُلَّ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ آتِی الرَّحْمنِ عَبْداً۳.

والله تعالی مالِک یوم الدین وعلیه مداینه کل الخلائق کما أشار إلی ذلک أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی بعض خطبه

«إنَّ حکم الله لأهل الأرض والسماء لواحدٌ».

وعلیه فحکم الله تعالی واحدٌ فی الدنیا والبرزخ والآخره هی بلحاظ الدین واحد، وحیث إنَّ الغالب فی القرآن الکریم هو الدین والقلیل فیه بالقیاس إلی الشریعه فإنَّ الشریعه خاصه بالثقلین لِکُلٍّ جَعَلْنا مِنْکُمْ شِرْعَهً وَ مِنْهاجاً۴.

والخلاصه إنَّ القرآن فیه ثلاثه أنواع من الخطابات:

۱ - خطاب لفظی استعمالی.

۲ - خطاب معانی.

۳ - خطاب حقائق.

الأمر الخامس: التسلسل الهرمی لقواعد الأنظمه الثلاث – والحاکم هو النظام الثالث – نظام الحقائق

بعد بحث قدْ طال به المقام فی القواعد التفسیریه – وصلنا بحمد الله تعالی إلی هذهِ النتیجه المهمه والخطیره وبشکل برهانی وهی:

إنَّ قواعد نظام حقائق القرآن الکریم – وهی النظام الثالث حسب تسلسله بعد أخویه – هو أعلی مرتبه فی الإحکام، ومن الواضح أنَّ المحکم فی رتبه قواعد معانی القرآن، وقواعد معانی القرآن الکریم أشد إحکاماً من المحکم رتبه فی قواعد ألفاظ القرآن أی قواعد الاستعمال اللفظی للقرآن لوجوهٍ عِدَّه:

الوجه الأوَّل: قاعده تحکیم المحکم علی المتشابه.

الوجه الثانی: قاعده تحکیم الأشد إحکاماً علی المحکم.

الوجه الثالث: قاعده تقدیم ذو القرینه الأقوی علی الأضعف، وغیرها.

وقد تمیّزت مدرسه أهل البیت (علیهم السلام) عن بقیه المدارس الأُخری باختصاصها بقواعد نظام وجود الحقائق فی القرآن الکریم وهذهِ القواعد فتح أهل البیت (علیهم السلام) بابها وأنها محاور وأصول القواعد، ولکن بقیّه المدارس الاخری مُغیَّبٌ عنها مجموعه قواعد النظام الثالث – حقائق القرآن –

وتقتصر تلك المناهج التفسيريه الأخرى [غير مدرسه أهل البيت ومنهجنا التفسيرى المختار أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات] على مجموعه قواعد التفسير فى النظام الأوَّل وهو الاستعمالى اللفظى، أو نضم إلى النظام الأوَّل فى أحسن الأحوال وأقصاها النظام الثانى مجموعه قواعد التفسير المعانى وأمَّا بلحاظ مجموعه قواعد بالنسبه للنظام الثالث - أى نظام الحقائق فى القرآن - فقد غيّبته المناهج التفسيريه الأُخرى لدى مفسرى العامه وغيرهم وحرموا أنفسهم من النهل من ذلك المعين الوحيانى الإلهى الذى لا يأتيه الباطل وهو نظام حقائق القرآن الذى هو من مختصات مدرسه أهل البيت (عليهم السلام)، ومنهجنا التفسيرى أمومه الولايه على المحكمات فضلاً عن المتشابهات، وهذهِ الميزه تؤشر إلى ملحمه تفسيريه مهمه جداً واختلاف منهجى عميق فى منهج التفسير الذى يوصى به أهل البيت (عليهم السلام) مع المدارس والمناهج التفسيريه الأُخرى.

ومنهجنا المختار كما بيّنا سابقاً - أمومه الولايه فى تفسير المحكمات - هو الذى بيَّنه الإمام الصادق (عليه السلام)

«إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن»(١) والمراد من الولايه ليست فقط بيان قواعد معنويه ولغويه فقط، وإنَّما الولايه يراد بها بالأصل هى الحقيقه والكيان التكوينى.

وهذا الحديث المبارك نداء صارخ بأنَّ المركزيه فى تفسير المحكمات فضلاً عن المتشابهات لا يتمُّ إلّا بالولايه أى بحقائق تكوينيه ويرسم لنا العلاقه والنسبه بين المجموعات الثلاث من قواعد تفسير القرآن كالتالى:

المجموعه الأولى: قواعد النظام الاستعمالى اللفظى وهى بمثابه

١- (١) تفسير العياشى ج ١، ص ٧٨ ح ٨.

المراتب النازله من النزول الثانی للقرآن.

المجموعه الثانیه: قواعد نظام المعانی - وهی بمثابه الدَرَجه الصاعده من النزول الثانی.

المجموعه الثالثه: قواعد حقائق القرآن وهی بمثابه النزول الأوَّل، وهو ذو درجات، وعلیه فرسم هکذا خریطه فی تفسیر القرآن مهمه جداً.

تنبیه مهم: المدار فی التفسیر علی نظام المجموعه الثالثه ثم المجموعه الثانیه ثم الأولی لا العکس. وهذهِ قواعد بنیویه فی صناعه منهج التفسیر - لا ترف فکری، والسبب فی اختیار المجموعه الثالثه هی المهیمنه هو: -

أولیس المفسرون یُحکِّمون المحکم علی المتشابه؟ الجواب: بالإیجاب.

أولیس المفسرون یُذعنون بأنَّ الأشد إحکاماً یُحکَّم علی المحکم؟ الجواب: نعم.

وهذهِ قواعد فی الاستظهار والتفسیر هی قطب ومرکز القرآن الذی تدور حوله بقیّه المحکمات فضلاً عن المتشابهات.

وعلیه فإنَّ قواعد المجموعه الثالثه والنظام الثالث - نظام الحقائق - أشدُّ قریبّةً وهیمنیّه علی قواعد النظام الثانی - نظام المعانی، ونظام المعانی بدوره أشد هیمنه علی قواعد النظام الأوَّل الاستعمال اللفظی.

وهذهِ نتیجه صناعیه معادلیه مهمه جداً فی المنهجه التفسیریه.

قدْ یقول قائل: إنَّ النظام الأوَّل - الاستعمال اللفظی - هو المُحکَّم أولاً وآخراً وهو الجسر الموصل لنظام الحقائق - النظام الثالث - وهذا طریق الوصول إلی الحقائق لغیر المعصوم (علیه السلام)، وعلیه فکیف عکستم وقلتم

الحقائق هی المدار والمُحَكّم؟

وهذا الاعتراض نظیر ما بُحِث فی علم البلاغه وعلم الأصول من أنَّه هل الدلاله التفهیمیه هی المحكّمه علی الدلاله الاستعمالیه أو العكس أو التفهیمیه هی المحكمه علی الدلاله الجدیه أو العكس و... الخ.

والصحیح كما بَیَّنا فی محَلِّه: - إنَّ الطریق إلی الدلاله الجدیّه یكون عبر الدلاله التفهیمیه والاستعمالیه، أی: - استعمالیه ثم تفهیمیه ثم جدیه لا العكس هذا فی مرحله الإثبات وهو طریق إنی، وفی كل واحد منها طبقات، كذلك هنا یقال: -

إنَّ قواعد الاستعمال اللفظی بمثابه الدلاله الاستعمالیه، وقواعد نظام المعانی للقرآن بمثابه الدلاله التفهیمیه أو الجدیّه النازله، وقواعد نظام حقائق القرآن بمزله الدلاله الجدیّه النهائیه.

خلاصه الاعتراض: قدْ یُقرَّر أنَّ العكس هو الصحیح أی أنَّ قواعد النظام الاستعمالی هی التی تُحكَّم علی المعانی، والمعانی تُحكَّم علی قواعد نظام الحقائق.

أُجیب عن هذا الاعتراض: فی علمی البلاغه وأصول الفقه بأجوبه عِدَّه مفادها هناك فرقٌ بین جهتی المتكلم فی مقام الثبوت ومقام الإثبات، فإنَّه فی مقام الإثبات، فإنَّ المتكلم یبتدأ بالدلاله الاستعمالیه، ثم الدلاله التفهیمیه، ثم الجدّیّه أی الألفاظ ثم المعانی ثم الحقائق.

وأمَّا فی مقام الثبوت: فإنَّ المتكلم لأجل أنْ یوصل ما فی ذهنه وما لدیه من واقعیه إلی الطرف الآخر فتتشكل عنده معانی عن تلك الواقعیه،

فإنَّ المعانى فى مثل هذهِ الحاله تدفع نحو الألفاظ، وعليه يكون الابتداء فى مقام الثبوت بالحقائق ثم الواقعيات ثم معانى صور منعكسه للمعانى ثم الألفاظ.

وفيه: إنَّ هذا الجواب صحيح وسديد إلّا أنَّه ليسَ هو كل الحقيقه، فإنَّه فى الجهه الإثباتيه قطعاً لا طريق لنا إلى المعانى إلّا بالألفاظ أى ببركه قواعد النظام الاستعمالى اللفظى نصل إلى نظام المعانى، كما أنَّه لا وصول لقواعد حقائق القرآن إلّا بالمعانى، فإنَّ مثل هذا فى عالم الإثبات فقط، وليسَ الأمر كذلك فى عالم الثبوت وإنَّما بالعكس.

وعليه فالثمره فى اختلاف قوس الثبوت عن قوس الإثبات فى حدود سيطره وهيمنه الدليل الإثباتى فقط لا الثبوتى، ويظهر الفرق فيما لو كانت لدينا ثوابت فى المراد الجدى.

وذكرنا سابقاً أنَّ هناك قرائن لفظيه ثم استعماليه ثم تفهيميه ثم جدّيه، والقرائن الاستعماليه إنَّما يُعَوَّل عليها فيما إذا لم يكن فى البين قرائن خاصّه – أى قرينه تفهيميه – لأنَّ القرينه التفهيميه مقدمه على الاستعماليه فى تحديد المراد التفهيمى؛ لأنَّ المعنى التفهيمى مستخلَص من الدلاله الاستعماليه فيها إذا لم يكن فى البين قرينه تفهيميه وانحصر الطريق بالاستعمال، فالقرينه التفهيميه مقدمه على الاستعماليه كالأصل العملى لإحراز التفهيميه، حيث لا دليل خاص ولا أصل.

أمَّا إذا كانت هناك قرينه تفهيميه خاصه فإنَّها مُقدَّمه.

كذلك الكلام فى القرائن الجدّيه إنَّما يُعَوَّل فى استكشاف المراد الجدى على الدلاله والقرائن التفهيميه إذا لم يكن هناك قرينه على الجد، وإلّا لو

كانت هناك قرينه خاصه على الجد فهى مُقدَّمه.

ومن هـذا يتضـح أنَّ الـدلاله التفهيميه مقـدمةٌ وهى بمثابه الـدلاله العامه على العموم وكـذا التفهيم يوصل إلى الجد، والأصل فى التفهيم أنَّه كاشف عن الجد.

وكـذلك الكلام إذا وجـدت قرينه على الـدلاله الجـديّه فإنَّها مقـدمه على التفهيميه، وقدْ ميَّزوا علم البلاغه وعلم الأصول: - بين طبقات القرائن: -

فإنَّ هناك طبقه من القرائن اسـتعماليه، وطبقه تفهيميه، وطبقه جديّه؛ لأنَّ القرينه الاسـتعماليه قدْ تكون قرينه على اسـتعمال اللفظ فى غير ما وضع له، وعليه فتكون قرينه المجاز - أى الـدلاله الاسـتعماليه - مقدمه على الوضع اللغوى أى الدلاله التصوريه مع أنَّ الوضع اللغوى فى الأصل يُعتمـد عليه فى اسـتكشاف الدلاله الاسـتعماليه لتقدم الدلاله الوضـعيه التصوريه لكن فيما انتفت القرينه الاستعماليه.

إذنْ - إلى هنا صار عندنا أربع دلالات: -

١ - دلاله تصوريه وضعيه.

٢ - دلاله استعماليه.

٣ - دلاله تفهيميه.

٤ - دلاله جديّه.

فيكون إثبات الدلاله القويّه ينحصر عن طريق الدلاله الضعيفه حيث لا شاهد على القوى.

أمَّا إذا عُلِمَ قرينه القوى كقرينه الجد أو قرينه التفهيم أو الاستعمال عُلِمَ القوى ثبوتاً بقرينه خاصه فإنَّه حينئذٍ لا يعوَّل على قواعد الاستعمال حتّى فى الإثبات.

وعوده إلى صلب الموضوع الذى كنَّا فيه: - المفروض أنَّه حتّى فى نظام الحقائق الذى هو المهيمن على أخويه من النظام اللفظى والمعانى، هناك جمله من المسلمات معلومه إلّا أننا نستعلمها من آيتين أو ثلاث، أو من لفظٍ أو أكثر كما فى مثل حقيقه ليله القدر عُلِمت وأنها حقيقه متجليّه فى القرآن.

وعليه أصل ليله القدر بهذا التظافر ليسَ استعلامها بالدلاله الاستعماليّه ولا الدلاله المعنويه، وإنَّما ليله القدر باتت حقيقةً عند المسلمين بأنَّه لو رُفِعت ليلهُ القدر لَرُفِع القرآن فهذا مثالٌ من أمثله النظام الثالث - قواعد نظام الحقائق - والمفروض أنَّ القواعد فى نظام الحقائق مُبَدَّههٌ ومُحَكَّمه وكلامنا فى الحقائق التى هى مُحْكمٌ.

خلاصه الجواب المتقدم: - إنَّ نظام الحقائق هو المقدم على أخويه - اللفظى والمعنوى - ثبوتاً وإثباتاً فى القرائن التى هى فى رتبته.

ص:۶۹۵

الأمر السادس: علم النبره الصوتى «النظام الصوتى الإعجازى فى الكلام»

وهذا النظام يختلف عن النظام اللغوى، وأنَّ نفس الأصوات لها نظام خاص وهو أيضاً على أقسام: -

منه ما يرتبط بعلم الهندسه الصوتيه.

منه ما يرتبط بعلم الهندسه الموسيقيه.

منه ما يرتبط بعلم الهندسه والنغمات.

ومن الواضح أنَّ علم النظام الصوتى هو علمٌ مستقلٌّ برأسه؛ ولذا كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) عندما يقرأ القرآن ينجذب إليه كل مخلوق حواليه يصل الصوت إليه، أو يضطر المشركون إلى سماعه وكانوا يتواعدون بالعَلَن على عدم الإصغاء لتلاوه النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) فى مكّه أيّام الإسلام الأولى، إلّا أنَّهم سرعان ما ينكثون عهدهم على بعضهم البعض بمجرد أنَّ يسمعوا تلاوه النبى (صلى الله عليه و آله) للقرآن فيذهبون كلُّهم ويتسمعون إلى قراءه القرآن بالنظم الصوتى الخاص الذى يُلقيه النبى (صلى الله عليه و آله) بغض النظر عن عظمه القرآن.

والقرآن له أبعاد عديده أحدها: أنَّه للقرآن نبره صوتيه خاصّه ولحن خاص بآيات الذكر الحكيم، ولها أوزان خاصّه اكتشفها المتخصصون بهذا المجال وأنَّ فيها أسراراً خاصّه وفوائد جمّةً.

ویـذکر المتخصـصون فی علم الصوت والأوتار أنَّ للنبره الصوتیه واللحن الخاص بآیات الذکر الحکیم معالجه ومداواه لکثیر من الأمراض الروحیّه للمصابین بها، بلْ حتّی الأمراض البدنیه یتمُّ معالجتها بذلک بجداره.

فی حین أنَّ الشارع الأقدس حَرَّم أموراً منها: - الاستماع للموسیقی لِما فی التحریم من أسرار عجیبه.

وعلیه فمن یستطیع أنْ یـدعی أنَّه یحیـط بالظـاهر للقرآن الکریم الـذی هو بین الـدفتین، فضـلاً عن بطون القرآن، ولاـ یتخیل أنَّ التعبیر بالـدفتین کنایه عن الحصـر، وإنَّما هذهِ البینیه مخزن لم یفتح إلی الآن، وکلما یُغترف منه لا زال فیه درٌ وجواهر لا تنتهی، هذا هو التنزیل.

وهکذا روی أنَّ الإمام الحسن (علیه السـلام) کان عندما یقرأ القرآن ینقطع الطریق نتیجه جلوس کل مَن یَمُرُّ بباب الإمام الحسـن (علیه السلام) للاستماع إلی ذلک الصوت وتلک القراءه الحزینه لما لها تأثیرها علی الروح والنفس.

وهکـذا الإمـام زین العابـدین علی بن الحسـین (علیهما السـلام) وعمتُه العقیله زینب بنت علی (علیها السـلام) عنـدما قرات تلک الآیـات القرآنیه الشـریفه فی خطابهـا التـأریخی وبیانهـا ذو النبره الصوتیه الخـاصّه فی مسـجد الکوفه والشام إذْ هَـدَأت الأصوات لتصغی للاستماع إلیها کأنّما تَفْرُغ عن لسان أبیها أمیر المؤمنین (علیه السلام) ذو النظم الصوتی الخاص.

الأمر السابع: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِی لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِکرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِین

الأمر السابع: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِی لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِنْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِين(۱)

التعريف الأوَّل للقرآن إنَّه ذكر وقرآنٌ مبينٌ، لم يبحث وللأسف إلى الآن الفرق بين الذكر وبين نظام الذكر فى الألفاظ لا من قبل علماء البلاغه ولا الأدباء ولا المنطق ولا الفلسفه ولا التجويد، فإنَّ علماء التجويد مثلاً لم يبحثوا عن قواعد علم التجويد فى ألفاظ القرآن الكريم من التركيز على مهاره التلاوه والترتيل الذى يُفيد الذكر وإنَّما يصبون اهتمامهم على تنميق وتنويق ألفاظ القرآن الكريم وإنْ كان هذا هو نعم التحريض إلّا أنَّه ليسَ هو الغايه العليا المتوخاه فى المقام، وإنَّما الغايه العُليا المنشوده هو أنْ يكون تجويد القرآن أو ترتيله يُحْدِث ذكراً فى قلب المستمع فمثلاً كانت تلاوه النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) تمغنط عُتات قريش الذين كانوا يتواعدون ويتحالفون على أنْ لا يصغوا إلى قراءه النبى (صلى الله عليه و آله) إلّا أنَّهم - كما مَرَّ - سرعان ما ينكثون وعودهم وعهودهم فيأتون خُفيه وفُرادى ويصغون إلى قراءته؛ لأنَّ فيها جاذبيه خاصه ولم يحدثنا تاريخ الإسلام أنَّ أبا سفيان أو أبا جهل أو الوليد بن المغيره أو عتبه أو شيبه أو غيرهم من عتات قريش أنَّهم أتوا وأصغوا لمسلم من المسلمين يقرأ القرآن فى مكه ما عدا سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) كانوا يأتون ويصغون إليه فى مكه.

وهكذا الخوارج كانوا يأتون ويصغون إلى قراءه على بن أبى طالب (عليه السلام) للقرآن فى الصلاه رغم عداوتهم اللدوده إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام).

۱- (۱) سوره يس: الآيه ۶۹.

وهكـذا هناك قصـص كثيره مـذكوره فى محلها تدلّ على كيفيه جذب قراءه المعصوم لأعتى أعداء المعصوم (عليه السـلام) فى تلك القراءه فى التجويد الذكرى للنبره الصوتيه بهندسه خاصه للصوت تجذب وتوجد ذكر لا أنها توجد رنين عابر، وهذا الذكر حتّى على صعيد الهندسه الصوتيه الذى هو التجويد له قواعد خاصه أيضاً إلّا أنَّه لم ينتبه إليها البشر.

والنتيجه التى ننشـدها: - أنَّه بنـاءً على مـا وَرَدَ فى كلمـات أمير المؤمنين على بن أبى طـالب (عليه السـلام) وبـاقى الأـئمه (عليهم السـلام) من التأكيـد على مبحث التعريض وله قواعـد وموازين من علوم شتى وما أُبـدى من بحوث بالنسـبه لمبحث التعريض من قبـل علمـاء البلاغه والنحو والصـرف والأدب والمنطق والأصول والتفسـير و... الـخ فهو قليلٌ جـداً، وعلينا أنْ نولى اهتماماً خاصّـاً بمبحث عالم التعريض وترامى الدلالات ويجب أنْ نشـيّد أركانه، ومن الخطأ أنْ يدعى مُفَسِّر أو أى باحث فى أى علم من العلوم الـدينيه فى الفقه وغيره بـأنْ يحبس نفسه على قـدر مـا قُرِّرَ من قواعـد فى ذلـك العلم أو مـا توصِل إليه؛ لأنَّ اسـتكشاف دلالات القرآن لابدَّ أنْ يكون منضـبط طبق موازين وقواعد، وهو متواصل ومتلاحق إلى يومنا هذا فإنَّ العلماء يكتشفون شيئاً فشيئاً بشكل متعاقب ومتسـلسل ومنتظم ولا يعنى هـذا أنَّ ذلك هو كل عالم الدلاله الخفيّه كلا وإنَّما هو جزء من تلك الحقيقه ولا زال طريق البحث والتأمـل والاكتشـاف مفتوح أمامنا ونواصل المسـيره فى هـذا الجانب وفق قواعـد الانضـباط وتفعيل القواعـد إلّا أنَّه ينبغى الالتفات إلى أنَّه يجب أنْ نفرِّق بين أمرين: - بين أنْ نكون حبيسـين دائره محدوده من تلك القواعد وبين أنْ نفتح الباب لتحرى قواعد أكثر وأوسع.

الأمر الثامن: خروج الوزن الصوتى للقرآن عن أوزان الشعر

نشير إجمالاً لما يرتبط بهذا المقام - وسيأتى تحقيقه فى محله إنْ شاء الله تعالى - وهو أنَّ القرآن ليسَ بشعر المستفاد من قوله تعالى: وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ ١ فإنَّ القرآن ليسَ بشعر ولا خيال ولا خطابه ولا مغالطه ولا استعاره ولا باقى الأقسام اللغويه، وإنَّما القرآن ذكرٌ وسيأتى تحقيق معنى الذكر وإلى الآن هناك قواعد فى أسلوب القرآن لم تكتشف من قبل علماء النحو والبلاغه والصرف والأدب و... الخ علماً أنَّ تلك القواعد موجوده بالفعل ولكنَّها غير مكتشفه وهذا هو سر الإعجاز فى القرآن، وسيأتى كل ذلك مفصلاً إنْ شاء الله تعالى فى مبحث الإعجاز اللغوى فى القرآن، ومعنى الإعجاز هو أنَّ القرآن فيه قواعد قاهره مُعْجزه ومَعَجّزه للبشر عن أنْ يتفطنوا إليها، يعجزوا عن نيل هداه وقواعده الوقوف والإحاطه عن الوصول لمثل هذهِ القواعد، وعلى هذا التفسير للإعجاز يأتى تساؤل أو إشكال أو ليسَ المعجزه التكوينيه خارجه عن قوانين تكوين خلقه الله وإنَّما هى على وفق قاعده العله والمعلوم والأسباب والمسببات إلّا أنَّ البشر يعجز عن التفطن لسبيل وقناه المعجزه، فمثلاً كيف يَحْمِل الجَبل بناقه وتخرج الناقه من الجبل التى هى معجزه قوم صالح، وهكذا معجزه موسى (عليه السلام) انقلاب العصا حيَّه تسعى

فكيف تنقلب العصا التى هى حطب إلى حيوان فهى لا زالت مُعْجزه عجز البشر عنها وإنْ كانت هى قوانين تكوينيه موجوده ولكن لم يقف ولم يلتفت البشر إلى هذهِ الحقيقه وهذهِ المعاجز الحقيقيه وعلى هذا صار معنى الإعجاز اللغوى فى القرآن هو عباره عن قواعد فيها أداءٌ لغوى جبّار ولكن لا يلتفت ولا يفطن إليها البشر بشكل وآخر إذْ لو اكتشفوها واستخدموها لأتوا بمثله آيه أو سوره، ومن الواضح أنَّ القرآن فيه إعجازات كثيره وغفيره على مستوى عالم النظام الاستعمالى اللفظى واللغوى والبلاغى ونظام المعانى ونظام عالم الحقائق.

إذنْ المعجزه اللغويه فى القرآن إلى الآن غير مكتشفه معانيها وأسرارها وغير منكشف القواعد التى تتحكم فى النظام الصوتى وأى قواعد تتحكم فى نظام الدلاله الاستعماليه وأى قواعد تتحكم فى نظام الدلاله التفهيميه، وقواعد الدلاله الجديه و... الخ.

وكذا غير مكتشف لحد الآن أى لم تضبط ضمن ضابطه معينه القواعد التى استعملها القرآن الكريم فى بيانه وأى قواعد بديعيه جماليّه مرصعه فى ألفاظ القرآن، وأى أوزان تفعيلات القرآن الكريم؟ فلاحظ سوره القرآن الكريم وآياته لها نغمات صوتيه خاصه وجوٍّ بيانى خاص.

ولا يفهم من كلامنا حول المعجز اللغوى فى القرآن أنَّه بلا قواعد وبلا موازين كلا، وإنَّما هى لغه موجوده لكن يعجز البشر عن اكتشافها وهناك مراكز دراسات ضخمه تحاول اكتشاف الأنظمه التى تتحكم فى بيان القرآن إلّا أنها ما وفقت لذلك؛ لانها شفره من شفرات معينه فى النظام الصوتى لألفاظ القرآن وبياناته وكيفيه أداء تلك الألفاظ، وهذهِ ملحمه

بیانیه یختص بها القرآن لم یعطها الله تعالی إلّا لمن هم عِدْل القرآن أی النبی (صلی الله علیه و آله) وعترته أهل بیته (علیهم السلام) فهم یعلمون ذلک وقد علّمهم الله بتلک المعجزات اللغویه وغیرها فی القرآن وکیفیه انقلاب العصا من الشجره إلی حیّه تسعی أو کیف خرجت الناقه من الجبل.

أمّا بالنسبه إلی غیر المعصومین وأنبیاء الله تعالی ورسله فکما یمیزون المعجزه التکوینیه عن غیرها بالجمله وإجمالاً ـ کذلک یمکن تمیز آثار الآیات التی فیها إعجاز قرآنی وأنّها حتماً موجوده ولها معادلات وقواعد کذلک ما نحن فیه نلمس إجمالاً أنَّ القرآن الکریم فیه دلالات وبیانات یفهمها الکل حتّی الطبقات النازله تتأثر بها وتحس أنها تتأثر بها بلْ حتّی المدارس والمعاهد الغربیّه – التی تفطن وتَلُمَّ بجمله قواعد اللغه العربیه – من العربیه شیء – أثبتوا کیفیه تأثیر صوت القرآن علی الجنین فی بطن أمه وبسبب نوع من التأثیرات فی عالم الروح وعالم خَلْق الإنسان کل ذلک ضمن قواعد موجوده غیر مکتشفه وعلیه فلا یمکن لمُفَسِّر أنْ یدعی أنی محیط بکل دلالات القرآن إذْ لو استطاع لأتی بمثلها، وإنَّما القرآن کله بیان فقط للذین أوتوا العلم ولأصحاب آیه التطهیر والذین یمسون القرآن الذی وصفهم لا یَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ۱ و بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ۲ و وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ۳ الذین هم مُحمَّد وآل مُحمَّد (صلی الله علیه و آله) وما عداهم من بقیّه الناس فإنَّهم یلمسون درجات نازله من القرآن الکریم فیعلمون ویتفطنون إلی تنزیل الکتاب بالطرف المنخفض منه لا ـ نفس الکتاب.

الأمر التاسع: خطاب القرآن عامٌّ

بعض العرفاء والمتكلمين والفلاسفه والمدارس الإسلاميه الأُخرى التبس عليها الأمر وتوهم أنَّ أفق دعوه القرآن محدوده بحد ونشأه الأرض ودار الدنيا فقط ولا يشمل عالم السماء ولا الجن ولا الملائكه ولا البرزخ ولا الآخره ولا... الخ فيكون القرآن على حساب بعض المفسرين كتاباً لنظام عالم الدنيا فقط، وإنْ توسَّع قليلاً بعضُهم بشمول خطاب القرآن للجن والملائكه بحدود عالم الدنيا فقط.

إلّا أنَّ هذا توهمٌ: وعارٍ عن الصحه فإنَّ القرآن الكريم بسحب تعليم بيانات أهل البيت (عليهم السلام) أنَّه كتاب، خالد بخلود عوالم الوجود، ولا أحد يستطيع أنْ يستغنى عن أسرار القرآن حتّى الملك فى السماء فإنَّه يرتقى علماً بالقرآن وأسراره ومن هنا تظهر عظمه صاحب القرآن ألا وهو الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) الذى بُعث لكافه المخلوقات، وعليه فيوجد بونٌ واسع بين طرح أهل البيت (عليهم السلام) لهذا المطلب وبين طرح العرفاء والمتكلمين والفلاسفه وبعض المدارس الإسلاميه الأُخرى، بلْ حتّى النصارى أتباع عيسى (عليه السلام) وليسَ المقصود نفس عيسى (عليه السلام) ولا الحواريين أتباع عيسى وإنَّما المقصود من اتّبع عيسى (عليه السلام) وقال بأنَّ أفق دعوه الإنجيل بحدود الأرض وعالم الدنيا فقط، وهكذا اتباع النبى موسى (عليه السلام) فى التوراه وباقى الكتب السماويه الأُخرى بينما فى بيانات أهل البيت (عليهم السلام): أنَّ جميع الكتب السماويه الإلهيه من

التوراه والإنجيل والزبور والصحف والقرآن و... الخ هی مخاطب بها کل الخلائق، ولذا وَرَدَ فی بیاناتهم لا سیما روایه الإمام الصادق (علیه السلام):

«إن الله جعل ولایتنا أهل البیت قطب القرآن...»(۱) من أنَّ أُفق التوراه أعظم مما فهمه أو یفهم الیهود وکذا الإنجیل أعظم مما فهم أو یفهم النصاری، وهکذا الزبور وباقی الکتب والصحف السماویه.

۱- (۱) تفسیر العیاشی، ج ۱، ص ۷۸، ح ۸، والکافی ج ۲، ص ۴۳۹.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹